

قوافل النور

Books.Rafed.net



الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

بغداد



دار الإسلام

Dar AL-Islam Foundation

www.daralislam.com



Books.Rafed.net



books.rafed.net

ملحمة
قوافل البيت
ملحمة شعرية في سيرة النبي وأهل بيته

حُسين بركة الشامي

أهل البيت في القرآن الكريم



Books.Rafed.net



books.rafed.net

بسم الله الرحمن الرحيم

- (١) إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (١).
- (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (٢).
- (وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) (٣).
- (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (٤).
- (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (٥).
- (٦) قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (٦).

(١) الأحزاب / ٣٣.

(٢) المائدة / ٦٧.

(٣) القصص / ٥.

(٤) آل عمران / ٦١.

(٥) المائدة / ٥٥.

(٦) الشورى / ٢٣.

أهل البيت عليهم السلام في السنة

. قال رسول الله ﷺ :

« إنّي أوشك أن ادعى فأجيب ، وإنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله عزوجل وعترتي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » ^(١).

. قال رسول الله ﷺ :

« إنما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » ^(٢).

. قال الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام :

« إنّ الأئمة بعد رسول الله ﷺ كعدد نقباء بني اسرائيل ، وكانوا اثني عشر ، الفائز من والا هم ، والهالك من عاداهم منهم : حسن ، وحسين ، ثم الأئمة من ولد الحسين عليه السلام » ^(٣).

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢ / ١٩٤ ط. بيروت.

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٢ / ٩١ ط. بيروت.

(٣) عيون اخبار الرضا : ١ / ٤٥ ط. النجف. والبحراني ، العوالم : ١٥ / ٢٦٢ ط. قم.



نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .. نحمده ، ونستغفره ، ونستعين به ونتوكل عليه ، هو الله حسبنا ونعم الوكيل ، والصلاة والسلام على اشرف خلقه ورسوله محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه المنتجبين ومن دعا بدعوته الى يوم الدين. وبعد :

تشكل سيرة الرسول المصطفى ﷺ واهل بيته الاطهار ﷺ الصورة الحية للاسلام ، فهم التجسيد العملي للمفهوم الاسلامي ، ولبادىء الرسالة الخالدة ، من خلال اقوالهم ومواقفهم المعصومة ، لذلك فان الكتابة عنهم كتابة عن الاسلام الاصيل ، واستيحاء لمفاهيمه ، وتعاليمه ، ومسيرته ، فمن اراد ان يفهم الاسلام لا بد له ان يدرس حياة الرسول ﷺ واهل بيته ﷺ ، دراسة واعية مدركة ، وهي عملية شاقة بطبيعة الحال ، نتيجة ما طرأ على التراث الاسلامي من تشويه ، وتحريف دخل مصادر التأريخ والسيرة منذ اوائل عصر التدوين.

لقد كُتِبَ عن سيرة الرسول ﷺ واهل بيته ﷺ كم هائل من المؤلفات والبحوث والدراسات ، وكان للشعر حضوره الحي في هذا المجال ، فلقد نظم الشعراء منذ عهد الرسول ﷺ وطوال الفترات اللاحقة الكثير من القصائد والملاحم في فضائل الرسول والقادة الافذاذ من اهل بيته ﷺ ، حتى شكل ذلك رصيдаً ضخماً متميزاً في تراث الشعر العربي ، وقد تخصص بعض الشعراء في



اهل البيت عليه السلام ، فوظفوا ملكتهم الادبية في هذا المجال الغني ، فكتبوا المديح والرثاء ونظموا في المناقب والسيره وابدعوا فيهن جميعاً.

ورغم كثرة ما نظم في هذا المجال الخصب الا ان اضافة المزيد يبقى حاجة مستمرة ، فالموضوع واسع بلا حدود ، ومهما كتب فيه يظل نزرأً يسيراً. لا سيما بالنسبة لاجيالنا الواعدة التي تشق طريقها وسط التحديات ، فهي بأمس الحاجة الى استحضار تلك السيرة العطرة والتأريخ المشرق لكي تنهل منه الدروس والمفاهيم والعبر.

وتعدُّ ملحمة قوافل النور تجرّيتي الثانية في نظم هذا النمط من الملاحم ، حيث صدرت لي ملحمة « الفية بن بركة » وهي ملحمة شعرية أدبية ، تأريخية ، سياسية ، حركية ، تؤرخ لمسيرة الحركة الاسلامية في العراق للفترة ١٩٦٨ - ٢٠٠٣ م وهي الفترة السوداء التي سيطر فيها حزب البعث على مقاليد الأمة في العراق فعاش الشعب العراقي بكل فئاته ، وشرائحه الاجتماعية والسياسة فصول المحنة الرهيبة عبر حمامات الدم ، والتشرد ، والمقابر الجماعية ، والحروب المدمرة ، حتى تحولت أرض السواد الخضراء الجميلة الى خراب ورماد تعصف به الريح.

وملحمة « قوافل النور » مشروع أدبي وتاريخي ، حافل بفضائل ومواقف أهل البيت عليه السلام ومدرستهم الفذة ذات الجذور الراسخة بالاصالة والعمق الرباني والامتداد الرسالي ، وهي زاد الخطيب الحسيني الهادف الذي يحرص على تقديم المادة التاريخية والادبية الحية لجماهيره على مختلف المواقع والساحات ، حيث يجد الخطيب في قوافل النور القصة التاريخية ذات السند الصحيح ، والامثال السامية ، والمواعظ المؤثرة ، والدروس الاخلاقية ، والمواقف الاجتماعية والسياسية التي تحفل بها سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسيرة الأئمة من اهل بيته الطاهرين عليهم السلام. وهي ملف ادبي ، عقائدي يجد فيه المثقف متعة المراجعة التاريخية والفكرية وهو يتصفح السيرة العطرة والحياة الثرة لاهل البيت عليهم السلام.



كما يجد فيها طلبة الجامعات والشباب مادة التاريخ القديمة بلغة حديثة تتناسب مع روح العصر تجيب على تساؤلاتهم الفكرية والسياسية والادبية وهم يواصلون دراستهم وتنمية مواهبهم في مضمار الادب واللغة والتاريخ.

أما الناقد الادبي لقوافل النور فانه يقف امام رؤية تاريخية شاملة لمراحل ومحطات ذات احداث معقدة ومواقف متشابكة يكشف من خلالها الرؤية الادبية ، والخلفية الثقافية ، وملامح المنهج الذي يسلكه الشاعر ، كما يكشف الصور الموحية التي تكمن وراء مفردات قاموسه اللغوي.

لقد بدأت نظم هذه الملحمة في خضم معاناة الجهاد الفكري والسياسي ، في منافي الهجرة التي قاربت ربع قرنٍ من الزمن المثقل بالهموم والآمال المتطلعة للعودة ، والمساهمة في بناء ما هدمته الحقبة السوداء من حكم الطاغية العراق.

ورغم ان الذاكرة كانت في الوطن كنت انتهز آنذاك اية فرصة لنظم الابيات ، ومراجعة التاريخ ، وضبط النصوص والروايات ، وكثيراً ما كنت استثمر ساعات السفر الطويلة لمواصلة النظم ، وكتابة الهوامش والملاحظات ، وتقويم الشعر ، واختيار المفردات المناسبة ، حتى اكملت . بعون الله . الاجزاء السبعة من هذه الملحمة المباركة.

وحين دخلت بغداد بعد سقوط الصنم فيها ، في ٩ نيسان ٢٠٠٣ وتنسبت عبرها العابق بأشذاء الشهداء الابرار ، حسبت ان علاقتي بالشعر قد توقفت ، حيث رأيت نفسي مستغرقاً في عالم جديد ، وتجربة جديدة ، هي تأسيس وبناء ديوان الوقف الشيعي ومؤسساته ، وهو عالم جديد وواسع ، ومعقد ، الا انه ممتع.

ورغم اني لا امتلك حينئذٍ الوقت ، بل وحتى التفكير في « قوافل النور » ثانية بسبب غمرة العمل ، والانغماس في تفاصيله ليلاً ونهاراً ، لكن بفضل الله تعالى ، وأتماماً للعهد الذي قطعته على نفسي ، صممت وبقوة ان أواصل الملحمة المباركة من جديد ، وان انتزع نفسي من بحبوحة هموم العمل المضني ، لاجل ثانية ، في عالم الشعر لاتمام ما بدأت به في ليالي الغربة.



وهكذا كان حين احسست ان هاتفاً يدفعني دائماً لمواصلة نظم قوافي . هذه الملحمة . والابتعاد عن الكسل والاسترخاء ، فبدأت بنظم حياة الامام الصادق ، الحافلة بالعطاء والمفعمة بالخير ، وفضائل العلم ، ومكارم الاخلاق.

وقد اجد نفسي مضطراً أن اذكر للقرّاء الاعزاء ان هذه الملحمة الشعرية الطويلة لم تتشكل في اجواء الفراغ والترف الادبي ، انما كنت اعدُ فصولها شعراً ونثراً وسط المعاناة ، وعلى اضواء الشموع في ليالي بغداد الحزينة ، فالظلام ما زال يحاصر بغداد حتى بعد سقوط الاصنام. بل ان اكثر فصول الملحمة واحداثها المثيرة والمفجعة في حياة اهل البيت ؑ جاءت مع الدموع لأن التاريخ — مع الاسف . ما زال يعيد نفسه باستمرار ، حيث تتكرر تلك الفواجع الفضيعة في كل مرحلة من مراحل تاريخنا وعلى مختلف خطوط الصراع والمواجهة.

فالامام جعفر الصادق ؑ هو اول جزء يطبع في العراق بعد العودة ، وتلته الاجزاء الاخرى السبعة للأئمة الطاهرين ، وبعد اكمال النظم والتعليقات على باقي الاجزاء في حياة الائمة الهداة ؑ اقترح علي بعض الاخوة الاعزاء ان اجمع كل اجزاء قوافل النور في مطبوعة واحدة متكاملة خصوصاً وأني قد أضفت إليها أبياتاً لتغطية بعض النقاط التاريخية المهمة ، وكذلك من اجل ان تكون الملحمة بكل فصولها حاضرة بين يدي القراء الكرام ، ولكي تظهر روعة الترابط غير المرئي بين اجزائها ، وتبرز الخيوط الموصلة عبر التاريخ بين كل المواقف الرائعة في مسيرة وحياة أهل البيت ؑ الزاهرة بالعطاء الدائم الذي ليس له انقطاع ، واشير هنا الى ان عدد ابيات هذه الملحمة قد بلغ (٣٥٩٤) ثلاثة آلاف وخمسمائة واربعة وتسعين بيتاً.

و « مؤسسة دار الاسلام » اذ تقدم هذه الملحمة الشعرية قوافل النور لقراء العربية ، انما تهدف الى تعميق الصلة والرابطة بين ابناء الامة ، وبين عناصر القوة في عقيدتها المتمثلة بسيرة الرسول ﷺ واهل بيته ؑ عبر الزمن ، وتهدف كذلك الى اكتشاف ينابيع الخير والبر والقيم الانسانية ، ومواقف البطولة والفداء في



تاريخ أمتنا من خلال السيرة العطرة لشخصية الرسول الاكرم ﷺ واهل بيته
الاطهار الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وفي الختام أود ان اوجه جزيل شكري وامتناني لكل الاخوة الاعزاء من
العلماء والادباء ، الذين ابدوا ملاحظاتهم التاريخية والادبية والفنية الطيبة عن
قوافل النور يوم كانت تصدر عن مؤسسة « دار الاسلام » في لندن على شكل
سلسلة ، ذات اجزاء متعددة ، وأخص بالشكر والتقدير كلاً من الاخوة
والاصدقاء الاعزاء :

— الاخ الدكتور عدنان هاشم الموسوي ، الذي كتب تقريراً جليلاً
بعد اطلاعه على الجزء الاول والثاني فقط ، والرسالة تكشف عن مدى
ذوقه الادبي ، وفهمه لادب الملاحم في التاريخ.

— الاخ الدكتور طارق نجم عبد الله ، الباحث والناقد الادبي ، حيث
راجع الاجزاء الخمسة الاولى ، وأبدى ملاحظاته اللغوية ، والادبية القيمة ،
وأظهر إعجابه بالملحمة من خلال دراسته الدلالية الموسعة التي قدمها لها ،
وهي تكشف عن مدى احاطته بأصول النقد الادبي في الدراسات اللغوية.

— الاخ الاستاذ الاديب المبدع جواد جميل ، على ما ابداه من
ملاحظات ادبية ، وتاريخية ، وفنية خلال اعداد هذه الملحمة المباركة.

— الاخ الشيخ كاظم القرشي ، حيث ساهم مشكوراً في اعداد بعض
الهوامش والتعليقات ، للأجزاء الاخيرة من الملحمة.

— كما اشكر ولدنا المهذب السيد احمد مهدي بركة على جهوده
الفنية المتميزة الدؤوبة ، التي بذلها من اجل ان تخرج ملحمة قوافل النور
بهذه الحلة الجميلة الأخاذة ، حيث واكب الملحمة منذ أجزائها الأولى
وحتى النهاية.



وفي الختام

أسأل الله تعالى ان يحقق كل الاماني الخيرة للمخلصين ، وان يوفق جميع العاملين لخدمة الدين والوطن والانسان.

كما اسأله سبحانه ان يجعل بلدنا العراق الحبيب بلداً آمناً وان يرزق اهله من الثمرات ، وان يطوي هذه الصفحة البغيضة السوداء لملفات حزب البعث والتكفيريين بصفحة مشرقة مباركة ، يعود فيها العراق كما كان منذ القدم مركزاً للعلم ، ومصدراً للاشعاع الفكري والروحي والادبي للمنطقة والعالم.

انه مجيب الدعاء ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

حُسَيْن بَرَكَه الشَّامِيّ

محرم الحرام / ١٤٢٨ هـ

بغداد . الكاظمية



رسالة تقريض

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الأخ الفاضل السيّد حسين الشامي حفظه الله وأطال عمره :

تحية طيبة :

أشكر لكم هديتكم القِيّمة « قوافل النور » في سيرة المصطفى وأهل بيته فجزاك الله عن المصطفى وأهل بيته أفضل الجزاء وجزاك الله من ابن بار لهولاء العظام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وإني وإن كنت لم أطلع على الجزئين السابقين إلا أنني أرى في الجزئين اللاحقين ذلك الفرع من ذاك الأصل وكأن هذه الكتب ذرية بعضها من بعض.

أنني وأنا أقرأ هذه الملحمة ذكرتي بأيام الرجز الغابرة ، حيث كان الرجز أقرب البحور الشعرية إلى ساحات الحرب ، ومعارك العرب حافلة بهذا النوع من الشعر الغنائي الجميل الخفيف على الروح والشاحذ للهمم.

وذكرني هذان الكتابان بأيام رؤبة ، والعجاج ، وأبي نجم العجلي ، والذي ما تزال قصائدهم في الرجز خالداً في بطون كتب الشعر والأدب ، وحسب علمي أن هذا النوع من الفن الشعري قد ضم في قرائح الشعراء لإنصرافهم إلى بحور الشعر الأخرى ، فلم أر . وقد أكون مخطئاً . رجزاً يؤبه به منذ أيام رؤبه ، والعجاج حتى فتح الله على الشعر بقريحة شاعرنا ابن بركة الشامي ، فهو قد رفد مجد أهل البيت عليه السلام كما رفد الأدب بشعره الجميل.

تقبلوا خالص التحيات

الدكتور عدنان هاشم الموسوي

لندن





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

قوافل النور .. دراسة دلالية

بقلم : د. طارق نجم عبد الله (✽)

« الشَّعر » في أصل وضعه اللغوي يعني : العلم ، ولهذا قالت العرب : ليت شعري ، أي ، ليت علمي ، وفي الحديث : « ليت شعري ما صنع فلان ! » أي ليت علمي حاضر ، أو محيط بما صنع ، فحذف الخبر. و « الشَّعرُ » منظوم القول ، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية.

قال الأزهري : الشَّعر ، القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها والجمع أشعار ، وقائله شاعر ، لأنَّه يشعر ما لا يشعُر غيره ، أي ؛ يعلم. ^(١)

وقد وردت كلمة « الشَّعر » مرَّة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى :

(وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) ^(٢)

قال المفسرون : إن الله تعالى لم يعلِّم الرسول الكريم ﷺ قول الشعراء وصناعة الشعر ، أي ما أعطيناه العلم بالشعر وإنشائه ، وما ينبغي له يقول أن الشعر من عند نفسه ، حتى لا يقع في معرض تزيين المعاني بالتخييلات الشعرية التي يراد بها أن تكون أوقع في النفس ، وتنظيم الكلام بأوزان موسيقية ليكون أوقع في السمع ، لأنَّ آية رسالته ومثن دعوته القرآن الكريم المعجز في بيانه الذي هو

(✽) استاذ متمرس في اللغة العربية ، وعلوم القرآن ، والرئيس السابق لقسم اللغة العربية في كلية الآداب . جامعة صنعاء. حقق كثيراً من الكتب والمخطوطات ، وصدرت له عدة دراسات لغوية ، يعمل الان مديراً لمكتب رئيس الوزراء العراقي.

(١) لسان العرب / مادة : ش ع ر.

(٢) يس ٦٣ : ٦٩



ذكر وقرآن مبين ، ووردت كلمة « شاعر » في القرآن الكريم في أربعة مواضع هي :

١ . قوله تعالى : (**بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ**) ^(١)

فالآية الكريمة تشير إلى موقف المتردد في توجيهه ما سمعه من نصر قرآني بهره ، فمرة يقول سحر ، ومرة يقول شعر ، ومرة يقول حلم ، ولا يجزم على واحد.

٢ . قوله تعالى : (**وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَرِيكَو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ**) ^(٢).

وهو من كلام الكفار الذين يأنفون ما سمعوه ويستخفون بمن يدعوهم ويقولون : لا ندع عبادة الأصنام لقول شاعر مجنون . يعنون النبي ﷺ .

٣ . قوله تعالى : (**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ**) ^(٣)

وهو قول الكفار أيضاً فهم ينتظرون به حدثان الموت وحوادث الدهر فيهلك كما هلك من تقدم من الشعراء.

٤ . قوله تعالى : (**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ**) ^(٤)

أي أنّ الله سبحانه وتعالى نفى عنه هذه الصفة لأنّ القرآن الكريم ليس بصفة الكلام المعتاد وأنّه ليس بشعر ، بل هو ضرب من الكلام الخارج عن الأنواع المعتادة ، وإذا بعد عمّا جرت به العادة في تأليف الكلام فذلك أدل على إعجازه ، ومن الآيات الكريمة الأربع يتبيّن أنّها لم ترد في مقام ذم الشعراء ، بل

(١) الأنبياء ٢١ : ٥

(٢) الصافات ٢٧ : ٣٦

(٣) الطور ٥٢ : ٣٠

(٤) الحاقة ٦٩ : ٤١

يستفاد منها إبراز خصوصية النص القرآني في نظمه اللغوي الذي يختلف عن الشعر. وقد رأى بعضهم أن ذم الشعر والشعراء يفهم من قوله تعالى :

(وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾)

فهل الشعراء فئة مذمومة عند الله ، وليس للانسان الذي يريد أن يحصل على محبة الله ورضاه أن يكون شاعراً ؟

وبالرجوع إلى كتب التفسير لم أجد فيها من يقطع باستفادة ذم الشعر والشعراء مطلقاً من الآيات الكريمة. بل إنهم فرّقوا بين الشعراء الذين يفرون من الواقع ويلجأون إلى الخيال ، الذين هم بلا هدف وسرعان ما يتبدل خطّهم الفكري لأنهم واقعون تحت تأثير العواطف ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ولا يطبقون كلامهم على أنفسهم ، وبين الشعراء المخلصين ذوي الأهداف السامية ودعاة الحق ، الذين يبحثون في شعرهم عن الأهداف الإلهية ولا يغرقون في الأشعار فيغفلون عن ذكر الله ، صفاتهم ، الإيمان والعمل الصالح وذكر الله كثيراً ، والانتصار للحق مستعينين بشعرهم في الذبّ عنه.

الصنف الأول ذمهم القرآن الكريم ، وأن أتباعهم من الغاوين ، أمّا الصنف الثاني ، أعني شعراء الهدف والعقيدة فهؤلاء سلاح قوي في المعركة تماماً كما هو النبل عندما يسدده المقاتل إلى صدور الأعداء.

قال في مجمع البيان ٧ / ٢٠٨ :

« عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : يا رسول الله ! ماذا تقول في الشعر ؟ فقال : أن المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكأتما ينضحونهم بالنبل ، وقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت : أهجهم وروح القدس معك .. » .

(١) الشعراء ٢٦ : ٢٢٤ . ٢٢٦

قال آية الله السيد فضل الله : « إنّ المسألة في الشعر هي مسألة المضمون والموقف وليست مسألة الشكل والكلمة » ^(١)

وقد بحث هذه الموضوع بحثاً وافياً الشهيد السعيد محمد محمد صادق الصدر رحمه الله في كتابه « ما وراء الفقه » فقد استدلل على رجحان الشعر نظماً وإنشاداً بعدة أدلة من السنّة النبويّة.

منها ما روى عن الرسول الكريم ﷺ أنّه قال : « إنّ من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً ».

وما رواه أبو هارون المكفوف قال :

« قال لي أبو عبد الله ﷺ : يا أبا هارون ! أنشدني في الحسين ﷺ فأنشدته ، فقال : أنشدني كما تنشدون ، يعني بالرقّة ، قال : فأنشدته :

أمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيّة

قال : فبكي ، ثمّ قال : زدني ، فأنشدته القصيدة الأخرى ... ».

وعن الحسن بن الجهم قال : سمعت الرضا ﷺ يقول : « ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا به إلّا بنى الله له في الجنّة بيتاً أوسع من الدنيا سبع مرّات ، يزوره فيها كل ملك مقرب وكل نبي مرسل ».

يضاف إلى ذلك عدد من النقول التاريخية الموثوقة التي يصل مجموعها إلى حد الاستفاضة بل التواتر في استماع الأئمة المعصومين ﷺ إلى الشعر وإجازتهم له بل وإنشادهم له ونظمهم له وذلك في موارد كثيرة منها :

١ . الديوان المنسوب إلى الإمام علي ﷺ .

(١) من وحي القرآن : ١٧ / ١٧٩ .

٢ . نسب قول الشعر ونظمه إلى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام والأئمة الآخرين عليهم السلام .

٣ . إن رجال الإمام الحسين عليه السلام من هاشميين وأصحاب في واقعة الطف كانوا يرتجزون الشعر تحدياً للأعداء وتأكيداً على الهدف الذي يؤمنون به .

ثم يضيف السيّد الشهيد الصدر الثاني « رحمه الله » أدلة أخرى ، منها :

١ . الإجماع والسيرة فإن كثيراً من العلماء والفقهاء والمتدينين وأصحاب الكرامات هم من الشعراء بل من أعاضهم ... من أشهرهم الشريف الرضي ، والشريف المرتضى ، والغزالي ، وابن الفارض ، والسيّد محمد سعيد الجبوي . وغيرهم ، ولم نجد أحداً قد أشار إليهم أو إلى أحدهم بأنّه يفعل في ذلك منكراً أو يكتسب إثماً . بل كل الألسن طافحة في مدحهم والثناء عليهم .

٢ . أنّ الشعر الحق مصداق وتطبيق حقيقي لكثير من القواعد الشرعية الواضحة .

٣ . الاستدلال لرحمان الشعر الحق بحكم العقل العملي الذي عرّفوه في علم المنطق بأنّه إدراك ما ينبغي أن يعمل ، فإن هذا العقل يحكم بحسنه ورجحانه لا محالة ، فإذا ضمنا إلى ذلك القاعدة القائلة : بأن كل ما حكم به العقل حكم به الشرع ثبت رجحانه الشرعي أيضاً ^(١) .

لا شك أنّ الذوق الشعري له قيمته في صورة ما لو استعمل استعمالاً صحيحاً وكان له أثر إيجابي ، فالشعر ينبغي أن يؤدي دوره في وجود الإنسان ليكون ذا قيمة كبرى والا يسوق الناس نحو الخيال أو الضياع وعدم الانتفاع .

(١) للتفضل بنظر : ما وراء الفقه : ١٠ / ٩٣ . ١١٦ .

وكان للملاحم دورها في تحقيق أهداف كبرى يسعى إليها من يدرك أهميّة الشعر في حياة الانسان. وقد تحدث السيّد حسين بركة الشامي عن دور الملحمة في مقابلة إذاعية قائلًا : « أدركت من خلال تجربتي أن هناك تراجعاً في الشعر الملحمي أو أنّه أصبح هواية المتقاعدين من الشعراء. ولذلك أقدمت على هذه الملحمة التي بدأها قبل أن أنضمّ إلى شعراء التقاعد بحياة الرسول وعصور الاسلام الأولى في ضوء الثابت والصحيح من التاريخ الاسلامي وقد تصل إلى خمسة آلاف بيتاً.

وهدي من ملحمة « قوافل النور » التاريخية أن أقرب الفجوة أو الفاصلة بين الماضي والحاضر ، وبين القديم والجديد وبين الشباب والشيوخ. فأجبالنا اليوم بحكم تطورات الأشياء بدأت تبتعد عن مصادر ومنابع الهوية ، والأصالة التاريخية فكانت قوافل النور ، اللغة ، والصورة ، والملحمة ، والإيقاع مفردات تقريبية لهذه الفاصلة خاصة بين شباب الهجرة ، الذين يتزايدون بشكل مضطرد بحكم الزمن ويواجهون صراع الهوية.

كما أنّني آمنت بأنّ الشاعر يستطيع أن يساهم في حقول معرفية عديدة كالتاريخ ، والاجتماع ، والسياسة ، والتربية ، والثقافة ، فنلاحظ أن هناك شعراء فقهاء ، فلاسفة ، وشعراء لغويين ، ومؤرخين ، وشعراء في مجالات ثقافية أخرى. فالشاعر لا يجب أن يبقى حبيس الصورة أو ملحقاً في عوالمه الحاملة وخيالاته الواسعة . « انتهى »

ولهذا كانت شاعريته ذات قيمة وهدف عندما عقد العزم على نظم سيرة الرسول الأكرم والعترة الطاهرة من أئمة الهدى ، وكبار علمائنا في ألفتيه التي طبع منها أربعة أجزاء باسم « قوافل النور » وصدرت عن دار الإسلام بلندن ، لأنّ حركة الرسول الأكرم وعترته الطاهرة ﷺ حركة هادفة ولها غاية مستقبلية لأنّ المستقبل هو المحرك لأي نشاط من النشاطات التاريخية ، على الانسان المسلم أن يعي تاريخه حتى تعود الدولة للمسلمين ، لأنّهم هم دون غيرهم الموعودون



بانتصار الحق ، ولهذا كان الوعي الإسلامي والفكر الإسلامي والالتزام الإسلامي ضرورات ملحة للمسلمين حتى يمدّهم إسلامهم بأسباب المنعة والقوّة ، ويزودهم بالمعاني والصفات التي فقدوها من جراء تفاؤهم في جلّ أمورهم ، ومنها الغفلة عن تاريخ العترة الطاهرة وحركة المصلحين عبر الزمن.

أراد السيّد الشامي أن يكتب تاريخ العترة الطاهرة منظوماً في شعر معبر يحمل الهدف وجمال التعبير ليحمله وسيلة لحفظ التأريخ الهادف من حياة الأئمة ، بصورة تخلق من الواقعة التاريخية رقّة عبارة تقرب المفهوم بصورة لغوية مختلفة ، فجمال التشبيه الذي تقرّاه في مواضع عدّة من الملحمة ، يترك في نفس القارئ أثراً ، قد لا يحدثه نص تاريخي مدون ، ففي نظمه لمعركة صفين مثلاً وعند تصويره لسيطرة جند الإمام عليه السلام على نهر الفرات بعد أن منعهم جنود معاوية منه قال :

فانكشفت زمرة أهل الشام وابتسم الفرات للإمام^(١)

نجد أن عبارة « وابتسم الفرات للإمام » فيها تصوير دقيق للواقعة التاريخية يعكسه جمال النظم والصورة التشبيهية المعبرة التي تنقل ضيق الفرات بمن كان يحتل ضفافه ، فكأنّه كان يعيش حالة من الضيق والحزن ، وأن هذا الحزن وحالة الكآبة قد زالت بوصول جيش الإمام عليه السلام حيث تحول الحزن إلى ابتسامة عريضة لإمام الأئمة ، وولي أمرها ، وقائدها إلى حياة كريمة تسعدها في الدارين.

إنّ موضوع الملحمة وجمال التعبير اللغوي فيها دفعني لدراساتها ، وآثرت أن تكون هذه الدراسة لغوية أهداف منها بيان جمال اللغة ، وبيان مواطن ذات دلالات لغوية تناثرت في أبيات الملحمة. (❀)

(١) القوافل : ٢ / ٥٥.

(❀) لقد جاءت دراسة الدكتور طارق (حفظه الله) بعد صدور الاجزاء الخامسة فقط ولم تتناول بقية الاجزاء من الملحمة.

إن طبيعة البحث تقتضي وصفاً موجزاً لما صدر من أجزائها ، ثم الدراسة اللغوية لأبيات منها.

الجزء الأول من الملحمة تكفل نظم سيرة النبي الأكرم ﷺ حيث بلغت أبيات هذا الجزء ٣١٠ أبيات. توزعت بعد التقديم على الموضوعات التالية : العرب قبل الاسلام ، المولد المبارك ، بدء الدعوة ، الهجرة إلى الحبشة ، الهجرة إلى يثرب ، معركة بدر ، معركة أحد ، معركة الخندق ، صلح الحديبية ، معركة حنين ، غزوة تبوك ، البراءة من المشركين ، غدير خم ، مرض النبي ووفاته.

بدأ هذا الجزء بقوله :

وأحمدُ الله على نعمائه	وما حباني فيه من آلائه
مصلياً على النبي الهادي	وآله أئمة الرشاد

وختمه بتصوير واقعة انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بقوله :

وانقطع الوحي عن النزول	بعد غياب طلعة الرسول
فالحزن في كل القلوب خيما	والصيحة امتدت لأعنان السما
لكنمنا الرسالة الغراء	باقية خالدة معطاء

أما الجزء الثاني فقد نظم فيه سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ والصديقة الطاهرة بنت رسول الله فاطمة الزهراء ﷺ. وقد بلغت أبياته ٢٩٢ بيتاً. (❀)

متضمناً الموضوعات التالية : أهل البيت ﷺ في القرآن والسنة ، المولد الشريف ، أول القوم إسلاماً ، ميته في فراش النبي ، فضائله ومواقفه ، إمامته ، خلافته ، معركة

(❀) طبع القسم المتعلق بفاطمة ﷺ والامام علي ﷺ في الطبعة الاولى بجزء واحد بعنوان (علي وفاطمة) ولكنه في هذه الطبعة جاء مستقلاً بعنوان خاص بها ﷺ.



الجمال ، الكوفة العاصمة الجديدة ، معركة صفين ، مصرع عمار بن ياسر ، خدعة رفع المصاحف ، فتنة التحكيم ، معركة النهروان ، عهده لمالك الأشتر ، مؤامرة الخوارج جرح الإمام ، شهادته ، وأما في القسم المتعلق بفاطمة فيتضمن ﷺ :
أصحاب الكساء ، ثم الولادة المباركة للزهراء البتول ، خطبتها واحتجاجها ، وفاتها. بدأ هذا الجزء بقوله :

فضل لأهل البيت ليس يُنكرُ حدث فيه المصطفى والسورُ
فهم بنص « الذكر » طاهرونَا من كل رجس يورث المجونا
وختمه بموقف الإمام ﷺ بعد وفاة الزهراء ﷺ قال :

يكفكف الدمع بحزنٍ وأسى وقلبه يكي بكاءً أحرسا
أخفى الإمام قبرها عشية لرغبة الزهراء في الوصية
ألفُ سلامٍ وصلاة تتلى على البتول ما هلالٌ هلا

وفي الجزء الثالث تأريخ سبط الرسول الأكرم الإمام الحسن المجتبي ﷺ تضمن هذا الجزء ١٠٨ أبيات موزعة على الموضوعات التالية : المولد المبارك ، دوره التأريخي ، في معركة الجمل ، في معركة صفين ، في الكوفة ، خلافة الإمام الحسن ، محنته ، خيانة قائد الجيش ، الهدنة وشروط الصلح ، تداعيات الصلح ، عودة الإمام إلى المدينة ، إغتياله بالسهم ، شهادته. بداه بقوله :

بيت يضُمُّ فاطمًا وحيدرا صار بحبِّ أحمدٍ مسورا
ينتظرُ الجميع فيه شبلا قد طاب فرعاً طاهراً وأصلا
ذاك هو السبطُ الزكي الحسن ريحانة النبي والمؤمن

وختمه بموقف للإمام السبط الحسين ﷺ بعد استشهاد أبي محمد الحسن ﷺ :



حيث بكى الحسين عند قبره مذكراً بقدسه وطهره
بعداً لهذا الزمن الغدار معانداً لصفوة المختار
إليك منّا يرفع السلام فأنت فينا القدوة الإمام

وكان الجزء الرابع والأخير من الأجزاء المطبوعة أطولها حيث تتضمن سيرة سيّد الشهداء الإمام الحسين ؑ عدد أبيات هذا الجزء ٦٨٥ وموضوعاته هي :

المولد المبارك ، صفات وشمائل الحسين ، الحسين ؑ يرفض الثورة في زمن معاوية ، ضحايا العقيدة من أصحاب الإمام علي ؑ ، هلاك معاوية وخلافة يزيد ، الحسين ؑ يقرّر مشروع الثورة ، رسول الحسين ؑ ، سفر مسلم بن عقيل ، وصول ابن زياد إلى الكوفة ، اشتعال الثورة قبل موعدها ، مسلم يقاتل وحده ، البيان الأوّل لثورة الحسين ؑ ، الحسين ؑ يلتقي جيش الحرّ في الصحراء ، الحسين ؑ يصل إلى كربلاء ، موقف الأنصار عشية المعركة ، يوم عاشوراء دعاء الحسين ؑ ، خطبة الحسين ؑ قبل المعركة ، زهير بن القين : يخطب بين الصّفين ، برير بن خضير يذكّر الناس بالحسين ؑ ، الحسين ؑ امتداد لرسول الله ﷺ ، توبة الحر ، الأنصار يستبشرون بالشهادة ، أوّل امرأة تقتل مع الحسين ؑ أبو الشعثاء ، الحسين ؑ يصلّي وسط المعركة ، شهادة حبيب بن مظاهر الأسدي ، شهادة زهير بن القين ، شهادة برير بن خضير ، شجاعة عابس ، جون يدافع عن الحسين ؑ ، استغاثة الحسين ؑ ، شهادة علي الأكبر ، بطولة عبد الله بن مسلم ، قتال آل أبي طالب ، شهادة القاسم ، بطولة العباس ، وداع الحسين الأخير ، الطفل الرضيع ، دعاء الحسين ؑ قبل مقتله ، الحسين ؑ يهزم الجموع ، السهام تصيب قلب الحسين ؑ ، صريعاً يجنّ شجاعاً ، رأس الحسين ؑ فرس الحسين ؑ زينب : اللهم تقبّل منّا هذا القربان ، حرق الخيام ومحنة السجّاد ؑ . بدأه بقوله :

من بعد أن أضاء بيت المصطفى بالحسن الزكيّ حين أشرفا
ينتظر النبيّ شبل ابتته في عامه الرابع من هجرته



وختمه بحرق الخيام يوم العاشر والمحنة التي حلت بينات النبوة والإمام
السجاد عليه السلام بعد ذلك :

وباتت النساء يوم العاشر والخوف يكوي كل قلب حائر
ومحنة السجاد في العيال قد عظمت حتى على الجبال

وكان للسيد الشامي تعليقات مهمة على مواضع من أبيات الملحمة التي
تحتاج إلى توضيح أو زيادة بيان للواقعة التاريخية التي قد لا تكون صورتها
واضحة لبعض من قراء الملحمة اعتمد فيها على أهم المصادر التاريخية عند
المسلمين.

بعد هذا الوصف الموجز ستكون الدراسة اللغوية الموجزة التي ستعنى بدراسة
الأساليب اللغوية في ضوء نتائج علم اللغة المعاصر ، مع الاهتمام بالمعنى الذي
يتضمنه التركيب اللغوي ، معتمداً على النظرية التوليدية التحويلية التي وردت في
كتاب الأخ الدكتور خليل عمايرة في كتابه « في نحو اللغة وتراكيبها ».

ولغرض توضيح الفكرة فإنّ الجملة في العربية إذا كانت تحمل الحد الأدنى من
الكلمات ويحسن السكوت عليها فهي جملة توليدية ، وتكون توليدية إسمية مثل :
« محمدٌ نبِيٌّ » و « عليّ إمام » أو توليدية فعلية مثل « انتصر المسلمون ».

وقد يجري على هذه الجملة تغير في مبانيها يترتب عليه تغير في المعنى وبذلك
تصبح جملة تحويلية إسمية مثل « إنّ محمداً لرسول الله » فقد زيدت « إنّ » للتأكيد
وكذا الالام « لرسول ». أو تحويلية فعلية مثل « قمْتُ احتراماً لأستاذي » حيث زيد
عنصر سبي للجملة الفعلية بعد ركنيها الأصليين الفعل والفاعل.

وعناصر التحويل التي يسمح المقام بدراستها في الملحمة هي :



الترتيب والزيادة والحذف. حيث سألين بإيجاز توضيح كل عنصر مع التطبيق على بعض من آيات الملحمة ، ومدلول البيت بناءً على عنصر التحويل المشار إليه :

أولاً : الترتيب

يعد الباحثون الترتيب من أبرز عناصر التحويل وأكثرها وضوحاً ، لأن المتكلم يعمد إلى كلمة حقها التأخير فيقدمها ، أو كلمة حقها التقديم فيؤخرها ، طلباً لإظهار ترتيب المعاني في النفس. يقول عبد القاهر الجرجاني :

« الترتيب فن من الفنون التي يأخذ بها الفصحاء ، وأصحاب البيان في الأساليب ، وأولئك الذين يجيدون التصرف في القول ووضعه في الموضوع الذي يقتضيه المعنى »^(١).

ويقول سيويه : « ... وإن كان إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بيانه أعنى ... »^(٢).

فجمله « أكرم محمد علياً » جملة توليدية فعلية لا تركيز فيها على أي جزء من أجزاء المعنى وهدفها نقل الخبر من صورته الذهنية في ذهن المتكلم إلى صورة منطوقة تفيد الإخبار لا غير. لكن إذا قصد المتكلم نقل الخبر بتركيز على جزء من أجزائه وإظهار عنايته واهتمامه به فإنّه يقدم ذاك الجزء فيدرك السامع المعنى الجديد.

وجملة « محمد أكرم علياً » لا تحمل نفس المعنى الذي حملته الجملة الأولى لأنّ التأكيد في الجملة الثانية على محدث الحدث جرياً على قول اللغويين العرب

(١) دلائل الإعجاز / ٨٣ .

(٢) الكتاب ١ / ٣٤ .

« العرب إذا أرادت العناية بشيء قدمته » ولهذا فالجملة الثانية جملة تحويلية فيها عنصر من عناصر التحويل « الترتيب ».

وبناءً على هذا الفهم نجد أنّ السّد الشامي قد استخدم عنصر التحويل هذا في كثير من أبيات الملحمة منها عند حديثه عن حالة العرب قبل الإسلام ، قال :

عاداتهم وأد البنات جهلاً مستسهلين دفنها والقبتلا
والخمر فيهم والزّبا قد شاعا بجهلهم قد ألفوا الضياعاً^(١)

فجملة « الخمر فيهم والزّبا قد شاعا » قدّم السيّد كلمة « الخمر » وهي فاعل الفعل « شاع » لأنّ الجملة الأصل « شاع الخمر فيهم » لأنّه يريد بيان الشائع في المجتمع العربي ، أي العناية بما هو شائع لا بمفهوم الشياخ ، قدّم الفاعل « الخمر » على فعله « شاع » مع ملاحظة أمرين في هذا المقام :

أولهما أنّ الألف في « شاعا » لإشباع حركة الفتح لاستقامة وزن البيت وليست ألف الضمير ، والثاني أنّي أقول بفاعلية الخمر بناءً على ما يراه الكوفيون من جواز تقديم الفاعل على فعله خلافاً للبصريين ، وعلى قول البصريين في المعنى لا في الشكل فالخمر عندهم فاعل في المعنى مبتدأ في الصنعة النحوية. وكذا الحال في حديثه عن سيرة الإمام علي عليه السلام :

وسورة الدهر لهم تشيرُ إذ أكرمَ اليتيم والأسيّرُ
وأطعموا الطعام دون منّة لكنّما حبّاً له والجنّة^(٢)

فقد قدم الفاعل « سورة » على فعله « تشير » لتأكيد المفهوم الذي جاءت به سورة الدهر في قوله تعالى : (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)^(٣)

(١) القوافل ١ / ١٦ .

(٢) القوافل ٢ / ١٤ .

(٣) الانسان ٨ : ٧٦ .

لأنّه سيكون قاصراً لو بقي الفاعل في موضعه من الترتيب : « تشير سورة الدهر » إذ لا عناية فيه لشيء. لأنّ تقديم الفاعل « سورة الدهر » يحمل دلالة معنوية كبرى تشدّ القارئ إلى الذي تشير إليه السورة المباركة في القصة المشهورة في هذا المقام.

وتكفّل السيّد توضيح الواقعة بهامش وثّقه من كتب التفسير عن أسباب نزول السورة ودلالاتها. ونفس الغرض يتكرّر في قوله :

عَدَّتْهُمْ قَالَ النَّبِيُّ إِنْثَا عَشْرَ أُمَّةً وَقَادَةَ إِلَى الْبَشَرِ
الْحَقِّ فِي مَدَارِهِمْ يَدُورُ وَالْعِلْمُ فِي صَدُورِهِمْ وَالنُّورُ^(١)

وهناك ضرب آخر من الترتيب ورد في الملحمة في حديثه عن خلافة الإمام عليه السلام قال :

إِلَى عَلِيٍّ مَالَتِ الْحَشُودُ وَأَقْبَلَتْ لِلْبَيْعَةِ الْوَفُودُ
حَتَّى غَدَتْ مِثْلَ رِيضَةِ الْغَنَمِ وَهُوَ يَقُولُ لَا وَقَدْ قَالَتْ نَعَمْ^(٢)

فقد قدم مَنْ مالت إليه الحشود « عليّ » المجرور بحرف الجر الذي يدل على تعديّة الفعل ، حيث إن أصل الجملة « مالت الحشود إلى عليّ » ولكنها جاءت جملة فعلية محولة بالترتيب ، حيث تقدّم الجار والمجرور لأنّ عناية الناظم موجهة إلى مَنْ مالت الحشود إليه لا الإخبار المجرد ، فمن مالت إليه الحشود ليكون خليفة للمسلمين في موقعه الذي أراده الله له هو « عليّ » ولهذا لا بدّ أن يتقدّم لكونه المعنى به.

(١) القوافل ٢ / ١٦ .

(٢) القوافل ٢ / ٣٧ .

ولهذا فالجملة الفعلية التحويلية بهذه الصورة « إلى عليّ مالت الحشود » أبلغ من الجملة التوليدية الفعلية « مالت الحشود إلى عليّ » وأكثر دلالة على إبراز المعنى المراد ، ونفس الغرض يرد في حديثه اتخاذ الكوفة عاصمة للإمام ﷺ :

فهو لهم كهفاً غداً وقدوة ومثلاً بعد الرسول أسوة^(١)

وفي بيت الملحمة الذي يؤرخ لجرح الإمام علي ﷺ :

والعهد أعطاه لنجله الحسن خليفة من بعده ومؤتمن^(٢)

نرى جملة فعلية تحويلية عنصر التحويل فيها الترتيب بتقديم المفعول به « العهد » على فعله لأنه أراد التركيز على هذا المعنى ، وفي موضع آخر أراد العناية بتاريخ ميلاد الإمام الحسن ﷺ لا حادثة الميلاد ولهذا قال :

في النصف من شهر الصيام ولداً فالملأ الأعلى يهني أحمداً^(٣)

مقديماً وقت الميلاد على الفعل « ولد » لأنّ غرضه تاريخ واقعة الميلاد. وفي الشطر الثاني قدّم الفاعل على الفعل لعظمته لأن تركيبه « يهني الملأ الأعلى أحمداً » أقل دلالة في التعبير من « الملأ الأعلى يهني أحمداً ».

ونراه في موضع آخر يعطي عناية بالمكان الذي وصل فيه خبر استشهاد مسلم ابن عقيّل إلى الإمام الحسين ، وعناية أخرى بالشهيد ، قال :

وفي (زروذ) جاءت الأنبياء بمسلم قد فتك الأعداء^(٤)

(١) القوافل ٢ / ٤٩ .

(٢) القوافل ٢ / ٨١ .

(٣) القوافل ٣ / ١٠ .

(٤) القوافل ٤ / ٥٦ .

ففي الشطر الأول قدّم الجار والمجرور « وفي زرود » على جملة الفعل والفاعل ، لتكون الجملة تحويلية فعلية بالترتيب ، لأنّ إيضاح المكان له أهميته في التأريخ لخط مسيرة الإمام الحسين ؑ ، وفي الشطر الثاني قدّم ما هو مفعول به على الفعل وفاعله لتكون الجملة هي الأخرى تحويلية فعلية فيها عنصرا تحويل : أحدهما الترتيب والآخر الزيادة « قد » لتحقيق وقوع الفعل بشخص الشهيد مسلم بن عقيل ؑ. ليعطي الخبر إيقاعه المناسب في النفس ، ولعلّ القراءة الدلالية للتركيب تفيد الفارق بين « فتك الأعداء بمسلم » وبين نصّ الملحمة المشار إليه. لأنّ إفادة التخصيص المرادة حققها تقدّم الجار والمجرور في الموضعين وليست المسألة متعلقة بالوزن الشعري وضرورته ، لأنّ الشاعر عنده قدرة على صياغة القوافي بما يتلاءم مع غرضه ، ولعلّ من أمثلة ذلك في شعرنا العربي قول الشاعر :

بيد العفاف أصون عزّ حجابي وبعضمتي أسمو على أترابي

فإنّ الجار والمجرور قد تقدّم لإفادة التخصيص ، ولو كان التركيب قد جاء « أصون عزّ حجابي بيد العفاف » لكانت الدلالة مختلفة عن الغرض المراد من التقديم ، وكذا الحال في الشطر الثاني. وفي نظمه ليوم عاشوراء كان هناك أكثر من موضع فيه تحويل في الترتيب منها قوله :

وحين هزّ الرّاية العباسُ احتبست في الأضلع الأنفاسُ

لأنّ الثابت في الطعان وقابض الأرواح في الميدان^(١)

أراد بتقديم المفعول به « الرّاية » لأنّها محط الأنظار في الحروب ، لتكون دليلاً على حاملها ، لأنّ مَنْ يحمل الرّاية له مكانته المميزة عند قائد المعركة ، ولهذا تجد القارئ يتلهف بعدها إلى معرفة الحامل ، وهو هنا العباس بن علي ؑ.

(١) القوافل ٤ / ٦٧.

وهذا العنصر يتكرر في الملحمة وأمثله كثيرة يطول الحديث بذكرها تفصيلاً.

ثانياً : الزيادة

وأعني بها هنا زيادة عنصر من عناصر التحويل يضاف إلى الجملة الأصل التي سُمّيت بالجملة التوليدية لتحقيق زيادة في المعنى ، هذه الزيادة يعبر عنها النحاة بالتميمات أو الفضلات ، ويسمّيها البلاغيون « القيّد ». لأن كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى ، فنقول مثلاً « حضر زيد فرحاً » فقد بيّنا حال زيد عند الحضور ، هذا المعنى الجديد حقّقه عنصر الزيادة في الجملة الثانية ، لأنّ الحكم كلّما ازدادت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً.

والقيود في الجملة العربية كثيرة ، منها المفاعيل ، والحال ، والتمييز ، والنواسخ بأنواعها وذلك كاستمرار وحكاية الحال الماضية في « كان » والتوقيت بزمن في « ظل » وأخواتها ، والمقارنة في « كاد » وأخواتها ، والتأكيد في « إنّ » والتشبيه في « كأن » وغير ذلك.

وبالقراءة المتأنية لـ « قوافل النور » نجد فيها مواضع كثيرة جاءت على نسق هذا العنصر من عناصر التحويل لتحقيق أغراض مختلفة زادت في إيضاح المعنى وتخصيصهن ومنها قوله في التأريخ لبدایات الدعوة المباركة :

فكذبوه حسداً وجهلاً وقد سما قولاً به وفعلاً^(١)

فجملة « كذبوه حسداً » فيها عنصر زيادة لبيان سبب تكذيب المشركين للرسول الكريم ﷺ وأن هذا التكذيب لم يأت لسبب عقلي يقبله العقل أو بالمحاجة العقلية ، بل لبيان أنّهم لا يملكون القدرة العلمية على ردّ دعوة الرسول التي جاء بها من السماء ، وإثماً دفعهم الحسد لا غير .

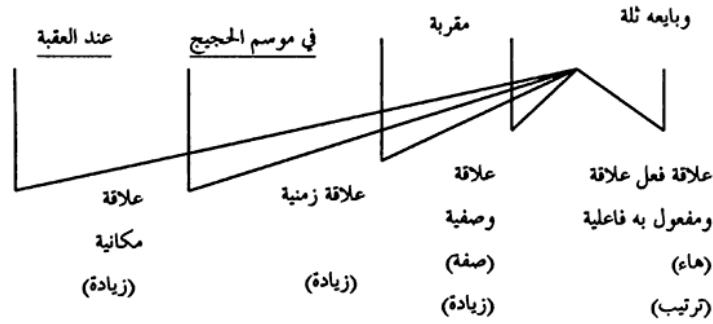
(١) القوافل ١ / ٣٦ .

يضاف إلى ذلك عنصر زيادة آخر جاء بالتبعية مع تحقيق نفس الغرض « وجهلا » فالقيد هنا أوضح جانباً من الأجواء المحيطة بالرسول وأصحابه في عهد الرسالة الأول. وفي قوله عند الحديث عن أهل يثرب ومبايعتهم المعروفة :

وامتدت الدعوة نحو يثرب فصافحت أكفها كف النبي
وبايعته ثلثة مقربة في موسم الحجيج عند العقبة ^(١)

نجد أكثر من عنصر زيادة في البيت الثاني : أولها الزيادة بالوصف ، أو ما يعبرون عنه بقيد التبعية « ثلثة مقربة » لأن هؤلاء هم الذين جاؤوا مع مصعب بن عمير سفير الإسلام الأول إلى يثرب قبل الهجرة المباركة إليها ، فالمبايعون ليسوا من عامة الناس ، أو من العناصر غير الفاعلة في الواقع الاجتماعي المعاش في « يثرب » بل هم من المقربين الواعين لمقاصد الرسالة السماوية.

والقيد الثاني بيان زمن البيعة الذي هو من ضرورات الواقعة التاريخية ، لأنّ التأريخ يستلزم تحديد الزمن لأي من أحداثه ولهذا جاء القيد « في موسم الحجيج » وهو وقت معروف معلوم عند العرب قاطبة. أمّا القيد الثالث فكان في بيان مكان البيعة « عند العقبة » لأن للمكان دوره في تصديق الواقعة التاريخية عند تحليل الرواية. ويمكننا تحليل البيت على الشكل التالي :



(١) القوافل ١ / ٣٧.

وفي موضع آخر من الملحمة تعمد أن يكون قيد الوصف بالجملة الإسمية ، وهي أقوى لتحقيق هذا المعنى ، وذلك عند حديثه عن صلح الحديبية وإرسال قريش لوفد يمثلها للتفاوض وهو الذي كان على رأسه « سهيل بن عمرو » فإن السيد الشامي قد أدرك ضرورة التعريف برئيس الوفد القرشي ، وأنه لابد أن يكون من علية القوم ليتحقق الهدف من مجيئه قال :

وارتبكت قريش من هذا الخبر فأرسلت وفداً ليردع الخطر
يقدمهم سهيل بن عمرو وهو حكيم عارف بالأمر^(١)

فإن القيد لابد أن يكون في هذه الواقعة محققاً لكثير من الفائدة ، لأن قارئ التاريخ لابد أن يعرف هذا الرجل الذي بعثه أهل مكة ليكون ممثلاً لهم في حوار مع الرسول ﷺ وهم أعرف الناس به ، لهذا تعمد السيد الشامي أن يصف شخص سهيل بجملة إسمية « وهو حكيم عارف بالأمر » فيها أكثر من خير إضافة إلى استعمال الضمير « هو ».

هذه الصورة جعلت القارئ على بينة من شخص « سهيل » حققتها عنصر الزيادة أو قيد التبعية كما ذكرنا.

وجاء بقيود أخرى ذات دلالات مختلفة تضافرت لإبراز المعنى المقصود الذي توخاه في حديثه عن واقعة فتح خيبر ، والإشارة إلى الواقعة المعروفة المتمثلة في بعث الرسول ﷺ لأبي بكر لفتح الحصن وعودته دون تحقيق الهدف ، ثم إرساله لعمر بن الخطاب وعودته معذراً ، عندها قال الرسول قولته الشهيرة : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كزار غير فرار » حيث أعطى الراية للإمام علي ؑ. لقد صور السيد الشامي هذا القول بالبيت التالي :

(١) القوافل ١ / ٦٧.

قال : غداً إنني سأعطي الزاينة إلى فتى يُعرف بالهداية^(١)

ففي البيت أكثر من عنصر زيادة ، وهي : زيادة الزمان « غداً » زيادة التأكيد « إنَّ » و « السين » في « سأعطي » لأنها تفيد الوعد بحصول الفعل ، فدخلوها على ما يفيد الوعد مقتضى لتوكيده وتثبيت معناه ، ومعنى « السين » أن ذلك كائن لا محالة.

وزيادة الوصف للفتى المعنى بالبيت وهو الإمام علي ، جعلت أركان البيت تتكامل لأداء الغرض المقصود.

هذا ما سار عليه في مواضع العناية والاهتمام وهي عدّة في الملحمة منها حديث يوم الدار حين دعا الرسول الأكرم عشيرته ولم يبادر للمؤازرة غير الإمام علي عليه السلام :

فقال أنت يا علي بعدي خليفتي ووارثي في عهدي^(٢)

فقد أدخل عنصرين من عناصر الزيادة بين المسند إليه والمسند « يا علي بعدي » لتأكيد مضمون الخبر باعلان خلافة الإمام بعد الرسول وأضاف عنصر زيادة بالتبعية « ووارثي في عهدي » حيث تكامل بناء المعنى بهذه العناصر لتعطي النص بُعداً دلاليّاً لا يتحقق إلّا بهذه القيود ، لأنّ الأمر على درجة عالية من الأهمية لماله من أثر في مسيرة الدعوة الإسلامية ومستقبلها ، ولعل في التوافق الحاصل بين المسند إليه الضمير « أنت » وبيان أسلوب النداء « يا علي » الفاصل بين ركني الجملة ، ما يفيد التآلف اللغوي المطلوب في مثل هذه التراكيب الهادفة إلى تأليف المعاني العالية المضامين.

(١) القوافل : ٢ / ٧٤ .

(٢) القوافل : ٢ / ٢٤ .

ومن هذه المضامين العالية التعريف بعهد الإمام علي لمالك الأشتر ، ذلك العهد الذي يعدّ نجماً متكاملًا لإدارة الحكم يستفاد من مفاهيمه الرسالية في كل عصر ومكان ، لقد أبرز هذا المعنى بقوله واصفًا للعهد :

وهو لعمرى خير عهدٍ كتبنا ما زال لآلٍ يثير العجبا ^(١)

فقد استخدم عنصر الزيادة بالقسم « لعمرى » وهو من درجات التوكيد العالية أعقبه بزيادة « ما زال » التي تفيد الاستمرار في عطاء العهد الى الوقت الحاضر ، وأتته يدخل العجب في النفوس. وعلى هذا المنهج سار في توظيف النواسخ في مواضع عدّة ، منها :

قال عليّ : « املكوه عني كي لا يضيع نسل طه مني »

فإنه الوارث بعدي فيكمو في فتنة مروعة تأتكم ^(٢)

إشارة الى وصية الامام ع عليه السلام بخلافة الامام الحسن ع باستعمال عنصر التأكيد « إنّ » وزيادة « كان » في إشارته الى ابي الشعثاء يزيد بن زياد الكندي الذي جثا على ركبتيه بين يدي الإمام الحسين ع :

وكان في معسكر الأعداء يزيد الفحل ابو الشعثاء

لما رأى ما فعل الأوغاد مال إلى الحسين لا يذاد

ثم جثا بين يدي الحسين يرمي سهاماً نغمت بالبين

والسبط يدعو كان بالتسديد فما توانى القوس من يزيد ^(٣)

(١) القوافل ٢ / ٢٤ .

(٢) القوافل ٣ / ٢١ .

(٣) القوافل ٤ / ٩٥ .

وفي وصفه لأصحاب الحسين ؑ وهو يؤدون صلاة الظهر معه يوم العاشر من محرم ، استعمل عنصر زيادة بالتبعية ليعطي الصورة التي يستحقونها في ذلك الموقف الصعب بين جحافل الأعداء التي أغلقت عقولها وقلوبها على الانحراف عن خط الرسالة :

وقام للصلاة بالأبرار الخاشعين القلب للجبار^(١)

أن هؤلاء الأبرار الذين يؤدون فريضة الصلاة تحت وابل من السهام ، هم الخاشعة قلوبهم لله الواحد الأحد « الجبار » فلا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولا تشيهم الصعاب مهما كانت ، بل الموت عندهم أمنية غالية يسعون إليها لئيل مرضاة الله جلّت قدرته ، وقد وفق السيد الشامي توفيقاً واضح المعالم في تصويره لهؤلاء الأبرار في هذا الموقف وغيره باستعماله لعناصر الزيادة المختلفة :

وهتف الحسين بالأصحاب	لجنة مفتوحة الأبواب
فيها الرسول جَدُّنا ينتظرُ	قدومكم بلهفة فاستبشروا
قالوا نفوسنا لنفسك الفدا	فإننا بين يديك الشهدا
والله لا لن يصلوا حماكا	ما نبضت عروقنا حراكا ^(٢)

وهناك مواضع زيادة كثيرة في الملحمة وفق السيد الشامي في وضعها في الأبعاد الدلالية المطلوبة لإيضاح الوقائع التاريخية إيضاحاً يرفع اللبس والشبهات ، ويترك في النفس المفهوم الواعي لسيرة الأطهار ، الرسول وآله الطاهرين.

(١) القوافل ٤ / ٩٩ .

(٢) القوافل ٤ / ١٠٠ .

ثالثاً : الحذف

يراد به عنصر التحويل الذي يعني نقصاً في الجملة النواة التوليديّة الإسمية أو الفعلية لغرض في المعنى ، وتبقى الجملة تحمل معنى يحسن السكوت عليه ، وتحمل اسمها الذي كان لها قبل أن يجري عليها التحويل.

فإن سأل أحدهم قائلاً : من نجح ؟ وأجيب : عليّ ، فإن كلمة « علي » في سياقها تحمل معنى يحسن السكوت عليه فهي جملة ، ولكنها جملة قد حذف ركن من أركانها وهو الفعل « نجح » فهي جملة تحويلية ، القصد من التحويل فيها هو الإيجاز ، وهو ما تسعى العربية الى تحقيقه.

وهو عنصر من عناصر بلاغة المتكلم ، ولهذا قال عبد القاهر الجرجاني :
« هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، فالصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين »^(١).

ومن شرط الحذف أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف وإلا كان تعمية وألغازاً ، ومن شرطه أنه متى ما أظهر المحذوف زال ما كان في الكلام من الحسن والطلاوة.

وفي ملحمة السيد الشامي « قوافل النور » مواطن كثيرة للحذف لأغراض مختلفة منها وجود القرائن الدالة على المحذوف ، أو ضيق المقام عن إطالة الكلام ، أو المحافظة على القافية ، أو لتعنيته وعدم احتمال غيره ، وغيرها من الأغراض الواردة في كتب النحو والبلاغة ومعاني النحو. أذكر بعضاً منها لإتمام الفائدة :
لقد تكرر في الملحمة حذف الفاعل لوجود القرائن الدالة عليه ، منها :

(١) دلائل الإعجاز ١١٢.

وَعُذِبَ الصَّحْبُ عَلَى الْهَجِيرِ بِالنَّارِ وَالْقِيُودِ وَالصُّخُورِ^(١)

فغرضه هنا رغبته في إظهار تحقير الفاعل بصون اللسان عن ذكر من يتولى تعذيب الطليعة المؤمنة ، إضافة الى عدم تحقيق غرض معين في الكلام بذكر الفاعل في هذا الموضع ، وعن هجرة المسلمين إلى الحبشة قال عدة آيات فيها مواطن حذف للفاعل هي :

هاجر بعض الصحب للنجاشي	ميممين وجهة الأبحاش
يقودهم جعفر الطيار	البطال المجاهد المغوار
إذ لاحقتهم زمرة المعاصي	يقدمهم من مكة ابن العاص
يريد أن يخادع النصاري	من أجل أن يرجع بالأساري
لكن موقفاً لجعفر الأبي	قد أنقذ الثالثة من صحب النبي
ورابطت بقيّة مجاهدة	ظلت على كفر قريش شاهدة
تحتضن الرسول في إخلاص	تطمع بالنجاة والخلاص ^(٢)

فقد حذف فاعل الفعل « يريد » في البيت الرابع لكون الفاعل معلوماً لا يحتاج الى ذكره ، وكذا فاعل الفعل « يخادع » في البيت نفسه ، وحذف فاعل الفعل « أنقذ » لدلالة السياق عليه لأنه متعلق بجعفر ، والبقية المجاهدة الوارد ذكرها في البيت السادس هي فاعل الفعل « تحتضن » والفعل « تطمع ». حذف المفعول به من بيت الملحمة الذي يؤرخ لهجرة الرسول الكريم :

غادر في المساء ثاني اثنين من غير أن تراه كل عين^(٣)

(١) القوافل ١ / ٢٦ .

(٢) القوافل ١ / ٣٤ . ٣٥ .

(٣) القوافل ١ / ٤٣ .

لكون مكان الهجرة معلوماً لشهرته في تاريخ الإسلام. ومن مواطن الجمال حذفه للفاعل في الحديث عن بداية الأذان في المدينة المنورة أوضحه في بيت لاحق ليعطي بعدين للموضوع أحدهما تشريع الأذان ودوره في حياة المسلمين ، ثم الإشارة الى اول من اذن في مسجد الرسول :

ورفع الأذان للصلاة أنشودة في شفة الدعاء
أول من صاح به بلال ومن به قد ضجت الأغلال^(١)

فقد وصف الأذان بكونه أنشودة في شفاه الدعاء ، وتعتمد حذف الفاعل في هذا الموضع رغبة في الإبهام لتشويق القارئ الى ذكره ، وبعد البيت المعني جاء البيت الثاني الذي افصح فيه عن فاعل الأذان بجملة إسمية أقوى في الدلالة مع وصف لبلال وكونه من المسلمين الأوائل الذين تحمّلوا عذاب المشركين حتى أثرت فيه الأغلال وهو يعذب في رمضاء مكة. وعندما التقى جيش الحر بن يزيد الرياحي بركب الحسين ؑ في الصحراء كان جنود الحر عطشى بحاجة الى من يسقيهم الماء فكانت نفس الحسين الكبيرة ورحمة سيد الشهداء بهم ، حيث سقاهم الماء ورشّف خيلهم ، ويترجح عندي أن السيد الشامي أراد التعجيل بإيراد المسند فحذف المسند اليه في قوله :

عطشى فأعطاها الحسين الماء ورشّفوا خيولها الضمائم^(٢)

كأنه أراد « هم عطشى » لأنّ المسند هنا هو محل العناية ولهذا حذف المسند إليه مع دلالة السياق على المحذوف ، ولو ذكر لكان في الكلام ضعف دلالي يترفع من ينشد الفصاحة عن ذكره ، والجملة هنا جملة تحويلية إسمية عنصر التحويل فيها الحذف كما مرّ بنا.

(١) القوافل ١ / ٤٣ .

(٢) القوافل ٤ / ٥٨ .

تلك وقفة موجزة وقراءة متواضعة لقوافل النور التي نظمت سيرة النبي المصطفى ﷺ والعترة الطاهرة عليهم السلام ، هدي منها التعريف بهذا العمل المبارك الهادف ، الذي آمل ان يتم وفق الرؤية الواعية التي أرادها ناظم الملحمة ، وأدعو إخواننا وأبناءنا ، وأخواننا وبناتنا خصوصاً أبناء المهاجر العراقية إلى حفظها تيسيراً لفهم تأريخ هداة الانسانية وقادة البشرية الى خير دينهم ودنياهم ، ولا ننسى العلماء كانت لهم عناية كبيرة في نظم علومهم في منظومات يهدفون منها تسهيل حفظ العلوم والاستفادة منها في حياتهم العلمية والعملية.

إننا ندرس سيرة الرسول وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام لكي نجعلها منهجاً لنا في حياتنا في كل المناحي ، ولنيل مرضاة الهل جلّت قدرته.

إن هذه الوقفة القصيرة محاولة أولية لدراسة هذا اللون من النظم ترافقها رغبة في دراسة أخرى من جانب آخر من جوانب هذا المشروع الأدبي والعطاء الشر.

أدعو الله تعالى لسماحة السيد حسين بركة الشامي بالتوفيق والسداد في عمله ومنه تعالى نستمد العون ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. طارق نجم عبد الله

لندن في ١٧ رجب ١٤٢٣ هـ

٢٤ أيلول ٢٠٠٢ م



الجزء الأول

النبي المصطفى ﷺ





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الأهداء

اليك يا جداه .. يا محمد بن عبد الله
اليك سيدي يا رسول الله
أرفع هذه الملحمة الشعرية (قوافل النور)
المفعمة بالحب والولاء ... لك ولأهل بيتك الاطهار ..
والعابقة بشذا الاصرار ، والايمان برسالتك الحية التي لا تموت ..
راجياً ان تكون بضاعة مزجاة ، تنفعني يوم الورود على الله ..
وهو حسبنا ونعم الوكيل.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

إضاءة

بسم الله نفتتح ملحمة « قوافل النور » الشعرية بهذا القسم الأول المخصص لشخصية النبي المصطفى الأكرم ﷺ وسيرته العطرة ، هذا الرجل العظيم الذي بدأ يتيماً ، فقيراً ، شريداً ، مهاجراً ، ولكنه استطاع بقوة إرادته وتسديد ربه أن يصنع أمة ، ويبعث نهضة ، ويغير وجه التاريخ.

إن شخصية النبي الأكرم ﷺ تمثل خلاصة المضامين الربانية لرسالات السماء عبر المسيرة البشرية الطويلة بما تنطوي عليه من تجارب ومواقف ، وأحداث ، وتحولات ضخمة ، تشكل مجموعها تراث الانسانية ، وحركتها المستمرة نحو الأفضل.

إن مسيرة الرسول الأعظم ﷺ تمثل الانطلاق الأكبر نحو بناء واقع انساني موحد ، تذوب فيه فوارق العرق واللون والانتماء ، وتمتزج كلها في إطار الاسلام الذي اراده الله تعالى ديناً خاتماً للبشرية ، ومنهجاً شاملاً ينظم سلوكها ومواقفها ، في بناءٍ متكامل فيه الامم والشعوب ، والاقوام ، وتحكم شريعته حياتهم من أجل ان تنتهي قرون الظلام والعذاب ، ويشرق نور الاسلام الساطع أملاً دائماً ، وحقيقة ممتدة.

ولقد كان الرسول ﷺ دائب الحركة ، كثير العطاء ، حتى لقد عبر عنه علي ؑ في إحدى كلماته الرائعة :



« طبيبٌ دواؤُ بطبه قد أحكم مراهمه ، وأحمى مواسمه ، يضحُ ذلك حيث الحاجة اليه .»

و « مؤسسة دار الاسلام » إذ تشرع في اصدار هذه الملحمة المباركة بحياة النبي المصطفى ﷺ وتتلوها الأقسام الاخرى في حياة وسيرة الائمة الطاهرين من اهل البيت ﷺ ، إنما تهدف الى تقديم التراث الاسلامي الاصيل بعيداً عن شوائب التشويه وغبار السنين ، وذلك من خلال الأسلوب الأدبي الذي يجمع بين أصالة التاريخ ، واللغة المعاصرة ، وجزالة المفردة الحديثة ، الى أجيال المسلمين من اجل ان يكون لهم وقوداً في معركة المصير والحضارة ، وهم يواجهون تحديات العصر وصراع الهوية.

نسأل الله تعالى ان يجعلنا من المقتدين برسول الله ﷺ والمعتصمين بسنته المطهرة ، والثابتين على خطه وهديه ، إنه ولي التوفيق.



في البدء ^(١)

أبدأُ باسم الخالق الرحمن	ملحمةً سامية المعاني
واحمدُ الله على نعمائه	وما حباني فيه من آلائه
مصلياً على النبي الهادي	وآله ائمة .. الرشاد
والشكرُ لله على الهداية	والبعدُ عن مسالك الغواية

(١) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، واصحابه المنتجبين ، ومن دعا بدعوته الى يوم الدين وبعد :

فقد عقدت العزم على نظم ملحمة شعرية في سيرة الرسول ﷺ واهل بيته ﺑﻪ متوكلاً على الله في ذلك ، تتضمن اهم فصول التأريخ الاسلامي ومحطاته الفاصلة منذ بدء البعثة النبوية الشريفة وحتى غيبة الامام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، مروراً بكل المراحل والوقفات التأريخية في حياة الرسول والأئمة ﺑﻪ.

وقد استوحيت فكرتها من خلال اسفاري خصوصاً سفرات الحج الى الديار المقدسة ، وكان الهدف منها تقريب صورة التأريخ لاذهان الشباب المسلم من خلال استعراض ملاحم البطولات التأريخية بالاسلوب الشعري الذي يداعب الاحاسيس ، ويستقر في الذاكرة بدون عناء.

فاستعنت الله في ذلك وبدأت النظم في احدى ليالي الجمعة من عام ١٤١٩ هـ رغم زحمة الاعمال والاشغال ، كما قد شرحت ملحمة قوافل النور بهوامش موجزة مستقاة من اهم مصادر التأريخ الاسلامي وكتب التراث.

فالحمد لله على توفيقه لاكمال هذه الملحمة التي أرجو أن تكون نقطة مضيئة في سجل اعمالي وأن تنفعني يوم لا ينفع مال ولا بنون.



واستعينه على مسائلي
فقد دعوته بكل هممه
فهم حماة الدين والايمان
بهم عرفنا الله والآيات
ما خاب من والاهم واتبعوا
اهل التقى والحلم والرشاد
ومن هم قام عمود الدين
من لدن النبي حتى المهدي
بدأت احدى ليالي الجمعة

فهو الذي يجيب كل سائل
ان اذكر النبي والائمة
والعلم والسنة والقرآن
نبراسنا المنير في الحياة
فهم تراجعم لروح شرعا
والعلم والجهد والساد
وشيد صرح الحق واليقين
فمنهم يسطع نور ... يهدي
وحيث ابواب الدعاء مشرعه



العرب قبل الاسلام

بذكر أحوال جزيرة العرب ترنو الى نور النبي المرتقب
وحيث كان الروم في طغيان والفرس في صوامع النيران
والعرب عكف على الاصنام في حمأة الضلال ... والحرام
عادتهم وأد البنات جهلا مستسهلين دفنها والقبتلا
الخمير فيهم والربا قد شاعا بجهلهم قد ألفوا الضياعا ^(١)

(١) كان العرب في الجاهلية ، وهي المرحلة التي سبقت بعثة الرسول ﷺ يعيشون حياة قاسية خشنة ، فلم تكن تحكمهم نظم سياسية او مدنية ، انما كانت حياتهم العامة تقوم على تحكيم المقاييس الجاهلية والصراعات والقهر والغلبة.

كان النظام الغالب على حياتهم ، هو التنقل طلباً للمرعى والماء ، مما كان يدفعهم الى القتال من اجل هذين المطلبين ، لان فيهما حياتهم واستمرار معيشتهم.

وفيما كانت حياتهم تقوم على هذا النمط الصعب ، كانت تحيط بهم دول قوية مستقرة ، ابرزها دولة فارس في الشرق ، ودولة الروم في الشمال ، وهاتان الدولتان كانتا تتمتعان بقوة ونظام مدني متين.

كان العرب يعبدون الاصنام ، وكان لكل قبيلة وثنها الخاص. وقد سرت هذه العبادة في بني اسماعيل بعدما تكاثروا وضائق بهم مكة ، فقد تفرقوا في البلاد ، وحمل كل واحد منهم حجراً من حجر الحرم ، كانوا يطوفون به حيثما ينزلون ، ومع مرور الزمن نسوا دين آباءهم ، وعبدوا الاوثان ، وذكر ابن اسحاق في سيرته واليعقوبي في تأريخه :

ان عمر بن لحي وهو شيخ خزاعة ، سافر الى الشام ، ورأى هناك ان الناس يعبدون الاصنام ، فأخذ منهم « هبل » ونصبه على الكعبة.

↩





وكان العرب يخضعون لعادات وتقاليد خاصة بهم ، منها وأد البنات ، وهي عادة بشعة كانت منتشرة بينهم ، حيث يعمد الاب الى دفن الانثى التي تولد له ، لانه يرى فيها عاراً عليه ، او انها ستلحق به العار في المستقبل ، فيما لو سقطت بيد اعدائه خلال الحروب المستمرة فيما بين القبائل ، حتى قال شاعرهم :

سَمِيَتْهَا إِذْ وَلَدَتْ تَمُوتُ والقبرُ صَهْرٌ ضَامِنٌ زَمِيَتْ

وكان الخمر شائعاً بين العرب في الجاهلية ، الى جانب دور البغاء. كما كان الربا شائعاً في معاملاتهم التجارية ، وكان من مصادر الثراء عند القلة منهم ، لكنه في المقابل كان سبب دمار وعبودية للكثرة الكاثرة.



المولد المبارك

ثمَّ بدا نور النبيّ (احمدا)
فهو بشير الحق والنذير
يُعرفُ باسم الصادق الامين
وهو (لأبراهيم) قدماً ينتسب
اشرق من ضيائه (حراراً)
يدعو الى التوحيد والصلاح
وانطفأ اللظى بنار (كسرى)
يقول لا اله الا الله
مصدقاً بشارة (التوراة)
فقد دعا من (آل عبد المطلب)
يَدْعُوهُمْ لنصرة العقيده
يحمل للناس مشاعل الهدى
لم ينطفئ سراج المنير
في كل موطن وكل ... حين
ثم (لهاشم وعبد المطلب)
ونُورت بهديه الصحرار
فانهار من صداة عرش (الالة)
واضطرب الروم بأرض (بُصرى)
الهنا لا تعبّدوا سواه
وما حوى (الانجيل) من آيات
رجالهم والكل منهم مضطرب
فهم وجوه اسرة حميده^(١)

(١) تتفق الروايات في كتب التاريخ والسيرة ان الرسول ﷺ ولد عام الفيل ، اي في سنة ٥٧٠ للميلاد ، لكن هناك خلافاً في يوم ولادته ، والارجح انه ولد في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الاول.

ولم ير عبد الله بن عبد المطلب ابنه ، فقد توفي في طريق عودته من الشام ، وهكذا شاء الله ان يعيش الرسول حالة اليتيم ، فتكفله جده عبد المطلب ، ثم عمه ابو طالب « رض ».





عاش النبي ﷺ خمسة اعوام بين قبيلة بني سعد ، حيث تعهدت برضاعته حليلة السعدية ، وكانت تلك من عادات العرب لينشأ الاولاد على الفصاحة والفروسية.

كان النبي ﷺ منذ طفولته يتمتع بسجايا وصفات وخلق رفيع يختلف عن اخلاق مجتمعه ، مما جعله يتميز في محيطه ، لذلك كان يُعرف بالصادق الامين.

وقد كان النبي قبل بعثته ، يذهب الى غار حراء في جبل النور ، وهو جبل خارج مكة ، ولكنه يطل على البيت الحرام ، حيث كان يتفرغ للعبادة والتأمل. فقد كان الله سبحانه يعمده لتحمل الرسالة الخاتمة ، وكانت ملامح النبوة ظاهرة عليه ، وفي لحظة حبس فيها التاريخ أنفاسه ، وفي غار حراء نزل جبرئيل ﷺ على النبي ﷺ وألقى اليه كلمة الوحي والبدء بالنبوة ، وكانت اول كلمات نزلت عليه هي الآيات الخمس الاولى من سورة العلق والتي اولها (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) ثم توالى بعد ذلك نزول الوحي عليه ﷺ.

وقد وردت البشارة بالنبي محمد ﷺ بالتوراة والانجيل ، وكان اليهود والنصارى يعرفون ان الله سبحانه سيبعث نبياً الى البشرية ، يكون دينه خاتم الاديان ، وكان علماءهم يعرفون اوصافه ، وعلاماته ، وتذكر كتب التاريخ ، ان اليهود ارادوا اغتيال النبي ﷺ قبل بعثته ، وقد نصح احد الرهبان عمه ابا طالب ان يحرسه من غدر اليهود. لذلك كان عمه شديد الحرص عليه ، وقد جاءت البشارة بالنبي ﷺ في القرآن الكريم على لسان عيسى ﷺ في قوله تعالى : (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ).



بدء الدعوة

لكنهم قد واجهوه بالغضب
مستهزأً بجمعهم هذا العدد
لكنما الاطياب منهم آمنوا
اول من صدقه (عليه)
وزوجه (خديجة) الغنييه
والصفوة الابرار (آل ياسر)
كالثائر البير (ابي ذر) ومن
واخرون جلّهم شباب
وآمنت به جموع الضعفا
مثل ابي طالب شيخ البطحا
يقيه بالنفس وبالبنين
فاشتد من اعدائه العناد
وعذب الصحب على الهجير
لكنما الدعوة ظلت تسري
ينزل (جبرائيل) بالقرآن
فحوصرت اذ ذاك (آل هاشم)
مرت ثلاث من سني القهر
موسومة بالحزن والعذاب

وكان في اولهم (ابو لهب)
ملوحاً له بجبل من مسد
والكل منهم للنبي ضامن
الوارث الخليفة الوصي
البر الطاهر الوفييه
وكل حر طاهر وصابر
لم ترتفع خطاه ايام الحن
بفضالهم قد نطق الكتاب
وبعضهم قد نصره بالخفا
في السر داوى للنبي جرحا
ويكتم الايمان في يقين
ونصبت لذلك الاوتاد
بالنار والقيود والصخور
بكل قوة وكل .. صبر
يفتح آفاقاً من المعاني
(بالشعب) رافضين كل ظالم
وذاك للرسول اقصى العمر
اذ فقدوا جمعاً من الاصحاب

⇐



فيها ابو طالب صبراً قد قضى وعندها ضاق على (طه) الفضاً
 وزوجه (خديجه) الكبيره وهي له الاهلون والعشيرة
 لله صبرٌ لا يجاريه احدٌ تاريخ (احمد) به قد انفرذ^(١)

➡

(١) امر الله نبيه ان يدعو عشيرته ، وذلك عندما نزل عليه قوله تعالى : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ **الْأَقْرَبِينَ**) فبدأ بدعوة بني عبد المطلب ، كما روى ذلك اهل الحديث والسير ، كالطبري وابن الاثير ، وابن عساكر وابن كثير وغيرهم. فقد روي الطبري عن الامام علي بن ابي طالب عليه السلام قال :

« لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ **الْأَقْرَبِينَ**) دعاني رسول الله ﷺ فقال لي : يا علي ... اصنع لنا طعاماً ، واجعل عليه رجل شاة ، وامألاً لنا عسّاً من لبن ثم اجمع بني عبد المطلب ، حتى اكلمهم ، وابلّغهم ما أمرت به. ففعلت ما امرني به ... فلما أراد رسول الله ان يكلمهم ، بدره ابو لهب الى الكلام فقال : لهدمنا سحرهم صاحبكم. فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ ، فقال الغد يا علي ... ففعلت ... ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال : يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شاباً في العرب جاء قومهم بأفضل مما قد جئتم به ، اني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فأياكم يؤازرنى على هذا الامر على ان يكون اخي ووصي وخليفتي فيكم ؟.

قال : فأحجم القوم عنه جميعاً وقلت : انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثم قال : ان هذا اخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا ».

بقي النبي ﷺ يدعو الناس الى الاسلام ، بطريقة سرية لمدة ثلاث سنوات ، فكان المؤمنون الاوائل يخفون إيمانهم خوفاً من بطش قريش. وقد اتخذ المسلمون من دار ابن ابي الارقم المخزومي مقراً سرياً لهم ، حيث كانوا يقرأون القرآن الكريم ويتعلمون احكام الاسلام ويتدارسون شؤون الدعوة ، وكان أول من آمن به الشباب ، والرجال الأحرار ، أمثال : مصعب بن عمير ، وعمار بن ياسر ، وأبيه ، وأمه سمية ، وكانوا حلفاء لبني مخزوم.

كما امن به : ابو ذر الغفاري « جنذب بن جنادة » وغيرهم كثير من الشباب والفقراء والمستضعفين. وعندما بدأ الرسول ﷺ دعوته العلنية ، كان يعلن دعوته الى عامة الناس ، ويبلغ رسالته في مواسم الحج ، روى ابن اسحاق : « كان رسول الله ﷺ على ذلك من امره ، كلما اجتمع له الناس بالموسم اتاهم يدعو القبائل الى الله وإلى الاسلام ».

↩





واجهت قريش مشكلة كبيرة ، فقد كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وآله تؤثر في محيط مكة ، وحاول زعماء قريش ان يمنعوا الرسول من نشر دعوته ، ففاوضوه على ان يترك امر دعوته ، مقابل ان يعطوه ما يريد ، لكنه رفض عروضهم بكل حسم ، حتى قال قولته الشهيرة : « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » وحاولوا ان يضغطوا على عمه ابي طالب من اجل ان يمنعوه عن دعوته ، لكنهم لم يجدوا تجاوباً منه ، فقد كان ابو طالب يدافع عن الرسول ﷺ ويعلن حمايته له ، وفي ذلك يقول ابو طالب :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى أوسد في التراب دفيناً
ولقد علمتُ بأنّ دينَ محمدٍ
من خيرِ اديان البرية ديناً

وعندما وجدت قريش انها لا تستطيع ان تثني الرسول ﷺ عن مهمته الرسالية ، لجأت الى اسلوب الضعفاء ، وذلك بأن اخذت تعذب المسلمين بأقسى انواع العذاب الجسدي ، لكن المسلمين ضربوا المثل الاعلى في الصمود ، حتى استشهد منهم ياسر وسمية ، والدا الصحابي الجليل عمار وقد كان يقول لهم كلما مرّ على ساحة تعذيبهم :

« صبراً آل ياسر ان وعدكم الجنة ».

كان القرآن مشكلة قريش الكبرى ، فقد كان لسحر بيانه الاثر الواضح في النفوس ، وقد ادرك سراة قريش ان العرب وهم اهل البيان ، سوف يتأثرون بالرسول من خلال القرآن الكريم ، لذلك حاولوا ان يمنعوا الناس من الاستماع الى قراءة القرآن. فكانوا ينهالون بالضرب على كل من يقرأ القرآن في المسجد الحرام ، كما حدث مع الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود. ومن اجل ان تنجح قريش في خطتها كانت تمنع الناس القادمين الى مكة من اللقاء بالرسول والاستماع الى حديثه او قراءته للقرآن. يروى ابن هشام في سيرته ، قصة اسلام الطفيل بن عمر الدوسي يقول :

« كان الطفيل بن عمر الدوسي يحدث : أنه قدم الى مكة ورسول الله بها ، فمشى اليه رجالاً من قريش ، وكان الطفيل رجلاً ، شريفاً ، شاعراً ، لبيباً ، فقالوا له : يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل . يقصدون الرسول ﷺ . الذي بين اظهركم قد اعضل بنا ، وقد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وإنما قوله كالساحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، فلا تسمع منه شيئاً ، قال : فوالله ما زالوا بي حتى





اجمعت إن لا أسمع منه شيئاً ، ولا أكلمه ، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً ، فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله ، وأنا أريد أن اسمعه . قال : فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، فقممت منه قريباً فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله ، فسمعت كلاماً حسناً ، فقتل في نفسي : والله إنني رجلٌ لبيب ، شاعر ، ما يخفي عليّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن اسمع من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته . فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت : يا محمد قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا ، فوالله ما برحوا يخفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ، فأبى الله إلا أن يسمعني قولك ، فسمعت قولاً حسناً ، فاعرض عليّ أمرك . قال : فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليّ القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً أحسن منه ولا امراً أعدل منه . فأسلمت وشهدت شهادة الحق .» . سيرة بن هشام ١ / ٤٠٧ .

كانت مثل هذه الحوادث تثير قلق قريش وخوفها ، فلقد كانت تواجه خطر القرآن الذي يأخذ بالعقول إلى عالم الحقيقة المطلق ، دون أن تقف امامه سياط قريش وعناد جبابرتها .

وعندما أخذ عدد المسلمين يتزايد ، وعجزت أساليب قريش عن تحجيم الدعوة الإسلامية قررت أن تقدم على خطوة كبيرة تمنع فيها التطورات الحاصلة في مكة وغيرها . فاجتمع زعماء قريش في دار الندوة ، ووقعوا ميثاقاً فيما بينهم ينص على مقاطعة النبي ﷺ وانصاره ، مقاطعة تامة ، فلا يزوجهم ولا يتزوجون منهم ، ولا يبيعوهم ولا يشترون منهم شيئاً ، وإن لا يكلموهم ولا يؤكلوهم . وعلقوا هذا الميثاق « الصحيفة » في جوف الكعبة .

على أثر هذا الميثاق الظالم ، قرر عم الرسول ابو طالب أن يجمع بني هاشم وبني عبد المطلب ، في « شعب ابي طالب » بين جبال مكة ، وذلك تحفظاً على الرسول ﷺ وحذراً من حدوث أي طارئ قد تقدم عليه قريش ، وقد بالغت قريش في حصارها ، حيث كانت تبث عيونها لرصد الشعب ، فتمنع وصول أي طعام اليه . وكانت تحذر العرب القادمين إلى مكة من بيع الطعام إلى بني هاشم ، فمن خالفهم انتهوا ماله .

استمرت المحاصرة ثلاث سنوات ، انتهت عندما أخبر الله نبيه ﷺ بأن صحيفة المقاطعة وقد اكلتها حشرة « الارضة » لكن آثار المقاطعة كانت قاسية على النبي وعلى المسلمين ، وكان من أبرز آثارها وفاة عمه وحاميه ابي طالب ووفاته زوجته وناصرته خديجة « رض » .



الهجرة الى الحبشة

حتى اذا ضاقت بلادُ (الحرم)
هاجر بعضُ الصحبِ (للنجاشي)
يقودهم (جعفر الطيـار)
اذ لاحقتهم زمرةُ المعاصي
يريدُ ان يخادع النصاري
لكن موقفاً (لجعفر) الأبي
ورابطت بقيّة مجاهده
تحتضنُ الرسولَ في اخلاص
فحدثت حادثّة (الاسراء)
من مكة أسرى لبيت (المقدس)
(براقه) تحملهُ الى العلى
فكذبوه حسداً وجهلاً
وهكذا ظل يؤذي دوره
فهاجر النبيُّ نحو (الطائف)
لكن اهلها أبوا ان يسمعوا
وامتدت الدعوةُ نحو (يثرب)
وباعته ثلثة مقرّبه
فأرسل النبيُّ فيهم (معبا)

بكلِّ مؤمنٍ وكلِّ مسلمٍ
ميمّمين وجهّة (الاحباش)
البطال المجاهد المغـوّر
يقدمهم من مكة (ابن العاص)
من اجل ان يرجع بالأسارى
قد انقذ الثلثة من صحب النبيّ
ظلت على كفر قريش شاهده
تطمعُ بالنجاة والخلاص
اذ عرج الرسولُ للسماء
اسرى بغير ناقه او فرس
معجزةً منه ليؤمن المـلا
وقد سما قولاً به وفعلـا
حتى أراد الله منه الهجرة
يتبعه (زيد) بقلب خائف
قولاً وان يعترفوا أو يخشعوا
فصافحت اكفها كف النبيّ
في موسوم الحجيج عند (العقبه)
معلماً وواعظاً .. مؤدباً



وهو فتى من أسرة منعمه
فوطئوا للدعوة المحيية
معروفة في (مكة المكرمة)
في بقعة صالحة جديده
فأصبحت مهاجر النبي
ومهبطاً للكلم العلي
من بعد ان ضاق عليه الموطن
وحاصرتة (مكة) والمحن^(١)

(١) بعد ان رأى الرسول ﷺ ان قريش تريد اضطهادها للمسلمين ، امرهم بالمجرة الى الحبشة ، وذلك في السنة الخامسة من البعثة. وقد كانت هناك هجرتان الاولى بقيادة عثمان بن مظعون ، وضمت عشرة رجال واربع نسوة ، ثم كانت بعدها المجرة الكبيرة ، بقيادة جعفر بن ابي طالب « رض ».

وتذكر كتب التاريخ والسيرة ان قريش سارعت الى ارسال عمرو بن العاص الى النجاشي ملك الحبشة ، في محاولة لتسليمهم الى قريش ومنع اقامتهم عنده ، لكن جعفر بن ابي طالب ، وقف موقفاً بطولياً عرض فيه مفاهيم الاسلام وتعاليمه على النجاشي ، وعرفه بالاسلام خصوصاً فيما يتعلق بنظرية القرآن حول قصة ولادة سيدنا عيسى المسيح واصطفاء أمه مريم العذراء وكونهما آيتين من آيات الله ، فقبل النجاشي اقامتهم ، ورفض طلب قريش.

وقد روى ابن هشام في سيرته تفصيل المناظرة التي جرت بين النجاشي واساقفته ، وبين جعفر بن ابي طالب ، وكيف ان جعفر « رض » تحدث له بثقة وقوة عن الاسلام ، وقرأ عليه من القرآن ما جعله يبكي هو واساقفته تأثراً وقناعة بما ورد في القرآن الكريم.

سيرة ابن هشام ١ / ٣٥٩.

ويذكر اليعقوبي في تاريخه : ان جعفر بن ابي طالب عاد من الحبشة الى المدينة في السنة السابعة من الهجرة في فترة غزوة خيبر حتى قال رسول الله ﷺ قولته المشهورة : « لا ادري بأياها انا اسر بفتح خيبر ام بقدم جعفر ». تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٥٦.

بعد وفاة ابي طالب ، فقد الرسول ﷺ المحامي الكبير الذي كان يدفع عنه كيد قريش ، وقد روى ابن الاثير : ان الرسول ﷺ قال : « ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات ابو طالب ». الكامل في التاريخ ٢ / ٩١.

نتيجة هذا الواقع الجديد وجد النبي ان مكة لم تعد مكاناً آمناً لرسالته ، فأراد ان يبحث عن





بلد جديد ، ينشر فيه الرسالة ، فهاجر الى الطائف وعرض الاسلام على قبائلها ، لكنهم واجهوه بالرفض ، واساءوا الى شخصه المقدس ﷺ حيث رموه بالحجارة ، واستخفوا بدعوته ، فاضطر الى العودة الى مكة.

هناك اختلاف في قصة الاسراء ، متى حدثت وهل كانت في اللحظة ام في المنام ، والصحيح ان الله سبحانه اسرى بالرسول بروحه وجسده الى المسجد الاقصى ومنه عرج به الى السماء العلى ، ليرى آيات ربه الكبرى ، وقد حدث ذلك قبل هجرته الى المدينة.

وقد حاول كفار قريش ان ينالوا من هذه الحادثة ويطعنوا بصدق الرسول ﷺ فطلبوا منه ان يأتيتهم بالادلة ، فاجابهم ﷺ بأنه رأى قافلة متجهة الى مكة يتقدمها جمل اورق وحدد لهم وقت وصولها. فوصلت في الوقت المحدد. ثم طلبوا منه ان يصف بيت المقدس ، ولم يكن قد زاره من قبل ، فوصفه لهم وصفاً دقيقاً.

واصل النبي ﷺ دعوته للناس ، في موسم الحج ، وفي موضع يدعى العقبة ، التقى بسبعة رجال من الخزرج قادمين الى مكة للحج ، فعرض عليهم الاسلام. وكان اهل يثرب يسمعون من اليهود بقرب ظهور نبي من العرب. فآمن هؤلاء بالرسول ﷺ وعادوا الى يثرب يبلغون رسالة الاسلام.

وفي العام التالي التقت جماعة مسلمة من اهل يثرب بالرسول وبايعته في العقبة ، وسميت هذه البيعة ببيعة العقبة ، فأرسل معهم الرسول ﷺ الصحابي الجليل مصعب بن عمير ، ليعلمهم القرآن ومبادئ الاسلام. واخذت رسالة الاسلام تنتشر بقوة في يثرب حتى قال مصعب للرسول ﷺ حينما لقيه : « ما تركت بيتاً الا وللاسلام فيه اسم ».



الهجرة الى يثرب

فأزعم الهجرة والرحيل
وبسات في فراشه (أخوه)
وذاك قمة الوفا والتضحية
غادر في المساء (ثاني اثنين)
وبعد لأي وصل (المدينة)
يتبعه الامام بالفواطم
حيث بنى النبي صرح الحق
فاتخذ المسجد للقياده
مسعداً وعورة الطريق
ورفع الأذان للصلاة
أول من صاح به (بالل)
بلغية جميلة الاحسان
وشرعت هنالك العباده
فاعلن الاخفاء للابرار
كي يشحذ الايمان والأخوه
فأصبح الغني والفقير
جميعهم في اسرة الايمان

ليثرب ييني هناك جيلا
خشية ان يأتوا ويقتلوه
ان يغدو الموت الرهيب أمنيته
من غير ان تراه أي عين
فاستقبلته الصفوة الامينه
وهن طاهرات (آل هاشم)
بكل ايمان وكل صدق
والحكم والتوجيه والعباده
وساعياً لله هدف الحقيقة
أنشودة في شفة الدعاة
ومن به قد ضجت الاغلال
(فسينه) (كالشين) في المعاني
وفتح ابواب الشهاده
بين المهاجرين والانصار
قلوبهم بالحب والفتوه
في الدين والكبير والصغير
في نسب من الاخفاء ثان



وأذن الله لمن قد ظلموا ان يرفعوا سيوفهم ويقدموا^(١)

(١) وجدت قريش ان امر الاسلام اخذ يتعاضم ، وان الخطر اصبح يتزايد حول وثنيتهما ، لا سيما بعد ان وجد الاسلام ، والارض الصالحة والأمنه في يثرب. فاجتمع سراة قريش ورجالها في دار الندوة ، وقرروا قتل الرسول ﷺ ، وكانت خطبتهم باقتراح من ابي جهل تقضي بأن تنتخب كل قبيلة من قبائل قريش ، رجلاً منها يشترك في اغتيال الرسول ﷺ حتى يتوزع دمه بين القبائل فلا يستطيع بنو هاشم المطالبة بدمه.

قرر الرسول ﷺ في ضوء تلك الهجرة الى يثرب ، فلم تعد مكه مكاناً آمناً لرسالته ، فدعا وصيه وابن عمه علي بن ابي طالب ﷺ وطلب منه ان ينال في فراشه ليؤمهم قريشاً بأنه لا يزال في بيته فلا تسارع في تعقبه ، واستجاب الامام علي بسرعة بقوله : « أو تسلم انت قال : بلى قال : اذن لا ابالي اوقعت على الموت او وقع الموت علي » وكان هذا اعظم مظاهر التضحية والايتار وبات ليلته في فراش الرسول مطمئناً واثقاً ، فأنزل الله تعالى في حقه : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) البقرة / ٢٠٧

خرج الرسول ﷺ بصحبة ابي بكر ، سراً باتجاه يثرب ، وعند الصباح ، نهض الامام علي من فراش النبي ، وادرك رجال قريش بأنهم غلبوا ، فسارعوا الى تعقب الرسول ، وخصصوا جائزة سخية لمن ينجح في اعادة الرسول وصاحبه الى مكة.

مكث الرسول ﷺ مع ابي بكر في غار جبل ثور على مقربة من مكة ، لمدة ثلاثة ايام وكانت اسماء بنت ابي بكر ، تحمل لهما الطعام ، وبعد انقضاء الايام الثلاثة سار الرسول الى يثرب ، سالكاً طريقاً غير مألوف على ساحل البحر ، وكانت قريش تبحث عنه في الجبال والشعاب في محاولة للقبض عليه ، لكن الله سبحانه شاء ان تخيب مساعي قريش وان يصل الرسول ﷺ بعد عناء الهجرة الى يثرب ، حيث كان المسلمون هناك بانتظار قدومه المشرق الذي اشرقت به يثرب ، فسميت فيما بعد بالمدينة المنورة ، واستقبلته المدينة بالنشيد الخالد لبني النجار :

طلـع البـدر علينـا	مـن ثنـيات الوداع
وجـب الشـكر علينـا	مـا دعـا الله داع
أيـهـا المـبعـوث فينـا	جئـت بـالامر المـطـاع
جئـت شـرفـت المـدينـة	مـرحبـاً يـا خـير داع

➡





وهكذا تشكل الهجرة في تاريخ الدعوة نقطة التحول الكبرى في مسيرة الاسلام ... حتى أصبح تاريخنا الاسلامي يبدأ منها. سيرة ابن هشام ٢ / ١٢٦. تاريخ يعقوبي ٢ / ٣٩.

أوصى الرسول ﷺ الامام علي ﷺ ان يوصل الامانات التي كانت بعهدته الى اهلها ، وان يلتحق به في الهجرة الى المدينة ، ويجلب معه ابنته فاطمة الزهراء ﷺ وفاطمة بنت اسد وفاطمة بنت الزبير.

حاولت قريش منع الامام علي من الهجرة ، وطلبت منه اعادة النسوة الى مكة ، لكن الامام رفض ذلك ، وحاول احد رجال قريش منعه بالقوة ، فضربه الامام ضربة قوية اهوت به الى الارض. وتحدى قريش ان تمنعه. فواصل طريقه الى يثرب حتى وصلها بسلام ، حيث كان الرسول ينتظره بفارغ الصبر عند قبا وعندما رآه الرسول ﷺ بكى على ما اصابه من نصب في طريق هجرته وهكذا بدأت مرحلة جديدة لبناء المجتمع الاسلامي الفريد.

اقدم الرسول ﷺ على بناء المسجد المركزي في المدينة المنورة ، وكانت هذه الخطوة بمثابة الخطوة الاولى لارساء دعائم الدولة الاسلامية ، فقد صار المسجد مقر العبادة ، والقيادة ، والقضاء ، وادارة الاعمال الاجتماعية ، الى جانب مهمته التعليمية والتوجيهية. حيث كان الرسول يعلم المسلمين فيه القرآن الكريم واحكام الاسلام وشؤون الجهاد والسياسة.

كان الصحابي الجليل بلال الحبشي لا ينطق العربية بشكل صحيح ، فكان يلفظ الشين سينا ، حيث يقول : « اسهد » بدل اشهد ، ويروي ان الرسول ﷺ قال بشأنه : « ان شين بلال شين عند الله ».

من الخطوات الاجتماعية الهامة التي اقدم عليها الرسول ﷺ في بداية عهده بالمدينة ، مؤاخاته بين المهاجرين والانصار ، من اجل ان يصنع المجتمع الاسلامي المترابط المتين في علاقته الاجتماعية. وقد آخى النبي ﷺ في هذا العمل بينه وبين الامام علي بن ابي طالب ﷺ وقال له في هذه المناسبة كما قال في مناسبات اخرى : « انت مني بمنزلة هارون من موسى ، الا انه لا نبي بعدي ، وانت اخي ووارثي ». بنابيع المودة ٥٦ وسيرة ابن هشام ١ / ٥٠٧.



معركة بدر

فبئُر (بدر) كانت البدايه	منطلقاً للفتح والهدايه ^(١)
اذ أقبلت (قريش) في طغيان	تريد أن تثار للاثان
فكانت المعركة العظيمة	والعود بالنصرة والغنيمه
(حيدة) كان فتاهما البطلا	كم فارس حول (القيب) جدلاً ^(٢)
تعينه ملائك السماء	في ساعة العسرة والبلاء
فنزلت محكمه (الانفال)	ترسم درب النور للاجبال
(فبدر) كانت منهج المسير	لامه تصبو الى التغيير
فمئيت (قريش) بالهزيمة	حاملة أحقادها القديمة

(١) حدثت معركة بدر في السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، قرب بئر بدر ، بين مكة والمدينة حينما نزل قوله تعالى : **(أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ...)** الحج / ٣٩.

وقد كان للامداد الالهي لجيش المسلمين ، اثره الكبير في النصر على قريش التي فقدت هيبتها وجبروتها ، وخسرت بعضاً من رجالها وقادتها المعاندين وعلى رأسهم شيبه وعتبة والوليد ، وابو جهل ، وامية بن خلف وغيرهم.

وقد اطلق القرآن الكريم على هذا اليوم يوم الفرقان ، لانه قد حدث الحسم العسكري الكبير لصالح الرسالة ، الاسلامية وقد نزلت سورة الانفال في اثناء المعركة وبعدها.

(٢) كان للامام علي رضي الله عنه الحضور الفاعل والمؤثر في معركة بدر ، حيث قتل نصف عدد قتلى قريش ، وضرب المثل الاعلى في الشجاعة ، والاقدام ، والتضحية من اجل الرسالة والرسول.



تملأ من دماءها الصحراء
هل كان وعد الله فيكم عدلاً ؟
اذ قال لي ربي قولاً صدقاً
عشرًا من الرجال حتى تسلموا^(١)
حيث غدت في كل بيتٍ ناعيه

تاركه وراءها الاشلاء
وخاطب الرسول تلك القتلَى
اني وجدتُ الوعدَ حقاً حقاً
وقال للأسرى تعالوا علّموا
واندحرت (قريش) وهي باكيه



(١) كان من مظاهر اهتمام الرسول ﷺ بالعلم والمعرفة ان اعلن ان كل اسير من اسرى قريش يطلق من اسره اذا قام بتعليم عشرة من ابناء المسلمين القراءة والكتابة. وهكذا شكلت معركة بدر الكبرى حداً فاصلاً بين مرحلتين أساسيتين في تاريخ الرسالة ، فقد كانت نقطة تحول شاخصه نقلت الأمة من حالة الضعف الى القوة ، ومن حالة الدعوة الى الدولة ، فاصبح المسلمون بعد هذه المعركة الفاصلة أمةً تحمل كل خصائص ومميزات الأمة ذات المبدأ الفكري والمسار السياسي.



معركة أحد

ثم تجمّعت بعيْدَ عامٍ للشأْر من رسالة الاسلام
فحشّدت جموعها الغفيرة تحسبُ هذي الجولة الاخيره
فكان ذيّاك اللقا في (أحد) ما بين جمعٍ جاحدٍ ومهتدٍ^(١)
اذ أمر الرسولُ بعضَ الصحبِ ان لا يغادروا مكان الحربِ
في جبلٍ يكمن حوله العدى خوفاً على أُمته من الردى

(١) تعد معركة احد ، تجربة هامة وقاسية في مسيرة الرسالة ، فقد تعرض المسلمون لخسارة كبيرة ، وخسروا عدداً من الصحابة الاجلاء امثال حمزة عم الرسول ، ومصعب بن عمير ، وفرّ جماعة من الصحابة من المعركة ، وتركوا الرسول في خطر ، وقد أظهر الامام علي عليه السلام شجاعة نادرة وإخلاصاً منقطع النظير للرسول والرسالة ، حيث حال دون وصول المشركين الى الرسول ﷺ ومع ثلثة قليلة امثال ابي دُجانة الانصاري ، وكان سبب هذا التدهور العسكري عدم التزام جماعة من جيش المسلمين بقرارات الرسول ، واستعجلوا الامور واغرثم الغنائم ، وكان خالد بن الوليد ، ينتظر مثل هذه اللحظة ، فقام بحركة التفاف على جيش المسلمين من المؤخرة ، وتغيرت كفة الحرب لصالح قريش حتى انه جرح رسول الله ﷺ وشاع في المعركة ان الرسول قد قُتل فنزل قوله تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ...) آل عمران : ١٤٤

وكانت معركة احد درساً قاسياً للمسلمين واختباراً لايمانهم وطاعتهم للرسول والرسالة .
بعد معركة احد توجه الرسول ﷺ الى بناء الامة وتعليمها الاحكام والقوانين الاسلامية فشرعت احكام الخمس وغيره من الاحكام الشرعية الفرعية .



لكنهم قد خالفوا (النبيّـا)
 من بعد ان لاح بريقُ النصرِ
 اذ صال (خالدٌ) على جيشِ الهدى
 فصيح فيهم قُتلَ الرسولُ
 لكنّه وهو (ابنُ عبد المطلبِ)
 وحين فرَّ الصَّحْبُ بالهزَمِ
 سوى جماعة من الابطال
 اولّهم (عليّ) الشَّجاعُ
 وثَلَّة من افضلِ الاخيارِ
 وجرَّح النبيُّ في جبهتهِ
 واستشهد (الحمزة) في سبعينا
 فاستعبر النبيُّ حزناً وبكى
 حيث دعا الى البكا عليه
 وكان ذاك اليوم درساً قاسياً
 ورجع الرسولُ للمدينة
 فشُرع الحلالُ والحرامُ
 حيث تقوَّت شوكة الاسلام
 وامتد نورُ الله بالهداية
 وانطلق الدعاة للآفاقِ

وآثروا الاموالَ والحليّـا
 واوشكت هزيمةٌ للكفرِ
 وصبَّ من احقادهِ السودِ الردى
 خديعةً صدّقها المخذولُ
 صاح بهم (انا النبيُّ لا كذبُ)
 وتُركَ الرسولُ دون حمامِ
 قد ثبتوا في موقف الرجالِ
 ومن به يحتدم الصراعُ
 مثلُ (ابي دُجانة) الانصاريّ
 وسالت الدما على لحيته
 من خيرة الرجالِ والبنينا
 وهزّ دمعهُ السَّخِينُ الفلكا
 فهو عظيمٌ قدرهُ لديه
 اذ عرفوا مطييعهم والعاصيا
 يبني أصولَ الدولة الرصينة
 والخمسُ والزكاةُ والصيامُ
 واندحرت جحافلُ الظلامِ
 بسورةٍ محكمةٍ وآياته
 بالرغم من أئمة النفاقِ



معركة الخندق

اذ ذاك جاء الخبرُ الاكيدُ
خلفهما الاعرابُ والاحلافُ
يغنونَ هدمَ معقلِ الرساله
فكان حفزُ (خندق) الامانِ
عرَفَهُ نبيُّنا للاممه
فوقعت معركةُ (الاحزابِ)
الا علياً ابن (شبيبِ الحميد)
عاجله الضربَ بذِي (الفقارِ)
فضربه عند أبي (الحسينِ)
ف قيل لا سيفَ سوى السيفِ الجليِّ
وكانت اليهودُ في الحصونِ
بنو (قريظةٍ) وآلُ (المصطلقِ)
ثم استقرت دوله الاسلامِ
رغم جموع الغيِّ والنفاقِ
فأصبح الرسولُ في دولتهِ
يعلمُ الناسَ هدى القرآنِ
وحين صار المسلمون قوه
يحمل بعضُهم هموم بعضِ

تجمعت قريشُ واليهودُ
والهمجُ الرعاع والاحلافُ
بقتلهم (محمداً) وآله
بفكرة عصماء من (سلمانِ)
(سلمانُ من أهل بيتِ الرحمه)
خيفه لاشجع الاصحابِ
مشى (لعمري بن عبد ودّ)
وهو لعمري عيه الاسرارِ
قد عدلت عبادة الثقلينِ
في كفه (ولا فتى الا عليّ)
تؤججُ الاحقاد بالضغونِ
الفُ يهودي على الحق انغلاق
وثبتت قواعد النظمِ
وزمرة اليهود والشقاقِ
مطبّقاً ما جاء في دعوتِه
حيث استقامت روعه البنيانِ
مسلمين بالهدى والدعوه
جناحهم من رحمة في خفضِ



ورغم ما تحملوا من جوعهم
هم اروع الامثال في الصفات
وتحتاج فيهم حُبهم للكعبه
يقول يا رب ايمن الفتح
تلتمع الحشية في دموعهم
وهم حماة الدين والآيات
فراح بعضهم يناجي ربه
وعدتنا متى يجيء الصبح^(١)

(١) بعد ان اخذت انتصارات المسلمين تتوالى ، شعر اعداء الرسالة بالخطر ، وخططوا للقيام بحرب كبيرة ضد المسلمين ، حيث تحالفت قريش مع بعض القبائل العربية ، ومع اليهود ، وتحركوا نحو المدينة المنورة ، وقد بلغ عدد جيوشهم عشرة آلاف مقاتل .

وقد اقترح الصحابي الجليل سلمان المحمدي « الفارسي » على الرسول ﷺ ان يخفر خندقاً حول المدينة لتحصينها من قوات المشركين واليهود . باشّر المسلمون بخفر الخندق ، واستطاعوا ان يحموا المدينة من خطر الاعداء . وكان للامام علي عليه السلام دوره في هذه الحرب ، حيث بارز بطل المشركين عمرو بن عبدود العامري وصصره ، بعدما نكص وتراجع المسلمون عن مبارزته ، وقد صور القرآن الكريم مشاهد المسلمين وهم في حالة من الاضطراب والقلق والخوف بقوله : (إِذْ جَاءَكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا) هَذَا لِكِ ابْتِلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا (الاحزاب / ١٠ . ١١)

كما وصف الرسول ﷺ موقف الامام علي عليه السلام البطولي بقوله : « لمبارزة علي بن ابي طالب لعمرو بن عبدود يوم الخندق افضل من اعمال امتي الى يوم القيامة » مستدرك الصحيحين ٣ / ٣٢
بعد معركة الخندق تحركت بنو قريضة وبنو المصطلق لمحاربة الاسلام لكن الرسول ﷺ احبط خططهم بحكمته ومبادراته الرسالية الفذة حتى اصبح الاسلام قوة دولية يتمتع بكيان سياسي وعسكري في المدينة المنورة .

عندما رأى اليهود محاصرة المشركين يوم الخندق لرسول الله في المدينة ، وظنوا انه مغلوب لا محالة ، تكشف احقادهم وضغائنهم التي انطلوت عليها نفوسهم الخبيثة ، ولو لا ان الله أحزى الاحزاب لتمكن يهود بني قريضة من الفتك بالمسلمين من خلف ظهورهم ، فكان لا بد للنبي أن يحسم موقفهم الخياني بقوة وصلاية ولهذا أمر رسول الله ﷺ لمحاصرة اليهود في حصونهم من دون ان يعطي فرصة للراحة أو الاسترخاء ، فأذن المؤذن في الناس أنه : « من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر الا في بني قريضة » . الطبري ٣ / ١٧٩ .

⇐





وأعطى النبي ﷺ رأيت له لعلني ﷺ وتبعه المسلمون مع ما بهم من ألم الجراح والجوع ، والسهرة ، من أثير محاصرة الأحزاب .. واستولى الهلع والخوف على اليهود حين رأوا الرسول والمسلمين معه يحيطون بهم وأيقنوا أن النبي غير تاركهم حتى يناجزهم بشدة وحسم عن موقفهم الخياني الجبان.

وطلب اليهود أباً لبابة وهو عبدالله بن عبد المنذر يستشيرونه في أمرهم ، ولكنه كشف لهم عما كان يعلمه من مصيرهم حين قاموا إليه صغاراً وكباراً ليكون. السيرة النبوية : ٢ / ٢٣٧.

ولم يقبل النبي ﷺ عرض بني قريظة وهو الجلاء والارتحال عن المدينة من دون عقوبة تناسب موقفهم الخياني السابق وهو نقض العهد ومحاولة الانقضاض على المسلمين. وأباً إلا النزول على حكم الله ورسوله ، وحاول الأوس التوسط . بطلب من اليهود . لدى النبي ﷺ حلّ أزمته. فقال النبي ﷺ للأوس : « ألا ترضون أن أجعل بيني وبين حلفائكم اليهود رجلاً منكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال ﷺ فقولوا لهم أن يختاروا من الأوس من شأؤوا. فاختار اليهود سعد بن معاذ. حكماً وكان سعد جريحاً ، فحملوه إلى رسول الله ﷺ فأستقبله وقال لمن حوله : قوموا إلى سيدكم فقاموا إليه. ثم حكم سعد بقتل الرجال « المقاتلة » وسبي النساء والذراري وتقسيم الأموال على المسلمين. فقال له النبي ﷺ لقد حكمت فيهم . يا سعد . بحكم الله فوق سبع أرقعة » اي سبع سموات. السيرة النبوية ٢ / ٢٣٩

وعلى إثر الانتصارات التي حققها المسلمون في المعارك الحاسمة تحولوا إلى قوة كبيرة في الجزيرة ، وهنا بدأ يشدهم الشوق والحنين إلى مكة الوطن والبيت الحرام ، وترسم أمام عيونهم خيوط الأمل بالعودة إليها بعد الهجرة الطويلة. فهم يتطلعون إلى اليوم الذي تتحقق فيه أحلامهم بفتحها ، باعتبارها القلعة التي بقيت مستعصية على الفتح في طريق مسيرة الدعوة الإسلامية ، وهكذا سارت عجلة الأحداث وبدأت تبشير الفجر تلوح لهم في الأفق القريب ، فها هم يتجمعون ويشدون الحزم ، وينتظرون الإذن في المسير إلى مكة.



صلح الحديبية

فقرر النبي أن يحجَّا
وقلبه يهفو لبيت الله
فساق (هديه) أمام جحفله
والصحبُ تحدو فيهم الآمالُ
قد فارقوها (ستة) أعواما
فوصلوا لواحدة (الحديبية)
لكنهم قد منعو المسير
هناك بايعت جموع البربر
أن يفتدوه بالنفوس والولد
فنزلت آي من الرحمن
وارتبكت قريش من هذا الخبر
يقدمهم (سهيل بن عمرو)
فكان الاتفاق أن يعودوا
وعشرة من السنين هدينه
أنكر بعض الصحب منهم (عمر)
فغضب النبي ثم وضَّحا

في موسم حج (الحجاز) رجَّا
لأنه أنشودة الشفاه
مكبرا مسبحا في أوله
لكعبة يحضنها الجلالُ
تنتظر الأزواج واليتامى
وكلهم يرى الوصول أمنيته
وعاد كل واحد كسيرا
نبيهم تحت ظلال الشجره
فهو القريب والحبيب والبلد
وتميت (بيعة الرضوان)
فأرسلت وفدا ليرد الخطر
وهو حكيم عارف بالامر
وبعد عام ترفع القيود
تعلم الأصحاب فيها السنه
بأنهم بالوعد لم ينتصروا
بأنه ما جاء حتى يفتحها



لكنَّه طال بهم بالطاعة
ورجعت صاحبة الرسول
بالوعي والأناسة والصلابة
أن يذعنوا لموقف الجماعة
يواجهون (ابن أبي سُلَول)
قد نهجت طريقها الصحابه^(١)

(١) في السنة السادسة من الهجرة وفي شهر ذي القعدة ، توجه الرسول ﷺ في جمع كبير من المهاجرين والانصار وبعض القبائل العربية ، نحو مكة لاداء فريضة الحج . وكانت الخطوة على قدر كبير من الأهمية والخطورة ، فلقد اثار تحرك الرسول ﷺ خوف المشركين في مكة ، فتحركوا لمواجهته عسكرياً ، بعد ان ظنوا انه يريد مواجهتهم عسكرياً.

لكن الرسول ﷺ سلك طريقاً آخر ، واستقر في وادي الحديبية ، وأعلن انه لا يريد قتال قريش ، إنما جاء لزيارة البيت الحرام فبعثت قريش وفداً منها للتفاوض معه ، وبعد المفاوضات تم توقيع معاهدة صلح عرفت بـ « صلح الحديبية » كان من أهم بنودها ، أن تتخلى قريش عن إيذاء المسلمين في مكة ، ولا تتعرض لهم بأذى وتكون الهدنة لعشر سنوات . تاريخ الطبري ٢ / ٢١٨ ، وتاريخ يعقوبي ٢ / ٥٤ .

وقبل عقد معاهدة الصلح بايع المسلمون الرسول ﷺ على نصرته والقتال تحت رايته وقد سميت هذه البيعة ببيعة الرضوان وفيها أنزل الله تعالى : (**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ...**) الفتح / ١٨ .

وسهيل بن عمرو ، هو مبعوث قريش في التفاوض مع الرسول ﷺ وقد وقع المعاهدة ممثلاً عن قريش .

وكانت بنود المعاهدة تنص على ان يعود المسلمون إلى المدينة فلا يحجوا في هذا العام ، إنما يأتوا العام التالي للحج ، وقد إعترض بعض الصحابة على الرسول ﷺ في هذا الاتفاق ، منهم عمر بن الخطاب ، لكن الأيام أثبتت أن هذه الوثيقة حققت مكاسب كبيرة للرسالة ، فلقد دخل الاسلام على إثرها عدد من الناس يفوق ما حدث في السنوات التي سبقت توقيع المعاهدة . وقد وصف الصاحي البراء بن عازب ، ان فتح مكة كان يوم بيعة الرضوان . الطبرسي . مجمع البيان : (**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**) .

وعبد الله بن أبي سُلَول ، رأس المنافقين في المدينة ، كان له دور خبيث في محاربة الرسالة ، وتبسيط عزائم المسلمين ، والغريب أن بعض المسلمين يعتبر هذا المنافق صحابياً ، على أساس أن الصحابي كل من رأى الرسول . وهم بذلك يلتمسون له العذر ولا يطعنون بإسلامه الكاذب وسلوكه المعادي للرسول والرسالة .



معركة خيبر

لكنما (اليهود) ظلت حاقده	مغرورةً بجهلها معانده
حاصرها النبي عند (خيبر)	في يوم عودة الحبيب (جعفر)
قال : غداً اني سأعطي (الرايه)	الى فتى يُعرف بالهداية
يكرُّ دائماً ولا يفترُّ	في سيفه دوماً يلوح النصر
وهو يحبُّ الله والرسول	بيث اضحى لهما خليلا
فسلم (اللواء) للامام	مقتحماً معاقلاً الظلام
مقتلعاً بوابة الحق الغيِّ	ومردياً بسيفه (لمرحب)
وقد تماوت بعده القلاعُ	وانخرمت اذ ذاك (قinqاع) (١)



(١) كانت خيبر منطقة منيعة تقع على قمة جبل ، وفيها عدد كبير من المقاتلين اليهود ، وكان يهود خيبر يتجحون بحصونهم وقوتهم ، قرر الرسول ﷺ غزو هذا الموقع المعادي للرسالة والذي يثير الشغب ضد المسلمين.

بعث الرسول ﷺ ابا بكر لفتح ثغرة في حصون خيبر ، فلم يتمكن من ذلك وعاد الى الرسول معذراً عن القيام بالمهمة ، ثم ارسل الرسول ، عمر بن الخطاب للمهمة نفسها ، فعاد كما عاد ابو بكر معذراً عن النجاح في مهمته فقرر الرسول ﷺ اعطاء الراية الى الامام علي ؑ حينما قال قولته الشهيرة « لاعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كزاراً غير فرار » ففتح الله على يديه حصون خيبر بعدما قتل قائدهم « مرحباً » وحقق النصر المؤزر للمسلمين. وفي ذلك يقول ابن ابي الحديد المعتزلي :

يا قالع الباب التي عن هـزه عجزت اكف اربعون واربع

سيرة ابن هشام ومغازي الواقدي ٢ / ٦٣٧ .



معركة مؤتة

وبعدها أرسل جيشاً آخر
(وابن رواح) لغزو الروم
فنزّل الجيش على (معان)
فأمر الرسول بالقتال
حيث هوى (زيد) الشجاع القسور
(وابن رواح) شهيداً قد مضى
وفي المدينة النبي ينظر
وانحاز بالراية بعد (خالد)
وبعدها عادوا مع الجراح

قدم (زيداً) عنده (جعفر)
وهم ألدّ زمرة الخصوم
مفكراً بكثرة (الرومان)
فتبّت الرجال كالجبال
وبعده استشهد فيهم (جعفر)
وفي جيوش الروم قد حلّ القضا
لما جرى عليهم ويخبر
والكل في صبر غدا يجالد
ينتظرون وثبة (البطاح)^(١)



(١) في شهر جمادي الثانية من السنة الثامنة للهجرة تحشّدت الروم وحلفاؤها من اليهود وفلول المشركين. فقرر الرسول ﷺ غزو الروم ، وهم الدولة الكبرى في تلك الفترة ، وقد عين الرسول على رأس الجيش زيد بن حارثة ، ثم من بعده جعفر بن أبي طالب ، ثم من بعده عبد الله بن أبي راحة. وقيل كانت الراية بيد جعفر.

دارت معركة ضارية بين الرومان الذين بلغ عدد قواتهم مائتي ألف مقاتل ، في حين كان جيش المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل. وفي منطقة « معان » تدارس المسلمون الموقف العسكري ، وقرروا مواصلة القتال رغم الفارق العددي الكبير ، فلقد كان الغرض هو تحدي الدولة الكبيرة ، كمقدمة لتثبيت موقع الدولة الإسلامية ، وحدثت المعركة واستشهد القادة الثلاثة. بعد ان وقفوا في ارض المعركة وقفه البطولة الرسالية الخالدة ، ثم تراجع خالد بن الوليد ببقية الجيش ، ومن الجدير بالذكر ان الرسول ﷺ كان يخطب في المدينة ويحدث الناس عن المعركة وتفصيلها. الواقدي ، وابن الاثير ، والطبري ، احدث غزوة مؤتة.



رسائل النبي الى الملوك

وارسل الرسول بالمرسوم
ومرسل ايضاً الى النجاشي
ثم كتابه الى (المقس) ^١
ثم كتاب (المنذر بن ساوا)
وارسل الدعوة لليمامة
بأن دين الله سوف يظهر
وخاطب النبي كل واحد
ان اسلموا لدعوتي سريعاً
وذاك دأب الدعوة المكرمه
والكل قد اصغى ولكن (كسرى)
لعرش فارس وعرش الروم
رسالة تحمل للاحباش
و (حارث) كان بيت المقدس
بـ (جيفر) كتابه تساوى
لهوذة يعطونه علامه
وفي البقاع كلها ينتشر
منهم بلهجة الرسول القائد
او ترفضوا فتأثموا جميعاً
ان تنشر الاسلام عبر الكلمه
قد مزق الكتاب منه كفراً ^(١)



(١) في السنة السادسة من الهجرة ، ارسل الرسول ﷺ كتابه الى ملوك ورؤساء الدول الكبيرة آنذاك ، وهي دولة فارس والروم والاسكندرية والحبشة وغيرها وكان موقف كسرى هو الموقف المعاند من بين بقيه الملوك. حيث مزق كتاب رسول الله ﷺ جهلاً منه وكفراً. البيهقي ٢ / ٧٧ ، وتاريخ الطبري ٢ / ٢٩ .



فتح مكة

وامتدت الدعوة في الجزيره
والتزم الرسول بالمعاهده
فقضت عهدوها عند الخفا
فهاجمت خزاعة الأبييه
وحين جاء (عمرو الخزاعي)
يقول في آياتيه الاليميه
(لاهمم اني ناشد محمد
ان قريشاً اخلفوك الموعدا
هم يتوننا بالوتير هجدا
فأقسم النبي ان يردوها
فحشد الرجال نحو الفتح
قد دُعر الشرك غداة شاهدها
وانهار صرخ البغي والطغيان
يظهر ايماناً ويُخفي الكفرا
ويا له من مشهد اذ دخلوا
ثم هوت من بعده الاصنام
ودخل النبي في تواضع
مسبحاً بحمد رب البيت
اليوم عز لقريش يُني
مبيناً في ذاك شأن (المسجد)

وهي نواة الامه الكبيره
لكنما قريش ظلت حاقده
وباغتت في الليل بعض الحلفا
أهل الوفا والجود والحميه
الى النبي بدم ملتاع
يخاطب النبوة الكريمه
حلف أينا وابيك الاتلدا
ونقضوا ميثاك المؤكدا
وقتلونا ركعاً وسجدا
لانها خانت جهاراً عهدا
عشرة آلاف قبيـل الصبح
جحافلاً تمشي وراء (احمدا)
يوم اتى يجبو (ابو سفيان)
لم يشرح الله لديه صدرا
(ملكه) فانهار فيها (هبل)
وعمت الفرحة والسلام
مطأطأ الرأس بقلب خاشع
وخاطب القوم بأعلى صوت
فاليست صار للجميع أمنا
والجمعُ صاح باللسان واليد



لَبَّيْكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى جَمِيعَا	غرسْتَ في قلوبنا الربيعَا
فَقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : يَا قَوْمِ اسْمَعُوا	اذْ عَدْتَ مَا تَرُونِي سَأَصْنَعُ
قَالُوا : أَخُ نَعْرِفُهُ كَرِيمَا	مَصْدَقًا بَرًّا بَنَا رَحِيمَا
قَالَ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ طُلُقَا	فَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكُمْ مَا سَبَقَا
وَدَخَلُوا فِي دِينِهِ أَفْوَاجَا	وَمَالُوا الْأَقْطَارَ وَالْفَجَاجَا
وَبَعْدَهَا تَوَجَّهَ (النَّبِيُّ)	لِثَرْبٍ وَامْرُؤٍ قَوِيٍّ ^(١)

(١) حدث في السنة الثامنة من الهجرة ان نقضت قريش بنود صلح حديبية ، فقرر الرسول ﷺ ان يغزو قريشاً لمخالفتها المعاهدة ، وسار في عشرة آلاف مقاتل نحو مكة ، وعسكر الجيش حول مكة ، فانهارت قريش وتداعت قواها ، خصوصاً بعد استسلام ابي سفيان وخضوعه بين يدي الرسول ، فقال رسول الله ﷺ قولته التاريخية : « من دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل بيت ابي سفيان فهو آمن ».

ودخل المسلمون مكة فاتحين ، من دون قتال. وقد امر الرسول ﷺ الامام علي ﷺ فأزال الاصنام من الكعبة. وبذلك تحقق النصر الالهي الكبير للرسالة الاسلامية حين دخل الناس في دين الله افواجا وخطب رسول الله ﷺ خطابه التأييدي في المسجد حيث قام على باب الكعبة فقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده ، ألا كل مأثرة او دم او مال يُدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ، ففيه الديعة مغلظة ، مائة من الابل ، اربعون منها في بطونها اولادها. يا معشر قريش ، ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)**.

ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون ابي فاعل فيكم ؟ قالوا : خيراً ، اخ كريم ، وابن اخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد ، فقام اليه علي ابن ابي طالب ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ؛ فقال رسول الله ﷺ :

« أين عثمان ابن طلحة ؟ فدُعي له ، فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بُرٍّ ووفاء »

سيرة ابن هشام ٤ / ٤٦ وتاريخ الطبري ٢ / ٣٣١ وتاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٤٥.



معركة حنين

فاجتمعت (هوزان) الكفار
ومعها قد أطبق الاعراب
يقودهم (مالك بن عوف)
ففاجأوا الرسول في (حنين)
والمسلمون كثرة في العدد
فأعجبهم يوم ذاك الكثرة
فدارت الحرب قبيل الفجر
فانخرم الجمع من الاصحاب
الا النبي وحده قد ثبتا
وثلة من الصحاب الأوفيا
اولهم (علي) الكرار
وآخرون منهم (عباس)
عودوا الى النصره يا رجال
وحيث شاهد الصحاب (احمد)
وهو يكر في صفوف الكفره
فرجعوا وباشروا القتالا

لكي تكيّد امّة (المختار)
ومشركون حلمهم سراب
ومعه الاهليون دون خوف
بوثبة طبقت الافقين
وليس فيهم حاجة للمد
وقد نسوا الرحمن عند الكره
والجيش في غفلته لا يدري
وظل ذاك الجيش في اضطراب
وكان سيفه بعزم مصلتا
من خلصت نفوسهم من الريا
مضحياً وسيفه بتأر
يصيح يا لله أين الناس ؟
فأنكم فوارس ابطال
وصرخة منه تطبق المدى
ثم ينادي أين أهل (الشجرة) ؟
وقد غدوا في ضرهم ابطالا



ولاح في الآفاق طيرُ النصرِ
ونزلت آياتُ ربِّ النورِ
ووزعت من بعدها الغنائمُ
فاعترض (الانصارُ) في القضيةِ
لكنما الرسولُ قد ارضاهمُ
وذاك نهمُ الخلقِ الكريمِ
ورجع الجيشُ الى (المدينه)
وانهزمت خوفاً جيوش الكفرِ
تعاتبُ الصحب على الغرورِ
أسرى وخيلٌ حرّة كرائمُ
رغم النفوس الحرّة الايّه
بخطبة عصماء قد ابكاهمُ
ولفتة من قائدٍ عظيمِ
ليحرسوا أسوارها الحصينه^(١)

(١) بعد ان منّ الله على المسلمين بفتح مكة ، تأهب اهل هوازن لقتال المسلمين بقيادة مالك بن عوف ، وقد انضم اليهم بعض الاعراب ، وقد تحصنوا في الجبال المطلّة على وادي حنين ، وعندما اقترب منهم المسلمون فاجأهم بالنبال ، فذعر المسلمون وتشتت صفوفهم ، ولم يبق مع الرسول ﷺ الا الامام علي ﷺ والعباس بن عبد المطلب وثلة قليلة من المسلمين فأمر الرسول ان ينادي العباس بالمسلمين ليعيدهم اليه ، فناداهم بصوته الجهوري ، فعاد المسلمون ، وتغير الموقف العسكري لصالح المسلمين. ومنّ الله عليهم بالنصر بعد ان اعجبهم كثرتهم كما عبر عنهم القرآن بقوله تعالى : (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُنُوزُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ...) التوبة / ٢٥. سيرة الرسول : للسيد محسن الامين / ١٣٢ .

وكان نداء العباس للمسلمين : « يا معشر المهاجرين والانصار ، يا اصحاب رسول الله ، يا اصحاب سورة البقرة ، يا اهل بيعة الشجرة ، الى اين تفرون ؟ هذا رسول الله » .

قال ابو سعيد الخدري : لما اعطى رسول الله ﷺ ما اعطى من تلك العطايا ، في قرش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الانصار منها شيء ، وجد هذا الحي من الانصار في انفسهم ، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم : لقي الله رسول الله ﷺ قومه فسي صاحبه ، فدخل عليه سعد ابن عبادة ، فقال : يا رسول الله ، ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في انفسهم ، لما صنعت في هذا الفيء الذي اصبت ، قسمت في قومك ، واعطيت

➡





عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحى من الانصار منها شيء. قال : فأين انت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ، ما انا الا من قومي. قال : فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة. قال : فخرج سعد ، فجمع الانصار في تلك الحظيرة. قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا وجاء آخرون فردّهم ، فلما اجتمعوا له اتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الانصار ، فاتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو اهل له ، ثم قال : يا معشر الانصار : ما قاله بلغتنى عنكم وجدتموها عليّ في انفسكم ؟ ألم اتكم ضلّالاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، واعداة فألف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، الله ورسوله أمّنْ وافضل ثم قال : ألا تحبونني يا معشر الانصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ولرسوله المُنْ والفضل قال : ﷺ أما والله لو شئتم لقلتم فلصدمتم ولصدقتم : أتيتنا مُكذّباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فأسّيناك اوجدتم يا معشر الانصار في انفسكم في لعاعة من الدنيا تألفتم بها قوماً ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم ألا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم ؟ والذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنث امرأ من الانصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلك الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار. اللهم ارحم الانصار ، وابناء الانصار ، وابناء ابناء الانصار.

قال : فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا. سيرة ابن هشام ٤ / ١٤١.

إن هذه الحادثة في أجواء معركة حنين تشير في نفوسنا الكثير من الدروس والعبر في مقدمتها شجاعة القائد وقدرته على إمتصاص الأزمات ، ومواجهة الأحداث والمشكلات بروح موضوعية وصراحة تامة مع أمته وجيشه ، فهذا هو الرسول يستمع من الناس بكل تواضع وأنفتاح وتقدير لمواقف الأنصار الإيجابية المشرقة في حركة الرسول والرسالة.



غزوة تبوك

ويسعدوا للقاء ثانيه
حيث تجمعت فلول جمه
من كل كافر ومن (نصراني)
فعاجل الرسول ذاك الجمعا
فأخبر الامه بالمسير
ان يتهيأوا الى (الاحلاف)
ففنصر الصحب بكل عزم
لكن بعض الضعفا تخلفوا
قالوا : بأن في البيوت (عوره)
معدون يصنعون الحججا
لم يسمع الجمع لهم كلاما
فسار جيش الحق لا يبالي
وخلّف النبي في المدينه
فقال : يا علي انت مني
وسمع الناس (حديث المنزله)
وانطلق الجيش برغم العسره
عند (تبوك) للحشود الجانيه
شيطاؤها ينفث فيها سمه
ومن منافق ومن شيطان
بخطه يريد منها الردعا
بقوله صريحه التعبير
فجيشهم ناف على الآلاف
وهمة صادقة وحزم
بحجج من بعدها تأسفوا
لذاك نحن لا نطيع النصره
اضحوا يعوقون من قد خرجا
ولم يعودوا بعدها كراما
بمن تخلفوا مع (العيال)
(حيدر) ونفسه حزينه
كمثل (هارون) تؤذي عني
وادركوا المعنى بغير مسأله
والكل منهم ما لديه (تمره)



يخترق الصحراء في عناءٍ	دون مؤونة ودون مـاءٍ
لكنهم قد واصلوا الطريقاً	متخـذين صـبرهم رفيقاً
حتى اذا ما وصلوا (تبوكاً)	والكلّ منهم قد غدا منهوكاً
ارتعب العدو حين شاهدا	جيشاً أتاه مؤمناً مسددا
فاستسلموا طوعاً وأدوا (الجزية)	وظل (يوحنا) يجرّ خزيه
وقفلوا عوداً الى ديارهم	يواصلون الليل في نهارهم
في رحل طويلة وشُقّة	بعيدة كثيرة المشقّة ^(١)



(١) تواردت الأنباء الى المدينة المنورة ، ان الروم يستعدون لغزو المسلمين وقد تحشدوا في تبوك فقرر الرسول ﷺ ان يتصدى لردّهم ، فأصدر اوامره بالتهيؤ لقتال الروم ، لكن المنافقين في المدينة نشطوا في التحرك المضاد ، فكانوا يقومون بتبسيط العزائم لصرف المسلمين عن الانضمام لجيش الرسول فتخلّف بعض المؤمنين الضعاف عن غزوة تبوك وقد ذكرتهم سورة براءة.

واجه الرسول ﷺ التحرك بقوة ، واعد جيشه للمسير ، وقد سمّي هذا الجيش بجيش العسرة لصعوبة تجهيزه لضخامته ولشدة الحرّ.

واستخلف الرسول ﷺ على المدينة الامام عليّ ؑ وكان الامام يريد الخروج مع الرسول ، فقال له الرسول قولته الشهيرة التي تتضمن الكثير من المضامين العقائدية والسياسية في حاضر الامة ومستقبلها : « أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، الا انه لا نبيّ بعدي » ويعرف هذا الحديث الصحيح في كتب السيرة والاحبار بحديث المنزلة الذي رواه

الفريقان في مدوناتهم. خصائص النسائي / ١٤ ، وطبقات ابن سعد ١٣ / ٤ .



مسجد ضرار

فوجدوا بين الطريق مشهدا	منافقين قد اقاموا مسجدا ^(١)
اساسه النفاق والمراء	والكذب والتزوير والرياء
فرفض الرسول ان يصليا	في بقعة تلوثت من الريا
فأمر الاصحاب ان يدمروا	(قاعدة) بناؤها مزور
فلتحرقوه (مسجد الضرار)	فقد بنته عصبة الاشرار



(١) اقام المنافقون مسجداً في اطراف المدينة سمي بمسجد ضرار ، عندما عاد الرسول ﷺ من المعركة ، ووجد المسجد ، امر باحراقه ، وتحويله الى محل للقمامة حتى لا يتحول الى قاعدة للنشاط التخريبي المضاد.

قال تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدَ أُسُسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (التوبة / ١٠٧ - ١٠٨)



الثلاثة الذين خلفوا

ودخلوا (المدينة المنورة)	ففاجأهم ثلاثة معتمره
منهم ثلاثة من الرجال	يكونون والاكف في الحبال
لكن عفا الله عن (الثلاثة)	بعد الدعا وبعد الاستغاثه
وانحالت الوفود للمبايعه	وكلها جاءت اليه طائعه
وأسلم الجميع في الحجاز	حيث (تبوك) آخر المغازي
واسلمت كل جزيرة العرب	لكنما رحيل (احمد) اقترب
خلال ذلك النبي عامدا	بعض الملا وكان ذاك سائدا (١)

(١) لقد تخلف عن رسول الله ﷺ قوم من المنافقين وقوم من المؤمنين مستبصرين لم يعثر عليهم في نفاق : منهم كعب بن مالك الشاعر ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن امية الرافعي ، فلما تاب الله عليهم قال كعب : ما كنت قط اقوى مني في ذلك الوقت الذي خرج رسول الله ﷺ الى تبوك ، وما اجتمعت لي راحلتان قط الا في ذلك اليوم ، وكنت اقول : اخرج غداً بعد غد فاني مقوى ، وتوانيت وثقلت بعد خروج النبي ﷺ اياماً ادخل السوق ولا اقضي حاجة فلقيت هلال بن امية ومرارة بن الربيع ، وقد كانا تخلفا ايضاً فتوافقنا ان نبكر الى السوق ؛ فلم نقض حاجة فما زلنا نقول : نخرج غداً وبعد غد حتى بلغنا اقبال رسول الله ﷺ فندمنا.

فلما وافى رسول الله ﷺ استقبلناه نهنئه السلامة فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام ، واعرض عنا ، وسلمنا على اخواننا فلم يردوا علينا السلام فبلغ ذلك اهلونا فقطعوا كلامنا ؛ وكنا نحضر المسجد فلا يسلم علينا احد ولا يكلمنا فجاءت نساؤنا الى رسول الله ﷺ فقلن : قد بلغنا على ازوجنا افنتزلهم ؟ فقال رسول ﷺ : لا تعتزلتهم ولكن لا يقربوكن.

➞





فلما رأى كعب بن مالك وصاحبه ما قد حل بهم قالوا : ما يقعدنا بالمدينة ولا يكلمنا رسول الله ﷺ ولا اخواننا ولا اهلونا ؟ فهلّموا نخرج الى هذا الجبل فلا نزال فيه حتى يتوب الله علينا او نموت. فخرجوا الى ذباب . جبل بالمدينة . فكانوا يصومون وكان اهلهم يأتونهم بالطعام فيضعونه ناحية ثم يولون عنهم ولا يكلمونهم.

فبقوا على هذا اياماً كثيرة يكون بالليل والنهار ويدعون الله ان يغفر لهم فلما طال عليهم الامر قال لهم كعب : يا قوم قد سخط الله علينا ورسوله ، وقد سخط علينا اهلونا ، واخواننا قد سخطوا علينا فلا يكلمنا احد ، فلم لا يسخط بعضنا على بعض ؟ فتفرقوا في الجبل وحلفوا ان لا يكلم احد منهم صاحبه حتى يموت او يتوب الله عليه فبقوا على ذلك ثلاثة ايام ، وكل واحد منهم في ناحية من الجبل لا يرى احد منهم صاحبه ولا يكلمه ، فلما كان في الليلة الثالثة ، ورسول الله ﷺ في بيت ام سلمة نزلت توبتهم على رسول الله ﷺ قوله تعالى : (**لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ** **الْعُسْرَةِ**)

قال الامام الصادق عليه السلام هكذا نزلت وهو ابو ذر وابو خيثمة وعمير بن وهب الذين تخلفوا ثم لحقوا برسول الله ﷺ.

ثم قال في هؤلاء الثلاثة : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » فقال العالم . يعني الامام موسى بن جعفر عليه السلام . انما انزل : على الثلاثة الذين خالفوا ولو خلفوا لم يكن عليهم عيب « حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت » حيث لا يكلمهم رسول الله ﷺ ولا اخوانهم ولا اهلهم فضاقت عليهم المدينة حتى خرجوا منها وضاقت عليهم انفسهم حيث حلفوا ، لا يكلم بعضهم بعضاً فتفرقوا وتاب الله عليهم لما عرف من صدق نياتهم.

الميزان في تفسير القرآن ٩ / ٣٠٢ . سيرة ابن هشام ٤ / ١٧٥ .



البراءة من المشركين

اذ نزلت (براءة) التوحيد	في الحج بعد تلکم العهد ^(١)
من كل مشرك وكل آثم	وكل عهد جائر وظالم
فحمل الآيات في ذاك (علي)	دون (ابي بكر) بنص من نزل
معناه لا يُبلغ الآيات	الاك او مثلك في الصفات
وامتثل الامر الرسول الواثق	وهو أمين في البلاغ صادق
وانطلق الامام حيث (الحرم)	يبلغ الامر وفيه يعلم
وقلبه الفتي كالحديد	لم يخش من لوم ومن وعيد
قد قرأ (التوبة) في وادي (منى)	مهدداً للمشركين مُعلنًا
ان لا يحجوا بعد هذا العام	لكعبة الايمان والاسلام
وفرخ الرسول بالذي جرى	وراح يمدح الوصي (حيدر)



(١) انتشر الاسلام في جزيرة العرب ، واخذت معاقل الكفر تنهوى الواحدة تلو الاخرى ،
فأنزل الله تعالى سورة البراءة في السنة التاسعة من الهجرة ، حيث وضعت حداً نهائياً
لممارسات المشركين في الكعبة.

امر الرسول ﷺ ابا بكر ان يذهب الى مكة لتبليغ سورة البراءة للمشركين الذين يتواجدون
في مكة ، وفي الطريق بعث الرسول ﷺ يأمر ابا بكر بالعودة واناطة المهمة بالامام علي ﷺ
بعد نزول الوحي عليه في ذلك. وعندما استفسر ابو بكر عن السبب في هذا القرار وهل
نزل فيه شيء اجابه الرسول : « لا ، الا اني امرت ان ابلغه انا او رجل من اهل بيتي ».

صحيح الترمذي ٢ / ١٨٣ ومسند احمد ٣ / ٢٨٣ ومستدرک الصحيحين ٣ / ٥١ . وغيرها من المصادر.



حجة الوداع وبيعة الغدير

وبعد عام حج للوداع	لكن احسن ان نعاها ناع
فوقفوا عند (غدير خم)	يستمعون للنبي الاممي ^(١)
اذ نزلت محممة القرآن	تأمر بالتبليغ والبيان
(يا أيها الرسول بلغ ما نزل	ولا تخف يعصمك الله الاجل)
فامثل النبي امر الباري	ثم دعا علي بالاكوار
حيث ارتقاها قائلًا : من اولى	مني بكم مقولةً وفعلًا
فضج كل الجمع : الله بنا	أولى وبعده الرسول عندنا
فقال : من كنت انا مولاه	فذا علي في الوري مولاه
سوف يعادي الله من عاداه	وينصر الله الذي والاه

(١) في السنة العاشرة من الهجرة ، حج النبي ﷺ الى مكة ، وهي حجة الاخيرة ، فسميت بحجة الوداع ، وحجة البلاغ ، وحجة التمام ، وعند منصرفهم من مكة ، نزلت على الرسول آية التبليغ وهي قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ...) المائدة / ٦٧ .

فجمع الرسول الناس عند الجحفة في مفترق الطرق للحجاز ، والشام ، واليمن ، في مكان يدعى غدير خم ، ووقف يخطب في الناس ، فأخذ بيد الامام علي عليه السلام ونادى قائلًا : « أيها الناس ان الله مولاي وانا مولى المؤمنين ، وانا اولى بهم من انفسهم ، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ... » وبعد ان اكمل خطبته اخذ البيعة للامام علي عليه السلام من المسلمين فبايعوه جميعاً .

ورد هذا الحديث في مصادر كثيرة متواترة أوردها العلامة الاميني في موسوعته الكبيرة « الغدير » .



اذ جمع الله به قرآنه
وتمت النعمة لي عليكم
إمامة تحرس فينا الدين
(أبا الحسين المرتضى عليا)
أمراً وفي بيعته ما وفي^(١)
وهي التي في الدين اسمى غايه
لثُحفظ الوحده والسياده
وعز ملة ونصرة وقوه
وابتعدت قوافل الركبان
بعد اداء تلكم المهمة
بحملة يقودها (أسامه)^(٢)
لكنه كان امراً أميناً
عنه ومن انكره او ارجفها
معتذراً مشككاً متهماً

فهو وصي يحفظ الامانه
اليوم اكملت لكم دينكم
فصاح كل الصحب قد رضينا
وبايعوا في (الجحفة) الوصياً
وبعضهم (بخ) ثم اخفى
ما عرفوا حقيقة الولاية
مبدؤها الطاعة للقياده
وهي امتداد الخطى النبوه
وافترق الحجيج للاوطان
ورجع الرسول يني الأممه
لكي يسير جيشه امامه
وهو فتى لم يبلغ العشرين
قد لعن الرسول من تخلفا
ورغم ذاك البعض ظل محمداً

(١) المشهور ان عمر بن الخطاب عندما بايع الامام علي ، قال له : « بخ لك يا ابن ابي طالب ، لقد اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة » لكن الزمن يدور واذا بعمر ينسى بيعته وقوله ، ويعمل على منع الامام علي من حقه في الخلافة.

(٢) عند وصول الرسول ﷺ الى المدينة بدأ يجهز حملة لغزو الروم ، فدعا الى تجهيز جيش بقيادة اسامة بن زيد ، وهو شاب لم يبلغ العشرين من عمره ، فأظهر بعض الصحابة اعتراضهم على تأمير زيد ، لكن الرسول خطب في المسجد مؤكداً لياقته لهذه المهمة. وكان اصرار النبي قوياً على سير هذا الجيش بأسرع وقت ، وكان يقول ﷺ لعن الله من تخلف عن جيش أسامة ومع ذلك كان بعض الصحابة يحاولون التخلف عن هذا الجيش بمختلف الاعذار.

مرضُ النبي ووفاته

لكن سيف عزمه ما كلاً	خالل ذلك النبي اعتلا
واصفراً لونُهُ اذئ وهماً	قد اثقلت عينيه منه (الحمى)
لكن بعض صحبه كان أنف ^(١)	فصار يدعو (بدواةٍ وكتف)
فحسبنا قرآننا والسور	وقال : إنما النبي يهجر
قد مزقت أمتنا الكبيره	ويا لها من قولة خطيره
عني فقد أبطل ما أروم	وبعدها قال النبي : قوموا
لما غدتوتم بعده أحزابا	والله لو اخذتم الكتابا
بل كنتم من خيرة الاصحاب ^(٢)	ولا انقلبتم على الاعقاب
ويرمق الناس بقلب حان	وظل في علته يُعاني

(١) عندما اشتد برسول الله ﷺ المرض ، وكان عنده جماعة من الصحابة ، دعا بكتف ودواة وقال لهم : « هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ». فقال عمر بن الخطاب : « ان النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب الله ، فحسبنا كتاب الله ». صحيح البخاري ، كتاب العلم : ١ / ٢٢ .

(٢) كان واضحاً بما لا يقبل الشك ان الرسول ﷺ اراد ان يكتب كتاباً يؤكد فيه تعيين الامام علي عليه السلام خليفة له من بعده ، وقد ادرك عمر هذا الامر فقال ما قال بحق الرسول ، ليمنع كتابته هذا العهد. ولم يعد بعد قول عمر ، من الممكن ان يكتب الرسول كتابه ، لان ذلك ستترب عليه آثار خطيرة تمس شخصية الرسول ﷺ وسنته وعصمته لان الله تعالى يقول : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) ويقول كذلك : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) وقال رسول الله ﷺ في حديث متواتر : « اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ، ما ان تمسكتما بهما لن تضلوا بعدي ابدا — وفي رواية زيد بن ارقم . ولقد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يرثي عليّ الحوض » وهو الحديث المتواتر المعروف بحديث الثقلين.



ورأسه في حجرِ صنوه (عليّ)
وعنده سبطاه والزهراءُ
وأمهات المؤمنين حولهُ
وخلف بابهِ تجمّع الملا
وصيخ فيهم قُبضَ الرسولُ
وارتجت الدنيا غداة ارتحلا
وقام في تجهيزه (الامام)
صلى عليه الله والملائكُ
ثمّ (عليّ) هو والعبّاسُ
ودُفن الرسولُ في حجرتهِ
وذاك في الثامن والعشرين
قد وقع القضاء فيه والقدر
وانقطع الوحي عن النزول
فالحزن في كل القلوب خيما
لكنّما الرسالة الغراءُ

تخطيطه ملائكُ الربّ العليّ
وعمه العباسُ والابناءُ
يكيّن منه مجده وفضله
واصبح الكلُّ هناك معولا
وأُكلت فاطمةُ البتولُ
(محمدٌ) لله جلّ وعلا
وأهل بيته له قيامٌ^(١)
فهو النبي الطاهر المباركُ
ثمّ توالى للصلاة الناسُ
ونزل (الامام) في حفرتهِ
في صفر المظفر الميمونِ
من هجرة النبي في احدى عشر
بعد غياب طلعة الرسول
والصيحة امتدّت لأعنان السما
باقية خالدة ... معطاء



(١) توفي الرسول ﷺ ورأسه في حجر عليّ عليه السلام وقام الامام وعمه العباس بتغسيله وتجهيزه ،
فيما كان القوم يتنازعون في « سقيفة بني ساعدة » حول امر الخلافة والسلطة.

ففي يوم وفاة الرسول ﷺ وهو الحدث الجلل في حياة الامة ، حيث انقطع الوحي من
السما ، دب الخلاف بين المسلمين ، وما زالت آثاره باقية الى اليوم في موضوع الامامة
والخلافة. فسلام عليك سيدي يا رسول الله يوم ولدت ويوم جاهدت في تبليغ رسالة
ربك ، وسلام عليك يوم رحلت إلا الملائكة الأعلى ، وسلامٌ عليك في الأولين والآخرين
ورحمة الله وبركاته.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الجزء الثاني

الامام أمير المؤمنين

علي ؑ





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الأهداء

الى يعسوب الدين

الى علي أمير المؤمنين.

اقدم هذا الجزء من (قوافل النور)

راجياً ان يكون علامة مضيئة في طريق الحب ، والولاء ، والوفاء

وقبساً هادياً ينير الدرب .. ويهزم الديجور.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

إضاءة

مثّلت حياة أهل البيت الأطهار عليهم السلام الخط اللاحب ، الذي سارت عليه أجيال الأمة في مراحلها التاريخية المتعاقبة. فالإمام علي عليه السلام الذي جسّد في حياته ومواقفه مبادئ الرسالة الخاتمة ، كان المثل الأعلى والنموذج الفذ في تحمل أعباء الرسالة السماوية الخالدة. وكانت الزهراء وبنوها عليهم السلام يمثلون العمق والإمتداد لذلك الخط الرباني المبارك ، بما جسّدوه في سيرتهم العطرة ومواقفهم الرسالية الخالدة.

وأجيالنا الاسلامية المؤمنة بالخط الإسلامي الأصيل ، وهي تواجه تحديات الحياة ، خصوصاً تلك التي مازالت تعيش تحديات الهجرة ، وصراع الهوية في الغرب البعيد عن القيم والتقاليد السماوية ، هي بأمن الحاجة إلى استحضار سيرة أهل البيت العطرة ، وأخذ الدروس والعبر من ذلك التأريخ المشرق ، لتزود منه العزم والإصرار على السير في ذات الخط اللاحب الموصول ، ومواجهة التحديات الصعبة التي تفرضها ظروف الهجرة وإفرازاتها ، كما انها بأمن الحاجة الى أن تتسلح من معطيات سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والحياة الثرة لأهل بيته عليهم السلام بما يمدّها بالزاد والقوة في معركتها الحضارية التي تخوضها في مختلف مواقع الصراع والمواجهة.

و « مؤسسة دار الاسلام » إذ تقدم هذا الجزء من الملحمة الادبية « قوافل النور » والمخصص لتأريخ وحركة الإمام علي عليه السلام.

انما تهدف الى ربط الجيل المسلم بعناصر الهوية والأصالة ، ممثلة بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وترجو أن تكون هذه الملحمة الشعرية ، بما تنطوي عليه من روح أدبية ، ووقائع تاريخية وأصالة فكرية ، ودروس تربوية ، زاداً ثقافياً ، ومعنوياً لهذه الأجيال التي تعقد عليها الآمال في معركة البناء والتغيير في الحاضر ، وآفاق الحضارة ، والتكامل الانساني في المستقبل.

والله من وراء القصد.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

أهل البيت ﷺ في القرآن والسنة

فضل لأهل البيت ليس يُنكر
فهم بنص « الذكر » طاهرون
مُبرّون من ذنوب البشر
قد ذكرتهم آية « المودة »
حبهم أفضل ما يُقرّب
الأوليا بآية « الولايه »
بهم تُشيد آية « الماهله »
وسورة « الدهر » لهم تُشير
وأطعموا الطعام دون مننه
بفضلهم غدا الكتاب يُتلى
الثقلان هم مع القرآن
وهم سفينة النجاة الراسيه
من كان فيها راكباً فقد نجا
عدّتهم قال النبي إنا عشر
الحق في مدارهم يَدور
أولهم علي « الوصي »

حدّث فيه المصطفى والسور
من كلّ رجس يُورث المجونا
مطهّر يولد عن مطهّر
فهم لدى الجزاء أوفى عده
وودّهم يطمع فيه المذنب
والأصفياء في منهج الهدايه
دون تعسف ولا مجادل
إذ أكرم اليتيم والأسير
لكنما حباً لله والجنه
إذ أصبحوا له بحق عدلا
ليس لهم من العباد ثان
رغم البلياء والرياح العاتيه
من بعد عسره ونال الفرجا
أئمة وقادة الى البشر
والعلم في صدورهم والنور
والآخر المغيب « المهدي »



إن علياً معدن البطولة في ساحة الوثبة والرجولة^(١)

(١) وردت العديد من الآيات الكريمة في فضل أهل البيت عليهم السلام كما وردت عن الرسول ﷺ الكثير من الأحاديث التي تؤكد رفيع منزلتهم وعظم شأنهم وعصمتهم من الذنوب. ومن الآيات الكريمة التي تبين عصمة أهل البيت عليهم السلام قوله تعالى : **(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)** الاحزاب / ٣٣.

روى الكثير من أهل التفسير والسير والحديث ، أن هذه الآية نزلت في الرسول ﷺ وعلي فاطمة والحسن والحسين ، فقد أدخلهم الرسول تحت كساء خيري وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. وقد كان الرسول ﷺ يوضح معنى هذه الآية للمسلمين ويقول : نزلت هذه الآية في خمسة ، فيّ ، وفي عليّ وفاطمة والحسن والحسين. صحيح مسلم : كتاب الفضائل ، ومستدرک الصحيحين ٢ / ١٥٠ ، وصحيح الترمذي ٥ / ٣١ وغيرها من المصادر.

وآية المودة هي قوله تعالى : **(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)** الشورى / ٢٣

وقد روي أنها لما نزلت قيل للرسول ﷺ من هم قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟.

قال : علي وفاطمة وأبناهما. محب الدين الطبري : ذخائر العقبى / ٢٥.

وذكر الفخر الرازي في تفسيره الكبير : قد ثبت أن علياً وفاطمة والحسن والحسين ، هم أقارب النبي ﷺ وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد من التعظيم.

ولا شك أن النبي ﷺ كان يحب فاطمة عليها السلام قال ﷺ : فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها.

كما ثبت بالنقل المتواتر عن النبي ﷺ أنه كان يحب علياً والحسن والحسين ، وإذا ثبت هذا وجب على كل الأمة مثله. حسين الشامي : تحذيب التفسير الكبير ، تفسير الآية ٢٣ من سورة الشورى.

وآية الولاية هي قوله تعالى : **(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)** المائدة / ٥٥.

وقد ذكر أهل التفسير والتأريخ أن هذه الآية نزلت في الإمام علي عليه السلام ، عندما تصدق بخاتمه لسائل ، وهو راعٍ في صلاته. أسباب النزول للواحدي ، سورة المائدة.

وآية المباهلة هي قوله تعالى : **(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)** آل عمران / ٦١.





وقعت قصة المباهلة كما رواها المفسرون والمؤرخون مع نصارى نجران ، حيث جاءوا الى النبي ﷺ ليحاوروه ويباهلوه ، فأمره الله تعالى أن يخرج بالإمام علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ ، الى الوادي ، وأن يباهل بهم أهل نجران ، فيدعو الله أن ينزل العذاب على الكاذبين ، وعندما رأى النصارى الرسول ﷺ وأهل بيته ، قال لهم أسقفهم : يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها ، فلا تباهلوا فتهلكوا ، ولا يبقى على وجه الأرض نصراي الى يوم القيامة. فتراجعوا عن المباهلة ، وقد قال الرسول ﷺ : والذي نفسي بيده ، أن الهلاك تدلّ على أهل نجران ، ولو لاعنوا لمسحوا قردة وخنازير ، ولاضطرم عليهم الوادي نارا.

وروى المفسرون والمؤرخون ، أن الحسن والحسين ﷺ مرضا ذات يوم ، فنذر الإمام علي وفاطمة ﷺ أن يصوما ثلاثة أيام إن شفىا من مرضهما ، فمن الله عليهما بالشفاء ، فاستقرض الإمام علي مالا ، ليكون لهم طعاماً في صيامهم.

في اليوم الأول جلسوا على مائدة الإفطار ، فإذا بمسكين يسألهم الطعام ، فأعطوه الطعام ، ولم يذوقوا إلا الماء ، وأصبحوا في اليوم التالي صياماً ، وعندما جلسوا للإفطار ، وقف على الباب يتيمٌ ، ففعلوا مثلما فعلوا في اليوم السابق.

وتكرر الأمر مرة ثالثة مع أسير ، ونتيجة هذا الموقف الرسالي الكبير ، وروح الايثار العالية ، أنزل الله تعالى فيهم سورة الدهر وفيها : (**وَيُطْعِمُونَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا**).

ورد عن الرسول ﷺ قوله : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً.

وقد ورد ذكر هذا بألفاظ مختلفة في نفس المضمون ، ومعنى الحديث أن أهل البيت ﷺ ، هم الأدلاء على القرآن والسنة ، وهم حفظة الاسلام ، وهم الذين يسلكون بالناس الى الطريق المستقيم. ومسنده أحمد ٦٤ / ٣٦٦ ، سنن البيهقي ٢ / ١٤٨ ، سنن الدارمي ٢ / ٤٣١ والكثير من المصادر الحديثية.

قال الرسول ﷺ : أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها زج في النار. وفي رواية أخرى : مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. المستدرك على الصحيحين ٢ / ٣٤٣ ، كنز العمال ٦ / ٢١٦ ، ذخائر العقبى / ٢٠ ، البغدادى في تأريخه ١٢ / ١٩ ويعرف هذا الحديث الشريف بحديث السفينة.





أَكَّدَ رسول الله ﷺ في أحاديثه على إمامة الإمام الأول علي بن أبي طالب ، كما أكد على المهدي الموعود وأنه من ولد علي وفاطمة ؑ ، وبذلك حُدِّدَ ﷺ من هم الأئمة بما لا يقبل الشك ، وقد وردت عنه أحاديث كثيرة في تعيين الأئمة ؑ وأن عددهم اثنا عشر إماماً أولهم الإمام علي وآخرهم المهدي المنتظر ، ومن هذه الأحاديث قوله ﷺ :

. لا يزال أمرُ الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً .

— لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش .

صحيح مسلم ، كتاب الامارة ، وصحيح البخاري ٤ / ١٦٥ ، وسنن أبي داود ٤ / ١٠٦ ، وروايات أخرى في هذا المضمون أوردها أهل الحديث في مدوناتهم .



المولد الشريف

ميلادة في الكعبة الشريفه
عن وجهه المنير بالآيات
تحمله « فاطمة بنت أسد »
فبوركت والدة تقيه
أكرمها النبي يوم دفنها
سمت وليدها العظيم « حيدر »
جاءت به كالقمر المنير
فابتسم النبي حين شاهدا
وراح يرعاه بكل حُب

إذ كشفت أساترها المنيفه
وأجل الصفات والسمات
ما ضمت الكعبة قبله ولد
طاهرة عفيفة نقيته^(١)
ألبسها قميصه لأمنها
تمنأ بالأكرمين البرره
« لشيبة الحمد وللبشير »^(٢)
في وجهه وصية المجاهدا
فيه يرى آماله عن قرب

(١) ولد الإمام علي عليه السلام ، في الثالث عشر من شهر رجب قبل البعثة باثني عشر سنة ، وقد ورد في كتب التاريخ ، أن ولادته كانت في جوف الكعبة ، حيث جاءت أمه فاطمة بنت أسد الى الكعبة فانشق جدارها ودخلت فولدته في تلك البقعة المشرفة ، وتلك منزلة لم ينلها سواه ، وكرامة لم يحرزها غيره. الفصول المهمة / ٢٠ ، مناقب علي بن أبي طالب / ٧ كشف الغمة / ١ / ٦٠

عندما توفيت فاطمة بنت أسد ، حزن عليها الرسول ﷺ حزناً شديداً ، ونزل في قبرها وألبسها قميصه. أماناً لها من ضغطة القبر.

(٢) شيبه الحمد لقب لعلم الرسول أبي طالب رضوان الله عليه ، وقد قدم أبو طالب للرسول والرسالة خدمات كبيرة ، حيث دفع كيد قريش عن النبي ، ووفر له الحماية الكافية ، كما مر بنا في القسم الأول من هذه الملحة.



ويفتح القلب له أمانا
يتبعه في الحل والترحال^(١)

يُمضِغُ الطعمَ والحنانَا
في حجره يَرفلُ بالكمال



(١) كان الرسول ﷺ يرعى الإمام علي رعاية خاصة ، فقد كان يعدده لمستقبل الرسالة من بعده ، بأمر من الله تعالى ، وقد وصف الإمام علي هذه الرعاية في خطبته القاصعة بقوله :
وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ ، بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعي في حجره وأنا ولد ، يضمني الى صدره ، ويكنفني في فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمني عرفه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمني به ، وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خطلة في فعل.



أول القوم إسلاماً

وحين جاء الوحي بالرساله
كان « علي » أول الرجال
ويوم أنذر الألى في « الدار »
وقال : صدقتك يا محمد
فقال : أنت يا علي عدي
فسخر القوم وقالوا في غضب
لكنما الفتى علي صمدا
وفي الخفاء كان من يدعّمه
يغديه بالأموال والبنينا
فانطلق الرسول بالأصحاب
حيث علي صنوه في السير
محتماً أذى قريش المرا
فالشعب شاهداً على الوفاء

والخير والإيمان والعداله
صدق بالدين ولم يُقال^(١)
قام علي مؤمناً بالباري
أنت النبي المصطفى المسدّد
خليفتي ووارثي في عهدي
تباً وكان القول من « أبي لهب »
بوجههم مؤزراً محمداً
ذاك « أبو طالب » وهو عمّه
حيث غدا ناصره الأمينا
يشقّ درباً خفّ بالصعاب
ومعه ينشُر كل خير
مدّرعاً إيمانه والصبرا
وحرقة الرمال والصحراء^(٢)

(١) كان أول من دخل في الإسلام من الرجال الإمام علي ؑ وقد قال الإمام في حديثه عن الرسول ﷺ في خطبته القاصعة ما يبين هذه الحقيقة : ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فاراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام ، غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثها ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة.

(٢) عيّن النبي ﷺ خليفته ووصيه من بعده ، يوم الدار في مكة ، حين دعا عشيرته الى الإسلام ، ولم يبادر في مؤازرة الرسول إلا الإمام علي ؑ فقال ﷺ : ان هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا. راجع القسم الاول من هذه الملحمة.



مبيته في فراش النبي

ويوم هاجر النبيُّ ناماً
مضحياً بالروح دون أحمدا
حيث تحدّى صولة الطغيانِ
ليثربٍ حيثُ غدا فتاهها
في بيتهِ يحتضنُ الحُساما
في موقف تحالفت فيه العدى^(١)
مهاجراً رغم «أبي سفيان»
وقطبها دارت به زحاهها



(١) مبيت الإمام علي في فراش الرسول ﷺ يعدّ موقفاً رسالياً خالداً في تأريخ الإسلام ، ولعظمة هذا الموقف ، فقد أنزل الله تعالى فيه قرآناً ، وهو قوله تعالى : (**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**) البقرة / ٢٠٧ .

وكان موقفه في غايمة الإيثار والبطولة. فعندما اكتشف رجال قريش ، ان خطبتهم بقاء بالفشل ، وقف أمامهم بصلاية وقوة ، وواجههم بكل شجاعة عندما سأله عن الرسول ، حيث قال لهم : « أجعلتموني عليه رقبيا ؟ ».



فضائله ومواقفه

وحينَ أخى بينهُ « المختارُ »
مدّخراً صمصامه للوثبهِ
في يوم « بدرٍ » يحملُ اللواء
ويوم « أحدٍ » يدفعُ الجموعا
فأحمدُ يدعو له بالنصرِ
في غزوة « الأحزابِ » حيثُ جدّلا
أودى « بذي الفقار » فيها « مرجبا »
ويوم « فتح مكة » قد عُرفا
وفي « حُنين » موقفٌ كبيرُ
سوى عليٍّ ورجالٍ برّره
وفي « تبوكٍ » لم يكن قد حضرا
وبعدها مبلّغا « برّاءه »
وبينهُ توجّهُ الفخّارُ
وواهباً للمسلمين قلبه
والنصرُ في عيونهِ تراء (١)
بسيّفه ويهتِكُ الدروعا
بكلّ موطنٍ بوجهِ الكفرِ
بسيّفه « عمرو بن ودّ » البطلا
في « خيبر » اليهود لما غضبا
محطّماً أصنامها والخزفا
إذ هُزم الأصحابُ والعشيرُ
قد بايعت من قبلُ تحت الشجره
اذ أنه في يثرب قد أمّرا
وراغماً في ذلكم أعداءه (٢)



(١) في معركة بدر تلك الوقعة الحاسمة ، كان الإمام علي عليه السلام الأوحَد ، فقد كان لبطلته الدور الكبير في نصر المسلمين ، وقد أشرنا الى ذلك في الجزء الأول من هذه الملحمة كما أشرنا الى دوره في بقية المعارك التي خاضها المسلمون ضد المشركين واليهود.

(٢) ذكرنا في الجزء الأول من هذه الملحمة ، كيف أن الرسول صلى الله عليه وآله بعث أبابكر ليبلغ سورة براءة للمشركين ، ثم أبدله بالإمام علي.

لقد فعل الرسول ذلك بناءً على أمر من الله تعالى ، لرسوله حيث أمره إما أن يبلغ هو أو رجل من أهل بيته.



إمامته ﷺ

ويوم « خُم » أُعطيَ الوساما
لكنهم عند وفاة « المصطفى »
وهو الذي قام به الإسلام
يا أمةً قد ضيّعت رائدها
ولم تكن بذلك بالوفيه
الصبرُ كان مسلك الوصي
فسالم القوم لحفظ الأمة
حتى مضى « الأول » ثم « الثاني »
فيالها من محنة عصيه
حتى مضى « ثالثهم » مقتولا
وعمّت الفتنة كل الناس
حين رأت خلافة الإسلام
حين غدا خليفة إماما
قد أغفلوا بيعته دون وفا
مشمراً وغيرُهُ نياماً
واتخذت مقودها قائدها
إذ تركت أنوارها القدسيه
بعد ضياع حقّه الجلي
ممتحناً حتى انكشف الغمه
وجاءت « الشورى » بما يُعاني
وقصّة غريبة عجيبة
مخلفاً عبئاً غدا ثقيلاً
وأستسلمت آمالها للياس
خاويةً بغير ما إمام^(١)

(١) في حجة الوداع أخذ الرسول ﷺ من المسلمين البيعة للإمام علي في مكان يسمى بغدير خم ، وقد سميت هذه البيعة بيعة الغدير ، كما مرّ بنا في الجزء الأول ، لكن الذي حدث يوم وفاة الرسول ﷺ أن ترك المسلمون جثمان رسول الله ﷺ مسجى ، وراحوا يتنافسون على الامارة ، والإمام علي ﷺ مشغول بتحضير رسول الله ﷺ وقد تمت البيعة لأبي بكر بسرعة وفي ظروف قلقة ، حتى وصفها عمر بن الخطاب بأنها كانت فلتة ، وعارض جماعة من كبار الصحابة هذه البيعة ، لكن جماعة الخلافة فرضوا عليهم البيعة.





بقي الإمام علي عليه السلام ما يقرب من ستة أشهر لا يبائع ، ثم وجد أن الظروف الإسلامية تستدعي منه أن يبائع أبا بكر حفظاً لوحدة الصف الإسلامي فباع على مضض.

بعد وفاة أبي بكر عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب ، فصار خليفة بموجب عهد أبي بكر ، وهو الذي عارض بشدة أن يكتب رسول الله صلى الله عليه وآله كتاباً يؤكد فيه خلافة الإمام علي عليه السلام ومنع الرسول من هذه الخطوة بعد اتهامه بأنه يهجر ، في حين أن الرسول لا ينطق عن الهوى بنص القرآن الكريم.

وعندما حضرت عمر الوفاة عهد بالخلافة إلى ستة أشخاص ليختاروا من بينهم الخليفة ، وقد كان الاختيار يشير منذ البداية إلى أن الأمر قد زوي عن الإمام علي ، كما صرح بذلك لعمه العباس ، لقد تحدث الإمام علي عن تلك التجربة في خطبته الرائعة الشقشقية حيث قال صلى الله عليه وآله : أما والله لقد تَمَصَّصها فلان وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحا. ينحدر عني السيل ، ولا يرقى إلى الطير ، فسدت دونهما ثوبا ، وطويت عنها كشحا ..

فباعبجاً ! بينا هو يستقلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشد ما تشظرا ضرعيها ، فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها ، والإعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ، إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم ، فمني الناس لعمرك الله بخطط وشماس ، وتلون واعتراض ، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة ، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أي أحدهم في الله وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر نصح البلاغة / ٤٩ .



خلافته ﷺ

الى عليٍّ مالت الحشودُ
حتى غدت مثل « ربيعة الغنم »
فمَدَّ كفه لكي تُبايعا
بائعٌ من بايع إلا عُده
منهم اسامة بن زيدٍ وسعد
وفارسُ الحلبه في الاشعارِ
لكنمّا أولئك الفتيانُ
فقام بالامر بكلّ عزم
ووجهه القضاة للأمصّارِ
ودكّرَ الناسَ بسيرة النبيِّ
وأقبلت للبيعة الوفودُ
وهو يقول : لا ، وقد قالت : نعم
وكان قلبه العظيمُ خاشعاً
قد رفضوا بيعته بشده
وكعبٌ بن مالك ومن قعد
حسان بن ثابت الانصاري
وآ أسفي ماتوا وهم عميانُ
وأعلن العدل بكلّ حزم
وأرسل الولاة للأقطارِ
وعدله وعطفه المحبِّبِ^(١)



(١) كانتبيعة الإمام عليّ ﷺ ، هي البيعة الوحيدة في تاريخ الإسلام التي تميزت بالجاهلية والإقبال المَلَّح ، فلقد انحال عليه الناس يريدون بيعته وهو يقول لهم : دعوني والتمسوا غيري.

وهم يزدادون عليه إقبالا ، فلقد اثبتت لهم تجارب الايام أنه الشخص الذي يستطيع أن يسير بهم على خطا رسول الله ﷺ بكل دقة وحزم.

معركة الجمل

فخرج البغاة نحو « البصرة »	وهرعت « عائشة » للنصرة ^(١)
واجتمعوا لأمرهم في الحرم	وسعيهم كان إراقة الدم
وقد أجابهم جفأة العرب	من جحدوا « خماً » وخالفوا النبي
شعارهم كان لأخذ الثار	بقتل عثمان بيوم « الدار »
وهو شعار كاذب خداع	وخلفه يحتدم الصراع
« فطلحة » يطمع بالإماره	وهو يخبي في الحنايا ناره

(١) كانت أم المؤمنين عائشة من خصوم عثمان ، وكانت تعلن عن معارضتها علناً ، وأنه خالف القرآن والسنة ، وقد اطلقت عليه قولها المشهور : « اقتلوا نعثلاً فقد كفر » تقصد بذلك عثمان ، لكنها عندما سمعت بأن الإمام علي صار هو الخليفة ، غيّرت موقفها تماماً ، فإذا بما تعلن ظلامة عثمان ، وتقف موقف المعارض من الإمام علي .

وجدت عائشة في طلحة والزبير ما يحقق أهدافها ، فقد حرّمها الإمام علي من الامتيازات الخاصة التي كانا يتمتعان بها على عهد عثمان ، إذ كانت سياسة الإمام المالية تقوم على أساس الموازين الشرعية بعيداً عن المحاباة والعصبيات ، وهذا ما جعل طبقة المنتفعين على عهد عثمان ، تعارض حكم الإمام علي ، وإلى جانب ذلك كان في الشام معاوية بن أبي سفيان ، الذي كان يمتلك طموحات عريضة ويخطط لجعل الخلافة ملكاً أمويّاً خاصاً ، فقد أخذ معاوية يغذي هذا الاتجاه المعارض ويتأهب لكسب الجولة .

نشط معارضو الإمام علي بشكل مكثف ، وتحركوا باتجاه البصرة ، وكانت عائشة على ظهر جمل يدعى « عسكر » وكان شعارهم الأخذ بدم عثمان ، والغريب أن الذين رفعوا هذا الشعار ضد الخليفة المقتول هم الذين اشتركوا في قتله ، في حين كان الإمام علي يحاول منعهم من قتل الخليفة .



وخلفه «الزبير» يتبع ابنه
فرقت الأمة بعد جمع
تقودهم «عائشة» على الجمل
فيها «لعسكر» ويا ليومه
سار بها مزجراً في غضب
فنبحتها عنده الكلاب
تذكرت قول «النبي» فيها
فصرخت ردوا الرحال إني
لكنهم قد أحضروا الشهود
فواصلوا المسير حتى «البصرة»
وقتلوا حراس بيت المال
واشتبك البغاة «بابن جبله»
فنهبوا الديار والأموال
وذاك يوم «الجمل الصغير»
واقبل الإمام بالحشود
خاطبهم وأكثر الخطابا
وعاتب الزبير ثم ذكّره
فغادر الزبير منه حجلاً
وقامت الحرب على أشدها
فطاحت الأكف والأعناق

ويا لها من فتنة ومحنة^(١)
وصمت الأذان بعد سمع
تاركه بذاك أفضل العمل
تمزقت أمتنا من شؤمه^(٢)
حتى أتى بهالماء «الحواب»
وناح خلف رحلها الغراب
إياك «يا حمراء» أن تأتيها
نادمة فالشرُّ جاء مَيَّ
واقسموا زوراً لكي تعودا
مختلفين عندها في الإمرة
فذبخوا صبراً بلا قتال
وصارت البصرة فيء القتل
وأرعبوا النساء والأطفالا
اذ بقي الحق بلا نصير
خيّل وآلاف من الجنود
وعجزوا أن يُفصّحوا الجوابا
بموقف خوّفه وأنذره
مستبعداً عن حربه معتزلاً
يطحن فيها هزلها بجدها
وبتر العضد بها والساق

(١) طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام.

(٢) عسكر : اسم الجمل الذي كانت أم المؤمنين عائشة تركبه أثناء القتال في البصرة.

والجمل المشؤوم ظل واقفا
وصاح حيدر : ألا اعقروه
فانهزم الجيش وطاح « الجمل »
وأنزلوا « الهودج » باحترام
فأرجعت لبيتها مكرمه
وأنجحه « الأمام » نحو القتلى
بالله هل وجدتم ما وعدا
ودفن القتلى وعاد صابرا

وجيشه المهزوم بات خائفا
وحطموا الشيطان وانحروه
وحوله جمع كثير قتلوا
واستسلمت « عائش » للإمام
نادمة على انتهك الحرمه
مخاطباً يلقي عليهم سؤلا
حقاً فأنى قد وجدت الرشدا ؟
في مسجد البصرة صلى حاسرا^(١)

(١) ورد ذكر كلاب الحوآب في عدة أحاديث لرسول الله ﷺ منها ما رواه ابن عباس حيث قال : قال رسول الله : ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب ، تسير تنبجها كلاب الحوآب ، يقتل عن يسارها وعن يمينها خلق كثير . تأريخ ابن كثير ٦ / ٢١٢ .

وعندما سارت عائشة لقتال الإمام مرت بماء الحوآب ، فنبحتها الكلاب فقالت : « ردوني ردوني هذا الماء الذي قال لي رسول الله : لا تكوني التي تنبحك كلاب الحوآب ، فأتاها القوم بأربعين رجلاً فأقسموا بالله أنه ليس بماء الحوآب » فافتتعت عائشة وسارت معهم .

تأريخ يعقوبي ٢ / ١٥٧ .

قام ناكثو البيعة والخارجون على الإمام علي ، بأعمال النهب والإعتداء في البصرة ، وارتكبوا جرائم قتل بحق أهلها ، ومنهم والي الإمام علي في البصرة ، وقد سميت تلك الحوادث بالجمل الصغير .

وبذل الإمام علي ﷺ كل محاولاته من أجل منع وقوع المعركة ، وأراد أن يعيد الخارجين الى جادة الصواب ، لكنهم كانوا مصرين على العناد . وكان مما قام به أن طلب التحاور مع الزبير بن العوام ، فالتقى به وسط الجيشين ، وذكره بحديث رسول الله ﷺ حيث أخبر النبي ﷺ الزبير بأنه سيخرج على الإمام علي ذات يوم وهو ظالم له .

تذكر الزبير تلك الحادثة وندم على موقفه ، فاعتذر من الامام علي ﷺ ، فانسحب من المعركة ، وقبل انسحابه أراد ابنه عبد الله أن يثنيه عن موقفه ، ويزج به في المعركة ، لكنه قرر الانسحاب ، وليته فعل ذلك قبل حشد الحشود وجمع الجيوش لقتال علي ﷺ .

➡



وأمر ابن عمه العباس حتى يصلي بعده بالناس^(١)



دارت المعركة ضارية شرسة بين المعسكرين ، وقد تفانى أصحاب الجمل في الدفاع عن جملهم ، حتى قتل عدد كبير منهم ، فصاح الإمام علي عليه السلام يأمر أصحابه بقتل الجمل ، لانتهاء المزيد من الدماء ، وعندما قتل الجمل انتهت المعركة بانتصار جيش الإمام ، وقد أمر عليه السلام بمعاملة عائشة باحترام رغم كل ما بدر منها في هذه الفتنة المدمرة.

حدد الإمام علي عليه السلام الموقف الشرعي في التعامل مع قتال المسلمين « البغاة » حيث أعلن العفو العام بقوله : ألا لا يجهز على جريح ، ولا يتبع مولياً ، ولا يطعن في وجه مدبر ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ولا يستحلن فرج ولا مال ، وانظروا ما حضر به الحرب من آنية فاقبضوه ، وما كان سوى ذلك فهو لورثته ، ولا يطلبن عبد خارج من المعسكر ، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم ، وليس لكم أم ولد ، والمواريث على فريضة الله ، وأي امرأة قتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشراً.

فقال بعض أصحابه : يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا نُحلّ لنا نساؤهم ؟. فقال عليه السلام : كذلك السيرة في أهل القبلة. تأريخ اليعقوبي : حرب البصرة.

(١) عين الإمام علي عليه السلام عبد الله بن عباس والياً على البصرة بعد انتهاء حرب الجمل.



الكوفة العاصمة الجديدة

وودّع البصرة نَحْو « الكوفة »
فأصبحت عاصمة الاسلام
العدل في أجواءها يعرف
إمامها شعاره التواضع
يجول في أسواقها مذكراً
يشهد محراباً لله ومنبراً
أمامه الغني والفقير
يقضي بما جاء به القرآن
يعطف بالحب على اليتامى
وكم عزيز ذل للعدالة
أتباعه المستضعفون طرّاً
ومعه المهاجرون الأول
فهو لهم كهفاً غداً وقده
والشام في اللعنة أضحت ثاويه
يُكذّب القرآن والسماء

بخطبةٍ بليغةٍ معروفة
مزهرةً بطلعة الإمام^(١)
والخير في أعطافها يحف
قد شرفت من خطوه الشوارع
يأمر بالحق ويُردى المنكر
بأنه هو الإمام الأكبر
تساويا والعدل والأمر
وعدله في حكمه ميزان
فكم وضع عنده تسامى
من بعد أن حكم « الإمام » طاله
عبدُهم ساوى لديه الخُرا
لم ينقضوا بيعته أو يعدلوا
ومثلاً بعد الرسول أسوه
يحكم فيها بطلاً « معاويه »
يبحث بالأمة كيف شاء

(١) الإمام علي عليه السلام : هو أول من نقل عاصمة الدولة الإسلامية في تاريخ الإسلام ، وهي خطوة على قدر كبير من الأهمية في مقياس التخطيط الحضاري ، فقد كانت الدولة في توسع وتطور ، وهذا ما كان يستدعي نقل العاصمة الى موقع يمكنها من مواكبة هذا التوسع الثقافي والسياسي والاداري الهائل .



مَحْرَفًا فِي سُـنَنِ النَّبِيِّ
ورافعاً « قميصَ عثمان » رحي
وحولـه جموعـه المغفلـه
يُعينـه « مروانُ » « وابن العاصِ »
ما دخل الإسلامُ في قلوبهم
وخارجاً عن طاعةِ « الوصيِّ »^(١)
تطحنُ بالفتنةِ ما قد وضحا
تلك التي مَوَّه عنها حيله
وزمرةٌ باعت له النواصي
ولا يزالُ الكفرُ من عيوبهم^(٢)



(١) كانت سياسة معاوية تقوم على أساس المكر والخداع والتحريف ، وقد مارس أخطر عملية في تأريخ الاسلام ، وهي تحريف حديث الرسول ﷺ وحقائق التأريخ ، فقد اشترى جماعة من طلاب الدنيا وأغدق لهم العطاء ، فسارعوا إلى رواية الحديث عن رسول الله ، بما يناسب سياسة معاوية . واتسعت هذه العملية حتى اختلط الحديث الصحيح بالموضوع ، مما دفع العلماء الى وضع مقاييس دقيقة لمعرفة الحديث الصحيح من الموضوع .

على أن هناك الكثير من الأحاديث والوقائع التاريخية لا تزال في قسم من كتب السيرة والتأريخ ، تعتمد الروايات المكذوبة ، تحت تأثير سياسة الأمويين في التحريف والتزوير .

(٢) مروان بن الحكم ، وعمرو بن العاص ، كانا ضمن الزمرة التي أحاطت بمعاوية ، وقد كانت هذه الزمرة ، من أكبر ما أبتلي بها الإسلام والمسلمون ، حيث كادت لأهل الحق ، ومزقت الأمة ، وظهرت آثارها التخريبية فيما بعد على واقع الحياة الاسلامية .



معركة صفين

فقد تجمعوا لحرب الدين
يَـوون قتل معدن الإمامه
وكانتوا الإمام بالتحدي
فجمع الإمام مَنْ كان معه
أولئك الأعلام في المسار
توثبوا لوقعة رهيبة
حتى اذا ما وصلوا « صفينا »
ففوجئوا بشاطئ الفرات
ومنعواهم يومذاك الماء
فكرّ جيشُ الله لا يُيالي

وأزمعوا السير الى « صفين »
والطهر والنقاء والكرامه
وابتدأوا بالغى والتعدي
وهُم لعمري أمةٌ مجتمعه
من « أشتَر » الحرب ومن « عَمَّار »^(١)
كتيبةٌ تحادو بها كتيبه
وعسكروا هناك غاضبين
اضحى لدى الطغمة والعقاة^(٢)
كيما يموتوا عنده ظمأ
بكثرة السيوف والابطال

(١) اشتَر : مالك بن الحارث الاشتر النخعي ، وكان قائد جيش الإمام علي في صفين.

عمار : عمار بن ياسر الصحابي الجليل ، وأمه سمية أول شهيدة في الإسلام.

(٢) عند نهر الفرات التقى الجيشان ، وقد سيطر جيش القاسطين بأمر معاوية على ضفة النهر لمنع جيش الإمام علي من التزود بالماء. حاول الإمام أن يصل الى الماء بالطرق السلمية ، لكن معاوية أصرّ على منعهم من الماء بهدف إنحاشهم عطشاً ، مما اضطر جيش الإمام الى استعمال القوة ، فانهزم جيش معاوية ، وسيطرت قوات المسلمين على ضفة النهر. وهناك للامام ﷺ موقفه العظيم الذي يجسد حلم الإسلام ورفعته اخلاقه ، إذ فسح المجال لجيش معاوية بالتزود بالماء بكل حرية. ابن أبي الحديد : شرح النهج : ١ / ٢٣.



يقدمهم « أشعثها » والأشتر
فانكشفت زمره أهل الشام
واحتدمت معركة طويلة
وكترت بنارها الضحايا
وحيدر يقودها غضبانا
وحوله من هاشم رجال
« الحسنان » الطهر « وابن جعفر »
قد أوقدوا الحرب بوقفة الفدا
معركة طالبت شهوراً عده

« وسعد بن قيس » ذاك القسور^(١)
وابتسم « الفرات » للإمام
صدت بها القبيلة القبيلة
وتعبت في قبضها المنايا
يجالذ الأبطال والفرسانا
أعززة وقادة أبطال
وبعدهم « محمد بن حيدر »^(٢)
وقد تحدوا ما يخفى الردى
وكل يوم تستزيد شدة^(٣)



(١) الأشعث بن قيس الكندي رئيس قبيلة كنده ، وسعد بن قيس بن عبادة الانصاري.

(٢) المقصود به محمد بن الحنفية ، ابن الامام علي وأحد أبطال الإسلام ، كان معروفاً بفروسيته ، وقوته البدنية ، لكن المرض أقعده في فترة ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، فلم يتمكن لشدة مرضه من المشاركة فيها.

(٣) كانت المعركة طويلة متواصلة بلا هوادة ، لكن مقدماتها وتحركاتها دامت عدة أشهر.

مصرع عمار بن ياسر

« عَمَّارٌ » فيها صارخٌ يُنادي	أين أهيلُ يعبةِ الرشادِ
« اليوم نضربهم على تأويله »	كما ضربناهم على تنزيله »
« اليوم ألقى الصحب والاحببه »	المصطفى محمداً وحزبه »
ثم هوى وصدق الرسولوا	بقولته لا تقبلُ التأويلا
تقتله بعضُ الفئاتِ الباغية	فانشطرَ الجيشُ على « معاويه » ^(١)
لكنه احتال لهم بقوله	قاتله مخرجُهُ من أهله
والحرب ما زالت تشبُّ نازها	من بعدما غادرها « عمَّارها »
« فمالكُ » يخرقُ الصفوفا	وسيفه يملؤها حتوفا
وليلة « الهريز » ليس تُنسى	يقاتلُ الرجالُ فيها همسا

(١) كان رسول الله ﷺ قد أخبر بأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية ، في حديث معروف ورد عنه : يا عمار تقتلك الفئة الباغية وسيكون آخر شراكب ضياعاً من لبن.

وعندما سقط عمار شهيداً في أرض المعركة ، وشاع خبر قتله ، حدث اضطراب في جيش معاوية ، لأنهم وجدوا مصداق حديث الرسول قد تحقق ، لكن عمرو بن العاص خدعهم بقوله بأن الفئة الباغية التي قتله هي التي خرج معها ، واستطاع بذلك أن يخدع أهل الشام ويعيد التماسك الى صفوفهم فلطالما خدع معاوية وابن العاص أهل الشام ، حتى أنهم لم يكونوا يعرفون أن للرسول ﷺ قرابة. فلقد مارس معاوية سياسة التجهيل بكل الوسائل والسبل.

تلفعت بالخوف والدماء
وقاربت ضرته « معاويه »
وان يظل سبباً للعار^(١)

ويالها من ليلة حمراء
حتى إذا « الاشتت » عاد ثانيه
أراد أن يلوذ بالفرار



(١) ليلة الهريز ، إحدى وقعات المعركة كانت حامية شديدة البأس وللوقوف على تفصيلات معركة صفين ، راجع (وقعة صفين) لنصر بن مزاحم وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

خدعة رفع المصاحف

تداركوا الأمر برفع المصحف
وقيل : هذا حكم ما بيننا
فانخدع الضعاف من جيش « علي »
وهو ينادي : حيلةٌ معروفة
اني انما المصحف والتأويل
فشهرت بوجهه السيوف
وقيل : لا حكم لغير الله
فأرسل الإمام خلف « مالك »
وأضمرُوا أمراً مبيتاً خفي^(١)
نرضى بما يُرضي الأله ربنا
غير قليل ثبتوا مع « الولي »
قد انطلت على رجال الكوفه
والعهد والكتاب والتنزيل
عشرة آلاف بها الحثوف
وتلك من عظام الدواهي
أن عد فقد أخطت بالمهالك

(١) لاحت بوادى النصر لجيش الإمام علي ، وشارف مالك الأشتر على إنهاء جيش الخارجين على حكم الإمام ، وإذا بمعاوية وابن العاص يلجأون إلى خدعة رفع المصاحف على الرماح والسيوف. وقد أحدث ذلك لغطاً في جيش الامام ، فحاول الامام ايضاح المسألة وأنها خدعة من خدع معاوية ، لكن ضعاف النفوس لم يفهموا حقيقة الأمر ، ومارسوا ضغطهم على الإمام لإيقاف الحرب ، بل أنهم هددوا الإمام بالقتل إن لم يصدر أوامر لمالك الأشتر بالتوقف عن الزحف .. وهكذا أضاع هؤلاء على أنفسهم وأجيالهم النصر المؤزر وجنوا فيما بعد نتائج تصرفهم الخاطيء هذا.

فقال : أمهلني فواق ناقةه
لكنه عاد مطيعاً غاضباً
يصيحُ قد خُدتُم بالحيلة
فالنصرُ في رايتنا الخفاقه^(١)
منكسراً وكان فيها الغالب
فلم يجد في جمعهم مثيله



(١) عندما بلغ الخبر مالك الاشتر بالتوقف عن الزحف ، طلب مالك مهلة وجيزة جداً ، بقدر « فواق ناقة » أي وقت حلبها وهو تعبير عن قصر الفترة الزمنية التي يحتاجها لتحقيق النصر ، لكنه بعد أن علم أن حياة الإمام علي عليه السلام في خطر توقف عن الزحف وعاد يحتزن في قلبه حزناً كبيراً وحسرة أكبر وجرحاً لا يندمل ، لأنه الرسالي الذي يعرف حقيقة الأمور كما تعلمها في مدرسة الإمام علي عليه السلام.

فتنة التحكيم

لكنمنا « الخوارج » الجهّال	تمردوا ونهّجهم ضلالاً ^(١)
وصرخوا نحن نريد الحكماء	من العراق حيث تحقنّ الدماء
« الأشعريّ » شيخنا الكبيراً	والقاضي المجرب الأميراً
فرفض الإمام رأي الناس	ورشح ابن عمه العباس
لكن أبي الخوارج العتاة	وارتفعت بالهرج الأصوات
وسلّت السيوف قائليننا :	لابد ان ترضى بما رضينا
فسكت الإمام خوفاً الفتنه	ولم يجب رغم عظيم الخننه
وجاء أهل الشام بابن العاص	يرون فيه منفذ الخلاص

(١) كانت حلقات المأساة تتلاحق واحدة تلو أخرى ، فبعد خدعة رفع المصاحف ، تمّ الإتفاق على التحكيم ، بأن يرشح كل جيش مندوباً عنه للتفاوض ، فرشح معاوية رجله وعقله المراوغ عمرو بن العاص ، ورشح الامام علي رضي الله عنه ابن عباس ، لكن جيشه رفض هذا الترشيح وأصر على ترشيح أبي موسى الأشعري ، وهو رجل ضعيف الرأي ، وقد هددوا الإمام بالقتل إن لم يستجب لرأيهم فاضطر الى القبول على مضض ، وهو يعلم تمام العلم خطأ هذه الخطوة وخطورتها ، لكنه كان يريد حفظ الصف ما استطاع الى ذلك سبيلاً.

ووقف الحكمان أمام الناس لإعلان ما اتفقا عليه في منطقة تسمى « وادي الجندل » فإذا هي خدعة ثانية ، فقد خدع ابن العاص ، الأشعري وجعله يعلن خلع الإمام علي ، بينما أثبت هو معاوية ، فنزل الأشعري نادماً ، لكنه ندم لا يصح خطأ ولا يجدي نفعاً ، فلقد وقع المحذور وازدادت الفتنة تأججاً.



فاجتمع الأثنان حيث الاجل
وخدع « ابنُ العاص » أشعريها
فخلع الامام فوق المنبر
وأثبت ابنُ العاص ما أراد
حكم أمية وقتل الدين
فرجع الجيشان : هذا مختلف
أما عليّ ففؤاد دام
عاد الى « الكوفة » كي يراها

يضمهم وادٍ يُسمى « الجندل »
ينفت فيه سمها وعيها
وسط وجوم الأمة المعبر
وشاد في خدعتة ما شادا
بسيف جاهلية ملعون
وذاك عاد لابن هند مؤلف^(١)
لضيعة الأمة والاسلام
بائسة تغرق في أساها



(١) بعد إنتهاء مهزلة التحكيم ، ترك الجيشان أرض المعركة الحزينة ، فلقد حقق معاوية ما أراد ، وتخلص من أكبر كابوس في حياته ، إذ استطاع أن يدفع عن نفسه الهزيمة المحققة ، وفي الوقت نفسه يحدث الإضطراب في جيش الإمام علي .

انشق عن جيش الإمام قسم كبير من الناس ، رفعوا شعار « لا حكم إلا لله » وقد عُرف هؤلاء بالخوارج لخروجهم على حكم الامام ، وكانت لهم فتنهم وأفعالهم المخالفة للإسلام .

معركة النهروان

لكنّ بعضَ جيشه تخلفا عنه وعن نهج الصواب انحرفا
فطالبوا بعوده القتالِ ورفضوا حكومة الرجالِ
وأكثرُوا الإلحاحَ والجداً ونمّقُوا الخطبة والمقالاً^(١)

(١) كان مبرر الخوارج في التكتل والخروج على حكم الإمام علي عليه السلام أنهم طلبوا من الإمام أن يعود إلى قتال معاوية ، وهم الذين فرضوا عليه بالأمس إيقاف القتال والقبول بالتحكيم جاء هؤلاء وقالوا له : لا حكم إلا لله ، لا نرضى بأن تحكم الرجال في دين الله ، قد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا في حكمنا عليهم ، وقد كانت منا خطيئة وزلة حين رضينا بالحكمين ، وقد تبنا إلى ربنا ورجعنا عن ذلك فأرجع.

لم يرغب الإمام علي عليه السلام في مواجهة الخوارج ، وكان يرغب بعودتهم إلى جادة الصواب ، لكنهم كانوا يسيرون باتجاه مخالف للإسلام ، حيث بدأوا يرتكبون جرائم القتل وتهديد الأمنين. وكان ممن قتلوهم الصحابي الجليل « خباب بن الارت » ، وبقروا بطن زوجته وهي حامل ، فقال علي عليه السلام في حقه : « يرحم الله الخباب ابن الارت ، فلقد أسلم راغباً ، وهاجر طائفاً ، وقنع بالكفاف ، ورضي عنه ، وعاش مجاهداً.

بعث إليهم الإمام « قيس بن سعد بن عبادة الانصاري » موفداً من قبله ليعرض عليهم العودة إلى طريق الحق والإبتعاد عن منهجهم المنحرف الذي كانوا يكفرون وفقه كل المسلمين ، لكنهم أصروا على مواقفهم.

كان الإمام عليه السلام يريد أن يقتص من قتلة المؤمنين ، لذلك أرسل أبا أيوب الانصاري إليهم ، ليعرض عليهم أن الإمام لا يتعرض لغير القتلة ، وإن من لم يشترك في قتل المؤمنين فهو آمن ، إذا ترك معسكر الخوارج. وقد لاقى هذه الخطوة تجاوباً ملحوظاً ، حيث انخفض

↩



قد طالبوا إمامهم بالتوبه
فبعث ابن عمه يحاور
لكنهم أبوا وصموا السمع
فعسكروا في « النهروان » جهلاً
ويومها قد قذر الإمام
فعاندا فحوصروا عشيه
وقتلوا إلا القليل منهم
عاد الإمام بعدها للكوفه
يدعو إلى حرب طليق الشام
يحرّض الناس على الجهاد
فلم يجبه غير بعض البره
وعندها قال ما أتم قلبي

وهو الذي ما مس رجس ثوبه
ثم مضى بنفسه يُناظر
عن وعظه ولم يطيعوا الشرعا
وأمنوا في الصابرين قتلاً
ان يرجعوا أو يُتضى الحسام
وأطبقت عليهم المنيه
لم يرجعوا سيف الهدى فانهزموا
محشداً من جيشه صفوفه
وحارساً لبيضة الإسلام
وينفخ النيران في الرماد
من أمة مهزومة منكسره
قيحاً فما أبطأكم من صحب^(١)

⇒

عدد الخوارج الى الثلاث. كما بعث الإمام ابن عمه ابن عباس ، لينظرهم من أجل منع وقوع الحرب وإعادتهم إلى صف المسلمين ، لكنهم كانوا قد أصروا على المواجهة والمجور فحدثت المعركة في منطقة النهروان ، وقد تعرضوا لهزيمة منكرة ، فلم يبق منهم سوى القلة هريفة من المعركة وظلت تمارس دورها التخريبي ضد حكومة الإمام علي وكيان دولته الإسلامية. الفصول المهمة ١٠٨ ، أعيان الشيعة ٣ / ١٠٩ ، سيرة الأئمة الاثني عشر ٤٤١ .

(١) كانت المشكلة الكبيرة التي يواجهها الامام علي هي المحاولات العدوانية لمعاوية بن أبي سفيان الذي وصف الرسول ﷺ عائلته بالطلاقاء ، وكان معاوية قد بدأ سلسلة غارات على أطراف الدولة الإسلامية ، حيث نشرت جيوشه الرعب والخوف بين المسلمين ، وكان يهدف من وراء ذلك إلى زعزعة الأمن ، وترويع الأهالي ، وهي سياسة كان يتبعها معاوية بدقة ، فهو الذي طرح مبدأ التهيب والترغيب ، فكان يستخدم القوة بأقصى صنوفها ضد مجي أهل البيت ، ويذل بسخاء على أصحاب الدنيا.

⇐



أصبحتم تُغزونَ في الديارِ	وصرتم نهبَ يدِ الأشرارِ ^(١)
أطرافكم ضحيةً للغارِ	وسَلَبَ للطغمة الغدّارِ
فمكّةٌ يعيش فيها « بسر »	وفي يد ابن العاص ذلّت « مصر »
وخيلُ أهل الشام في « الأنبار »	تجرّد النساء من الحمارِ ^(٢)
فما لكم أدعوا ولم تحيوا	كأنما الصخرُ لكم قلوبُ
أفسدتُم عليّ رأيي جُبنا	أنا الذي أرى المخوف أَمنا
الحرب قد مارسْتُها صغيرا	وها أنا خبرتها كـبيرا
أيّ امامٍ تتبعون بعدي	وأيّ عهدٍ بعد نكث عهدي



حاول الامام علي عليه السلام أن يضع حداً لفتنة معاوية وقتله بلا رحمة الرجال والنساء والاطفال ، فكان يدعو الى التعبئة لمواجهة الانحراف الأموي في الشام ، لكنه لم يجد النصرة ، فلقد كان الناس يميلون الى الراحة في زمن كانت فيه ظروف الإسلام تستدعي السير على الأشواك.

(١) للإمام علي عليه السلام عدة خطب يتحدث فيها عن الوضع المؤلم الذي وصل اليه مجتمعه منها قوله : ألا وإني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم اغزوه قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا. فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات. وملكت عليكم الأوطان. نهج البلاغة / ٦٩.

(٢) وجه معاوية عدة غارات على دولة الامام علي ، كان الغرض منها نشر الرعب والخوف ، فقد بسر بن أرطاة وأمره أن يسلك طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي الى اليمن ، وقال له : لا تنزل على بلد ، أهله على طاعة علي ، إلا بسطت لهم لسانك — أي هددتهم وخوفهم . حتى يروا أنه لا نجاة لهم منك وأنتك محيط بهم ، ثم أكف عنهم وادعهم الى البيعة لي ، فمن أبي فاقتله ، وأقتل شيعة علي حيث كانوا ، وقد قام بسر بجرائم وحشية حيث أحرق الدور ونهب الأموال وقتل الأبرياء ، وكان عدد من قتلهم في غارته ، حوالي ثلاثين ألف من المسلمين الشيعة ، وقد أحرق قوماً بالنار. الغارات للثقي / ٥٩٨.



عهدُ لمالك الأشر

وأرسلَ الإمامُ رَغمَ العسرِ لمالكِ الأشر عهدَ « مصرِ »
وفيه دستورٌ لكلِّ وإلٍ مزيّنٌ بالحكمِ اللَّائلي
يوصيه بالعدلِ إلى الرعيه وأن تكون عنده سـوِيّه
فيه يقولُ لا تكن عليهمُ كالسبع الضاري يـجولُ فيهمُ^(١)

(١) عهد الإمام علي ؑ إلى مالك بن الحارث الأشر النخعي يُعد وثيقة سياسية ودستورية ذات أهمية خاصة ، وهو أول عهد سياسي في الإسلام بهذه السعة والشمولية ، حيث يتضمن رؤية الإسلام في إدارة شؤون المسلمين وتحديد صلاحيات وواجبات الحاكم الإسلامي ، تناول العديد من الكتاب والعلماء دراسة وتحليل هذه الوثيقة السياسية الرائعة ، وهي بحاجة الى المزيد من الدراسة والتحقيق لما فيها من دروس وحكم عالية المضامين.

ونموذج نذكر مما جاء فيه : « وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سُبْعاً ضارياً ، تغتنم أكلهم فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين ، أو نظيرٌ لك في الخلق ، يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنك فوقيهم ، وولي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك ! وقد استكفأك أمرهم ، وأبتلاك بهم ، ولا تنصبن نفسك لحرب الله ، فإنه لا يد لك بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته . »

وجاء فيه أيضاً : « ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ، ويعبدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور ، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله . »



فالناس صنفان بقول صدق
 لا تستشر يا مالك البخيل
 والصق بذى المروة الكريم
 وهو لعمرى خير عهد كتبنا
 لكن مالكا قبيلا مصر
 قضى ضحية لمكر عمرو^(١)
 إما أخ في الدين أو في الخلق
 ولا الجبان الخائف الهزلا
 والسومح المحسن والخليم
 ما زال لآن يُثير العجا
 قضي ضحية لمكر عمرو^(١)



وفيه أيضاً : « ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الأحسان في الأحسان وتدريباً لأهل الأساء على الأساء ! وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه ... ثم ألصق بذوي المروآت والاحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ، ثم أهل النجدة والشجاعة ، والسخاء والسماحة فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ».

(١) كان مالك الأشتر عوناً للإمام علي عليه السلام وكنياً متيناً في حكومته الإسلامية وقد اكتشف معاوية أهمية الأشتر ودوره المؤثر ، فهو من أخلص أصحاب الإمام ، ومن ذوي الرأي السديد والحكمة العالية ، لذلك كان معاوية يجد فيه تهديداً له ، فكان يسعى إلى التخلص منه ، من أجل إضعاف قوى الإمام علي . وعندما قرر الإمام عليه السلام أن يبعثه والياً على مصر ، شعر معاوية بالخطر الجدي من وراء هذه الخطوة ، فهذا يعني تحول مصر إلى قلعة قوية في دولة الإمام علي ، مما سيضعف بطبيعة الحال سلطة معاوية في الشام .

ومن هنا قرر معاوية أن يقدم على جريمة قتل مالك الأشتر ، لإنهاء دوره من الحياة الإسلامية ، وقد دبّر مؤامرة الإغتيال مع شريكه عمرو بن العاص . حيث تم اغتياله « رضوان الله عليه » وهو في طريقه إلى مصر ، فقضى شهيداً بعد أن أدى دوره الرسالي الكبير ، مخلفاً فراغاً واسعاً في الساحة الإسلامية . ولقد سُرّ معاوية بمقتل مالك الأشتر وأظهر ذلك حينما خطب الناس في الشام بعد وصول خبر قتله بقوله : أما بعد ، فإنه كان لعلي بن أبي طالب يمينان قطعت أحدهما في صفين « يقصد عمار بن ياسر » وقطعت الأخرى اليوم « يقصد مالك الأشتر » أما الإمام علي عليه السلام المفجوع بصديقه المخلص الوفي وصاحبه الشجاع الناصح . فقد رثاه بعدة كلمات كالجمر الملتهب ، فلما نعي إليه الأشتر



فحزن الإمام ثم حوَقلا
ولم تزل « كوفان » تغلي بالفتن

وقال : كان مالك لي جبلا
حتى غدا ضحية « ابو الحسن »



تأوه حزناً وقال : رحم الله مالكا ، ومالك عز علي به هالك لو كان صخرأ لكان صلدا ،
ولو كان جبلا لكان فندا ، وكأنه قد مني قدا ، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله ﷺ .
رحم الله مالكا فقد وفي بعهدده ، وقضى نخبه ، ولقي ربه ، مع إنا قد وطننا أنفسنا أن نصير
على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله ﷺ فانها من أعظم المصائب . على مثل مالك
فلتبكي البواكي ، وهل موجود كمالك ، وإننا لله وإننا إليه راجعون اللهم اني احتسبه عندك
فان موته من مصائب الدهر . السيد محسن الامين : أعيان الشيعة ٩ / ٤١ ، المامقاني : تنقيح المقال .



مؤامرة الخوارج

غداة فيها اجتمع الخوارج	والكل منهم أحمق وساذج
تدفعهم « قطام » للجريمة	في ليلة عظيمة كريهة ^(١)
اذ وصل الامام فيها سحرا	مؤذناً مهلاً مكبراً
مرتلاً بعضاً من الآيات	منادياً حيّ على الصلاة



(١) قرر الخوارج الإقدام على أكبر جريمة في تاريخ الاسلام ، وهي إغتيال الإمام علي عليه السلام وقد تصدّى لتنفيذ هذه الجريمة النكراء ، عبد الرحمن بن ملجم المرادي ، وقد شجعت قطام إحدى النسوة الشقيات من الخوارج على ارتكاب هذه الجريمة ، حين جعلت قتل الامام علي شرطاً للزواج بها.

وفي فجر التاسع عشر من رمضان ، وفيما كان الإمام عليه السلام في مسجد الكوفة قائماً في الحراب يصلي ، هوى الشقي ابن ملجم بالسيف على رأسه الشريف ، فجرح الامام جرحاً عميقاً ، فظل ثلاثة أيام جريحاً واستشهد عليه السلام في اليوم الثالث.



جُرْحُ الإمام

فكمن ابن ملجم في المسجد
 قام وما أن دخل الامام
 فقال : قد فزت ورب الكعبة
 فضجت الكوفة بالعويل
 وصاح صائح من السماء
 تهمت والله أركان الهدى
 وحمل الإمام نحو بيته
 فاستقبلته « زينب » بدمعة
 وازدحم الصحب وراء الباب
 حيث غدا بنفسه يهود
 حتى إذا قد رشح الجبين
 أوصى ويالله من وصيه

ومعه عليّ أثيم معتيدي
 حتى علا مفرقه الحسام
 مناجياً رغم الجراح ربه
 تبكي على إمامها القتيل
 بالحزن واللوعة والبكاء
 بقتل من اضحى امام الشهدا
 والكل باك صارخ لموته
 نادبةً بحرقه ولوعه^(١)
 تلمهم فداحة المصاب
 ونم في أطرافه البرود
 واقتربت من ساحه المنون
 قلادة في عنق الرعيه^(٢)

(١) زينب الكبرى ابنة أمير المؤمنين عقيلة الطالبين وهي التي شاركت الإمام الحسين ثورته في كربلاء.

(٢) قبيل استشهادده ، ترك الإمام علي عليه السلام وصية خالدة ، طرحها على أولاده شفها ، لكنها ظلت مدونة في عمق الذاكرة الإسلامية ، متوارثة عبر الأجيال ، جاء فيها :
 الله الله في الأيتام ، فلا تغبوا أفواههم ، ولا يضيعوا بحضرتكم

والصوم والصلاة والجيران
أن لا يُضَيَّعُوا ولا يُهْتَضَمُوا
خليفةً من بعده ومؤتمناً^(١)

أوصى بـدين الله والقـرآن
ثم اليتامى حيث أوصى فيهم
والعهد أعطاه لنجله « الحسن »



الله الله في جيرانكم ، فإنهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم ، حتى ظننا أنه سيورثهم

الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم

الله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم ، فإنه إن ترك لم تناظروا

الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألستكم في سبيل الله. نهج البلاغة / ٤٢١.

(١) ليس المقصود هنا بالعهد أن الإمام علي هو الذي عين الحسن إماماً من بعده ، إنما الإمامة نص الهي ، بلّغها الإمام علي إلى ابنه الحسن. وكان الرسول ﷺ من قبل قد عين الأئمة بوحي الهي ، حيث ورد عنه ﷺ قوله : « الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ».

وغير ذلك من الأحاديث التي عين فيها الرسول ﷺ الأئمة ، وحدد عددهم بأثني عشر إماماً ، أولهم علي بن أبي طالب ، وآخرهم المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.



شهادته

لجَنَّةٍ خَالِدَةٍ عَلَيْهِ	ثُمَّ وَفَاضَتْ رُوحُهُ الزَّكِيِّ
فِي مَقْعَدِ الصَّدَقِ مَعَ الْمُخْتَارِ	مُلْتَحِقاً بِجَنَّةِ الْإِبْرَارِ
وَيَوْمَ ضَحَّى وَغَدَاةِ اسْتِشْهَادِ	صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ يَوْمَ وَلَدَا
وَمِنْهَجاً وَمَعْلماً فِي الْفِكْرِ	فَقَدْ غَدَا إِمَامَ كُلِّ حُرٍّ



الجزء الثالث

فاطمة الزهراء

سيدة النساء ؑ





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الإهداء

إليك يا سيدة النساء

يا فاطمة بنت محمد ﷺ

إليك يا أم الحسن والحسين

أقدم هذه الباقة من اشعار (قوافل النور)

التي لامست حروف اسمك الطاهر ، وذكرك العاطر

وغضبتك بوجه الباطل.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

اضاءة

تمثل فاطمة الزهراء ؑ النموذج الاسمى لشخصية المرأة في الحياة الاسلامية ، فقد قال عنها رسول الله ﷺ : فاطمة بضعة مني ، من آذاها فقد آذاني ، ومن أغضبها فقد أغضبني .

وقال كذلك ؑ : فاطمة سيدة نساء العالمين ، من احبها فقد احبني .
بهذه الكلمات المفعمة بالحب والتجليل ، نفهم موقع فاطمة في حياة الرسول وحركة الرسالة .

وعندما سُئل امير المؤمنين علي بن ابي طالب ؑ عن فاطمة ؑ قال :
نعم المعين على طاعة الله .

أجل هذه هي فاطمة ، العنصر القوي الذي يقف بكل بطولية وراء بطل الاسلام العظيم ، في مجالات الطاعة ، والعبادة ، والعمل ، والجهاد الدائب في سبيل الله ، وهكذا درجت فاطمة في بيت النبوة ، وهكذا انطلقت ، وأعطت وأثمرت أطيب الثمار في حركة الامامة .

وملحمة قوافل النور إذ تتشرف بأن تقترب من حياة فاطمة ، إنما تشعر بأنها تفجر ينابيع الطهر ، والوعي ، والنور في حياة كل مسلمة ، ومسلم ، يبحث عن سراج قدسي يحمله في متيه الحياة ، وظلمات الطريق الصعب الطويل .



فالى فاطمة بكل ما تعنيه هذه الكلمة المباركة من طهر ، وحب ، وجمال . من
اجل ان نتعلم من مدرستها معاني الصبر ، والحلم ، والعفة ، والحنو على كل
المعذبين ، والفقراء ، والمساكين .

وهذا هو الجزء الثالث من ملحمة قوافل النور الذي يستعرض فضائلها
بأستيحاء ، ويرسم خطواتها ، ويتمثل حياتها الخالدة ، وعطاءها الفذ ، وغضبتها
من اجل الحق ، ومواجهة الباطل .

فسلام على سيدتنا الزهراء فاطمة ، يوم ولدت ويوم درجت في مدارج
الوحي والنبوة .

وسلام عليها يوم وقفت الى جانب الحق والصراط القويم ضدّ الباطل
والانحراف .

وسلام عليها وهي تودع الدنيا بدمعتين سحيتين ، لا أظن أنهما تحفان ابداً .
وسلام عليها في أعلى عليين .



أصحابُ الكساء

أكرمُ أهلِ الارضِ أصحابُ العبا	محمدٌ وابنتُهُ والنُّقبَا ^(١)
المرتضى حيدرُهُ والحسنُ	ثمُّ الحسينُ السيِّدُ الممتحنُ
أُمهمَا فاطمَةُ الزكيِّهِ	البضعةُ الراضيةُ المرضيِّهِ ^(٢)
والكوثرُ الذي جِباهُ اللهُ	لأحمدَ المختارَ واجتباهُ



(١) أصحابُ العبا ، أصحابُ الكساء ، وهم أهل البيت الذين نزلت فيهم آية التطهير ، وهم الرسول ﷺ ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ﷺ . وحديث الكساء من أشهر الأحاديث في مدونات السنة المطهرة.

(٢) من الأسماء التي اشتهرت بها فاطمة الزهراء ﷺ ، بضعة الرسول ، لقوله ﷺ : « فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها » .

وقوله : « فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني » . مسند أحمد ٤ / ٣٣٢ . البخاري ٢ / ١٨٥ .



الولادة المباركة

سَيِّدَةُ النِّسَاءِ وَخَيْرُ مَنْ وَلَدَتْ
قَدْ وَلَدَتْ مَعْصُومَةً وَطَاهِرَةً
وَدَرَجَتْ فِي سَاحَةِ الرِّسَالَةِ
قَدْ صَبَرَتْ لِكَثْرَةِ الْأَحْزَانِ
حَتَّى غَدَتْ أُمًّا فَقَالَ فِيهَا :
وَبُضْعَةٌ مَنِّي فَمِنْ آذَاهَا
وَإِنَّ مَنْ أَعْضَبَهَا يُغْضِبُنِي
حَتَّى إِذَا جَاءَتْ إِرَادَةُ السَّمَا
إِذْ رَفَضَ النَّبِيُّ كُلَّ خَاطِبٍ
وَقَالَ قَدْ زَوَّجَهَا الْإِلَهُ
فَاقْتَرَنَ النُّورُ بِأَجَلِي نَوْرٍ
وَزَفَّيْتُهَا النَّبِيَّ وَالْأَصْحَابُ
فُتَادِمَا تَرْجُو أُمًّا سَلِمَةً

بَتُولَةٌ لَمْ يَرِ ظَلُّهَا أَحَدٌ
عَفِيفَةٌ مَظْلُومَةٌ وَصَابِرَةٌ
وَنَهَلَتْ مِنْ مَعْدَنِ الْأَصَالَةِ
وَضُمَّتِ النَّبِيَّ فِي حَنَانٍ
« أُمُّ أَبِيهَا فَاطِمَةُ » أَفْئِدَتُهَا (١)
كَانَ كَمَنْ آذَى النَّبِيَّ طَهُهُ
وَكُلَّ مَا قَدْ سَرَّهَا يُسْرِنِي
بِأَنْ تَكُونَ زَوْجَةً لِمَنْ سَمَا (٢)
لَهَا وَلَمْ يَرْضَ بِكُلِّ صَاحِبٍ
إِلَى فِتْنٍ لَيْسَ لَهَا سِوَاهُ
وَقَدْ أُحِيطَتْ فَاطِمَةُ بِالْحَوْرِ
لَبِيتُهَا وَنَسُوهُ أَطْيَابُ
الْمَرْأَةِ الطَّاهِرَةِ الْمَكْرَمَةِ

(١) سُمِّيَتْ الزَّهْرَاءُ بِالْبَتُولِ لِكَثْرَةِ تَبَتُّلِهَا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَكَانَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ ؑ فَيَاضَةً الْحَنَانَ وَالْعَاطِفَةَ عَلَى أَبِيهَا ؑ حَتَّى أَنَّمَا كَانَتْ تَكْنِي : أُمُّ أَبِيهَا . ابن الأثير : أسد الغابة ٥ / ٥٢٠ .

(٢) كَانَ زَوَاجُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ سَلَامٌ عَلَيْهَا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَلِذَلِكَ أَدْلَتُهُ الْمُسْتَقْفَاةُ مِنْ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ ، كَقَوْلِهِ لِكُلِّ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا لِحَدِّمَةِ فَاطِمَةَ قَبْلَ الْإِمَامِ عَلِيِّ ؑ : « لَمْ يَنْزَلِ الْقَضَاءُ بَعْدَ » وَقَوْلِهِ : « إِنْ اللَّهُ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلْبِهِ ، وَجَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِ هَذَا . وَأَشَارَ إِلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ ؑ . » ذخائر العقبى : الطبري / ٦٧ .



وحفصةٌ من بعدها وعائشه
تقول يا خير نساء البشر
ودخلت في بيتها الصغير
فراشها حشو إهاب ليفي
وجرة خضراء مع كوزان
ومخضب من النحاس الأصفر
وعلقت في الحجرة البهية
بساطة جللها الفخار
ودوحة قدسية العطاء
« الحسنان » أردفا « بزنب »
يا أسرة أعطت إلى الإيمان
قتلا وتشريداً وتضحيات
أبناء فاطم حماء الدين
منها تعلموا دروس الصبر
فصبرها ليس له مثيل
أول حزن فقدوها لأُمها
والخطب كل الخطب في فقدانها
فقد غدت من بعده مكلومه
إذ غصبت نخلتها وهي « فدك »

تعيذها من كل عين طائشه
ومن لها وجة كوجه القمر
قرينة للبطل الأمير
ومطهر من خزف نظيف^(١)
وشملة بيضاء من قطوان
وستر صوف وحصير « هجري »
قطيفة سوداء خيريه
وأسرة باركها المختار
ثمائمها من أعظم الأبناء
وأم كلثوم سليله النبي
أرواحها على مدى الزمان
من الألى والسادة الأباة
وكهف كل صادق أمين^(٢)
من يوم يولدون حتى القبر
بكى على محتها « جبريل »
في الشعب وافتقأدها لعمها
وجه أبيها وعري بنائها
مبعدة عن حقها مهضومه
وما درى الغاصب أنه هلك

(١) إشارة الى مهر فاطمة الذي أصبح سنة للمؤمنين وهو ما يعادل اربعمائة وثمانين درهماً من الفضة.

(٢) أبناء فاطمة ٧ هم أئمة المسلمين وقادة الدين حماة الشرع والأدلاء على النهج القويم.

ولم يورث فضلةً أو ذهباً
فأية الميراث في القرآن
صحب أيها كي يُرد الغاصب^(١)

حتى ادّعوا أنّ النبيّ ذهباً
وهو حديثٌ واضح البطلان
فانتفضت غاضبةً تعاتبُ

(١) تعرضت فاطمة الزهراء عليها السلام الى محن كبيرة كان آخرها غصب حقها في فدك وفي ميراث والدها الرسول صلى الله عليه وآله وعندما طالبت أبا بكر بحقها قال أنه سمع الرسول يقول : « لا نورث ، ما تركناه صدقه » وهو حديث لم يروه غير أبي بكر ، وهو يتعارض مع نص القرآن الكريم حيث قال تعالى : (**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ**) النمل / ١٦ .
وقال كذلك : (**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ**) مريم / ٦ .

وقد غضبت الزهراء على أبي بكر وعمر ، وأعلنت غضبها صراحةً وعلناً ، وقد حاولا أن يسترضياها ، غير أنها عليها السلام أكدت أنهما أغضباها ، وأنها غير راضية عنهما ، وظلت على هذا الموقف حتى وفاتها حزناً وكمداً سلام الله عليها ، وقد وصف صاحب الملحمة محنة الزهراء وحزنها وغضبها في إحدى قصائد مناجاته بقوله :

ومدامعي تجري دماً بسخاءٍ
رحلت بقلبٍ غصّ بالبلواءِ
سرّ الجوى والجمر في الاحشاء
نقضت عهدَ الشرعة الغراءِ
أدري بما فعلت يذُ الطلقاءِ
بيتي تشبّ مواقف البغضاءِ ؟
فينا وقد جاروا على أبنائي
وهو الوصيُّ وأولُ الخلفاءِ
فيها (بحمّ) في غدير الماءِ
خلقي ومن عاداه من أعدائي
أحقّ أدهم بالشّر والضراءِ
يُحيون ثاراتٍ لدى الآباءِ
فاليوم نحرّفها على الزهراءِ
ويظّل حتى الحشر صوتُ بكائي

قلبي يذوب أسى على الزهراءِ
حزناً على الطهر البتولةِ أنها
رحلت بحسرتها وظلّ ورائها
ومضت الى الرحمن تشكو أمّةً
تدعو أباهما وهي تعلم أنه
أبتي أئسّ لبّ (نخلتي) مّي وفي
أبتي الا تدري بما فعل العدى
من بعد أن حملوا (الامام) مبايعاً
ونسوا وصاياك التي وصيتهم
أو لم تقل هذا عليّ فيكم
أبتي أضاعوا العهد ثم تكشفت
صعدوا على باب النبيّ كأهم
قد قيل فيه فاطمٌ قالوا : وإن
أبتاه غاضبةً أظّل عليهم



خطبتها واحتجاجها

فخطبت خطبتها الملتهمه على الصحاب ثم عادت غضبه (١)

(١) لما بلغ فاطمة اجماع أبي بكر على منعها فذكر ، لاثت خمارها على رأسها ، واشتملت جلبابها ، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيوها ، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت دوحها ملاءة ثم أتت أنة أجهش لها القوم بالبكاء وارتج المجلس ، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهادت فورهم ، افتتحت كلامها بالحمد لله عز وجل والثناء عليه ، والصلاة على رسول الله ، ثم قالت : اعلموا أي أنا فاطمة ابنة محمد ، أقول عوداً على بدء ، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فإن تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم ، وأخا ابن عمي دون رجالكم ...

ثم استرسلت في خطبتها إلى قولها :

ثم أنتم الان ، تزعمون أن لا إرث لنا (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لَقَوْمٍ يُوقِنُونَ) يا ابن أبي قحافة ! أترث أباك ولا أرث أبي ، لقد جئت شيئاً فرياً ، فدونها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد ﷺ والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون. ثم انكفأت إلى قبر أبيها ﷺ تقول :

قد كان بعدك أنباءً وهنبشة	لو كنت شاهداً لم تكثر الخطب
إننا فقدناك فقد الأرض وابلها	وغاب مذ غبت عنا الوحي والكتب
أبدي رجالاً لنا نجوى صدورهم	لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهمتنا أناسٌ واسئخف بنا	لما فقدت وكل الأثر مغتصب
وكنيت بدمراً ونوراً يستضاء به	عليك تنزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا	فقد فقدت وكل الخير محتجب
فليت قلبك كان الموت صادفنا	لما مضيت وحالت دونك الكتب



مضـيـعين بـدوـها والحـضـرا	ودكـرتـهم كـيـف كـانـوا زُـمـرا
والـوَأُذْ فـحـرُّ للـدمِ المسـفـوحِ	الـجـاهـليـة انـطـوـت في الـروحِ
يـردـةُ إلـا الرـمـاحُ والـدما	يُغـيـرُ بـعضـهم عـلى بـعض فـما
والـخـير فـيـهم ضـائـعٌ والـصدقُ	العـدلُ فـيـهم مـبـعدٌ والـحقُّ

إننا رزئنا بما لم يُررَ ذو شجن من البرية لا عُجم ولا عرب قال الراوي : ولم ير الناس أكثر باك ولا باكية منهم يومئذ ، ثم عدلت إلى مجلس الأنصار ، فقالت : يا معشر البقية وأعضاء الملة وحضنة الإسلام ! ما هذه الفترة عن نصرتي ، والوئية عن معونتي ، والغمزة في حقي ، والسنة عن ظلامتي ؟! أما كان رسول الله ﷺ يقول : « المرء يحفظ في ولده » ؟ سرعان ما أحدثتم وعجلان ما أتيتم ، الآن مات رسول الله ﷺ أمتم دينه ؟! ها !! ، إن موته لعمري خطب جليل ، استوسع وهنه ، واستبهم فتقه ، وفقد راتقه ، وأظلمت الأرض له ، وخشعت الجبال ، وأكدت الآمال ، أضيع بعده الحريم ، وهتكت الحرمه ، وأزيلت المصونة ، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته ، وأنباكم بها قبل وفاته ، فقال : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) .

إيها بني قيلة أहतضم تراث أبي وأنتم بمأرى ومسمع تبلغكم الدعوة ، ويشملكم الصوت ، وفيكم العدة والعدد ، ولكم الدار والجنن ، وأنتم نخبة الله التي انتخب ، وخيرته التي اختار ، باديتهم العرب ، وبادهتم الامور ، وكافحتهم البهم ، حتى دارت بكم رحى الاسلام ، ودر حلبه وخبت نيران الحراب ، وسكنت فورة الشرك ، وهذأت دعوة الهرج واستوثق نظام الدين ، أفتأخرتم بعد الاقدام ؟! ونكصتم بعد الشدة وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم (فَقَاتِلُوا أَمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ) . ألا وقد أرى أن قد أحلدم إلى الخفض ، وركنتم إلى الدعوة ، فحدثم الذي وعيتم ودسعتم الذي سوغتم ، وإن تكفروا أنتم ومن في الارض جميعاً فإن الله لغني حميد ، ألا وقد قلت لكم ما قلت على معرفة مئي بالخذلة التي خامرتكم ، وخرو القناة وضعف اليقين ، فدونكموها فاختورها مدبرة الظهر ، ناقبة الخف ، باقية العار ، موسومة الشعار موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ، فبعين الله ما تعلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ٤ / ٧٨ .



أذلةً كانوا كما الأماء
مستضعفون فيهم الشرُّ نطق
حتى أتاكم أبي بالنور
بعد اللثيما والتي وما جرى
فشـرعت بـيـنكم الصـلاة
وارتفع الإيمان فيكم رايه
والصوم من علائكم الاخلاص
والحج تشييداً ليوم النصره
حيثُ بها يكتمل الإيمان
فاعتذر الصـحبُ لدى المعاتبه
ورجعت كسيرة مريضه
راحت تعاني ألم الحصار
جريحة القلب ودمع العين
يقول : يا أماه يـازـهـراء
من يطعمُ اليتيم والأسير
وبعداها أوصت الى الامام
تقول ان اتى القضا غسلي
لا تعلمنَّ احداً بـذاكا

لا سترَ الا وحشة الصـحراء
اكلهم القديدُ والشربُ طـرق
يزيل عنكم ظلمة الديجور
أصبحتُم خيرة أمة الورى
ورتلـت عليكم الآيات
وانطمست معالم الغوايه
وجنـة للـفـوز والـخـلاص
والامر بالحق وحب العترة
وعندها ينتصر الانسان
لكنها ظلت عليهم غاضبه
تأسى لهذي الأمة البغيضه
وفي الضلوع طعنهُ المسـمار^(١)
مخـلـطٌ بدمعة الحسين
صلى عليك الله والسـماء
ويسترُ العريان والفقيرا
وصية من أبلغ الكلام
وفي حلول الليل قم وادفني
ولا يرى جنازتي سواكا

(١) من المظالم التي تعرضت لها فاطمة الزهراء ، أنها تعرضت في بيتها لهجوم عمر بن الخطاب ، يوم بيعة أبي بكر ، فقد جاء عمر الى بيتها يريد أن يجبر الإمام على بيعه أبي بكر ، وهدد بإحراق بيتها ، فقالوا : ان فيه فاطمة قال : وإن. وروي أنه أراد أن يقتحم المنزل وكانت خلف الباب فدفع الباب بقوة مما تسبب في كسر ضلعها وسقوط جنينها.

وفاتها

لكن أضيع قبرها في المقبره	ثم قضت طاهرة مطهره
وحسرة تُدافع العويلا	الحزن ظلل خلقها طويلا
مودعاً وباكياً لصبرها	قد وقف الإمام عند قبرها
إليك يا مؤمن الشريعة	يقول : ردت هذه الوديعة
وقلبه يكي بكاءً أحرسا	يكفكف الدمع بحزن وأسى
لرغبة الزهراء في الوصيّه ^(١)	أخفى الإمام قبرها عشيه

(١) طلبت الزهراء من الإمام علي أن يخفي قبرها وأن يدفنها سراً ، وكان هذا الموقف منها ﷺ احتجاجاً تأخيراً على ما لاقته من ظلم بعد وفاة أبيها.

وكان يوم وفاتها كيوم وفاة الرسول ﷺ من حيث الحزن والأسى الذي حيم على المسلمين ، ولقد ودعها الإمام علي ﷺ بأحر كلمات له معها على فراش الموت بقوله : والله لقد جددت علي مصيبة رسول الله ﷺ وقد عظمت وفاتك وفقدك ، فإننا لله وإننا إليه راجعون ، من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأحزنها ، هذه والله مصيبة لا عزاء عنها ، ورزية لا خلف لها.

ثم توجه الى قبر رسول الله ﷺ وقلبه يعتصره الألم يقول : السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابتك النازلة في جوارك والسريعة للحاق بك ! قل ، يا رسول الله عن صفتك صبري ، ورق عنها تجلدي ، إلا أن في التأسي لي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك (**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**) . فلقد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة ! أما حزني فسرمد وأما ليلي فمُشهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مُقيم وستنبئك ابتك بتظافر أمتك على هضمها



فهي الوديعه التي قد ضيعت
ظلامه تطلّ طول الدهر
فدمعها دمغ النبي طه
تأتي بيوم الحشر للرحمن
حيث تغض عندها الابصار
مسكنها الجنان والريحان
ألف سلام وصلاة تُتلى

ومنعت عن حقها ودفعت
في علي نبكي لها وسر
واهأ على تلك الدموع واهأ
شاكية من عنت الانسان
بمثل هذا حدث المختار
وجارها النبي والرحمن
على البتول ما هلال هلا^(١)



فاحفها السؤال واستخبرها الحال ، هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر والسلام
عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم فإن أنصرف فلا عن ملالة وإن أقم فلا عن سوء ظن
بما وعد الله الصابرين. نصح البلاغة / ٣١٩ . ٣٢٠.

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد
واحد فينادي مناد : غضوا أبصاركم ونكسوا رؤوسكم حتى تجوز فاطمة بنت محمد عليه السلام
الصراط. قال : فتغض الخلائق أبصارهم فتأتي فاطمة عليه السلام على نجيب من نجب الجنة يشيعها
سبعون ألف ملك ، فتقف موقفاً شريفاً من مواقف القيامة ، ثم تنزل على نجيبها فتأخذ
قميص الحسين بن علي عليه السلام بيدها مضمّخاً بدمه وتقول يا ربّ هذا قميص ولدي وقد
علمت ما صنع به ، فيأتيها النداء من قبل الله عز وجل : يا فاطمة لك عندي الرضا فتقول :
يا رب انتصر لي من قاتله فيأمر الله تعالى عنقاً من النار فتخرج من جهنم فتلتقط قتلة
الحسين بن علي عليه السلام كما يلتقط الطير الحب ، ثم يعود العنق بهم إلى النار فيعذبون فيها
بأنواع العذاب ثم تركب فاطمة عليه السلام نجيبها حتى تدخل الجنة ومعها الملائكة المشيعون لها
وذريتها بين يديها وأولياؤهم من الناس عن يمينها وشمالها.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الجزء الرابع

الامام الحسن بن علي
المجتبى *





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الْأَهْدَاءُ

إلى أبي محمد الإمام الحسن بن عليّ ؑ

ريحانة النبيّ وسبط رسول الله ﷺ

وسيد شباب أهل الجنة

أقدم هذا الجزء من ملحمة

قوافل النور ..





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

اضاءة

وصفه جدّه الرسول بأنّه ربحانته ، فعجز بعده الواصفون عن وصفه. ثمّ قال فيه بأنّه سيّد شباب أهل الجنّة فلم يعد بإمكان أحد أن يضيف شيئاً إلى شخصيّة الحسن ؑ ومكانته.

وبعد هذا هو ابن فاطمة بضعة محمّد ؑ وأُمّ أبيها.

وبعد ذاك هو ابن علي وليد الكعبة ووصي رسول الله ؑ ووارثه ونفسه ، الذي لم تنشق الأرض على نبتة أظهر منه ولن تنشق عن مثله أبداً.

أحبّ الإمام الحسن كلّ مَنْ أحبّ الرسول ؑ وعاداه كلّ مَنْ عاداه. فهو لذلك عاش محنة الحق وهو يصارع الباطل منذ ولادته وحتىّ مأساته وشهادته.

حيث كانت حياته حافلة بالحركة والمواقف لمواجهة تيار الفتن التي عصفت بالأمة بعد رسول الله ؑ فثبت أناس وسقط آخرون.

وليس هناك موقف وسط بين الثبات والسقوط ... بين الحق والباطل.

كتب عن الإمام الحسن منذ القدم جمعٌ غفير من الكتاب والمؤرّخين ، فأنصفه مَنْ يعرف قدره وحقّه ، وتجنّى عليه مَنْ أعماه الجهل والتعصّب ، وكأنّ الظلاميّة ملازمة له حتّى بعد شهادته.



ثمّ أنشده الشعراء أنشودة في دواوينهم فكان أجمل قصيدة عصماء في ملف الشعر والأدب.

لعلّي لم أوفق في هذه الملحمة لتفصيل في نظم حياة الإمام الحسن ؑ لأنّ طبيعة دوره التاريخي تحتاج إلى تحليل أكثر منه إلى السيرة والسرد الشعري المجرد ، إضافة إلى أنّ حياته كانت متداخلة مع حياة أبيه أمير المؤمنين ، ومع حياة وثورة أخيه الإمام الحسين ؑ الشهيد. ولا يتأتّى للشعر مهما أوتي من إبداع وألوان أن يخوض ميدان التحليل السياسي ومعتك التحقيق التاريخي.

فعوّضت ذلك في الهوامش حيث أوضحت الجوانب التاريخية والسياسية والإجتماعية في حياته ؑ ممّا لم يتيسّر عرضه في الشعر.

فجاءت هذه الحلقة من ملحمة قوافل النور كما هي بين يدي القارئ الكريم.

ومنه تعالى أستمدّ العون والتوفيق وهو حسبي.



المولد المبارك

بَيْتٌ يَضُمُّ فَاطِمًا وَحِيدًا صَارَ بِحُجْبٍ أَحْمَدُ مُسَوَّرًا ^(١)
يَنْتَظِرُ الْجَمِيعُ فِيهِ شَبْلًا قَدْ طَابَ فَرْعًا طَاهِرًا وَأَصْلًا
ذَاكَ هُوَ السَّبْطُ الزَّكِيُّ الْحَسَنُ رَجَحَانَةُ النَّبِيِّ وَالْمَوْمِنُ

(١) كان بيت علي وفاطمة ؑ نموذج الأمثل للأسرة المسلمة ، حيث ضمَّ بطل الإسلام الخالد ، وابن عم الرسول ؑ وربيبه ، ووصيه ، ووارثه الذي قال فيه : « أنت مَيِّ بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » كما ضمَّ بضعته الطاهرة فاطمة الزهراء ؑ أحبَّ الناس إليه والتي قال فيها الكثير من الأحاديث ، ومنها : « فاطمة بضعة مَيِّ ، مَنْ آذاها فقد آذاني ، وَمَنْ أَحَبَّهَا فَقَدْ أَحَبَّنِي » وهي سيِّدة نساء العالمين.

وقد بُني هذا البيت المبارك بنفحة سماوية ، وإشارة من الوحي ، وذلك عندما كان رسول الله ﷺ يرفضُ خطبة كبار الصحابة للزهراء ؑ بقوله ﷺ : « لم ينزل القضاء بعدُ » ويعني ذلك أنَّ زواج فاطمة له خصوصيته فهو لا يتمُّ إلا بإرادة ربَّانية.

وحينما تقدَّم لخطبتها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ استبشر ﷺ بذلك وسرعان ما تمَّ الزواج المبارك بمهر متواضع أصبح سنَّة للزواج في حياة المسلمين وليجتمع هذا البيت على الحب ، والمودة ، والطهر ، والصفاء ، والرعاية الحانية من قبل رسول الله ﷺ.

ومن أجل أن تتشكَّل الأسرة المسلمة كان لا بدَّ لهذه الشجرة الطيبة أن تتفتح أغراسها وتعطي ثمارها وبذلك تجتمع عناصر البيت الإسلامي الأمثل ، فكان ﷺ ينتظر الولادة المرتقبة التي ستكون بإذن الله بداية انطلاق ذرِّيته الطاهرة ، وكذلك الجميع ينتظرون.

فقد جاء في الحديث الشريف : أنَّ الله جعل ذرِّيَّة كل نبي في صلبه ، وجعل ذرِّيَّتي في صلب هذا وأشار إلى الإمام علي ؑ. راجع ذخائر العقبى للطبري / ٦٧.

ويشير هذا الحديث إلى أنَّ ذرِّيَّة النبي ﷺ تنحصر في أولاد علي ؑ وفاطمة ؑ فالأئمة من ذرِّيَّتهما هم بالنص من أبنائهم ، وهم الذين يمثلون الإمتداد الطبيعي للنبوَّة ويرسمون خطَّ الإمامة في حياة الأجيال.



في النصف من شهر الصَّيَامِ وُلِدَا
 في ثالثِ السَّنِينَ بَعْدَ الْحِجْرَةِ
 جَاءَتْ بِهِ «أَسْمَاءُ» لِلرَّسُولِ
 قَالَ النَّبِيُّ : إِنَّ هَذَا وَلَدِي
 قَبَّلَهُ فِي الثَّغْرِ وَالْغِيَّوْنَ
 مُؤَذِّنَاً فِي سَمْعِهِ مُقِيمَا
 وَمُطْعِمَ الْأَهْلِينَ مِنْ عَقِيقَتِهِ
 أَلْبَسَهُ الْأَخْضَرَ مِنْ ثِيَابِهِ
 أَحَبَّهُ النَّبِيُّ حُبًّا جَمَا
 وَقَالَ مَنْ أَبْغَضَهُ أَبْغَضَنِي
 فَاَلْمَلَأُ الْأَعْلَى يُهَيِّي «أَحْمَدَا»^(١)
 إِذْ غَمَرَتْ بَيْتَ الْهُدَى الْمُسْرَةَ
 تَحْمِلُهُ مِنْ فَاطِمِ الْبَتُولِ
 وَرَتَّتُهُ مِنْ هَيْيَتِي وَسُؤْدَدِي
 وَضَمَّهُ لَصَدْرِ الْخَنُودِ
 وَحَالِقَا لَشَعْرِهِ تَعْظِيمَا
 وَلِيَمْلَأَ أَثْبَتَهَا فِي سُنَّتِهِ
 مُكْرَمَاً مَنْ سَأَلُوا بِبَابِهِ
 فَأَنَّهُ الْخَيْرُ أَبَاً وَأُمَا
 وَمَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحْبَبَنِي

(١) ولد الإمام الحسن المجتبيؑ في الخامس عشر من شهر رمضان المبارك في السنة الثالثة للهجرة ، وزفَّ الخبرُ إلى الرسول ﷺ فابتهج بالسرور ومالأت قلبه الفرحه والمسرّة ، فسارع إلى بيت الزهراءؑ ليرى الوليد الأول ، والغرس الطاهر لشجرة النبوة ، وفي الرواية أنّ «أسماء بنت عميس» جاءت تحمل الحسن إلى النبي ﷺ فقَبَّلَهُ وضَمَّهُ إلى صدره وأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في أذنه اليسرى ، ثم قال لعليّ عليه السلام : أي شيء أسميت ابني ؟ قال : ما كنت لأسبقك بذلك. فقال ﷺ : ولا أنا سابق ربّي.

وفيماهما في هذا الحوار الروحي العابق بشذى الطهر ، نزل الوحي على رسول الله ﷺ يبلغه بأن الله سبحانه وتعالى قد سمّاه حسناً. راجع ذخائر العقبى للطبري / ١٢٠.

وفي اليوم السابع لميلاد الإمام الحسنؑ أجرى رسول الله ﷺ أول مراسيم المولود في الإسلام فقد أذن في أذنه اليمنى وقرأ الإقامة في أذنه اليسرى كما ذكرنا سابقاً ليكون الأذان بما ينطوي عليه من مضامين عقائدية ، وروحية أول ما يطرق سمعه ، ويمس شغاف قلبه ، وفي الخبر : أنّ ذلك عصمة للمولود من الشيطان الرجيم.

وقد حلق شعر رأسه وتصدّق بزنته من الفضّة على الفقراء وذبح شاة في هذه المناسبة وهو ما يسمّى بالعقيقة في الشريعة الإسلامية ، وأصبحت هذه المراسيم سنّة مستحبة مؤكّدة في حياة المسلمين إلى اليوم.



وقد روى عن النبي « أسلم »
قال : رأيت الحسين مرة
وفوق عاتق الرسول ركبا
فابتسم الرسول ثم همهما
وفي الصحيحين من الأنباء
ان النبي كان يوماً يخطب
الحسنان نحوه ويعثرا
واحتضن الطفلين في حنان
وقال صدقاً جاءت الآيات
بإيمانكم وأموالكم والولد
منزلة للسلطان أعظمها
وقال : هذا ولدي رجائنه
ترقصه الزهراء وهو طفل
تقول والقلب ينادي فرحاً
« أشبه أباك يا صغيري يا حسن
واعبد إلهنا الكريم ذا المنن
وجاء عن أبي سعيد الخدري
مقالة الرسول في سبطيه
يقول والقول صريح السنه
وفي حديث بيت « أم سلمه »
في أنه خامس أصحاب العبا
وفي حديث « زيد بن أرقم »

وهو فتى يصدق فيما يحكم
قد ملأ من ضحك المسرة
فقلت نعم الفرس المحببا
الفارسان الهاشميان هما
في الترمذي الثبت والنسائي
في صحبه اذا بدا يقرب
فترك النبي ذاك المنبرا
مذا أتيا اليه يعثران
وسور منهن محكمات
فتنتمكم يا قوم فاستعدوا
وقولة في الحق ما أكرمها
يُشبهني في الصدق والأمانه
قد انطوى في جانبيه شبل
بطفله كوردة تفتحها
واخلع عن الحق مغاليق الرسن
ولا توالي كل رجس ذا إحن
حديث حق ما به من نكر
وكان يطري فضل وارثيه
هاذان سيذا شباب الجنه
جاءت بفضل السبط أي مكرمه
وكان عن رجس الهوى مجنبا
قول الرسول الطاهر المكرم



كتابِ ربي صادقاً وعترتي
حتى يجيئها حوضي المصدقاً
يسمعُ جبريلَ وأسرارَ الحقا^(١)
والصَّبرَ والحكمةَ والفُتُوَّةَ
وفُتُوَّةَ التاريخ والأجيالِ^(٢)

بأنني ورثتكم في غيبيتي
فهاهما والله لن يفترقا
وشبَّ في حضنِ النَّبيِّ المصطفى
يسـتـلهم الآياتِ والنُّبُوَّةَ
حتَّى غدا في مَضربِ الأمثالِ



(١) وردت عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث التي يذكر فيها فضل الإمام الحسن وأخيه الحسين ﷺ ومكانتهما في الإسلام منها : « هاذان ريجانتي من الدُّنيا مَنْ أَحَبَّني فليحبهما » ، وروى أنس بن مالك قال : « سُئِلَ رسول الله ﷺ : أي أهل بيتك أحبُّ إليك ؟ قال : الحسن والحسين ». وقال في حديث آخر : « الحسن ريجانتي من الدُّنيا ».

وقال أيضاً : « مَنْ آذَى هذا فقد آذاني وَمَنْ آذاني فقد آذَى الله ». وأشار إلى الحسن ﷺ.

(٢) درج الحسن ﷺ في بيت الوحي والنبوة فشبَّ في أجواء الرسالة ، ينهل من معينها الصافي ، ويحظى برعاية جدّه المصطفى ، فغدا زين الشباب ، فتوة ، وشجاعة ، ومروءة ، وجوداً ، وكرماً ، وزاد من هيئته أنّه كان أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وخلقاً. فعُرف بالصَّبر والحِلْمِ وسماحةِ النفس وغير ذلك من مكارم الأخلاق التي تميّز بها أهل البيت عما سواهم فكانوا المثل الأعلى لأخلاق القرآن ، حتّى وصفهم المؤرّحون وعلماء الإسلام ، أنّهم قرآن يمشي على الأرض.



دوره التاريخي

ومرّت الأحداثُ بعدُ تثرى
وفاءُ جدّه وفقدُ أمّه
حتى إذا بُويّع بالخِلافَةِ
وكان كالظّلّ له متّبعاً
فادّرعَ الحزمَ بها والصّبرا
لم تُثنِ مَنْ قُوتَه وعزمه
واللّهُ شارِكُه أهدافه
« سبطان » يمشيان خلفه معاً^(١)

(١) إنّ أوّل تجربة قاسية واجهها الإمام الحسن عليه السلام هي يوم وفاء جدّه ﷺ فقد شاهد الصحابة يتركّون جثمانه الطاهر مسجى وهم يتسابقون على السلطنة في « سقيفة بني ساعدة » حيث قرروا بمنطق العصبية القبلية أن يغتصبوا حق أبيه في الخلافة ، تاركين وراء ظهورهم أمر السماء والأحاديث الكثيرة التي تؤكّد حقّه ، ووصيّته ، وخلافته للنبوّة في قيادة الأمّة ورعايتها ، وشاهد أمّه البتول ، وهي تُمنع إرثها في الرسول ونخلتها « فدك » من قبل جماعة الخلافة ويتحسّس آلامها ، وهي تشكو الغربة والظلام الذي لفّ الدُّنيا بعد محمد ﷺ وهي تردد هذه الايات من الشعر :

صُبت عليّ مصائب لو أنّها
صُبت على الأيّام صرّن لياليا
فلأجعلن الحزن بعدك مؤنسي
ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا
وتحرق قلبه الفتى آهاتها الحزينة على ضياع حق ابن عمّها أبي الحسن عليه السلام ويسمع خطبتها التاريخية في المسجد النبوي في حشد من المسلمين لتسجل احتجاجها الغاضب على سكوت معظم أهل المدينة على الحقّ المضيع ، وقد وصف شاعر أهل البيت الكميّ بن زيد الأسدي يوم الغدير وهو اليوم التاريخي الذي ضاع فيه حق علي عليه السلام ومدرسة الإمامة حتّى يومنا هذا :

ويوم الدوح دوح غدير خم
ولكنّ الرّجال تقاسموها
ولم أر مثلاً ذاك اليوم يوماً
ولم أر مثله خطراً منيعاً
أبأن له الولاية لو أطيعا
فلم أر مثله خطراً منيعاً
ولم أر مثله حقّاً أضيعا



في معركة الجمل

هناك لما نكث البغاة	وخرج الجّهال والعُتاة
سار الإمام قائداً للجحافل	والحسنان في الرعيّل الأول
المجتبى سار لأهل الكوفة	مرزجلاً لخطبة معروفه
تدافع وراءه الآلاف	وبقي الشكّك والضّعاف
وأدرك الإمام في « ذي قار »	بحقفل مكرّ للباري
حيث التقت جموعهم في « البصرة »	بزمرة البغي وأهل العذرة
« أبو محمد » يخوض الحزبا	ويحسن الطعن بها والضربا ^(١)

(١) عاش الإمام الحسن عليه السلام في فترة خلافته ، حيث خرج عليه الناكثون في البصرة والقاسطون في الشام والمارقون في النهروان ، فدارت الحروب المتتالية في أكبر فتنة شهدها صدر الإسلام ، وكان الإمام الحسن عليه السلام يمثل دور القائد الميداني لأبيه ، وموفده للمفاوضات وتعبئة الجماهير ، وكان المقاتل الشجاع إذا استعرت الحرب ودارت رحاها.

حينما تمرد طلحة والزبير ونكثا ببيعة أمير المؤمنين عليه السلام عام ٣٦ هـ واتخذوا من أم المؤمنين عائشة واجهة لهذا التمرد فحشدا جموع الناس في البصرة لإعلان العصيان السياسي والعسكري ، وتحركوا جميعاً ضد حكومة علي بن أبي طالب عليه السلام الشرعية.

فما كان من الإمام إلا أن ينفذ حكم الله في البغاة الناكثين فتوجه إليهم بجيش كبير من المؤمنين يضم المهاجرين والأنصار وكان الحسنان في طليعة هذا الجيش ومعهم كبار الصحابة.





وخلال إعداد هذا الجيش وتحركه بعث الإمام علي عليه السلام ولده الإمام الحسن عليه السلام إلى الكوفة لتعبئة الناس والمشاركة في حرب الجمل فكان له الدور الأكبر في التعبئة الجماهيرية العامة رغم وجود بعض الشخصيات الضعيفة والمنافقة التي كانت تشكك بالموقف وتشبث الهمم وتمنع الناس من التوجه لأداء دورهم الرسالي في طاعة الإمام المعصوم في جهاد عدوه.

وبعد أن نجح الإمام الحسن عليه السلام في مهمته وقاد القوات المجاهدة إلتحق بالإمام علي عليه السلام والتقاه في منطقة ذي قار ليتشكل الجيش الإسلامي الذي خاض معركة الجمل وحسمها لصالح جبهة الحق ، وكان الإمام الحسن عليه السلام « أبو محمد » له دور بارز في ساحة المعركة ومعه بنو أبيه وشبان بني هاشم.

ومن الجدير ذكره أنّ الإمام علياً عليه السلام بعد إنتصاره الساحق تعامل مع القتلى ، والجرحى والأسرى وغنائم الحرب وفق تعاليم الشريعة الإسلامية ولم يدع للعصبيات والإنفعالات الشخصية أن تتحكم في قراراته ومواقفه.



في معركة صفين

وحين شَبَّتْ بَعْدَهَا « صِفِّينُ » لا هِبَةَ وَحَقْلُهَا ذَفِيرُ
كَانَ بِهَا السُّبُطُ عَلَى الْمَقْدَمَةِ والخَيْلُ بالخَيْلِ غَدَتْ مُلْتَحِمَةً ^(١)

(١) بعد معركة الجمل أعلن معاوية بن أبي سفيان تمردَه على الإمام علي عليه السلام محاولاً عزل بلاد الشام عن الحكومة المركزية للدولة الإسلامية ، وقد حاول الإمام علي عليه السلام معالجة القضية وامتصاص الأزمة عن طريق الرسائل والمفاوضات بين الكوفة والشام. إلا أن معاوية كان مصراً على موقفه لأنه لا يريد أن يخضع للشرعية ولا يستجيب للحق ، يشجعه في ذلك مستشاره السياسي المخادع « عمرو ابن العاص » الذي يكنّ حقداً دفيناً لعلي بن أبي طالب عليه السلام منذ بدء رسالة الإسلام وحركة الدعوة الإسلامية.

وتمادى معاوية في غيِّه ، فكان يشنّ حرباً خاطفة على شكل غارات على أطراف العراق والجزيرة فيقتل الأبرياء ، ويسلب أموال المسلمين ويرقّع الأمنين ، وينشر الذعر في أرجاء الدولة الإسلامية.

وفي حملة أحد قوَّاد جيوشه « بسر بن أرطاة » ذلك الرجل الوحشي الذي قاد جيشاً لمعاوية فقتل كل مَنْ يعترض طريقه وأحرق القرى والبيوت حتّى توغل في بلاد اليمن فاستباحها فانهزم أمامه عامل اليمن « عبيد الله بن العباس » فقتل ولديه الصغيرين من بعده فجئت أمهما وظلت تردّد هذه الأبيات التي حفظها التاريخ في صفحاته :

ها من أحس بابني اللذين هما	كالدرّتين تشظى عنهما الصدف
ها من أحس بابني اللذين هما	مخي وعقلي فعقلي اليوم مختطف
نُبِّئتُ بسرّاً وما صدقت ما زعموا	من إفكهم ومن الذنب الذي اقترفوا
أحسني على ودج ابنيي مرهفة	مشحودة وكذلك الذنب يُقترف

إزاء هذه التطوّرات الخطيرة لم يكن أمام الإمام علي عليه السلام سوى خيار الحرب ليضع حداً



قال عليُّ : « أملكوه عني
فإنَّه الوارثُ بعدي فيكمو
وانتهت الحربُ إلى التحكيم
يوقِّعُ العهدَ بقلبِ دام
فعادَ والجمعُ غداً مُنتهكا
حتَّى إذا ما وصلوا للتَّهرِ
كي لا يضيعَ نسلُ طه مِنِّي
في فتنة مروعَةٍ تَأْتِيكمو
والمحتجبى في موقِفِ أليم
وهو يرى إنكسارَ الإمام
وبعضهم عادَ به مُشكِّكا
وزُمرَةٌ قد فُتنت بالشَّرِ^(١)

➡

لزمرة أهل الشام المتمردة ، دارت الحرب بين الطرفين على الحدود العراقية السورية في سلسلة من المعارك الدامية وهي التي تسمى في التاريخ بحرب « صفين » وكان للإمام الحسن ومعه أخوه الحسين رضي الله عنهما البطولية في خوض الغمرات ومواجهة فرسان الأعداء.

(١) امتدَّت الحرب لعِدَّة شهور سقط فيها الكثير من الطرفين ، فتجلَّت معادن الرجال وشجاعة الشجعان وكان للحسن والحسين رضي الله عنهما القوي في مقدمة الصفوف ، وكانا يلقيان بأنفسهما في لهواتها غير هيايين ، ولا وجلين من الموت حتَّى طلب الإمام علي رضي الله عنهما من أصحابه أن يمنعاهما من التوغل أكثر في صفوف الأعداء فقال قولته المشهورة : « املكوا عني هذين الغلامين ، لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله ﷺ ».

وقد وصف الشريف الرضي في نهج البلاغة كلمة الإمام هذه بأنَّها من أبلغ البيان وأجمله.

أوشك جيش الإمام علي رضي الله عنه أن يحسم المعركة لصالحه بقيادة البطل حامل اللواء « مالك الأشتر » حيث وصل بجنده إلى مقر قيادة معاوية حتَّى أراد معاوية الهروب من وسط المعركة ، إلَّا أنَّ خدعة حاك خيوطها « عمرو بن العاص » المعروف بالحيله والدهاء أشار عليه برفع المصاحف على الرماح كرمز لإعلان الهدنة ، وقبل الصلح ، وحقن الدماء ، وكانت لعبة تأريخية وفتنة كبرى شقَّت جيش الإمام علي رضي الله عنه وأثارت البلبلة والجدل في صفوفه ، حيث هدده المخدوعون وضعاف النفوس بالقتل ما لم يصدر أوامره بإرجاع كتيبة الأشتر التي كادت أن تأتي برأس الفتنة معاوية ، فاستجاب الإمام علي رضي الله عنه للسيف التي شهرت بوجهه والضغوط التي أدت إلى إنقسام الجيش وافتتان الناس ، فتوقفت الحرب واتفق الطرفان على التحكيم فاختار معاوية عمرو بن العاص ، واختار الإمام علي رضي الله عنه

➡



لم يَصْحَبِ الإمامُ فيها « الحَسَنَا » لَقَوْلِهِ كَانَ بِهَا قَدْ أَعْلَنَّا ^(١)



عبد الله بن العباس ولكن الغوغاء فرضوا عليه أن يختار أبا موسى الأشعري المعروف بضغفه وتخاذله وكان ذلك مشهداً تاريخياً مؤملاً للإمام علي عليه السلام وخلّص أصحابه الواعين لأنّه يدرك أبعاد اللعبة وما ستواجهه الأمة من تمزق وفتن قادمة.

(١) لم يشارك الامام الحسن والدة الامام في معركة الخوارج في النهروان ، بل سبقه الى الكوفة يدير شؤونها ويحاول ان يطوق الاتساعات والمؤامرات المتصاعدة فيها.



في الكوفة

وظلَّ في الكوفةِ بعدَ والدهِ مُنْقِذاً وصِيَّةً مَنْ قَائِدِهِ ^(١)
لكنَّها تَمْـْـجُجُ بالتَّـآمُرِ مَنْ خَارِجِيٍّ جَاهِلٍ وَكَافِرٍ
إِذْ دُبِّرَتْ مَكِيدَةُ لَيْمَةٍ في لَيْلَةٍ كَرِيمَةٍ عَظِيمَةٍ
فَفَقَدَ النَّاسُ إِمَامَ الْعَدْلِ مُصَدِّقاً في قَوْلِهِ وَالْفِعْلِ ^(٢)

(١) بعد قرار التحكيم رجع الإمام علي عليه السلام بجيشه الثقيل بالجراح والجدل والبلبله فبرز دور المشككين الذين شكّلوا كتلة مثيرة داخل الصفوف والتي سُمّيت بالخوارج حيث انفصلوا عن جيش الإمام علي عليه السلام وجمعوا قواهم في تشكيل قتالي جديد ، وحاول الإمام علي عليه السلام من خلال الحوار الهادئ أن يعيدهم إلى طريق الصواب خصوصاً وإنّهم بدأوا يحملون أفكاراً منحرفة عن الإسلام مثل رفعهم شعار « إنّ الحكم إلّا لله » والتي قال عنها الإمام علي عليه السلام : « كلمة حق يُراد بها باطل » وإباحتهم قتل كل مَنْ لا يوافقهم على أفكارهم في تكفير المسلمين.

واستعدّوا لمنازلة الإمام علي في حرب حاسمة بعد أن استنفذ الإمام علي عليه السلام كل وسائل الإقناع معهم ومنعهم من إحداث الفوضى وسفك دماء المسلمين ، نازلهم القتال في معركة عنيفة سُمّيت بالنهروان ، ففضى عليهم ما خلا عدداً قليلاً فزوا من المعركة.

ويذكر المؤرّخون أنّ الإمام الحسن عليه السلام لم يشارك أباه في هذه المعركة لوصية من الإمام بأن يسبقه إلى الكوفة خوفاً من بروز فتنة هناك حيث كانت عاصمة الدولة الإسلامية ، ممّا يستدعي أن تتواجد شخصية قيادية بمستوى الإمام الحسن عليه السلام تستطيع أن تواجه الفتن والمؤامرات التي يغذيها معاوية.

(٢) بعد القضاء على جيش الخوارج في النهروان عاد الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة ليمارس



وقد رثاه نجله الإمام
أطرى بها سابقة الجهاد
مذكراً بفضله وفعله
حتى بكى الناس وسالت أدمع
في خطبة وصحبه قيام
لدى « علي » الفخر والرشاد
وسابقاته وحق أهله
وعرفوا من فقدوا وضيعوا^(١)



دوره في بناء الدولة والمجتمع الإسلامي ، فاتخذ من المسجد الأعظم مقراً لحكمه الذي تميز بالعدل والمساواة بين الناس والإحسان إلى الفقراء والمساكين ، وإعادة الأمة إلى نهجها الأصيل ومنابعها الرسالية الأولى وتذكيرها بسيرة رسول الله ﷺ.

لكن الخوارج ومن يشاركونهم العداء للإمام ونهجه الحق ، تآمروا على إرتكاب أبشع جريمة في تأريخ الإسلام ، وهي إغتيال الإمام علي ؑ في ليلة القدر في محراب صلاته في مسجد الكوفة ، حيث كانت الجريمة على يد الخارجي اللعين « عبد الرحمان بن ملجم » في رواية معروفة في كتب التاريخ ، وعندما وقع السيف على رأسه الشريف قال قولته الخالدة التي لم يقلها أحد قبله ولا بعده : « فُزْتُ ورب الكعبة ».

(١) بعد شهادة الإمام علي ؑ بايع المسلمون ولده الإمام الحسن ؑ في ظروف صعبة وحزن عميق لف الكوفة وخيم نفوس أهلها بالأسى ، وقد وقف الإمام الحسن ؑ خطيباً في الناس فألقى خطبته الشهيرة التي أبّن فيها والده الفقيه العظيم بقوله : « لقد فُيض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ، ولا يدركه الآخرون ، لقد كان يجاهد مع رسول الله ﷺ ، فيقيه بنفسه ، ولقد كان يوجهه برايته ، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ، ولقد توفي في هذه الليلة التي فُيض فيها موسى بن عمران ورفع بها عيسى بن مريم وأنزل القرآن ، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه أراد أن يتناع بها خادماً لأهله ». البغوي ٢ / ١٦٠ ، ومقاتل الطائين ٣ / ١٦ .

وكان أول عمل قام به الإمام الحسن ؑ هو استكمال نهج أبيه في مقاومة الإنحراف ومواجهة تحديات البغاة في الشام ، فأراد أن يعيد بناء الجيش وتعبئة المقاتلين فزاد عطائهم ، لكن استجابتهم كانت ضعيفة في حين كان معاوية يجهز جيشاً قوياً استعداداً للزحف نحو العراق.



خلافة الإمام الحسن عليه السلام

وبعدَها قدَ بايَعُوا « لِلْحَسَنِ »
فخطبَ الإمامُ في الصَّباحِ
مُسْتَنْفِراً جِيوشَهُ لِلْعُدَّةِ
يُطالِبُ الشَّامَ بِأَنْ تُبَايَعَا
وقدَ جرتَ بينهما رَسائلُ
سارَ « عُبَيْدُ اللَّهِ » بِالْجُمُوعِ
حَتَّى إِذَا مَا وَصَلَ « النُّخَيْلَةَ »
وَدَكَّكَرَ النَّاسَ بِأَنْ يُوَاصِلُوا
وقالَ : يا ابنَ عَمِّ سِرِّ اليَهُمُو
وسَطَ خِضَمِّ هَادِرٍ بِالْمِخَنِ
يَدْعُو إِلَى الْجِهَادِ وَالْكِفاحِ
مُتَّجِهاً لِلشَّامِ بَعْدَ مَدَّةٍ
وَأَنْ تُؤَالِيَهُ وَأَنْ تُتَابِعَا
وَالْكُلُّ مِنْهُمْ قَصْدُهُ يُقَاتِلُ^(١)
بِمُوكِبِ الرُّهْبَةِ وَالْخَشُوعِ
وَعَبَّاءَ الإِمَامِ فِيهَا خَيْلَهُ
وَأَنْ يُجَاهِدُوا وَأَنْ يُقَاتِلُوا
وَاسْتَقْبَلَ الشَّامَ وَقَفَ حَيْثُ هُمُو^(٢)

⇨

(١) في أجواء الإستعداد للحرب تبادل الطرفان المراسلات بينهما وقد تميّزت ردود الإمام الحسن عليه السلام في رسائله بالحجة البالغة والدليل القوي والأدب الرفيع مفنداً كل مزاعم معاوية في إدعاءاته. لمزيد من التفاصيل يراجع شرح نهج البلاغة.

(٢) في تلك الظروف الحساسة لجأ معاوية إلى سياسة التفتيت الداخلي لجهة الكوفة ، ونشط رجاله وحواصيسه في رصد تحركات الإمام الحسن عليه السلام وبعث الإشاعات والشكوك وسط المجتمع الكوفي ، فسارع الإمام الحسن عليه السلام إلى دفع قواته بإتجاه الشام استعداداً لمواجهة الزحف الأموي وقد جعل ابن عمّه « عبيد الله بن عباس » قائداً لجيشه ، الذي ذبح جيش معاوية ولديه الصغيرين في اليمن . كما مرّ سابقاً . وأمره بالتوجه إلى منطقة « النخيلة » ليتخذ منها معسكراً لتجميع المقاتلين.



لأَجْمَعَ الْفَارِسَ وَالْمَقَاتِلَا
وَدَعَهُمْ بِأَجْمَلِ الْكَلَامِ
بَقِيَّةَ الْجَيْشِ وَيَأْتِيَا مَعَا
وَحَثَّ صَحْبَهُ عَلَى الْمَسِيرِ^(١)
لِيلْزُمُوا الْوَحْدَةَ وَالْجَمَاعَةَ
فَإِنَّ فِي ذَلِكَ أَجْلَى عِزْرَةٍ

أَمَّا أَنَا فَسَوْفَ آتِي عَاجِلًا
وَحَيْثُ سَارَ الْجَيْشُ نَحْوَ الشَّامِ
وَعَادَ لِلْكُوفَةِ كَيْ يُجْمَعَا
فَإِنِ انْطَلَقَ الْإِمَامُ بِالنَّفِيرِ
مُخَاطِبًا إِيَّاهُمُ بِالطَّاعَةِ
وَلَا يَزِيدُوا قَوْلَهُ وَأَمْرَهُ



(١) ظَلَّ الْإِمَامُ الْحَسَنُ يُعْبِي النَّاسَ لِلِالْتِحَاقِ بِمَعْسَكَرِهِ الْمُتَقَدِّمِ فِي « النَخِيلَةِ » وَكَانَ يُؤَكِّدُ فِي خُطْبِهِ وَأَحَادِيثِهِ عَلَى ضَرُورَةِ حِفْظِ الْوَحْدَةِ الدَّاخِلِيَّةِ ، وَالتَّمَتُّعِ بِالْوَعِيِّ وَالْحَصَانَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ ، وَالِاسْتِجَابَةِ لِنِدَاءِ قِيَادَتِهِ وَطَاعَتِهَا لِأَنَّهُ كَانَ يَدْرِكُ حَرَاஜَةَ الْمَوْقِفِ وَخَطَرَةَ حَرْبِ الشَّائِعَاتِ الَّتِي يَجْهَدُهَا مَعَاوِيَةُ ، وَبَعْدَ أَنْ جُمِعَ مَا يُمْكِنُ تَجْمِيعِهِ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ سَارَ بِهِمْ إِلَى « النَخِيلَةِ » لِيَقُودَ الْجَيْشَ الْمُتَجَمِّعَ هُنَاكَ.

محنته ﷺ

فَظَنَّ قَوْمٌ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ
تَمْرُدُوا وَانْتَهَبُوا الْإِمَامَ
وَطَعَنُوهُ طَعْنَةً فِي رِجْلِهِ
فَحُمِلَ السَّبْطُ إِلَى « الْمَدَائِنِ »
وَنَازِلًا فِي بَيْتِ « سَعْدِ الثَّقَفِيِّ »
خِلَالَ ذَاكَ التَّحَمُّ الْجَيْشَانِ
يُصَالِحُ الشَّامَ فَخَالَفُوا « الْحَسَنَ » ^(١)
وَقَدْ عَصَوْا وَارْتَكَبُوا الْآثَامَا
وَلَمْ يُعِيرُوا أُذُنًا لِقَوْلِهِ
مَا بَيْنَ عَاصِ أَمْرِهِ وَخَائِنِ
مُعَالَجَا لَجَرْحِهِ حَتَّى شُفِيَ ^(٢)
فِي « مَسْكَن » وَاعْتَرَكَ الْخَصْمَانِ



(١) في لعبة ذكية من معاوية أرسل وفداً لمفاوضة الإمام الحسن ﷺ وطرح مشروع الصلح والهدنة ، وقد رفض الإمام ﷺ مشروعهم في الهدنة وابقاء الأمر كما هو عليه فخرج الوفد من خيمته لينفذ مهمته الحقيقية في إثارة الفتنة والتشكيك ، حيث أعلنوا كذباً إنَّ الله قد حقق دماء المسلمين وكانوا يقصدون بذلك إيقاع الفتنة في جيش الإمام الحسن ﷺ وإضعاف تماسكه العسكري وكان لهذه الإشاعة أثرها السيئ على نفوس المقاتلين.

(٢) من المعروف تاريخياً أنَّ الإمام الحسن ﷺ تعرّض لإعتداء بعض الجهالة والمنافقين في جيشه حيث طعنه أحدهم بمغول « سيف صغير حاد » في فخذه كما نهبوا خيمته وأمتعته ممّا يشير إلى عمق الخنة التي عاشها الإمام الحسن ﷺ في ذلك الظرف الحرج ، وقد تقدّم ذكر هذه الحادثة في أبيات الملحمة سابقاً. أمّا سعد الثقفى فهو عامل الإمام ﷺ على المدائن ومن وجوه الشيعة.



خيانة قائد الجيش

وورد الكتابُ من مُعاوِيَةَ
مُخَادَعَاءَ إِيَّاهُ بِالْعَطَاءِ
أَنَسَلٌ لَّيْلًا تَارَكًا مَكَانَهُ
فَأَصْبَحَ النَّاسُ بِأَرْضِ التَّيْهِ
يَحْتُمُّهُمْ عَلَى الثِّبَاتِ وَالْهَدَى
وَاشْتَدَّ بَيْنَ الْفَتَنِ الضَّرْبُ
إِلَى « ابْنِ عَبَّاسٍ » بِنَفْسِ خَاوِيَةَ
بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ بَيْضَاءِ
وَرَاضِيًّا بِالذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ ^(١)
يُؤْمُّهُمْ « قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ » فِيهِ
مُحَذَّرًا فِي ذَاكَ مَنْ تَمَرَّدَا
وَاسْتَعَرَّتْ بِالنَّارِ تِلْكَ الْحَرْبُ



(١) كان معاوية يفاوض عبيد الله بن عباس سرّاً ويمتنيه بالأموال والجاه في حالة تخليه عن الإمام الحسن عليه السلام والانضمام لجهة الشام حتّى ضعف ابن عباس أمام هذه الوعود والأمانى الكاذبة فترك جهة الإمام عليه السلام ليلاً والتحق بمعاوية وكان لهذه الخيانة أثرها السلبى الكبير على معنويات جيش الكوفة.

كما حاول معاوية نفس الطريقة مع بعض القيادات في جيش الإمام الحسن عليه السلام فاستجاب له ذوو النفوس الضعيفة ولم يستجب له البعض الآخر أمثال قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى الذى ضرب أروع الأمثلة في الوعي والثبات والصدق والأمانة ، حينما أقسم أن لا يلتقي مع معاوية إلّا وبينهما السيف وقد وفى بقسمه.



الهدنة وشروط الصلح

لكنّما الإمام كان يعرف
فخاف أن يضيع دين الله
وهو بحفظ دينه مأمور
ففضّل « الصلح » على الهزيمة
مُشرطاً شروطه على مَضَض
ومن بُنود الصلح أن يكفّا
وأن تعود شيعة الإمام
وأن يكفّ عن سُبَاب « حيدر »
وأن يكون العهد بعد « للحسن »
إضافةً إلى شروط أخرى

بأن جيش الشام سوف يزحف
ما بين كافر ومسخ لاه
أوصاه فيه جدّه البشير^(١)
لما به من « حيوّة » عظيمة
فجيشه انهيار وقلبه انتفض
جيشاهما عن القتال صقّا
في مآمن بنعمة الإسلام
وهو الذي في العرش أسمى جوهره
إذا طوى الموت « ابن حرب » وضعن
قد قيل في التاريخ كنّ عَشرا

(١) وقعت صدامات محدودة بين الطرفين ، لكن سير المعارك كان يشير إلى تفوق جيش الشام على جيش الكوفة خصوصاً بعد خيانة قائده عبيد الله بن عباس ومعه عدّة آلاف من الجند ، وقد بدا واضحاً أنّ استمرار الحرب يعني انتصار الجيش الأموي على جيش العراق . وهذا لو تمّ فإنّنه يعني أنّ معاوية قد حقق مشروعه في إنتهاك حرمة الإسلام ، واستباحة الحرمات من موقع المنتصر المغرور دون أن يردعه أحد أو يقف أمام مشروعه التحريفي الخطير أئمة قوّة ، فلم يكن أمام الإمام الحسن عليه السلام من خيار إلّا التفكير بحماية الرّسالة والأئمة وحفظ البقية الباقية من المخلصين من شيعة أبيه عن طريق حل سلمي ، وهكذا كان الصلح مفروضاً عليه .

وبعد أن أمضيت المصالحة

وابتسمت بعد البكاء النائحة^(١)



(١) بعد أن فُرض الصلح أو الهدنة كما يعبر عنها الشيخ المفيد « رضي الله عنه » حدد الإمام الحسن عليه السلام شروطه بحكمة ودقّة فقد كان همّه الأول حفظ القيم والمبادئ والأحكام الشرعية وضمان الأمن للمسلمين من بطش معاوية وغدره وحماية شيعة أبيه من القتل وهم الصفوة الذين واكبوا حركة الرسالة بوحي ودافعوا عن نهج الإمامة بإخلاص.

ونورد هنا مختصر وثيقة الصلح كما جاءت في كتب التاريخ ، وهي كالآتي :

— تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسيرة الخلفاء الصالحين.

— أن يكون الأمر للحسن عليه السلام من بعده فإن حدث به حدث فلائحيه الحسين وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد.

. أن يترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والقنوت عليه بالصلاة وأن لا يذكر علياً إلا بخير.

. إستثناء ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة آلاف ألف فلا يشمل تسليم الأمر.

— على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله .. وعلى أمان أصحاب علي عليه السلام حيث كانوا وأن لا ينال أحداً من شيعة علي بمكرهه.

هذه بإختصار شروط الصلح التي فصلها بعض المؤرّخين إلى عشرة بنود كما جاء في أصل أبيات الملحمة. راجع صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين.



تداعيات الصُّلح

عادَ الإمامُ مُتَعَباً لِلْكُوفَةِ وَمُعْـمِـداً فِي حَزْنِهِ سُـيُوفَةً
وَحَوْلَهُ شِيعَتُهُ مُعَذِّبَةً مِنْ بَعْدِ أَنْ كَانَتْ تَظُنُّ الْغَلَبَةَ
لَأُمُوهُ جَهَالاً مِنْهُمْ وَبِالْأَمْرِ وَهُوَ يُدَاوِي لَوْمَتَهُمُ بِالصَّبْرِ
مُذَكِّراً إِيَّاهُمُ بِالْعَهْدِ وَإِنَّهُ فِيهِمْ إِمَامُ الرُّشْدِ ^(١)
لَكِنَّهُمْ قَدْ سَمِعُوا « مُعَاوِيَةَ » مُفْتَحِراً فِيهِمْ بِكُلِّ طَاغِيَةٍ
يَقُولُ : مَا شَرِطْتُهُ مِنْ ذِمِّ أَنْكِرُهُ وَالصُّلْحَ تَحْتَ قَدَمِي
وَتِلْكَ كَانَتْ قَوْلَةُ التَّحْدِي عَلَّمَهَا « ابْنُ الْعَاصِ » « لَابْنِ هَنْدٍ »
وَبَاتَتْ الْكُوفَةُ بِالْمَخَافِ مِنْ ظَالِمٍ بِكُلِّ عَهْدٍ لَا يَفِي ^(٢)

(١) بعد توقيع الهدنة عاد الإمام الحسن عليه السلام إلى الكوفة موضعاً لأصحابه المخلصين ظروف وملايسات الصلح ، فقد كان فيهم من عاتب الإمام على توقيع الهدنة لشدة إخلاصه وهول الحادثة ، فشرح الإمام لهم كامل الظروف والتعقيدات التي أحاطت به ، وإن كان البعض لشدة الصدمة خرج عن حدود اللياقة والأدب في مخاطبة الأمام أمثال حجر بن عدي الكندي ، وهو من رجالات الشيعة المجاهدين في الكوفة ، وقد استشهد فيما بعد على يد معاوية في موقف بطولي صامد وقبره الآن في مرج عذراء على أبواب دمشق.

(٢) ترك الإمام الحسن عليه السلام الكوفة متجهاً إلى المدينة المنورة وقلبه يعتصره الحزن والناس يأكلهم الندم لأنهم خذلوا الإمام فواجهوا الحقيقة القاسية خصوصاً بعد أن دخل الكوفة معاوية مغروراً وخطب فيهم خطبة المتغطرس والتي قال فيها : يا أهل الكوفة ! أتروني





قاتلتكم على الصلاة ، والزكاة ، والحج ، وقد علمت انكم تصلون وتزكّون وتحجون ؟
ولكنني قاتلتكم لأتأمر عليكم وألي رقابكم ، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون ، ألا ان
كل دم أصيب في هذه الفتنة مطلول ، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين ، ولا يصلح
الناس إلا ثلاث : إخراج العطاء عند محله ، وإقفال الجنود لوقتها ، وغزو العدو في داره ، فإن
لم تغزوهم غزوكم.

وروى أبو الفرج الإصفهاني أنه ذكر في هذه الخطبة علياً فقال منه ثم نال من الحسن.

قال أبو إسحاق : « وكان والله غداراً » راجع شرح نهج البلاغة ٤ / ١٦ .



العودة إلى المدينة

وَأَرْمَعَ الْإِمَامُ أَنْ يَعُودَا	لِيُثْرِبَ مُعَذَّباً مَكْمُودَا
وَهُوَ يُدَارِي أُمَّةَ الْمُخْتَارِ	وَشَيْعَةَ حَيِّدِ الْكَرَّارِ
بِالْخُلُقِ الْمَحْمُودِ وَالْعَطَاءِ	وَسِيرَةِ مَنْ هَبَّةِ السَّمَاءِ
وَهُوَ الَّذِي قَدْ عَرَفُوهُ بِالْكَرَمِ	مُبْتَسِماً رَغِمَ مَرَارَةُ الْأَمِّ
تَنَاقَلَتْ خَصَالُهُ الرَّكْبَانُ	وَامْتَلَأَتْ بِذِكْرِهِ الْأَوْطَانُ ^(١)
فَضَاقَ دَرْعاً « ابْنُ حَرْبٍ » فِيهِ	وَدَبَّ رَ الْأَمْرَ لَكَيْ يُرْدِيهِ



(١) عاد الإمام الحسن عليه السلام إلى المدينة المنورة لبدء مرحلة جديدة من العطاء الرسالي ، حيث باشر مهماته الفكرية والاجتماعية في توجيه الأمة ورعايتها ، وتعريفها بسنة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن اختلطت عليها المفاهيم والاتجاهات نتيجة الجهود الأموية في تحريف الفكر والعقيدة وتزييف الوعي والاصالة ومسح الشخصية الإسلامية.

فاتخذ من المسجد النبوي منطلقاً لنشر مبادئ الدين وتعليم الأحكام الشرعية وترسيخ القيم الأخلاقية في المجتمع الإسلامي. حتى أصبح قطباً فكرياً وروحياً تدور حوله الأمة ، وتنقل فضائل أخلاقه من الكرم ، والجلود ، والسماحة ، والعلم ، والحلم ، والحكمة ، مجسداً في ذلك أخلاق جدّه وشمائل أبيه ومقدماً للمسلمين المثل الأعلى للشخصية الإسلامية كما رسمها القرآن الكريم.



إِغْتِيَالُهُ بِالسَّمِّ

مُخَادِعاً « جُعْدَةً » فِي الْقَضِيَّةِ بَأَنْ تَكُونَ لَابْنِهِ مُحْظِيًّا
فَدَسَّتِ السَّمَّ لَهُ عَنْ عَمَدٍ وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُهْتَدِي وَالْمُهْتَدِي
فَظَلَّ فِي آلامِهِ يُعَانِي وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنْ ثَانٍ ^(١)



(١) رغم إبتعاد الإمام الحسن عليه السلام عن دائرة المعترك السياسي إلا أنَّ معاوية لم تفتّر أحقادَه ولم يهدأ باله ، طالما بقي الإمام يمارس دوره التاريخي في توعية الأمة ورعايتها ، فدبر مكيده لإغتياله عليه السلام وهي طريقة عرف بها معاوية في تصفية خصومه السياسيين فأغرى إحدى زوجات الإمام وهي « جعدة بنت الأشعث » بأن يزوجه من ولده يزيد مع عطاء جزيل ، فيما لو دسَّت السمَّ للحسن بن علي عليه السلام فوقعَت هذه المرأة تحت تأثير الإغراء والجهل فارتكبت الجريمة البشعة بحق ربحانة رسول الله وسيد شباب أهل الجنة .
وهكذا أُلجعت الأمة الإسلامية بفقد إمامها الحسن الذي عانى المحنة وعاش فصولها الرهيبة حتَّى آخر لحظة من حياته الشريفة .

شهادته

حَتَّى قَضَى مُحْتَسِباً وَصَابِراً
فَقَالَ : « أَلْ هَاشِم » فِي فَقْدِهِ
لَكِنَّمَا « عَائِشُ » صَاحَتِ رَافِضَةً
وَرَدَّتِ الْقَوْلَ إِلَى « مَرْوَانَ »
وَكَادَتِ الْحَرْبُ بِأَنْ تَقُومَا
وَقَدْ رَمَوْهُ بِالسَّهَامِ الْغَادِرَةِ
وَعَظِيبِ الْحَسَنِ وَالْعَبَّاسِ
لَكِنَّمَا الْوَضِيئَةُ الْمَسْلُومَةُ
فَحُمِلَ النَّعْشُ إِلَى الْبَقِيعِ
وِظْلٌ بَعْدَهُ بَنُو أَبِيهِ
وَيَنْدُبُونَ شَخْصَهُ الْأَبِيَّ
حَيْثُ بَكَى الْحَسَنُ عِنْدَ قَبْرِهِ
بُعْدًا لِهَذَا الزَّمَنِ الْعَادَارِ
إِلَيْكَ مِنَّا يُرْفَعُ السَّلَامُ

وَقَصَّادُوا بِنَعِشِهِ الْمُقَابِرَا
لَا بُدَّ أَنْ يُدْفَنَ عِنْدَ جَدِّهِ
الْبَيْتُ يَبْقَى وَأَنَا مُعَارِضَةٌ
« وَآلِ حَرْبٍ وَبَنِي سُفْيَانِ »
لَمَّا أَصَابُوا نَعِشَهُ الْمُظْلُومَا
فَانْتَفَضَتْ بَنُو أَبِيهِ ثَائِرَةٌ
وَاخْتَلَفَتْ فِيمَا تَرَاهُ النَّاسُ
« أَنْ لَا يُرَاقَ الدَّمُ قَدْرَ مَحْجَمَةٍ »
مُجَلَّلاً بِالْحُزْنِ وَالْدُمُوعِ
يَكُونُ « بِضْعَةِ النَّبِيِّ » فِيهِ
وَيَذْكُرُونَ جَدَّهُ النَّبِيَّ
مُذَكِّراً بِقَدْسِهِ وَطَهْرِهِ
مُعَانِداً لَصَفْوَةِ الْمُخْتَارِ
فَأَنْتَ فِينَا الْقُدُّوهُ الْإِمَامُ^(١)

(١) قضى الإمام نجبه بالسم صابراً محتسباً في جو من الحزن والألم ، وحوله بنو أبيه وفتيان بني هاشم يخيم عليهم الأسى وتعصر قلوبهم المرارة لأنهم يدركون أكثر من غيرهم موقع الحسن ﷺ ومنزلته في الإسلام ويتحسسون حجم الخسارة التي منيت بها أمة محمد.



وكان ﷺ قد أوصى بأن يـدفن عند جـدّه المصطفى ﷺ بشرط أن لا يؤدي هذا الأمر إلى نشوب فتنة تـراق فيها ولو قطرة دم. فإن حدثت فتنة فإنه يـدفن في مقبرة البقيع مع عموم المسلمين.

وقد حدث بالفعل الذي توقعه الإمام فقد رفضت أم المؤمنين عائشة أن يـدفن الحسن رجـانة الرسول ﷺ إلى جانب جدّه. والتفّ حولها آل مروان وآل أبي سفيان وكادت أن تقع الفتنة عندما غضب بنو هاشم لهذا الموقف الحاقـد. وأخيراً توجهوا بالجثمان الطاهر إلى البقيع ليوسدوا هناك سليل الرسول ﷺ وشبل علي وابن فاطمة.

فسلام عليك سيدي يا أبا محمد الحسن الزكيّ يوم ولدت في أحضان النبوة ودرجت في مدارج الوحي والتنزيل ويوم تبعث حياً ، والسلام عليك في الأولين والآخرين.



الجزء الخامس

الامام الحسين بن علي

سيد الشهداء *





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الإهداء

إلى الحسين ..

صرخةً ..

ورايةً ..

وجرحاً ..





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

اضاءة

روي عن رسول الله ﷺ انه قال :

حسين مَنِّي وأنا من حسين

كثير من الناس يفهم قول رسول الله ﷺ هذا على أنه كناية عن عظيم حبّه للحسين ﷺ فحسب ، لكن الحقيقة أعمق من ذلك بكثير ، فهذه المقولة النبوية الشريفة تختزن في داخلها معنى عقيدياً ورسالياً كبيراً يمتد بامتداد خط الإمامة ودور الأئمة ﷺ في الحياة الإسلامية ، وهو إشارة الضوء الكبيرة التي تنير طريق الإنسان لتصنع له فجر الوعي والثورة ضد الانحراف والظلم عبر التاريخ ، ففي الفترات التي يخيم فيها الظلام ويمسك الشر بأسباب القوة والتفرعن ، ويوشك الانسان ان يضيع في متاهات الجهل والغفلة والضياع ، ويسحق تحت وطأة الطغاة ، يبرق سيف الحق والتحدي ، ويضيء قبس الفكر معالم الطريق مستمداً ارادته وقوة انطلاقته من منبع « حسين مَنِّي وأنا من حسين ».

فهذا القول اذن لم يكن كلمة عاطفية عابرة من كلمات الآباء للأبناء ، وليس مدحاً من رسول الله ﷺ لسبطه الشهيد فحسب ، انما هو وسام مبدأ ، وعلامة إمامة ، ورسالة قيادة ، ووثيقة مقدسة للناس وللتاريخ ، فالنبي الأكرم ﷺ بلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، وتبّت قواعد الدّين ، وأرسى دعائم التوحيد ، فقام الإسلام رسالة شامخة راسخة وسط الصّخور والأحجار ، ثم جاء الحسين ريجانته ، وبعد نصف قرن من الزمن الرديء ليوقف طغيان الزمن ، ويفجر في أمة جده وعي الثورة ويبعث روح النهضة والإصلاح ، ويشير للأجيال بسيفه الذي لم يسقط أبداً أن يعيدوا بناء الإسلام الذي بدأه النبي الأعظم ﷺ ويصونوا القرآن



الكريم ، ويحفظوا السنة المطهرة من عبث العابثين ، وتحريف الطغاة والمستبدين ، بعد أن يتحرروا من الخوف والتردد ويضعوا عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم .

إن قطرة دم واحدة من دم الحسين الطاهر كانت تكفي لإيقاظ الأمة واستعادة شخصيتها إلا إنه ﷺ فجر كل الشرايين بشجاعة ، وقدم كل القرابين بسخاء ، ليضمن اليقظة الكاملة في حاضر الأمة ومستقبلها ، فمثل الحسين ﷺ لا يخل بالدم ، لأنه ثأر الله من الظالمين على مختلف خطوط الصراع والمواجهة معهم.

من هنا يظل الحسين ترنيمة خالدة على شفاه الأحرار تملأ سمع الزمن ، كلما وصلنا إلى نهايتها نعود خاشعين إلى مطلعها الرائع ، فهو قصيدة الحزن التي لا تمل ، وأنشودة الخلود التي لا تموت ، وهل تمل قصيدة في الحسين ؟ وكيف تموت تراويل في كربلاء ؟!

مع الحسين يكون للحزن طعم الحب والجمال ، ومع ذكرى استشهاده يولد الرِّفْض والتحدِّي ، وفي يوم عاشوراء تكون الدموع تواسيح ولاء وأهازيج انتصار.

فسلام على الحسين ، مادامت السموات والارض ، وسلام عليه ما بقي الليل والنهار.

ورحمة الله وبركاته



أدب المقاتل

تعدّ كتب المقاتل نمطاً خاصاً من أنماط التصنيف التاريخي والأدبي ، فهي عرض وثائقي لأحداث تاريخية تغطي وقائع مقتل شخصية تاريخية لامعة ذات اثر في الحياة الاجتماعية تكون بمثابة البطل الذي تدور حوله أحداث القصة ، وقد كانت كتب المقاتل قبل استشهاد الإمام الحسين ؑ عام ٦١ هـ مختصرة ومحدودة في عدد من الشخصيات ورجال التاريخ الاسلامي ، لكنها كثرت بعد واقعة كربلاء ، حيث أصبحت تشكّل اتجاهات جديدة في أدب الكتابة والتأليف حتى أننا أصبحنا نحتاج إلى دراسات نقدية لأدب جديد هو أدب المقاتل في التراث العربي والإسلامي ، وقد بلغت مقاتل الحسين ؑ كما يذكر المؤرخون ومنهم صاحب الذريعة العشرات لعل أولها كان مقتل لوط ابن يحيى الأزدي الكوفي « أبي مخنف » المتوفى عام ١٥٧ هـ والذي أفاد منه الطبري والشيخ المفيد وغيرهما من المؤرخين .

والملاحظ أن كتب المقاتل غير مقتل الحسين ؑ أمثال مقتل عمر بن الخطاب ومقتل عثمان ومقتل محمد بن أبي بكر ومقتل حجر بن عدي وآخرين انتهت في حدود فتراتها الزمنية ولم تعد إلّا جزءاً من التراث ، أما مقتل الحسين ؑ فإنّ الكتابة فيه ظلت متجددة لم تتوقف في أية مرحلة زمنية وفي لغات مختلفة ، حيث نلاحظ فنون الأدب والإبداع والإضافات والتحقيق المستمر للروايات وتحديد طريقة العرض والتصوير الفني لواقعة الطف الخالدة ، كما برزت فيه المواهب المتنوعة في اختيار الشواهد الشعرية ، والنصوص الأدبية ذات العلاقة بأحداث الطف وقصة كربلاء ، فبقيت تلك المأساة حية مع تطور الحياة وتجدد الزمن .



ويرجع سبب ذلك إلى أن ثورة الامام الحسين صرخة الحق الدائمة ضد الباطل فهي أكبر من حدث تاريخي وأوسع من مقتل شخصيات ، إنها حركة خارجة عن مدار التاريخ ومغايرة لطبيعة الأشياء ، ولم تستوعبها كتب التراث ، وفرق كبير بين أحداث التراث والتاريخ وأحداث الحياة ، فأحداث التراث تستغرق في الماضي وتتوقف عنده بلا حراك ، أما أحداث الحياة فهي نبض الماضي وتحرك الحاضر باتجاه المستقبل بل هي حركة الانسان المتجددة نحو التحرر والانعقاد.

إنّ ثورة الحسين ﷺ صنعت التاريخ وغيرت تشكيل الأشياء ورسمت ملامح الزمن القادم ، وكانت لها دلالات عميقة مؤثرة في مسار الأمة الإسلامية منذ وقوعها وحتى اليوم وستستمر إلى ما شاء الله .

ومن خلال مواصلي في إعداد مشروع « قوافل النور » حرصت في هذا الجزء الذي هو الخامس من هذه الملحة على استيعاب حياة الامام الحسين ﷺ ودوره التاريخي بدءاً من ميلاده الشريف وانتهاءً بمقتله مع أهل بيته ﷺ وأصحابه الكرام ، معتمداً على أشهر الروايات في واقعة كربلاء ، وتركت ما لم تثبت عندي وثاقته من أحداث ووقائع حرصاً على أن تأتي هذه الملحة المباركة مطابقة للصحيح المشهور في مقتل الامام أبي عبد الله الحسين ﷺ وقد ضمنتها الكثير من الرجز المعروف الذي قيل على لسان سيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه الأبطال ، وهم يتسمون للشهادة ، وينشدون أنشودة الخلود وسط أتون المعركة.

وكان هدي من ذلك تسهيل مهمة خطباء المنبر الحسيني الشريف في تقديم مادة أدبية وتاريخية عند تناولهم مأساة كربلاء للجمهور الإسلامي الذي يتطلع للاقتداء بأولئك الأبطال النادرين.

ولا اعتقادي أنّ ثورة الحسين هي مادة ثقافية تربوية ضرورية لتشكيل عقلية الجيل الإسلامي الجديد ، الذي لم يتوفر على طريقة استيعاب الرواية التاريخية من



مصادرها فيما تبقى روحه وشخصيته تواقفة إلى سماع الشعر ومناغمة الأناشيد ،
الأمر الذي يجعل واقعة كربلاء قريبة متفاعلة مع وجدانه وأحاسيسه.

كما حرصت أن تأتي هذه الملحمة شاملة وتفصيلية لكل وقائع الثورة
وظروفها بما في ذلك أسماء الرجال والأمكنة ، استناداً إلى أشهر المصادر التاريخية
القديمة مثل تاريخ الطبري ، واليعقوبي ، وغيرهما ، والحديثة مثل أعيان الشيعة
للسيد محسن الأمين ، ونهضة الحسين لأسد حيدر ، وحياة الإمام الحسين للشيخ
باقر شريف القرشي ، ومثل الحسين للسيد عبد الرزاق المكرم ، وأنصار الحسين
للشيخ محمد مهدي شمس الدين ، وغيرها من الكتب والمصادر المتوفرة في مكتبة
مؤسسة دار الإسلام في لندن.

والله يعلم كم كنت أعاني من صعوبة المحافظة على نصوص المقتل
وانسجامها مع الوزن والقافية وهو أمر يعرفه من مارس مثل هذه التجربة . ولا
أدعي أنني أحطت بكامل أحداث الثورة ووقائعها ، لكنني آمل من الأدباء
والخطباء الأعزاء ومن جميع المهتمين بالبحث التاريخي بشكل عام وبثورة
الحسين ﷺ على وجه الخصوص أن يوافوني مشكورين بملاحظاتهم وآرائهم
الصائبة ليتسنى لي تداركها في طبعات قادمة إن شاء الله.

هو الحسين قافية الشعر الغضّ الطري ، فلا ينقضي عجب من شاعر لا يعرف
لحنها ولا يجيد إيقاعها ، وأحسب أن جميع دواوين الشعر تظلّ بتراء ما لم تضم
حرف الحسين ، أما أنا فحسبي من هذه الملحمة أن تكون فصلاً ممزوجاً
بالدموع وجزءاً موصولاً بذلك الحرف المقدّس.

والكمال لله وحده وهو حسبي عليه توكلت وإليه أنيب.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

المولد المبارك

مِنْ بَعْدِ أَنْ أَضَاءَ بَيْتُ الْمَصْطَفَى بِالْحَسَنِ الزَّكِيِّ حِينَ أَشْرَفَا
 يَنْتَظِرُ النَّبِيُّ شَبْلَ ابْنَتِهِ فِي عَامِهِ الرَّابِعِ مِنْ هَجْرَتِهِ ^(١)
 مُسْتَبْشِراً بِمَوْلِدِ الْحُسَيْنِ مُبْتَسِماً وَدَامِماً عِـنَـيْنِ
 مُبْتَسِماً بِفَرَحَةِ الْوَلِيدِ وَبَاكِياً لْغُرْبَةِ الشَّهِيدِ ^(٢)
 وَحِينَ جَاءَتْ فَاطِمٌ بِطِفْلِهَا إِلَى أَبِيهَا وَالْوَصِيِّ بَعْلَهَا
 قَبَّلَهُ النَّبِيُّ فِي عَيْنَيْهِ وَرَتَّلَ الْأَذَانَ فِي أُذُنَيْهِ ^(٣)
 وَقَالَ : هَذَا وَلَدِي مِنْ فَاطِمَةَ تَقْتُلُهُ الْأُمَةُ بَعْدِي ظَالِمَةٌ ^(٤)
 وَرَاحَ يَرْعَاهُ بِكُلِّ حَبٍّ كَأَنَّمَا يَسْكُنُ وَسْطَ قَلْبِهِ

(١) بعد أقل من عام من ولادة الإمام الحسن الزكي وفي اليوم الثالث من شهر شعبان على أشهر الروايات من السنة الرابعة للهجرة النبوية ولد الإمام الحسين ﷺ في بيت علي وفاطمة في المدينة المنورة.

(٢) غمرت الفرحة بيت النبوة بمولد الحسين ﷺ واستبشر رسول الله بخبر ولادته ، ولكن الغريب في الأمر ان الفرحة توشحت بالحزن فاعتصر قلب الرسول ﷺ بالآلم وامتزجت البسمات بالدموع.

(٣) أخذ رسول الله ﷺ ولد الحسين ﷺ فضمه الى صدره وقبله بين عينيه وأذن في أذنه اليمنى وأقام في الأذن اليسرى. على نحو ما فعل مع أخيه الحسن ﷺ يوم ولادته.

(٤) في اليوم السابع من ولادته وبعد إجراء مراسيم المولود من الخلق ، والعقيقة ، والصدقة ، طلبه رسول الله ﷺ فأقبلت به أسماء بنت عميس فأخذه الرسول ﷺ وبكى ، فسألته أسماء عن سبب بكائه فقال ﷺ : أبكي على ابني هذا تقتله فئة باغية من بني أمية لعنهم الله لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة .. يقتله رجل يثلم الدين ويكفر بالله العظيم.



يُلبسُهُ فخَّارُهُ المنيعة

قَبْلَهُ فِي عُنُقِهِ علامَةٌ ^(١)

يُرضَعُهُ إِبْهَامُهُ الشَّريفا

رَأَى بِهِ مَسِيرَةَ الْإِمَامَةِ



(١) إِنَّ الْأُئِمَّةَ اثْنَا عَشَرَ إِمَاماً كَعَدَدِ نَقَبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ مَتَوَاتِرَةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَوْلَهُمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؑ ثُمَّ الْحَسَنُ ؑ ثُمَّ الْحُسَيْنُ ؑ ثُمَّ تَسْعَةٌ مِنْ ذُرِّيَةِ الْحُسَيْنِ ؑ ، فَقَدْ انْخَصَرَتِ الْإِمَامَةُ فِي وَلَدِهِ ﷺ .

شمائل الحسين

شفاؤه والمقلتان الحانیه	ملا ملح النبي فيه باديه
وجه النبي الطاهر المطهر	قال أبوه : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرَى
وهديه وعلمه وذاته	فَلْيَنْظُرِ الْحُسَيْنَ فِي صَفَاتِهِ
ووجته مثله مثل أفق يبرق	طلعتُه كالبدر حين يُشرق
ولم تكن عنده فتى سواه	هيته تعنو لها الجباه
والطيب المبارك الرشيد	لقبه الرسول بالشهيد
وسيد الشباب عند الجنة ^(١)	والسبط والصبور عند المحنة
يكي على بكائه الرسول	يخط فوق مهده جبريل
يقول : أن حبه من حبه	يحملة دوماً على منكبه
وأنني منه وذا فخار ^(٢)	حسين مّي قالها المختار
من فاطم يعدو الى محمد	ودرج الحسين نحو السؤدد
والآي من رب السما الجليل	يسمع همس الذكر والتنزيل

(١) كان الإمام الحسين أشبه الناس بحده رسول الله خلقاً ، وخلقاً ، وهيبة ، وقد لقّبه النبي — كما جاء في كتب التاريخ . بعدة ألقاب منها : الشهيد ، والطيب ، المبارك ، والرشيد ، والسبط ، والصابر ، وسيد شباب أهل الجنة.

(٢) لقد تواترت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ بأن الحسين كان يحظى برعاية خاصة منه ، وكان يُذكر بمنزلته وفضله وحبه له في كل مناسبة ، يُعرّف المسلمون بقيمته وموقعه في حركة الرسالة ، لأنه يريد أن يمهّد أذهان الأمة إلى دور الحسين القادم في إحياء الدين ومواجهة الظلم والانحراف.

فكان يحمل مع أخيه الحسن على منكبيه ويقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَحَبُّهُمَا فَأَحَبُّ مَنْ يَحِبُّهُمَا » ويقول كذلك : « حسين مّي وأنا من حسين ». وهذه إشارة بالغة بوحدة الدور والاتجاه في تبليغ الرسالة وحماية نهجها.



يَجْسُدُ الْقُرْآنَ فِي خَصَالِهِ
حَتَّى إِذَا مَا رَحَلَ النَّبِيُّ
صَبَّتْ عَلَيْهِ جَامَهَا الْمَصَائِبُ
لَكِنَّهُ وَاجَهَهَا بِالصَّبْرِ
وَتَحْتَ رَايَةِ الْوَصِيِّ سَارَا
يَقْتَحِمُ الصَّفَّ غَدَاةَ « الْجَمَلِ »
عُدْكَ يَظِلُّ النَّسَبُ الْمُطَهَّرُ
وَعَايِشَ الْخَنْزَةَ وَالْمَصَاعِبَا
مُتَّبِعاً وَصِيَّةَ الْإِمَامِ
وَحِينَ تَمَّ الصِّلَاحُ كَانَ صَابِراً
حَتَّى قَضَى السَّبْطُ الزَّكِيَّ سُمّاً

فَهُوَ شَبِيهُ أَحْمَدٍ مِنْ آلِهِ
وَفَاطِمٌ وَاهْتَضَبَ الْوَصِيُّ
وَاسْتَفَرَّدَتْ بِرُوحِهِ النَّوَائِبُ
وَجَرَّةُ الْفَتَى الشَّجَاعِ الْحَرُّ (١)
لِلْحَرْبِ يُطْفِئُ بِاللَّهِيبِ نَارَا
وَيَوْمَ « صَقَيْنَ » يُنَادِيهِ « عَلِي »
كَالنُّورِ يَهْتَدِي إِلَيْهِ الْبَشَرُ (٢)
حَتَّى هَوَى الْوَصِيُّ جُرْحاً غَاضِبَا
مُبَايَعاً لِلْحَسَنِ الْهُمَامِ
وَزَلَّ لِلزَّكِيِّ صَوْتاً نَاصِراً (٣)
بَاتَ الْحَسَيْنُ مَكْمِداً مَهْتَمّاً

(١) عاش الإمام الحسين عليه السلام غربة وحزناً بعد وفاة جده المصطفى صلى الله عليه وآله الذي كان يرباه ويحتضنه بالحب ، والحنان ، وهمسات الوحي وآيات الذكر والتنزيل ، ثم شهد هول الصدمة بانقلاب الناس وتراجعهم عن تطبيق وصية الرسول صلى الله عليه وآله واغتصاب حق أبيه وهضم ميراث امه الزهراء عليه السلام ولكنه كان رغم صغر سنه يواجه قساوة الخنة بوعي كبير ، وإرادة صلبة ، فقد أخذ من جدّه حلمه ، وحكمته ، ومن أبيه صبره وشجاعته.

(٢) واكب الإمام الحسين عليه السلام سير الأحداث التي جرت على المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وعایش فصول هذه الخنة الطويلة ، وشارك أباه في حرب الجمل ، وصفين ، والنهروان ، وكان في مقدمة الصفوف ، حتى قال الإمام علي عليه السلام لأصحابه وقد اشتدت معركة صفين ، وكان الحسنان في الطليعة يخوضان غمارها : « أملكوا عني هاذين الغلامين لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله ».

(٣) بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام بايع الإمام الحسين أخاه الحسن بالخلافة ، وكان معه في فصول محنته ، يشاهد خذلان الناس له فيقف معه ناصراً ، وبعد توقيع معاهدة الهدنة بين الإمام الحسن ومعاوية ، ظل الحسين لأخيه عضداً يؤازره ويواسيه.



الحسين ؑ ومشروع الثورة

وأقبلت شيعته اليه	مُلقيَةً أمأها لديه
تَدعو الى الثورة والجهاد	فالشأم فيها الغاصبُ المعادي
لكنَّهُ باتَ حليس الدار	يأمرهم فيها بالانتظار
حتى هلاك ابن أبي سفيان	وعندها تعلو ظبي الايمان
وراح يرعى الناس في المدينة	بالحبِّ والعطاء والسكينة ^(١)



(١) بعد شهادة الإمام الحسن ؑ بدسياسة من معاوية ، تطلّع شيعة العراق إلى الإمام الحسين ؑ كي يقودهم في عمل ثوري ضدّ معاوية ، لكنه ؑ كان يرى أنّ الظروف وطبيعة الاتفاق وبنود الصلح الموقع مع معاوية لا تسمح بتحريك من هذا القبيل ، فكان يوجههم نحو الصبر والانتظار حتى يهلك معاوية ، وخلال فترة الانتظار كان يُمارس دوره الفكري والاجتماعي في الأمة.



ضحايا العقيدة من أصحاب الإمام علي عليه السلام

والشام في أحقادها تفوؤ
تطارذ الاحرار في العراق
فقتلت « حجر » الكرام ابن عدي
وقتل ظلماً « رُشيد الهجري »
وقتل « أوف بن حصن » بعده
وقطعت صبراً يدي « جويرية »
وميثم قصته معروفه
وروع « المرقال » « وابن الطائي »
ومنع الطاغية عطاء الشيعة
وهدمت دور محبي فاطمة
ورفضت شهادة الابرار
وأبعد الاخيار من صحب « علي »
تسب حيدرًا بما تجور
وقد تمادت بالدم المراق
وهو حبيب المرتضى وأحمد
« وعمرو بن الحُمق » المفتخر
« والحضرمي » أوردته لحده
« وابن فسيل » حيث نال الأمانة
في عشرة قد ضلوا في الكوفة
وقيدت « سودة » « بالزرقاء »
وهي لعمري فعلت شنيعة
فقطعت لك الأكف الهادمة
وقبلت شهادة الفجار
الى بلاد فارس والجيل^(١)

(١) في تلك الفترة من حكمه صعد معاوية حملته الشرسة ضد أهل العراق وشيعة علي خاصة ، فتبّع كل محب لأهل البيت عليه السلام وأصدر أوامره « أن برئت الذمة ممن وإلى أبا تراب فاهدموا عليه داره ، وامسحوا اسمه من الديوان » ، وهذه أبشع حرب إرهابية ؛ لأنها تعني موت الأبرياء ، وتجويع الأطفال ، فقُتل نتيجة هذه الحرب العدوانية جمع مبارك من الصحابة والتابعين وحفظة القرآن أمثال :





. حجر بن عدي الكندي وجماعته.

. عمرو بن الحمق الخزاعي.

. أوفى بن حصين.

. شريك بن شدّاد الحضرمي.

. جويرية بن مسهر العبدي.

. ميثم بن يحيى التّمّار. وغيرهم كثير.

كما أنّه تمّ وحسب هذه السياسة الحاقدة تهجير آلاف الأسر ، وهدم بيوت الأمنين ،
وصدرت التعليمات بعدم قبول شهادة أي شيعي في القضاء ، في حين كانت تقبل شهادة
أناس معروفين بالفسق والفجور وارتكاب الفواحش ، وبذلك قلب معاوية موازين العدل
ومسخ أحكام الشريعة.



هلاك معاوية وخلافة يزيد

وذاث يوم أقبل البريدُ
مُخبراً عن موتِ طاعِيه
مُنصباً من بعده يزيداً
وأصبحتْ خلافةُ الرعيه
فكيف يرضى السبطُ هذا يا تُرى
ويوم أرسَلَ الوليدُ خلقه
فهل يُبايعُ « ابنَ هند » قَهراً
والبيتُ شاهِدٌ له والحرمُ
بأنه سيّدُ أهلِ عصره
من جهةِ الشام بما يُريدُ
فقد قضى في قصره « معاوية »
العابثُ الزنديقُ والرّعديداً^(١)
ملكاً عَضُوضاً لبني أميّه
وهو الذي من السماء أُمّرا
يسألهُ بيعتهُ أو حتفه
وأُمّه بنتُ النبيِّ الزهرا
والطوائفون والصّفا وزمزمُ
وأَنَّهُ خيرُ رجالِ دَهْره

(١) وعندما هلك معاوية تولى ابنه يزيد الخلافة من بعده ، بعد أن فرضه على المسلمين وفقاً لسياسة الترغيب والترهيب التي عرف بها في حكمه ، وبذلك أصبحت الخلافة ملكاً وراثياً في بني أمية ومن جاء بعدهم.

وأما يزيد فهو شاب متهور ، نزق ، مهزوز الشخصية اشتهر بالفسق والمجون ، ولم تكن له سابقة دين ، أو جهاد ، أو أخلاق ، فقد كان يتجاهر بشرب الخمر وارتكاب المحرمات وكان مولعاً بالطيور والقروود والعبث.

وعندما دعا « الوليد » الوالي
كان الحسين أول الآتين
قال لهم : كونوا على الابواب
فإن علا صوتي مع ابن عتبة
وحسين وافى فريء الكتاب
لكنه لم يعط كف البيعة
فقال : في غد وأخفى أمرا
فرّد « مروان » على « الوليد »
فوثنب الحسين يعلو نطقا
ككذبت والله فأنت أولى

« ثلاثة » من أبرز الرجال
مع ثلثة من هاشم شاكننا
واستمعوا للردّ والجواب
اقتحموا الباب بكل غضبه
فاسترجع الحسين لا يهاب
ولم يشأ بأن تكون خدعة
بيعه مثلي لا تكون سراً
خذ الحسين الآن بالحديد
أنت تقول ذاك يا ابن الزرقا
بالقتل ميّ وأنا ابن « المؤلى »



الحسين ﷺ يُقرّر مشروع الثورة

وصرخ الوليدُ كيفَ أقتُلُ ؟ هذا وجدُّه النبيُّ المرسلُ
فرجعَ الحسينُ وهو ثائرُ يضمرُ أمراً ولهُ يُغادرُ ^(١)
فزارَ قبرَ جدِّه مُودِّعاً يلثمُ رملَهُ ويُرخي المَدْمَعَا

(١) كان حكم يزيد يحتاج إلى اخذ البيعة من المسلمين خصوصاً الشخصيات البارزة في المجتمع الإسلامي لكي يستقر حكمه ، ويستتب له الأمر ، فأرسل كتاباً إلى والي المدينة الوليد بن عتبة يأمره بأخذ البيعة من عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، ومن الحسين بن علي خاصة.

وكيف يمكن للحسين ﷺ أن يبايع حاكماً فاجراً مثل يزيد ؟! والحسين بضعة النبي وسيد شباب أهل الجنة ، هذا بغض النظر عن بنود معاهدة الصلح التي وقعها معاوية ، والتي نصت على أن يكون الأمر للحسين في حالة وفاة أخيه الحسن ، وموت معاوية.

وعندما أرسل الوليد في طلب الحسين ﷺ اخذ الإمام حذره ، فاصطحب معه ثلة من فتيان بني هاشم المسلحين ، وقال لهم كونوا على باب بيت الوالي ، فإن رأيتم صوتي قد علا فاقترحوا الدار ، وحينما دخل الحسين ﷺ قرأ الوالي كتاب موت معاوية وخلافة يزيد ، وطلب منه أن يبايع اللحظة ، وكان في المجلس مروان بن الحكم ، ولكن الحسين ﷺ استرجع . أي قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » — ورفض البيعة ، فأشار مروان على الوليد أن يأخذ البيعة بالقوة ، أو يقتله ، وأن لا يدع الفرصة تفلت من يده ، فوثب الحسين ﷺ مخاطباً مروان بنيرة قوية واثقة : يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو ؟! كذبت وأثمت ، ثم قال للوليد : مثلي لا يبايع مثله ، ولكن نصبح وتصبحون ، وننظر وتنظرون أيتنا أحق بالخلافة ، فسمع فتيان بني هاشم ارتفاع الأصوات فاقترحوا الدار وأخرجوا الإمام ، فعاد الحسين ﷺ وهو يفكر في أمر الأمة ومصيرها في ظل حكم يزيد بن معاوية.



يقولُ : يا جدّاهُ ذا الفراقِ
فجمعَ الركبَ لكي يسيرا
بأنه مسافرٌ لينبوى
فاعترضتْ كبارُ آلِ هاشمٍ
لكن أجابَ : خالقُ البرايا
وأن يراني قبلها مُرمّلا
فارتفعَ البكاءُ والعويلُ
فسارَ والركبُ له رنينُ
حتى أراحَ ركبُه في الحرمِ
يطوفُ في البيتِ ويدعو ربه
يلتفتُ حوله الأباهُ البررة
يكتبُ للأمصّارِ أنْ تمَيّأوا

رحأنا محطّها « العِراقُ »
وأخبرَ الكبيرَ والصغيرا
فهو إلى الثّورة قد شدّ اللّوا
إن شئتَ سافرْ دوّما الفواطمِ
قد شاءَ أنّها تُرى سبّيا
وأن يكونَ مقتلي بكَرّلا
مُذْ أيقنوا بأنّه قتيْلُ
وفي القلوبِ خلقه حنينٌ^(١)
لم يُعطِ بيعه ولم يستسلم
مُصلّياً مُعتمِراً في الكعبة
من هاشمٍ وجعفرٍ وحيدره
لثّورة عارمة لا تهدأ



(١) قرر الإمام الحسين عليه السلام أن يغادر المدينة إلى مكة فغادرها أواخر شهر رجب عام ٦٠ للهجرة حيث أخذت الأمور تسير باتجاه الثورة ، فودع قبر جده المصطفى بالدموع والشكوى وجهز نفسه وأهل بيته للسفرة الأخيرة ، وشاع خبر رحيل الحسين ، فبادر جماعة من أهل بيته إلى نصحه بترك السفر وبادر بعض أبناء الصحابة أيضاً إلى ذلك ، ولكنه كان يرى ما لا يرون ، فمضى يطوي المسافات في طريقه إلى مكة.

رسول الحسين إلى أهل البصرة

مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ كَتَبَا
« لِمَالِكِ الْبَكْرِيِّ » وَابْنِ الْهَيْثَمِ
وآخَرِينَ مِنْ وَجْهِ الشَّيْعَةِ
بَأَنِّي أَحَقُّ مِنْ يَزِيدٍ
وَحَيٍّ وَافِي الْبَصْرَةِ الرَّسُولُ
فَسَلِّمُوهُ غِيلَةً عَشِيَّةً
وَقَدِّمِ الرَّسُولَ نَحْوَ الصَّالِبِ
لَشَيْعَةِ الْبَصْرَةِ أَصْحَابِ الْإِبَا
« وَالْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ » الْمَقْدَمِ
وَتَلَّةٍ سَامِعَةٍ مُطِيعَةٍ
بِالنَّصْرِ وَالْبَيْعَةِ وَالتَّأْيِيدِ
خَائِفَةٍ بِهِ الْأَبْطَالُ وَالْفُحُولُ
لِابْنِ زِيَادٍ وَبَنِي أُمَيَّةٍ
مِنْ غَيْرِ مَا جَرِيرَةٍ أَوْ ذَنْبٍ^(١)



(١) دخل الحسين مكة في شعبان عام ٦٠ للهجرة ، فكتب الى رؤساء الشيعة في البصرة وهم مالك البكري ، والأحنف بن قيس ، والمنذر بن الجارود ، ومسعود بن عمرو ، وقيس بن الهيثم ، وعمرو بن عبيد بن معمر وغيرهم. ورغم اعتقال السلطات الأموية في البصرة لرسول الحسين الا ان شيعة البصرة استجابوا بقوة لنداء الحسين ولكن تسارع الأحداث لم يمكنهم من الوصول الى كربلاء في الوقت المناسب للمشاركة في أحداث عاشوراء الدامية.



رسائل أهل الكوفة الى الحسين ❁

وهي لعمري ساحةٌ مخوفه
من سادةِ الأقوامِ والقبائلِ
دانت له الأعرابُ من أهلِ اليمنِ
وأورقتْ غراسُها اليبابُ
وُزُمِرَ منصرّةٌ مؤيِّده

وكتبت رجالُ أهلِ الكوفه
عدهَ آلافٍ من الرسائلِ
مثلِ ابنِ « ربي » و « حجار » ومن
قالوا : بأنْ قد أينع الجنبُ
أقدمَ على جُنْدٍ لكم مجنّده



سفيرُ الحسين ﷺ

فكَّتَبَ الحُسَيْنُ يَا أَصْحَابِي بكَفٍ قَيْسٍ جَاءَكُمْ كِتَابِي
إِنِّي بَعَثْتُ بَابَنَ عَمِّي « مُسْلِمٌ » وَثَّقْتِي فِي كُلِّ أَمْرٍ مُحْكَمٍ
فَبَايَعُوهُ دَوْمًا تَأْخِيرٍ كَبِيعَةَ الْأَصْحَابِ فِي « الْعَدِيرِ »
وَإِنِّي إِنْ شَاءَ رَبِّي فِي الْأَثَرِ لَا أَرْهَبُ الْمَوْتَ وَلَا أَخْشَى الْخَطَرَ ^(١)



(١) خلال فترة إقامة الامام الحسين ﷺ في مكة وردته آلاف الرسائل والكتب من أهل الكوفة ورجالها يعبرون فيها عن طاعتهم له ورغبتهم الشديدة في التخلص من حكم يزيد بن معاوية ، ويطلبون منه القدوم ليقودهم في الثورة ، ومبايعته على السمع والطاعة ، باعتباره الامام الذي يعرفون حقه ، وفضله ، ومنزلته في الإسلام ، ومن الذين بعثوا برسائلهم إلى الحسين ﷺ :

• شُبَّانُ بْنُ رَبِيعٍ .

• حَجَّارُ بْنُ أَبِي جَرٍّ .

• يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ .

• وَعِزَّةُ بْنُ قَيْسٍ .

وغيرهم من رؤساء القبائل ووجهاء الكوفة ، فبعث الحسين ﷺ رسائل جوابية إليهم مع عدد من الرسل وأوفد إليهم ابن عمه وثقتهم مسلم بن عقييل ، ومعه قيس بن مسهر الصيداوي ، وعمرة بن عبد الله السلولي ، وعبد الرحمن بن عبد الله الأزدي ، يأمرهم بلزوم طاعة مسلم ريثما يصل إليهم ، فإنه قادم إلى العراق قريباً إن شاء الله.



سفر مسلم بن عقيل

وسار مسلّم الى العراق
مات ذليلاً لديه عطشا
حيث نجا في الرّمق الأخير
وخطّ رَحْلَهُ « بطن خبت »
وكاتب الحسين بالذي جرى
ودخل الكوفة في ليل خفي
وجاءت الشيعة نحو الدار
واظهرت فرحتها بالثائر
فصفت أكَفَّهُ الآلاف
فكاتب الحسين أن أقبل علي
لم يكثر قط بما يلاقي
لكنه لم يتلّكأ فمشى
مكّماً للدوره الخطير
وهو مضيق مُفعّم بالموت
فجاءه جواؤه أن يصبر
وحلّ دار « ابن عبيد الثقفي »
بدعوة من شيخها المختار
يخطب فيها « ابن شبيب الشاكري »
وخضعت بالبيعة الأحراف
فالكوفة الحمراء ما بين يدي^(١)

(١) في النصف من شهر رمضان عام ٦٠ للهجرة تحرك « مسلم بن عقيل » من مكة باتجاه الكوفة ومعه دليان ، لكنهما أضلا الطريق واشتد بهم العطش فمات الدليان ، ولكن مسلماً واصل وحده يغدُ السير ، ويبحث الخطى نحو العراق ، فوصل إلى منطقة يقال لها « بطن خبت » ومنها كتب إلى الحسين رضي الله عنه بالذي جرى على أصحابه ، ولكن الحسين رضي الله عنه أمره أن يواصل سيره إلى الكوفة دون تأخير أو تردد.

وفي الخامس من شهر شوال دخل مسلم الكوفة ، فنزل دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، وكان من وجوه الكوفة ، فسارع الناس الى زيارة مسلم والترحيب بمقدمه والإعراب عن





حبهم لأهل البيت عليه السلام ولزومهم للسمع والطاعة لهم ، وكان من جملة رجالات الشيعة الذين عبروا عن ولائهم للحسين بإخلاص وصدق «عابس بن شبيب الشاكري» حيث قال لمسلم : إني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في نفوسهم ولا أغرك بهم ، والله إني أحدثك عما أنا موطن عليه نفسي ، والله لأجيبنكم إذا دعوتهم ولأقاتلن معكم عدوكم ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله لا أريد بذلك إلا ما عند الله.

وقد تواصلت وفود الكوفة على مسلم ، فبلغ عدد المبايعين ثمانية عشر ألفاً ، وقيل أربعين ألفاً ، كما في رواية الشعبي ، فكتب إلى الحسين عليه السلام عجل القدوم يا ابن رسول الله ، فان لك بالكوفة مائة ألف سيف فلا تتأخر.



وصول ابن زياد إلى الكوفة

يَطْوِي مَسِيرَ الصَّبْحِ وَاللَّيْلِ مَعَا	لَكِنْ أَتَاهَا ابْنُ زِيَادٍ مَسْرَعًا
يَقْلُدُ الْحُسَيْنَ بِالسَّيْمَاءِ	مُثَمَّمًا بَعْمَاءٍ سَوْدَاءِ
يُرِيدُ تَحْقِيقَ الْأَمَانِي وَالْهَدَفِ	وَدَخَلَ الْكُوفَةَ مِنْ وَادِي النَجَفِ
وَحَذَّرَ النَّاسَ وَمَنْ يَعَصِيهِ	وَوَصَلَ الْقَصَرَ وَصَلَّى فِيهِ
وَحَوَّفَ الْبَاقِينَ فِي دَهَاءِ	وَوَعَدَ الْقَادَةَ بِالْعَطَاءِ
لَمْ يَبْقَ أَنْ يَأْتِيَ سَوَى أَيَّامِ	يُشَيِّعُ أَنَّ جَيْشَ أَهْلِ الشَّامِ
دَارَ ابْنِ عُرْوَةَ يُحْشِدُ الْمَلَا	وَعِنْدَهَا غَادِرٌ مَسْلُومٌ إِلَى
بِأَنَّ «مَسْلَمًا» بَيْتِ «هَانِي»	لَكِنْ تَنَاوَى خَبْرٌ لِلْجَانِي
وَمَنَعَتْ عَنْ أَهْلِهِ أَخْبَارَهُ ^(١)	فَاعْتَقَلَتْهُ شُرْطَةُ غَدَارَةِ

(١) أرادت السلطة الأموية أن تتدارك الموقف فقررت عزل والي الكوفة «النعمان بن بشير» واستبداله برجل طاغية ظالم هو «عبيد الله بن زياد بن أبيه» الذي كان والياً على البصرة، فتحرك فور وصول الأمر إليه نحو الكوفة، يوصل الليل بالنهار كسباً للوقت، وليحقق طموحاته في الحكم ونزعته الدموية المعادية لأهل البيت عليه السلام، فدخل الكوفة متنكراً بزي أهل الحجاز ليلاً، ليوهم الناس أنه هو الحسين بن علي، وعندما كان يحییه الناس بقولهم مرحباً بك يا ابن رسول الله، كان يكتفي في رد السلام بالإشارة خوفاً من افتضاح أمره.

➡





ودخل القصر ليلاً ، فعرف الناس انه ابن زياد وليس الحسين ، حينذاك أُصيبوا بالدهشة وتفرقوا إلى منازلهم ، وفي صباح اليوم التالي جمع ابن زياد الناس في المسجد الأعظم ، فخطب بهم وحذرهم من إيذاء أنصار الحسين ومبعوثيه ، وهدد بقتل كل من يخالف تعاليم السلطة ، كما وعدهم بالعطايا والأموال ، وكان رجال السلطة وعيونها يشيرون بين الناس ان جيش الشام قادم عما قريب إلى الكوفة ليقضي على كل تحرك ضد حكومة يزيد.

في هذه الاجواء قرر مسلم بن عقيل تغيير محل اقامته من دار المختار الى دار هاني بن عروة المذحجي وكان من أشرف الكوفة وقرائها ، والزعيم المبرز فيها ، ولكن عيون ابن زياد استطاعت ان تعرف محل اقامة مسلم السري ، فأرسل عبيد الله بن زياد يستدعي هاني الى قصره ، حيث تم اعتقاله وتعذيبه في القصر من أجل الاخبار عن مكان اختفاء مسلم بن عقيل.



إشتعال الثورة قبل موعدها

فسار « مسلم » بأهل الكوفة
ندأؤهم « أمت أمت منصور »
وأقبلوا للقصر في عزيمته
وابن زياد أغلق الأبوابا
وهتفت « مراد » أين هاني
ف قيل : ذا عنه الأمير راضي
فاشتعلت بين الجموع الفتنة
تفرقت من حوله الرجال
في ليلة مُظلمة مخوفة
حتى خلّت من الرجال الدُورُ
وأوشكت أن تقع الهزيمة
وحشد الحُرّاس والحجّابا
سيّدنا وقائد الشجعان
والقول كان من « شريح القاضي »
ومسلم يعيش أيّ حنة
ونكثت بيعته الأبدال^(١)

(١) كان مسلم قد حدد موعداً مع أصحابه لإعلان الثورة في الكوفة ، لكن اعتقال هاني وتسارع الاحداث جعله يستعجل موعد الثورة ، فدعا رجاله وسار بهم باتجاه قصر الامارة ، وكان شعارهم شعار رسول الله يوم بدر « يا منصور امت » وكان عددهم أربعة آلاف رجل ، إلا أنّ ابن زياد دخل قصره وأغلق الباب ، واعتمد حرب الشائعات لتفريق انصار مسلم ، فأشاع بينهم بأن جيشاً كبيراً من دمشق يزحف باتجاه الكوفة وكان يخوفهم بانتقام هذا الجيش ، فتفرق الناس عن مسلم ولم يبق سوى عدد قليل ، وكان مطلب الثوار اطلاق سراح هاني بن عروة فقط فخدعهم ابن زياد عن طريق « شريح القاضي » الذي



حَتَّى غَادَا فِي هَمٍّ غَرِيقَا
إِذْ انْتَهَى لَيْلًا لَحْيِي كِنْدَةً
يَطْرُقُ بَابَ « طَوْعَةٍ » الْوَفِيِّه
يَطْلُبُ مَاءً كِي يَرُدَّ الْعَطْشَا
سَقَمَتْهُ ثُمَّ أَدَخَلَتْهُ الْإِدَارَا
فَبَاتَ كُلَّ اللَّيْلِ فِي عِبَادَةٍ

لَمْ يَر مَن يَدُلُّهُ الطَّرِيقَا
وَعِنْدَهُ مِنَ الْأَسَى مَا عِنْدَهُ
الْبَرَّةِ الْمُؤْمِنَةِ الزَكِيِّه
فَالنَّارُ مِنْهُ فِي الْعَيُونِ وَالْحَشَا
لَمَّا رَأَتْ فِيهِ الْفَتَى الْكَرَّارَا
مُنْتَظَرًا لِسَاعَةِ الشَّهَادَةِ



خرج الى الناس وأخبرهم بان هاني في خير وانه يجالس الامير في القصر فعودوا الى منازلهم.
وبذلك كان قاضي بني امية قد استغل موقعه في القضاء ليكون شاهدا زور في أخرج
ظرف مرت به الكوفة.



مسلم يُقاتل وحده

وفي الصباح حاطت الخيول
أخرج إلينا فلك الأمان
فكّر فيهم مُفرداً يُنادي
« أقسمت لا أقتل إلا حُرّاً
كل أمرئ يوماً مُلاقٍ شراً
رُدّ شعاع النفس فاستقرا
حتى هوى مُحضّ بآ صريعاً
جيء به للقصر وهو يزأر
ثم قضى صبراً ولم يستسلم
وأمر الطاغى بقتل « هاني »
وسُجبا في السوق بالحبال

بالدار وابن « أشعث » يقول
وإن أبيت تُوقد النيران
يا مَنْ نكثتم بيعه الرشاد
وإن رأيت الموت شيئاً نُكراً
ويخلط البارد سخناً مُراً
أخاف أن أكذب أو أُغرّاً
فأسرّوه بطلاً مُريعاً
يقول : هل إلى الحسين مُحبر ؟
فلألف آه للشهيد مسلم
وكان في أغلاله يُعاني
وصُلباً من فوق جذع بال^(١)

(١) بعد تفرق الناس عنه بقي مسلم وحيداً لا يدري أين يتجه وهو غارق في محنته ، فوقف على باب امرأة من كندة يقال لها « طوعة » فسقته الماء وآوته في تلك الليلة التي قضاها بالعبادة حتى الصباح ، لكن ابنها وشى بأمر مسلم إلى ابن زياد فأرسل مجموعة بقيادة الأشعث بن قيس للقبض عليه فواجههم الإبطال ولم يتمكنوا من أسره إلا

وظَلَّتِ الكوفةُ تَغْلِي خائفَةً
حيثُ الحسينُ لم يزلْ مُقيماً
يَنْهَى عَنِ الفحشاءِ والمعاصي
بأنَّه جاءَ لَكِي يَغْتالُة
في ليلةِ الثامنِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ
وفي الصَّباحِ لم يُعْذْ مُقيماً
مُودَّعاً بالدمعِ والبكاءِ

ومكَّةُ تَرْهَو بأنْدى طائفَةً
يُقَبِّلُ الأركانَ والحُطيمَا
حتَّى أتاهُ خيرُ ابنِ العاصي
فأخبرَ الحسينُ سرّاً آلَهُ
فتركَ الجميعُ فيها حَجَّةَ
حتَّى أتى عشاءً « التَّنْعيمَا »
مِنْ أهلهِ وفتيةِ البَطْحاءِ



بعد منازل شديدة أُصيب فيها مسلم بجراح كثيرة ، سقط على أثرها على الأرض فأسروه ، واقتيد إلى قصر الإمارة وجراحه تنزف دماً ، وفيما كان مسلم يعيش آخر لحظات حياته بين يدي جلاده ، كان همه أن يرسل إلى الحسين رسالة أخيرة يخبره فيها بما آل إليه أمر الكوفة وانقلاب الموقف فيها ، وكيف يوصل هذه الرسالة وهو مكبل يعرض على السيف ، ثم قضى شهيداً صابراً وهو يسبح الله ويكبره ، ثم أُلقي من سور القصر وقُتل في نفس اليوم هاني بن عروة ، وشُحبا بالجبال في أزقة الكوفة وساحاتها لتخويف الناس وإشاعة الرعب في قلوبهم.



البيان الأول لثورة الحسين ﷺ

وقامَ فيهم خاطباً يقولُ :
فما خرجتُ أشراً أو بطراً
وسارَ حتى وصلَ « الصّفاحا »
حيث التقاهُ الشاعرُ « الفرزدقُ »
أنّ قلوبَ الناسِ لم تزلْ معكُ
فاسـترجعَ الحسينُ ثمَّ حوَقَلا
بالنصِّ قد أوصى لنا الرسولُ
أو ظالماً أو مُفسِداً بلْ مُنْكِرا^(١)
بعزمِهِ يواصلُ الكفاحا
مُخْبِراً إيّاهُ وهو يصدّقُ
وتطمحُ السيوفُ أنْ تقطَعَكُ
بأنّهُ يَرْضَى القضاءَ والبلّا

(١) بينما كانت الكوفة تعيش حالة القلق والترقب والخوف إثر مقتل مسلم وهاني ، فإن مكة كانت هائلة بوجود الحسين ﷺ الذي كان يمارس دوره في التوجيه والارشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى جاء خبر وصول مجموعة من رجال السلطة الاموية لاغتياله ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ، فكره الحسين ﷺ أن يُراق الدم في هذا المكان المقدس ، فقرر مغادرة مكة بسرعة نحو العراق عاصمة اهل البيت وساحة الثورة المتجددة.

وفي الثامن من ذي الحجة ، وهو يوم التروية والخروج الى منى قطع الحسين مناسك الحج ، وحوّل حجه الى عمرة مفردة متجهاً الى العراق عبر ميقات التنعيم ، ولعلّه كان يهدف من هذا التوقيت تنبيه الامّة الى خطورة الموقف ومسؤوليتها التاريخية . وقد ودعته مكة ، وهو ابنها ، بالدموع والحسرات ، وودعها هو بخطبة تاريخية مثلت البيان الاول للثورة الحسينية الخالدة ، حيث حدد فيها عزمه وارادته على المضي نحو تحقيق الاصلاح الاجتماعي والسياسي ، وإن أدى ذلك الى شهادته ، جاء فيها : ما خرجت اشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً ، انما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر ، فمن قبلني بقبول الحق ، فالله أولى بالحق ، ومن رد علي ذلك أصبح حتى يحكم الله والله خير الحاكمين.



مُصَمِّمًا عَلَى الْوَفَا وَالصَّدَقِ
بِمَسْلَمٍ قَدْ فَتَكَ الْأَعْدَاءُ
وَأَكْثَرَ الْبُكَاءِ بَنُو عَقِيلٍ
يُطْفَأُ نَارُ الْحَرِّ إِلَّا بِالْدَّمَ
تِلْكَ الْبَقَاعُ مَنْزِلًا فَمَنْزِلًا^(١)
لِيَسْتَقُوا الْمَاءَ مِنَ الضَّفَافِ

ثُمَّ مَضَى قُدَمَاءُ « لَذَاتِ عِرْقٍ »
وَفِي « زُرُودٍ » جَاءَتِ الْأَنْبَاءُ
فَضَجَّ أَهْلُ الْبَيْتِ بِالْعَوِيلِ
وَأَقْسَمُوا أَنْ يُدْرِكُوا الثَّأْرَ فَمَا
وَرَاخَ رَكْبُ الْحَقِّ يَطْوِي فِي الْفَلَا
حَتَّى أَتَوْا عَيْنًا عَلَى « شَرَافٍ »



(١) بعد اعلانه الثورة سار الحسين باتجاه الكوفة فوصل منطقة تدعى « الصفاح » حيث التقى الشاعر المعروف « الفرزدق » فسأله الحسين عن أخبار الكوفة فقال له الفرزدق :
قلوبهم معك والسيوف مع بني أمية ، والقضاء ينزل من السماء.

فقال أبو عبد الله : صدقت ، لله الأمر والله يفعل ما يشاء وكل يوم ربنا في شأن.

كان وصف الفرزدق في منتهى الدقة ، فالناس تحب التغيير والحق والعدل وتطمح اليه ، إلا أنها لا تمتلك الإرادة الحقيقية على التغيير ، لأن الإرادة تستلزم التضحية والمعاناة ، وهي ما لم تستعد لهما.

ثم وصل ﷺ الى منطقة « ذات عرق » ومنها الى منطقة « زرود » وفيها تناهت اليه أخبار مقتل مسلم بن عقيـل ، وهاني بن عروة ، فبكى الحسين وبكى معه الهاشميون خصوصاً بني عقيـل ، وأقسموا أن يثأروا لشهيدهم العظيم سفير الثورة الحسينية مسلم بن عقيـل.



الحسين ٱ يلتقي جيش الحرّ في الصحراء

وما ذروا بأنّها جيشُ العدى	لاحت لهم أشباحُ نخل في المدى
يقودُهما في سيرها « الرّياحي »	كتيبةٌ شاكيةُ السلاح
ورشفوا خيولُها الظمءاء	عطشى فأعطاها الحسينُ الماء
أمّ الحُسينُ الجمعُ في الصلاة	وحينَ صارَ موعدُ الغداة
فجعّجَع الحُرُّ به تَأخيرا	ورغبَ الحسينُ أن يسييرا
وهي لعمري ذاتُ كربٍ وبَلا (١)	لكي يخطَّ رَحْلُهُ في كربلا



(١) وصل ركب الحسين الى منطقة « شراف » وهي عين ماء للسقي على طريق الكوفة ، فلاحت لهم طلائع الجيش الاموي بقيادة الحر بن يزيد الرياحي ، وكانت أسنة الرماح كأنها سعف النخل لكثرتها في الصحراء ، فوصلوا الى ركب الحسين وكانوا يشكون العطش الشديد فسقاهم الحسين ٱ الماء ، وهذا من كرم اخلاق اهل البيت ٱ ان يشفقوا حتى على اعدائهم ، وحين حل موعد الصلاة صلى بهم الحسين ٱ ثم قال الحر : « إني أمرت أن لا أفارقك اذا لقيتك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد » ثم حدثت مشادة كلامية بينهما ذكرتها كتب المقاتل والتاريخ ، ثم سار الحسين ٱ وكان الحر يضايق مسيره كي لا يدخل الكوفة ، وكان كربلاء على موعد مع الحسين والثلة الطاهرة من اهل بيته وأصحابه ، فخط رحله في الطفوف تلك الصحراء المنسية التي تعبت بها الريح ، فحوّلها الحسين ٱ الى قلعة احتجاج دائمة ضد الظالمين ، والى مشعل وهاج ينير الدرب للثائرين على طول التاريخ.



الحسين ؑ يصل إلى كربلاء

في يومه الثاني من المحرم
فأخبر الأهلين والأصحابا
مذكرًا إياهم بالصبر
وظل أياماً يُحذر العدى
وبعث « الحر » الى أميره
فما الذي تريد أن يكونا
قال : خذ الحسين فليبايعا
فإن أبي فالجيش فوق العد
سبعة آلاف وقل عشرة
وافى « ابن سعد » في الصباح الطفا
وفاض الحسين كي يستسلما
فرفض السبط بأن يُعطي اليدا
مُصمماً يُواصل الكفاحا
وأن يخط منهج الشهادة

مُحصراً فيها بجيش مجرم
وقرأ الآيات والكتابا
مُربّياً إياهم بالأجر
ويستعد للقتال والفدا
جُجعت بالحسين في مسيره
فإننا للأمير سامعونا
على الولاء سامعاً وطائعاً
جاء يقوده لك « ابن سعد »
تطبّق الأفاق منها غبرة
ورتب الفرسان صفّاً صفّاً
ولا تراق قطرة من الدما
الى الذين خالفوا مُحمداً
أو أن يرى في الأمة الإصلاحا
وأن تُخصّب الدما جهادة^(١)

(١) في الثاني من المحرم عام ٦١ للهجرة حط الامام الحسين ؑ رحاله في كربلاء ، وخطب في أهله وأصحابه كي يعرفهم بالموقف الصعب الذي سيلاقهم على هذه الارض





كما أخبر بذلك النبي الأكرم ﷺ وهي ان الحسين سيقتل ظمآنًا في ارض يقال لها « كربلاء » وكان مما قال لهم ﷺ : ألا ترون الى الحق لا يعمل به ، والى الباطل لا يُتساهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء الله ، فلإني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برماً.

وسط هذا الجو المتوتر بعث الحر الى ابن زياد يخبره بأنه حاصر الحسين في كربلاء ، وأنه ينتظر الأمر منه ، فجاء في امر ابن زياد ، بأن يأخذ البيعة من الحسين ﷺ ليزيد بالسمع والطاعة ، فإن رفض فأنه سيواجه الموت وسأبعث لك ابن سعد يقود الجيش للمعركة الفاصلة ، لكن الحسين ﷺ واجه تلك التهديدات بقوة وحزم وقال : لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق.

وهكذا صمّم أبو عبدالله ﷺ على المضي في طريق الشهادة ، من أجل أن يبقى رمزاً للفداء والتضحية ، في طريق المبادئ الحقة والقيم الخيرة التي جاء بها جده النبي محمد ﷺ.



موقف الأنصار عشية المعركة

وبات في الطُّفوفِ ليلَ العاشرِ
وحولَهُ سَبْعُونَ فِئْدَةً رائِدِ
قالَ لهم : مَنْ يَتَغَيُّ أَنْ يَرْحَلَ
لَكِنَّهُمْ رَدُّوا بِصَوْتِ ثائِرِ
هيهاتَ حَتَّى تَنْضَحَ الدِّمَاءُ
وعندَها بَشَّرَهم بِالْجَنَّةِ
وقالَ : لَيْسَ مِثْلُكُمْ أَصْحَابُ
وباتَ يَجْلُو سَيْفَهُ وَيَنْشُدُ
« يَا دَهْرُ أَفَّ لَكَ مِنْ خَلِيلِ
مِنْ قَاتِلِ وَطالِبِ قَتِيلِ
وكلُّ حَيٍّ سالكٌ سَبِيلِ
وحينَ ذاكَ سَمِعَتْهُ زَيْبُ
فقالَ : فِي غَدِ تَرَيْنَ رَأْسِي
وجسدي يُرَضُّ بِالْحَيُولِ
والنَّارِ فِي الْخِيَامِ وَالِدُخَانِ
وتَهْرَبُ النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ
وفرسِي يَصِيحُ بِالظُّلَمِ

ما بَيْنَ دَارِ وَبَيْنَ حَاسِرِ
مِنْ قَائِمٍ وَرَاكِعٍ وَسَاجِدِ
فها هوَ اللَّيْلُ خُذُوهُ جَملاً
كَيْفَ وَأَنْتَ الْيَوْمَ دُونَ نَاصِرِ
مِنَّا وَتَفْنِي هَذِهِ الْأَنْبَاءُ
فصارتِ الْأَرْواحُ مَطْمَئِنَّةً
قَدْ أُرْخِصَتْ بَيْنَهُمُ الرِّقَابُ
مُعَاتِباً فَالْمَرْءُ لَيْسَ يَخْلُدُ
كَمْ لَكَ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْأَصِيلِ
والدَّهْرُ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدِيلِ
وَأَتَمَّا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ »
فصَرَخَتْ أُخَيٌّ فِيمَ تَعْتَبُ
عَلَى قَنَاةٍ مُضْطَبِحاً وَمُتْسِي
وَالْقَوْمَ يَقْرَعُونَ بِالطُّبُولِ
وَنِسْوَتي تُدافِعُ الْجَبَانَا
وَحِيمَتِي تَنْهَبُهَا الرِّجَالُ
مِنْ أُمَّةٍ ظالِمَةٍ لَيْمَةٍ



وإخـوَيَ مُصـرَّعـين حـوـلي	وكـرـيـلاؤُ في أـسـى وهـوـل
فـصـرـخـتُ زـينـبُ يا جـدَّاهُ	يا مـنْ جـبـاهُ بالـكـتـابِ الله
هـذا حـسـيْنٌ قـدْ نـعى لـي نـفـسـه	وهـوَ بـقـيَّـةُ البـُدورِ الخـمـسـه
وأصـبـحوا في يـومِ عـاشـوراءِ	يـنـتـظـرونَ سـاعـةَ اللـقـاءِ ^(١)



(١) قرّر قائد الجيش الأموي عمر بن سعد أن يحسم المعركة يوم التاسع بقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه ، لكن الإمام أرسل إليهم أخاه العباس ليمهلوه سواد تلك الليلة ، من أجل أن يتفرّغ هو وأصحابه للعبادة والاستغفار ، وقال : « ان الله يعلم اني أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار ». فباتوا ليلة العاشر بين قائم ، وقاعد ، وراكع ، وساجد.

وفي تلك الليلة التي أصبح واضحاً انها الليلة الأخيرة ، وانّ صباحها سيسفر عن مأساة كبرى ، حيث الأجساد تُقطّع على صعيد الطّف ، والرؤوس على الرماح ، والنساء سبايا ، والأطفال تطاردهم خيول الظالمين. عرض على أصحابه أن يتركوه ، فانّ القوم لا يطلبون غيره ، فقال لهم : « هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ». ولكن أصحاب الضمائر الحرة وذوي النفوس الأبيسة أبوا إلا أن يواسوه ويشاركوه المصير المحتوم بعد أن استيقنوا بالشهادة ، والتي هي اسمى الأماني ، وأرفع الدرجات عند الله وأجّائمه. وعند ذلك أثنى الحسين عليه السلام عليهم ودعا لهم بالخير وعزّفهم منازلهم في الجنة ، فأيقنوا ما جباهم الله به من نعيم الجنان في مقعد صدق عند مليك مقتدر.



يوم عاشوراء

صَفَّ الْحُسَيْنُ لِلْقِتَالِ صَحْبَهُ
سَبْعِينَ كَانُوا ثُمَّ زَادُوا اثْنَيْنَا
« زهير بن القين » عِنْدَ الْمِيْمَنَةِ
« وَابْنُ مَظَاهِر » يَقُوذُ الْمَيْسِرَةَ
وَحِينَ هَزَرَ الرَّايَةَ « الْعَبَّاسُ »
لَأَنَّهُ الثَّابِتُ فِي الطَّلْعَانِ
وَزَحَفَ الْآلَافُ نَحْوَ الْعَتَرَةِ
قَدْ حَاولُوا أَطفَاءَ نَوْرِ اللَّهِ
رَاحُوا بِجَوْلُونَ عَلَى الْخِيَامِ
وَحَثَّهُمْ لِلصَّيرِ عِنْدَ الْوُثْبَةِ
وَالْكُلُّ مِنْهُمْ بِأَيْعِ الْحَسَنِ
وَهُوَ الَّذِي كَانَ الْوَفَاءُ دِيدَنَهُ
« وَالْقَلْبُ » ضَمَّ الْعَتَرَةَ الْمُطَهَّرَةَ
اِحْتَبَسَتْ فِي الْأَضْلُعِ الْأَنْفَاسُ
وَقَابَضُ الْأَرْوَاحِ فِي الْمِيْمَنَةِ
سَيُوفُهُمْ مَشْهُورَةٌ بِالْغَدَرَةِ
بِنَفْحَةِ ضَاعَتْ عَلَى الشِّفَاهِ (١)
وَيُوقِدُونَ النَّارَ بِالضَّرَامِ



(١) نظم الامام الحسين عليه السلام اصحابه على قلوبهم فقسّمهم الى ميمنة ، وميسرة ، وقلب ، وتلك هي طريقة تنظيم الجيوش وخوض المعارك في ذلك الزمان.



دعاء الحسين ❁

فرفَعَ الحسَيْنُ بالدعاءِ	يديهِ نَحْوَ خَالِقِ السَّمَاءِ
وَقَالَ : أَنْتَ ثَقِيٌّ فِي الْكَرْبِ	وَبُعِيٌّ فِي مُحَنِّي يَارَبِّ
فَرُبُّ أَمْرٍ يُضْعِفُ الْفُؤَادَ	فَرَجَّحْتَ مِنْهُ الْكُورَبَ الشَّدَادَا
فَأَنْتَ لِي وَلِيٌّ كُلِّ نِعْمَةٍ	وَبَابُ كُلِّ رَغْبَةٍ وَهَمٍّ ^(١)



(١) عندما رأى الحسين ❁ كثرة عدد الجيش الأموي ، وطيشه في ارتكاب الجريمة بحقه وحق ثقل الرسالة والرسول ، رفع يديه بالدعاء : اللَّهُمَّ أَنْتَ ثَقِيٌّ فِي كُلِّ كَرْبٍ وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعِدَّةٌ ، كَمْ مِنْ هَمٍّ يَضْعِفُ فِيهِ الْفُؤَادَ وَتَقْلُ فِيهِ الْحِيلَةَ وَيَخْذِلُ فِيهِ الصَّدِيقَ وَيَشْمَتُ فِيهِ الْعَدُوُّ أَنْزَلْتَهُ بِكَ رَغْبَةً مِنْ يَدِيكَ عَمَّنْ سِوَاكَ فَرَجَّحْتَ وَكَشَفْتَهُ فَأَنْتَ وَلِيٌّ كُلِّ نِعْمَةٍ وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ.

خطبة الحسين ؑ قبل المعركة

ثمَّ امتطى نأقتة ونأدى
فلتسَمعوا نصيحتي وقولي
قال : دعوئي لبلادِ أرحلُ
وإنَّ أبيتُم فاجمعوا أمركم
وسمعتُ نساؤه المَقالا
لكنَّه ظللَ بليغاً يخطبُ
يقولُ : لا تغرركم دنياكم
وقد جمعتم جمعكم لأمرٍ
بئسَ العبيدُ أنتم من قوم
بعداً لقوم خالفوا الكتابا
قال : انسُبوني من أنا ثم ارجعوا
ألسْتُ سبطَ أحمدِ المختارِ
وحمزةُ الشهيدِ عمِّ لأبي
أما سمعتم قولَةَ الرسولِ
فيَّ وفي أخي العظيمِ المنَّةِ

يا قومنا لا تركبوا العنادا
كيفَ يحلُّ عطشي وقتلي
فلسْتُ ممن بالهوانِ يقبلُ
وأقبلوا فإني مُصممٌ
فأعولتُ من خلفه إعوالا
محذراً فيهم لما يُرتكبُ
فقد نسيتم في الهوى أحراركم
أسخطتم الله بهذا الكفرِ
إليسُ غرركم بهذا اليومِ
وحاربوا العترةَ والأصحابا
وعاتبوا أنفسكم وقرعوا
وابنَ وصيه الفتي الكرارِ
وجعفرُ الطيارِ مجلي الكُربِ
المصطفى الطاهرِ أبي البتولِ
هُم سيِّدا شبابِ أهلِ الجنةِ



والله ما كذبت فيكم مرة
 قال : سلوا من « جابر الأنصاري »
 ومن « أبي سعيد الخدري »
 إنهم قد سمعوا ما قالوا
 فقال « شمر » : أعبد الله على
 فردّه « حبيب » أنت صادق
 فإن شككتكم بالذي أقول
 أنكمرون أني ابن فاطمة
 أطلبوني بقتيل قتيلا
 فأخذوا لا ينطقون شيئا
 فقال : هل نسيتم الرسائل
 فأنكر القوم الحديث الواقع
 فقال : لا والله لا أعطيتكم
 ولا أفتر كالعبيد خوفا
 وأقبل القوم إليه « كالدبا »

منذ عرفت ضره وشره
 وأنس الخادم للمختار
 وزيد بن أرقم المكي
 من النبي ذلك المقالا
 حرف اذا عرفت ما قد نقلا
 فيما تقول انك المنافق
 وبالذي قد قاله الرسول
 بضعة أحمد الطهور العالم
 أم تطلبوني بثلاث أكلا
 كاتم لم يدع فيهم حيا
 وقولكم أقبل إلينا عاجلا
 ورددوا لا بلد أن تباعا
 يدي كما الذليل أو أستسلم
 هيهات والله وهز السياف
 غطوا الفلاة مشرقاً ومغرباً^(١)

(١) اقترب الجيش الاموي من خيام الحسين ﷺ يتعجل الزمن لارتكاب أبشع جريمة ، وكان كالموج يغطي الصحراء ، فأشار الامام بيده ليقف الزمن المنحرف ويلقي عليهم كلمة النصيحة والرشاد في خطبة عظيمة سجلها التاريخ لم تبق لهم عذراً حيث قال : أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم عليّ وحتى اعتذر اليكم من مقدمي عليكم ، فان قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم علي سبيل ، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم ، فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ، ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.



فلما سمعن النساء هذا منه صحن وبكين وارتفعت أصواتهن فأرسل اليهن أخاه العباس وابنه علي الأكبر وقال لهما : سكتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهن.

ولما سكتن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وعلى الملائكة والانبيااء وقال في ذلك ما لا يحصى ذكره ولم يسمع متكلم قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقه.

ثم قال : الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالاً بعد حال ، فالمغرور من غرته والشقي من فتنه فلا تغرنكم هذه الدنيا فانها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيب طمع من طمع فيها وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد اسخطتم الله فيه عليكم وأعرض بوجهه الكريم عنكم وأحل بكم نعمته وجنبكم رحمته فنعم الرب ربنا وبئس العبيد أنتم أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد ﷺ ثم انكم زحفتن الى ذريته وعترته تريدون قتلهم لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتباً لكم ولما تريدون إنا لله وإنا ليه راجعون هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين.

أيها الناس انسبوني من أنا ثم ارجعوا الى أنفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ألسنت ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عنده ، أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ، أو ليس جعفر الطيار عمي ، أو لم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي : هذان سيدي شباب أهل الجنة ، فان صدقتموني بما أقول وهو الحق والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يحق عليه أهله ويضرب به من اختلقه ، وإن كذبتوني فإن فيكم من إن سألتهم عن ذلك أخبركم ، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك ، يخبرونكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي ، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي.

فقال الشمر : هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول.

فقال له حبيب بن مظاهر : والله إنني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً وأنا أشهد أنك صادق ما تدري ما يقول قد طبع الله على قلبك.

ثم قال الحسين ﷺ فان كنتم في شك من هذا القول أفتشكون إني ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم ، ويحكم أطلبوني بقتيل منكم قتلته أو مال لكم استهلكته أو بقصاص جراحة ، فأخذوا لا يكلمونه.



فأوقدَ الحسينُ حولَ الخِيمِ ناراً لكي يحمي بناتِ الكرمِ
فصاحَ بعضهم تعجَّلتِ القضا ردَّ الحسينُ أنتِ أولى باللظى
فرفعَ الحسينُ كفّاً للسَّما فلَقَّتِ النيرانُ ذاكَ المجرماً



فنادى : يا شبيب بن ربعي ويا حجار بن ابجر ويا قيس بن الاشعث ويا زيد بن الحارث ألم تكتبوا لي أن أقدم قد اينعت الثمار واحضر الجناح وإنما تقدم على جند لك مجندة ؟ فقالوا : لم نفعل. قال : سبحان الله بلى والله لقد فعلتم.

ثم قال : أيها الناس اذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم الى ما أمني من الارض ، فقال له قيس ابن الاشعث : أولا تنزل على حكم بني عمك ؟ فانهم لن يروك الا ما تحب ولن يصل اليك منهم مكروه.

فقال الحسين عليه السلام : أنت أخو أخيك أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ لا والله لا أعطيهم بيدي اعطاء الذليل ولا أقرّ قرار العبيد عباد الله إنّي عذت بربي وربكم أن ترجمون أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.



زهير بن القين يخطب بين الصفيين

وخرج « ابنُ القين » فيهم يخطبُ
قال : كلانا إخوةٌ في الدينِ
ما لم تقع ما بيننا السيوفُ
وقد يُلينا بيبي محمدٍ
لينظر الله الذي يكونُ
سوف ترونَ الذلَّ بعدَ اليومِ
فقالوا قولتَهُ بالشتمِ
فقال : يرضى منكمُ يزيدُ
لكنهم لم يسمعوا كلامه
فبدرَ السبِّ لهُ ونادى

وهو الفتى المقاتلُ الجربُ
تجمَعُنا رسالةُ الأميينِ
وتلتقي الصفوفُ والصفوفُ
من خاذلٍ لهم ومن مؤيدٍ
ويُعرفَ الوفيُّ والخوونُ
من آلِ سُفيانَ شرارِ القومِ
وطالبوه بيعَةً للسلامِ
دونَ دمِ السبِّ لِمَا يُريدُ
ولم يخافوا وقفةَ القيامةِ
كفَّ فهم قَدْ جانبوا الرِّشادا



بُريِر بن خُضير يخطب بالناس

ثم ابتدا مِنْ بعده « بُريِرُ »	والصدقُ في حديثه والخيرُ
المقرئُ القرآنِ مِنْ « همدانِ »	والصلبُ في مواقعِ الطعانِ
هذا الفراتُ عذبهُ يسيلُ	والسببُ أَوْرى قلبَهُ الغليلُ
هَلْ ذا جزاءُ أحمدِ المختارِ	في أهلهِ والفتيةِ الأبرارِ
فرشَقُوهُ بالسهمِ الحاقِدةِ	وبالقلوبِ القَطَّاةِ العانِدةِ ^(١)



(١) من أجل حماية النساء والأطفال ، كان الحسين قد حفر خندقاً خلف الخيام ، وأشعل فيه النار حتى تكون المعركة من وجه واحد ، وخرج زهير بن القين وبرير ابن خضير وبعض أصحاب الحسين الى الجيش الأموي ، يخطبون فيهم ويعظونهم الموعظة الأخيرة ، ويذكرونهم بفضل الإمام الحسين ومنزلة أهل البيت عليهم السلام ، ودور آل أبي سفيان في هدم الاسلام واستعباد أمّة محمد. لكن القوم أصروا على عنادهم وركبوا أهواءهم واستكبروا استكباراً ، فلم ينفعهم نداء الحق ، ولم تهزهم موعظة الأبرار ، فجعلوا يرشقونهم بسهم الغدر والخيانة.



الحسين ❦ إمتداد لرسول الله ❦

فنشرَ الحسينُ مُصْحَفاً على
يَني وَيَينُكُم كِتَابُ الرَّبِّ
أَشْهَدُهُمْ عَنْ نَفْسِهِ وَأَكَّدا
فَسَيْفُهُ سَيْفُ النَّبِيِّ الْهَادِي
وَعَمَّةُ النَّبِيِّ فَوْقَ رَأْسِهِ
مُحَذَّرًا إِيَّاهُمْ مِنْ قَتْلِهِ
وَقَالَ : لِي عَهْدٌ لَجَدِّي عَنْ أَبِي
ثُمَّ تُذَلُّونَ بِقَتْلِي أَبَدا
وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَدْرَهُ
ثُمَّ دَنَا مِنْ « عُمَر » وَسَلَّاهُ
تَزَعَّمُ إِنَّ قَتَلْتَنِي سَتَحْيَا
وَاللَّهِ لَا تَفْرُحُ بَعْدِي فِيهَا

هَامَتُهُ مَخَاطِباً كُلَّ الْمَلَا
وَسَنَةُ الرِّسُولِ وَهِيَ حَسْبِي
وَمَا عَلَيْهِ مِنْ ثِيَابٍ « أَحْمدا »
وَدَرَعُهُ الْمَعْرُوفُ فِي الْجِهَادِ
وَقُدْسُهُ مِيرَاثُهُ مِنْ قُدْسِهِ
فَهُوَ فَتَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِهِ
أَنْكَ مَقْتُولٌ لِشَرِّ الْعَصَبِ
يَا مَنْ قَتَلْتُمْ فَاطِمَةً وَأَحْمدا
يَسْقِيكُمْ كُؤُوسَهُ الْمَصْبُورُ
وَقَدْ أَحَاطَتْ بِالْحُسَيْنِ الْقَتْلَةُ
بَعْدِي طَوِيلًا قَدْ مَلَكْتَ « الرِّبَا »
وَسَوْفَ تَبْقَى حَائِراً سَافِيهَا ^(١)

(١) بعد أن عطّل الجيش الأموي دور العقل والقلب ، وأوصدوا باب الحوار ، توجه اليهم الإمام الحسين ❦ في خطبة بليغة تحكي مفرداتها القوة ، والوضوح ، والحجة ، فأثار فيهم كل شواهد التاريخ وكشف لهم عن بؤس الحاضر وشقاء المستقبل ، فخرج إليهم ناشراً المصحف الشريف على رأسه ، وقال : تَبَّأَ لَكُمْ أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحَّا ، حين استصرختمونا والهين ، فأصخرناكم موحشين ، سللتم علينا سيفاً في أيمانكم ، وحششتم علينا ناراً





اقتدحناها على عدونا وعدوكم ، فأصبحتم ألباً لأعدائكم على أوليائكم ، بغير عدل أفشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم. فهلاً لكم الولايات ، ولكن أسرعتم اليها كطيرة الدّبا ، وتداعيتهم عليها كتهافت الفراش ، ثم نقضتموها ، فسحقاً لكم يا عبيد الأُمّة وشذّاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومُحرّفي الكلام وعصبة الإثم ونفثة الشيطان ومطفئي السنن. ويحكم أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون. أجل والله غدرٌ فيكم قديم وشجت عليه أصولكم ، وتأزرت فروعكم ، فكنتم أحبث ثمر شحى الناظر وأكلة للغاصب.

ألا وإنّ الدّعي بن الدّعي قد ركز بين اثنتين بين السّلة والدّلة ، وهيهات منّا الدّلة ، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبيّة ، من أن نُؤثر طاعة اللّئيم على مصارع الكرام. ألا وإنيّ زاحفٌ بهذه الأسيرة على قلّة العدد وخذلان الناصر ، ثم أنشد أبيات فروة بن مسك المرادي :

فإن نهمز فهاهمون فُدماً	وإن تُهمز فغهمير مُهمزينا
وما أن طبننا جربن ولكن	مناياننا ودولة آخرينا
فقل للشّامتين بنا أفيقوا	سَيلقى الشّامتون كما لقينا
إذا ما الموت رُفّع من أناس	بكلكله أنناخ بأخرينا

أما والله لا تلبثون بعدها إلّا كريشما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرّحى وتقلق بكم قلق المحور ، عهد عهده إليّ أبي عن جدي رسول الله « فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون إني توكلت على الله ربّي وربكم ما من دابة إلّا هو أخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ».

ثم رفع يديه نحو السماء وقال : اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف ، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبّرة ، فإنهم كدّبونا وخذلونا ، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك المصير .

والله لا يدع أحداً منهم إلّا انتقم لي منه قتلة بقتلة وضربة بضربة ، وإنه لينتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي .



موقف الحرّ

« والحرُّ » كَانَ حَاضِرًا فِي الْمَوْقِفِ
فَقَالَ هَلْ تَقَاتِلُوهُ « يَا عُمَرُ »
فَرَدَّ إِي وَاللَّهِ بَلْ قَتَالَ
فَعَادَرَ « الْحُرُّ » إِلَى الْحُسَيْنِ
وَكَانَ مِنْ أَشْجَعِ أَهْلِ الْكُوفَةِ
يَقُولُ قَدْ خَيَّرْتُ نَفْسِي الْآنَا
لَا لَسْتُ أَخْتَارُ عَلَى الْجَنَانِ
وَحَاطَبِ الْحُسَيْنِ هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ
أَنَا الَّذِي جَعَجَعْتُ بِالنِّسَاءِ
قَالَ الْحُسَيْنُ ثُبْ يَثُبْ رَبُّ السَّمَاءِ
فَاتَّجَمَعَتْ « الْحُرُّ » إِلَى الْقِتَالِ
« إِنِّي أَنَا الْحُرُّ وَمَأْوَى الضَّعِيفِ
عَنْ خَيْرٍ مَنْ حَلَّ بِأَرْضِ الْخَيْفِ
إِنِّي أَنَا الْحُرُّ وَنَجْلُ الْحُرِّ

يَسْمَعُ مِنْ سَبِطِ النَّبِيِّ الْأَشْرَفِ
وَهُوَ بَقِيَّةُ الْكَرَامِ مِنْ « مُضَرِّ » ؟
أَيَسْرُهُ أَنْ تَسْقُطَ الْأَوْصَالُ
مُطَاطِئًا وَخَاشِعَ الْعَيْنَيْنِ
لَهُ بِهَا مَوَاقِفُ مَوْصُوفَةٍ
أَنْ أَدْخَلَ النَّارَ أَوْ الْجَنَانَ
دَنِيًّا تَرَدَّتْ فِي يَدِ الشَّيْطَانِ
لِمَذْنَبِ مُكَبَّلٍ بِالْحَوْبَةِ ؟
وَسُقْتُ رَكْبَكُمْ لَكْرِيَاءِ
عَلَيْكَ فَاسْتَبْشِرْ بِمَوْتِ الْكُرْمَا
مُخَاطَبًا يَدْعُو إِلَى النَّزَالِ
أَضْرِبْ فِي أَعْنَاقِكُمْ بِالسَّيْفِ
أَضْرِبْكُمْ وَلَا أَرَى مِنْ خَيْفٍ « (١) »
أَشْجَعُ مَنْ ذِي لَبَدٍ هَزِيرِ

(١) أُنثرت خطبة الامام الحسين عليه السلام ببعض افراد الجيش الاموي ، ومن أبرزهم الحر بن يزيد الرياحي ، والاييات واضحة في اشارتها الى قصة توبته ، والتحاقه بجهة الحسين عليه السلام قبل ان تشتبك السيوف وتلتحم الأسلحة.



ولسْتُ بالجبانِ عندَ الكرِّ
فصاحَ «عُمَرُ» بالرجالِ ويلُكُمْ
أولاءِ أهلِ المصرِ والبصائرِ
فَلا تُبَارِزُوهمْ وخُـدانا
فحملَ الطغاةُ نحوَ الميمنَةِ
فرَدَّهمْ أهلُ الثباتِ البررةِ
فرجعوا بالعارِ والشَّتاتِ

لكنني الثابتُ عندَ الفرِّ
أتعلمونَ مَنْ يردُّ سـيـلُكُمْ
والمستـتميتونَ ذُورَ المفــاخـرِ
بل امالُوا عليهم المـيدانا
رمـاحُهم بخـزيهم مسـنـنة
وصـرعوا منهم رجـالاً فـجـرة
وحملوا مِنْ جانِبِ الفـراتِ (١)



(١) بدأت المعركة بين جيش الضلال ، واصحاب الحسين ﷺ بحملات غير متكافئة بين الطرفين فاستبسل اصحاب الحسين في رد الهجوم الاموي وشئتوا الصفوف المعادية ، فأراد عمر بن سعد تجميع قواته ويحثهم على الثبات في المعركة.

الأنصار يستبشرون بالشهادة

فواجهوا « مسلماً بن عوسجة »
 قاتلهم « مسلم الضبابي »
 وكثرت فيهم جموع القتلى
 واستبسل الابطال في الدفاع
 فمسلم كان يقول صادقاً
 ان تسألوا عني فأني ذو لبد
 فمن بغانا حائد عن الرشد
 فاستشهد المجاهد « ابن عوسجة »
 فجاءه الحسين مع « حبيب »
 وقرأ الحسين « منهم من قضى »
 ثم دنا « لمسلم » « حبيب »
 وقال : أوص يا أخي وصيتك
 أشار « مسلم » له بهذا
 وثلة من قومه مدججته
 « والبجلي » جاحد الكتاب
 والكل في جهاده قد أبلى
 عن آل بيت المصطفى المطاع
 مجاهراً في حقه وناطقاً
 من فرع قوم من ذرى بني أسد
 وكافر بدين جبار صمد
 ومد للردى يداً مختلجة
 وياله من مشهد رهيب
 وعينه تفيض دمعاً ورضاً
 لعله يسأل أو يجيب
 فقد وصلت بالهدى منيتك
 وصيتي فكن له ملاذاً^(١)

(١) بعد الحملة الاولى التي شنّها جيش عمر بن سعد على معسكر الحسين استشهد « مسلم بن عوسجة الاسدي » وهو أول شهيد من اصحاب الحسين ﷺ وقد ذكرت المصادر التاريخية بأنه كان صحابياً جليلاً ، روى عن رسول الله ﷺ كان يأخذ البيعة للحسين في الكوفة ، وكان شيخاً كبير السن ، ومن الشخصيات البارزة في المجتمع الكوفي



ثُمَّ مَضَى لِرَبِّهِ سَعِيداً
وَهَجَمَ « الشَّامُ » يَرِيدُ الْمَيْسِرَةَ
وَفِي الصَّحَابِ « ابْنُ عَمِيرٍ الْكَلْبِيُّ »
شَدَّ عَلَيْهِ « ابْنُ ثَيْبِ الْحَضْرَمِيِّ »
فَقَطَعَا يَدَهُ لَوْحاً وَسَاقَا

مُضَ مَخاً مُرْمَلاً شَهِيداً
لَكِنْ غَدَتْ جَمْعُهُمْ مَدْمَرَةً
مَجْرَبٌ بَطَعْنَهُ وَالضَّرْبُ
مَعَ « بَكْرِ بْنِ حَيٍّ الْمَذْمُومِ »
وَأَسْرُوهُ مُحْكَمًا وَثَاقًا



ومن الذين شاركوا في فتوحات بلاد فارس ، وقد أبدى عدوه شيبث بن ربعي الأسف على قتله ، وحين سقط على الأرض وبه رمق ، مشى اليه الامام الحسين ؑ وحبيب بن مظاهر الاسدي فقرأ الحسين ؑ الآية الكريمة : (**مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**) ثم اشار مسلم لحبيب وقال : اوصيك بهذا . و اشار الى الحسين . أن تموت دونه وهو مشهد يطفح بالحب والولاء والوفاء.



أول امرأة تُقتل مع الحسين ❦

ثمّ اذا ما قتلوه صبرا
تقول : أبشِرْ يا فتى بالجنة
فسمع الشمُر لها مَقالا
احمل عليها فأصاب المقتلا
ثم رموا برأسه لأُمّه
وبرزت تريد أن تقاتل
ثم دعا لها بحسن الدعوة
وحمل « الشمُر » على الاطناب
يريد أن يُحرّق الخياما
فبادر الحسين بالدعاء
أحرقك الله بنار الآخرة

زوجته أتت اليه عبرى
فمقتل الاحرار صار سُنّة
دعا به غلامه وقال
ما غيرها شهيدة بكربلا
فمسحت جبينه من دمه
فردّها الحسين للمحامل
كذلك يفعل الإبا بالنسوة^(١)
وصاح بالنيران والأخطاب
وُرعِب النساء واليتامى
عليه والعيون في السماء
وأمة خلف خطاك سائرة

(١) ثم حمل شمّر بن ذي الجوشن على ميسرة الحسين ، فاستشهد « عبد الله بن عمر الكلي » بعد ان وقع اسيراً وقتلوه صبراً.

فمشيت إليه زوجته ام وهب ، فقالت له : هنيئاً لك الجنة ، فضربها رجل بعمود على رأسها ، فماتت مكانها ، وكانت اول شهيدة من النساء في معسكر الحسين ❦ ثم رموا برأس زوجها عبد الله الى الحسين ، فأخذته أمه وهي تمسح الدم عنه ، وأخذت عمود خيمة ، وبرزت الى الاعداء ، فردّها الحسين وقال ارجعي رحمك الله فقد وضع عنك الجهاد.

وحمل « ابنُ القين » في الكرام
وحينَ شاهدَ « ابنُ قيس عزرة »
أرسلَ يطلبُ الرجالَ من « عمر »
فأرسلَ « الحُصَيْنُ » بالرماةِ
فَعَقَرَتْ في الشاطئِ الخيولُ
وأمرَ « ابنُ سعد » الفرسانا
فصاحتِ النساءُ والاطفالُ

فكشَفَ « الشمَر » عن الخيامِ
الوَهْنَ في أصحابِهِ والقَتَرَةَ^(١)
لما أصابَ جيشَهُ مِنَ الخورِ
قالَ لهم : خُذُوا على الفراتِ
وكثُرَ القاتِلُ والمقتُولُ
أن يُشْعِلُوا في الخيمِ النيرانا
ودُهْشَتْ زينبُ والعِيالُ



(١) كان قائد الخيالة في جيش عمر بن سعد « عزرة بن قيس » الذي أخذ يمدُّ الجيش بالرجال وسيطر على نهر الفرات ، واما عمر بن سعد فاقدم على عمل شنيع وهو اشعال النار في مخيم الحسين ليرعب النساء والاطفال.

أبو الشعثاء

« يزيدُ » الفحلُ « أبو الشعثاءِ »	وكانَ في معسكرِ الأعداءِ
مالَ الى الحسينِ لا يُذادُ	لما رأى ما فعلَ الأوغادُ
يرمي سِهَاماً نُقَعَتْ بالبِينِ	ثمَّ جثا بينَ يَدِ الحسينِ
فما توانى القوسُ من « يزيدِ »	والسبطُ يدعو كانَ بالتسديدِ
وعينه رِقَاقَةٌ دُموعاً ^(١)	ثمَّ هوى الى الثرى صريعاً



(١) هو يزيد بن زياد ابو الشعثاء الكندي كان رامياً ماهراً بالسهم ، جثا على ركبتيه وراح يرمي خيل الاعداء المهاجمين بالسهم ، وكان يقول له الحسين ﷺ : « اللهم سدد رميته واجعل ثوابه الجنة » ولما نفذت سهامه حمل على القوم ، فقتل منهم جماعة ثم استشهد رحمه الله.

الحسين ؑ يُصلي وسط المعركة

ومالت الشمس الى الزوال
وشاهد الشمس « أبو ثمامة »
فقال للحسين : يا ابن طه
فرفع الحسين طرفاً للسمما
جعلك الله له مصلياً
سلوا العتاة كي يكفوا عنا
فنعق « الحصين » بل لا تقبل
تزعّم لا تقبل من آل النبي
فحمل « الحصين » في جماعه
واشتبك الرجال بالرجال

ولم تزل ملحمة الرجال
فعرف الظهر من العلامة
أقبلت الصلاة فللقاهما
قال : صدقت القول يا ابن الكرما
فقد ذكرت أمرنا المجيأ
حتى نصلي ونقيم الركنا^(١)
فرده « حبيب » أنت الأزدل
وتقبل الصلاة منك يا غي
على « حبيب » الخير وقت الطاعة
وكان ذاك ساعة الزوال



(١) عند زوال الشمس حان وقت صلاة الظهر ، فعرف ابو ثمامة الصائدي وقت الصلاة . وهو عمر بن عبد الله الذي كان يشتري السلاح لحركة مسلم بن عقيل في الكوفة ، وكان من فرسان العرب ووجه الشيعة ، فاخبر الحسين بوقت الصلاة فقال الحسين ؑ : ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين نعم هذا أول وقتها ، ولكن الحصين بن نمير أعلن ان الصلاة لا تقبل من الحسين ؑ فاجابه حبيب أتزعم انها لا تقبل من الحسين ؑ وتقبل منك يا حمار .. أقسم انك لا تحكم من كتاب الله ايتين ، فغضب الحصين وشد على حبيب في جماعة يناجيه وقت الصلاة .



شهادة حبيب بن مظاهر الأسدي

يحدوهم « حبيب » بالأشعار
 من أسد بدينه يُفاجئ
 فأنجلت الغيرة عن « حبيب »
 فهدّ قتلته الحسين فاشتكى
 وقام للصلاة بالأبرار
 صلى صلاة الخوف في الطّفوف
 وقاه بالنفس « سعيد الحنفي »
 يقول : هل وفيّ يا إمامي
 أنت الى الجنة تمضي قلبي
 وهتف الحسين بالأصحاب
 فيها الرسول جدنا ينتظر
 قالوا : نفوسنا لنفسك الفدا
 والله لا لن يصلوا جماكا

وسيفه يضرب بالفجّار
 « أنا حبيب وأبي مظاهر »
 وهو مضرج على الكتيب
 لرّبه مُحْتَسِباً ثم بكى^(١)
 الخاشعين القلب للجرار
 وحولاه غاب من السيوف
 يستقبل النبّل بقلب مرهف
 قال : بلى يا أيّها المحامي
 مع النبيّ المصطفى وأهلبي^(٢)
 لجنّة مفتوحة الأبواب
 قدومكم بلهفة فاستبشروا
 فإننا بين يديك الشهدا
 ما نبضت عروقنا جراكا

(١) حبيب بن مظاهر الأسدي من اصحاب الامام علي ؑ وهو أحد وجوه الشيعة وزعماء الكوفة ، حاول استقدام جماعة من بني اسد لنصرة الحسين ؑ لكن الجيش الاموي حال دون ذلك ، وكان حبيب معظماً عند اهل البيت ؑ وعند الحسين خاصة ، اثرت شهادته على الامام الحسين ؑ وقال في نعيه : احتسب نفسي وحياة أصحابي.

له قبر شاخص اليوم في الحرم الحسيني المطهر.

(٢) صلى الامام الحسين ؑ بأصحابه صلاة الخوف وكانت السهام تنهال عليهم كالمن المطر فوقف المجاهد البطل ، سعيد الحنفي يقي الحسين بنفسه ، ويصدها ب صدره حتى أتخن بالجراح وسقط شهيداً بعد الصلاة ، رحمه الله.



شهادة زهير بن القين

وخرج « ابنُ القينِ » للبرازِ
« أقدم هُديتَ هاديّاً مهدياً
وحسنّاً والمرضى علىّـا
وذا الجنّاحينَ الفتى الكميّـا
أنا زهيرٌ وأنا ابنُ القينِ
إنّ حسيناُ أحدُ السبطينِ
ثمّ هوى بسيفه والقوسِ
فوقفَ الحسينُ فوقَ مصرعه
ثمّ وقى « ابنُ قرظةَ الأنصاري »
حتّى اذا أثخنَ بالجراحِ
بشّـره سيدهُ بالجنّة

هو يقولُ الشعرَ بارتجـازِ
اليومَ ألقى جدّك النبيّـا
ذاك الذي نعرفه الوصيّـا
وأسدَ الله الشهيّد الحيّـا
أذودكم بالسيفِ عنّ حسينِ
أضربكم ولا أرى منّ شئني «
قتلّه « المهاجرُ بنُ أوسِ »
يندبهُ بساخناتِ أدمعه^(١)
وجهَ ابنِ فاطمٍ بصدري عارِ
إستأذنَ الحسينَ بالروحِ
في ساعةِ الحشرِ بغيرِ منّة^(٢)

(١) زهير بن القين البجلي ، شخصية بارزة في الكوفة ، وكان كبير السن ، عثماني الاتجاه ، التحق بالامام الحسين عليه السلام خلال مسيره من مكة الى العراق ، جعله الامام الحسين على يمينه اصحابه ، قاتل قتال الابطال ، فقتل جماعة كبيرة من الجيش المعادي قبل ان يستشهد ، نعاه الحسين بقوله : « لا يبعدنك الله يا زهير ولعن قاتليك لعن الذين مسخوا قرده وخنزير ».

(٢) ابن قرظة : هو عمرو بن قرظة الانصاري ، وقف كذلك بقي الامام الحسين عليه السلام الاعداء بصدرة حتى اثخن بالجراح ، وهو يقول : أوفيت يا ابن رسول الله ؟ قال : نعم انت أمامي في الجنة ، فأقرئ رسول الله مني السلام ، وأعلمه اني في الأثر ، ثم سقط شهيداً رحمه الله.



ثمّ تهاوى « ابنُ هلالِ الجملي »
« أرمي بها معلمةً أفوافُها
لـيـمـالـنَّ أرضَها رشاقُها
فجرّدَ السيفَ وراح يضربُ
فرشَ قوّه بالسهمِ والحجرِ
فقالَ للشمرِ ألسنتُ مُسلماً
فغضبَ الشيطانُ ثمّ قتلَهُ
وبررَ ابنُا عروةَ الغفاري
يرتجزانِ والسيوفُ مشرعةً
« قد علمتُ حقاً بنو غفارِ
لنضربنَّ معشرَ الفجارِ
وشدَّ بعدُ « أسلم » و « واضح »
فخصّصَت سيوفُهم والأسلُ
فأقبلَ الحسينُ نحوَ عبده

الى الوغى بقولـةٍ مرتجلِ
مسمومةً تجري بها أخفافُها
والنفسُ لا ينفَعُها إشفاقُها
والكلُّ من يديه صارَ يهربُ
وأسرُّوه وهو شلوّ محتضِرُ
تواجههُ اللهُ بهذه الدما
وراحَ للجنانِ يلقى أملكهُ^(١)
والتحقا بموكبِ الأنصارِ
وفي الحديدِ أوجهٌ مقنّعة
وخنـدُفٌ بعدَ بني نزارِ
بكلِّ غضبٍ صارمٍ بتّارِ
والكلُّ منهم بطلٌ مكافحُ
وقاتلوا كالصّيدِ حتى قُتلوا
« أسلم » مسَّ خدّه بخدّه^(٢)



(١) الجملي : هو نافع بن هلال الجملي المذحجي ، كان يستخدم نبالاً مسمومة كتب اسمه عليها يرمي جيش عمر بن سعد ، فقتل منهم جماعة حتى نفدت سهامه ، فبرز إليهم شاهراً سيفه فقاتل حتى كسروا عضديه ، وأخذوه أسيراً حيث قال لابن سعد : لو بقيت لي عضد ما اسرقوني ، فجرد الشمر سيفه وقتله ، فمضى الى ربه شهيداً في قافلة الحسين ؑ .

(٢) اسلم ، وواضح ، من الفتيان الترك الموالي ، كانا في ركب الحسين ، قاتلا قتالاً بطولياً ، وقبل أن تفيض روحاهما ، وضع الامام الحسين ؑ خده الشريف على خديهما ، ثم قضيا نحيبهما مفتخرين بما صنعه الحسين ؑ تكريماً لهما .



شهادة بُرير بن خُضير

وبعدَها بـارزُهُم « بُريرُ »
 مُرتَجِزاً يصيحُ في شِجَاعَةِ
 كَرٍّ عليهم بَطَلاً يُزَجِّرُ
 واجهَهُ يَزيدُ بنُ معقلٍ
 ثمّ مضى « بريرُ » في التحديّ
 فاعتَرَكَ سُوَيْعَةُ ثمّ هوى
 قامَ « بريرُ » مُتعباً جريحاً
 عاجلاً بضربة « بالهندي »
 حيثُ هوى يُرتّل القرآنُ
 ثمّ بدا « حنظلةُ الشبامي »
 فيه المعالي والندي والخيرُ
 بايعتُ آلَ المصطفى بالطاعة
 « أنا بريرُ وأبي خُضيرُ »
 فنالَ منه ضربةً بمقتلٍ
 مُواجهاً الى « رضي العبدي »
 « رضي » الى الارضِ صريعاً واكتوى
 وجرَّ سيفَهُ ليسـتريحاً
 « كعبُ بنُ جابرِ بنِ عمرو الأزدي »
 ويلعنُ الطاغوتَ والشيطاناً^(١)
 يؤكّدُ النصرةَ للإمامِ^(٢)



(١) برير بن خضير : من أنصار أهل البيت ؑ كان يقول بضلالة معاوية ، وإن امام الهدى هو علي بن أبي طالب ؑ ذكرته مصادر التاريخ والرجال بأنه سيد القراء ، وأحد وجوه الكوفة ، وقرائها ، كان شيخاً تابعياً ، ناسكاً ، وله في الحمدانيين شرف ومنزلة رفيعة.

(٢) حنظلة الشبامي : هو حنظلة بن سعد الشبامي ، وقف قبل أن يبارز جيش عمر ابن سعد ، خطب فيهم محذراً إياهم من سوء عاقبة قتال الحسين ؑ ربحانة رسول الله ﷺ ، إلا أنهم واجهوه بالعناد والاصرار ، فحمل عليهم ، وقاتل حتى قُتل « رحمه الله ».

شجاعة عابس

وقد تحدّى « ابنُ شبيب الشاكري »
فخاطبَ الحسينَ في خشوع
ليسَ على الأرضِ أعزُّ منكَا
عليكَ يا ابنَ المصطفى السلامُ
واقترحَ الجحفلَ حرّاً صابراً
شدَّ عليه القوْمُ بالحجارة
وحينَ شاهدَ الجفأةَ الغدرةَ
يطردُ منهمُ المئاتِ حاسراً
أجابَهُمُ أجَنّني الحسينُ
حتى قضى مُضرجاً شهيداً
جيشَ ابنِ سعدٍ بفؤادٍ ثائرٍ
وجفناً يُخفّقُ بالدموعِ
بمهجتي سوفَ أذبُ عنكَا
اليومَ فيكَ دينُنا يُقامُ
للهِ ما اكرمَهُ مُناصراً
لما رأوا في سيفهِ شرارةَ
ألقى اليهم درعَهُ ومَغْفَرَةً
ف قيلَ جنَّ « عابسٌ » مُغامِراً
فجُبُّهُ أمانةٌ وديْنُ
مُبتسماً يُعانقُ الخُلوداً^(١)



(١) عابس بن شبيب الشاكري : من رجال الشيعة ، عُرف بالشجاعة ، والقوة والجرأة ، والخطابة ، ارسله مسلم الى الحسين ليخبره بببيعة اهل الكوفة فلم يتمكن من ذلك ، برز الى جيش ابن سعد يتحداهم بالقتال ، فأحجموا عنه لما يعرفون عنه من شجاعة وبسالة نادرة ، فأمرهم ابن سعد بأن يرموه بالحجارة ، لكنه هجم عليهم حاسر الرأس ملقياً درعه ، ومغفره ، فأحاطوا به من كل جانب ، حتى قتل فتنزعوا فيه ، فحسم عمر بن سعد الامر بقوله : هذا لم يقتله واحد.



جون يُدافع عن الحسين ؑ

وكان « جون » يرقب المشاهدا
خاطبه الحسين قد صَحَبْتَنَا
وَأَمَّا صَحَبْتَنَا لِلْعَافِيَةِ
فَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنَ الْقِتَالِ
أفِي الرِّخَاءِ الْحُسْنِ الْقِصَاعَا
وَاللَّهِ لَا حَتَّى يَطِيحَ مَخْذَمِي
ثُمَّ مَضَى يَطَارِدُ الْكَفَّارَا
« كَيْفَ تَرَى الْكَفَّارَ ضَرْبَ الْأَسْوَدِ
أَذْبُ عَنْهُمْ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ
وَصَارَ لِلْسَيْوِفِ وَالرَّمْحِ
وَجَاءَ دُورُ « ابْنِ نَبِيهِ الْكَاهِلِي »

جَرَدَ سَيْفَهُ لَكِي يُجَاهِدَا
لَا كَيْ تَمُوتَ الْيَوْمَ فِي مُحَنَيْنَا
فَسِرْ إِلَى تِلْكَ الْوَهَادِ الْخَافِيَةِ
فَخَاطَبَ الْحُسَيْنَ فِي سَوْالٍ
وَفِي الشَّدَادِ أَهْرَبُ امْتِنَاعَا ؟
وَقَدْ تَخَالَطَتْ دِمَائُكُمْ بِدَمِي
وَيَنْشُدُ الْإِلْحَانَ وَالْأَشْعَارَا
بِالسَّيْفِ ذَبًّا عَنْ بَنِي مُحَمَّدٍ
أَرْجُو بِهِ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْمَوْرِ
نَهْبَاءً وَلِلْسَهَامِ وَالصَّفْحِ (١)
وَكَانَ شَيْخًا ذَا قِوَامٍ نَاحِلٍ

(١) جون : شيخ كبير السن هو مولى لأبي ذر الغفاري ، أذن له الحسين ؑ بالانصراف فقال له : لا والله لا افارقكم حتى يختلط هذا الدم الاسود مع دمائكم اهل البيت ، فأذن له الحسين ؑ بالقتال حتى قتل رحمه الله. فدعا له الامام الحسين « اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهَهُ وَطَيِّب رِيحَهُ وَاحْشِرْهُ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ ». ».



هَيْئَتُهُ أَبْكَتْ أَبَا السَّجَادِ ^(١)
يُسَبِّحُ لِلْأَنْصَارِ فِي السِّيَادَةِ
مَنْ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ فِي الْأَوَائِلِ
كَيْ لَا يَذُوقَ الْقَتْلَ مَعَ أَبِيهِ
مُتَحَيِّزاً بِطَوْلَانَةٍ وَخَزْمَانَةٍ
تَمَسَّحَتْ بِجِرْحِهِ وَدَمِهِ
تُقَاتِلُ الْجَمْعَ وَالْحَشِوَةَ
خَاوِيَةً بِالْيَقِينَةِ نَحِيفَةً
دُونَ بَنِي فَاطِمَةَ الشَّرِيفَةِ
وَقَالَ : دَافَعْتَ عَنِ الذِّمَامِ ^(٢)
فَشَدَّ فِي الرِّجَالِ دُونَ خَوْفِ

قَدْ كَانَ صَاحِبَ النَّبِيِّ الْهَادِي
وَبَعْدَهُ « عَمْرُو » فَتَى « جَنَادَةَ »
لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ وَلَمْ يَقَاتِلِ
فَرَدَّهُ الْحُسَيْنُ حُبّاً فِيهِ
لَكِنَّهُ مَضَى يَشُدُّ الْعَزْمَانَةَ
وَحِينَ صَارَ رَأْسُهُ لَأُمِّهِ
وَارْتَحَزَتْ وَأَخَذَتْ عَمُوداً
« إِنِّي عَجُوزٌ فِي النَّسَا ضَعِيفَةٌ
أَضْرِبُكُمْ بِضَرْبَةِ عَنِيفَةٍ
فَرَدَّهَا الْحُسَيْنُ لِلْخِيَامِ
وَعِنْدَهَا قَدْ غَضِبَ « ابْنُ الْجَعْفِيِّ »

(١) أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي : شيخ كبير كان صحابياً رأى رسول الله ﷺ ،
وشهد معه بدرًا ، وحنين ، وكانت له منزلة في أهل الكوفة بحكم صحابته للرسول ﷺ ، برز
للقتال وهو يرفع حاجبيه بعصاة ، فبكى الامام الحسين ﷺ حينما رآه بهذه الهيئة وقال له :
شكراً لله لك يا شيخ ، ثم قاتل حتى قتل.

(٢) هو عمرو بن جنادة بن الحارث الأنصاري ، قُتل أبوه في المعركة ، فدفعته أمه كي
يقاتل دون الحسين ﷺ لكن الحسين ﷺ اشفق عليه وقال : هذا شاب قُتل أبوه ، ولعل أمه
تكره خروجه ، فقال : إن أمي هي التي أمرتني ، ثم برز وهو يرتجز ويقول :

أَمِيرِي حُسَيْنٌ وَنَعْمَ الْأَمِيرُ سُرُورُ فِرْدَوْسِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ
عَلَيَّ وَفَاطِمَةُ وَالْوَدَادِ فَهَلْ تَعْلَمُونَ لَهُ مِنْ نَظِيرِ

ثم قاتل حتى قُتل ، فرموا رأسه الى معسكر الحسين ﷺ فأخذته أمه ، ومسحت عنه الدم
والتراب ، وأخذت عموداً وهجمت به على الأعداء ، فردّها الحسين ﷺ الى الخيام ...



« اليومَ القى جدّك النينا
ذاك الذي نعرفه الوصيا »
وحولّه سيوفهم مشتبكة ^(١)
مقاتلاً بقوة وعزم
ومزقت أعضاءه الرماح
فسبّ فيهم « عمراً وثمرا »
أن يُطلقوا سراحه من يومه
ومات فخراً ياله من موتة ^(٢)

مُرتحزاً بصوته دويّاً
ثم أباك ذا الندى عليّاً
حتى توارى صوته في المعركة
وبعدّه راح « سوار الفهمي »
فكثرت في جسمه الجراح
فأسرّوه غيلةً وغدرا
وقد تشفّع رجال قومه
فعاش بعدها شهوراً سنّة



(١) ابن الجعفي : هو الحجاج بن مسروق الجعفي ، احد المقاتلين الشجعان.

(٢) سوار الفهمي : هو سوار بن ابي حمير من ولد فهم بن جابر الفهمي الهمداني ، قاتل قتالاً شديداً حتى ائخن بالجراح ، وأخذ اسيراً الى عمر بن سعد ، فأراد قتله ، لكن قومه تشفعوا له ، وأخذوه عندهم ، فمات متأثراً بجراحه بعد ستة اشهر من واقعة الطف.

إِسْتِغَاثَةُ الْحُسَيْنِ ٭

وبعدَ أَنْ تَوَالَتِ الْأَصْحَابُ	إلى الردى والكلُّ لا يَهَابُ
مُضَرِّجِينَ بِدَمِ الشَّهَادَةِ	فَالْقَتْلُ كَانَ لِلرَّجَالِ عَادَةً
صَاحِ الْحُسَيْنِ يَا لِيُوثَ الثَّارِ	يا خيرةَ الْأَصْحَابِ وَالْأَنْصَارِ
مَا لِي أَنْادِيكُمْ فَلَمْ تُجِيبُوا	أنا الَّذِي مِنْ بَعْدِكُمْ غَرِيبُ
لَمْ يَبْقَ لِي غَيْرُ حِمَاةٍ أَهْلِي	وَإِخْوَتِي وَنِسْوَتِي وَطُفْلِي ^(١)
فَسَمِعْتُ نِدَاءَهُ الْإِخْوَانُ	أَلْ أَبِي طَالِبٍ الشَّجَاعُ



(١) قضى أصحاب الحسين مخرجين كالأضاحي بعد أن أدوا دورهم البطولي ، واستشهدوا بين يدي أبي عبد الله ٭ فنظر الحسين ٭ إلى معسكره فلم يجد إلا أهل بيته ، وشباب بني هاشم ، ونساءهم ، وأطفالهم وهم يتهايمسون وسط المعركة ، فاستغاث الحسين ٭ بأعلى صوته : هل من ناصر ينصرنا ، هل من مغيث يخاف الله فينا .
ثم خاطب أصحابه : يا حبيب ، يا مسلم ، يا بربر ، ما لي أناديكم فلا تسمعون ، وأدعوكم فلا تجيبون .



شهادة عليّ الأكبر

أَوْهُهُمْ نَجَلُ الْحُسَيْنِ الْأَكْبَرُ
أَشْبَهُ آلِ بَيْتِهِ بِالْمَصْطَفَى
سَبْعَ وَعَشْرُونَ لَهُ أَعْوَامُ
يَسْتَأْذِنُ الْحُسَيْنَ لِلْقِتَالِ
فَضَمَّهُ الْحُسَيْنُ شَوْقاً وَبَكى
وَقَالَ يَا رَتَاهُ ذَا غَلَامِي
كُنَّا إِذَا اشْتَقْنَا إِلَى النَّبِيِّ
تَقَدَّمَ الْأَكْبَرُ لِلْمِيدَانِ
« أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ
تَاللَّهِ لَا يَحْكُمُ فِينَا » ابْنُ الدَّعْيِ
ضَرَبَ غَلَامَ هَاشِمِيِّ عَلَوِيٍّ
وَعَادَ بَعْدَ جَوْلَةٍ عَطْشَانَا
يَقُولُ : هَلْ مِنْ شَرِبَةٍ مِنْ مَاءٍ
أَجَابَهُ الْحُسَيْنُ رَدّاً وَاضِحاً
وَعَادَ لِلْمِيدَانِ مُسْتَمِيتاً

عَلِيٌّ الْفَتَى الْمَهَابُ الْأَنْوَرُ
وَوَارِثُ الْمَكْرِمِينَ الشُّرَفَا
وَوَجْهُهُ بِدَرٍّ بَدَا تَمَامُ
يَذُبُّ عَنْ دِينِ الْهَدَى وَالْآلِ
وَهَزَّ دَمْعُ مُقَلَّتَيْهِ الْفَلَكَامَا
ضَحِيَّةً لِنَصْرَةِ الْإِسْلَامِ
نَرَاهُ خَلْفَ وَجْهِهِ الْبَهِيَّ
مُرْتَجِزاً لِلضَّرْبِ وَالطَّعْنَانِ
نَحْنُ وَبَيْتِ اللَّهِ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ
أَضْرِبُكُمْ بِالسَّيْفِ أَحْمَى عَنْ أَبِي
مُذَكِّراً لِإِيَّاهُمْ ضَرْبَ الْوَصِيِّ
مِنْ شِدَّةِ الْحَرْبِ وَمَا قَدْ عَانِي
أَقْوَى بِهَا الْيَوْمَ عَلَى الْأَعْدَاءِ
فَسَوْفَ تُرَوَى بِكَوْؤُسِ الْكَوْثَرِ
فَالشَّبَلُ لَا يَخْشَى بِأَنْ يَمُوتَا



وواصل القتال مثل جدّه
فجاءه من خلفه « ابن العدي »
بطعنة جبانة قتّالته
فأسرع الحصان فيه للعدا
فصاح يا أبي سلامٍ مِنّي
هذا رسولُ الله قد سقاني
فجاءه الحسينُ يكي حُزنا
هَقِي على النساءِ لما سمعت
فصحنَ وا جدّاهُ ومحمّدا
فاحتسب الحسينُ في بكاءٍ

مُهلّ رولاً بسيفه لنجدّه
وسدّد الرمح له عن بُعد
أفجّع فيها المصطفى وآله
فقطعوهُ بالسيفِ بصدّدا
عليك ، هذه جنانُ عدي
بشرية نلث بها الأماني
يقول : قد فُزت بها وفُزنا
قلوبُها من حُزنها تقطّعت
هذا عليّ نهبُ أسيفِ العدا
أولَ مقتول من الأبناء^(١)



(١) علي الأكبر : هو علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ؑ وُلد في الحادي عشر من شهر شعبان عام ٣٣ هـ.

كان آية في الهيبة والجمال ، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ يُكَنَّى بأبي الحسن ، وقيل أنّه كان متزوجاً من أمّ ولد ، وأمّه ليلى بن أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي ، وهو أول من قُتل من بني هاشم ، وله من العمر سبعة وعشرون سنة.

بطولة عبد الله بن مسلم

وكان عبد الله وابن مسلم
وحين ضاق صبره تهادى
سار الى الميدان في رجولة
مترجلاً ، مجزداً لسيفه
« اليوم ألقى مسلماً وهو أبي
ليسوا بقوم عُرفوا بالكذب
فقاتل الرجال مثل حيدر
حتى انتحى له « يزيد الجهني »
فصاح يا لله من عصابة
فلتصلهم يا رب يوم الآخرة

يحرص ثقل الوحي عند الخيم
الى الحسين يطلب الجهادا
مذكراً بمسلم البطولة
يقول غير راهب من حتفه
وعصبة بادوا على دين النبي
لكن خياراً وكرام النسب
وكال فيهم ضربات منكره
بسهمه ورمحه المسنن
تقتل أهل البيت والقراة
بنارها فهم جموع خاسرة^(١)



(١) عبد الله بن مسلم بن عقيـل بن أبي طالب ؑ وأمه ربيعة بنت علي بن أبي طالب ؑ. قاتل يوم عاشوراء قتالاً بطولياً ، حيث هجم على الأعداء في ثلاث حملات ، قتل منهم جماعة قبل أن يرميه « يزيد بن الرقاد الجهني » بسهم في جبهته فاستشهد « رحمه الله ».



قتال آل أبي طالب

وبعدَ قتلِهِ مشى الرجالُ
إلى الوغى مُستسْهلين الصَّعْبَا
صاحَ الحسينُ يا بني عُمومتي
صبراً على الموتِ فلا ترتعدوا
فوقعوا على السيوفِ نهباً
فمنهم ابنُ جعفرِ الطيارِ
مُرتحزاً في ساحةِ القتالِ
« أشكو إلى الله من العدوانِ
قد بدّلوا معالمَ القرآنِ
وأظهروا الكفرَ مع الطغيانِ
وبعدَهُ أخوه « عونُ » الثائرُ
« إن تُكروني فأنا ابنُ جعفرِ
يطيرُ فيها بجناحٍ أخضرِ
و « ابنُ عقيل » قاتلُ الرجالِ
« أبي عقيلٍ » فاعرفوا مكاني
هذا حسينُ شامخُ البنيانِ
ثمَّ أخوه « جعفرُ » المظفرُ

آلُ أبي طالبِ الأبطالُ
ومُشعلينَ بالسيوفِ الحُرْبَا
فلا رأيتمُ بعدها من ذلّةٍ
فيكم « عليُّ » ولكم « حمّدُ »
من بعدِ أن شذّوا عليهم ضَرْبَا
حمّدُ وعونُ حامي الجارِ
مشمرّاً يدعو على الرجالِ
مقالَ قومٍ في الردى عيانِ
ومحكمِ التنزيلِ والتبيانِ
واتبعوا نهجَ أبي سفيانِ
مُرتحزاً بشعره يُفْـاخِرُ
شهيدُ صدقٍ في الجنانِ أزهَرِ
كفى بهذا شرفاً في المحشرِ
مُرتحزاً يكتسحُ الأبطالَ
من هاشمٍ وهاشمٍ أخواني
وسيدُ الشيبِ مع الشبانِ
ذاك الشجاعُ الهاشميُّ الأطهرُ



« أنا الغلامُ الأبطحيُّ الطالبيُّ
ونحنُ حقاً سادةُ الذوائبِ
وبعدَه « محمدُ بنُ مسلمٍ »
وقد أُصيبَ « الحسنُ المثنَّى »
واستشهدَ ابنُ حيدرِ الكرارِ
قتلَهُ « زحرُ بنُ بدرِ النخعي »
وبعدَه شدَّ بنو عقيـلٍ
وكانَ « عبدُ الله » في المقدَّمةِ
حتَّى هوى بطعنةِ الأثيمِ

منَ معشرِ في هاشمٍ منَ غالبِ
هذا حسينُ أطيَّبُ الأطيِّبِ
مُقتحمًا للخصمِ ليسَ يَحْتَمِي
وقُطِعَتْ منه الذراعُ اليمـنى
وهو « أبو بكر » فتى نزارِ
فصاحَ وأخاهُ عندَ المصراعِ
في موقفٍ ملتهبٍ مهوولِ
يسطرُ العِجابَ عندَ الملحمَةِ
« عثمانُ بنُ خالدِ التيمي »^(١)



(١) بعد استشهاد عبد الله بن مسلم ، خرج فتیان آل أبي طالب في حملة واحدة قاتلوا فيها قتالاً شديداً ، يحكي ملاحم بطولات أمير المؤمنين علي ؑ فاستشهد منهم :
عون بن عبد الله بن جعفر الطيّار ، وأخوه محمد ، وعبد الرحمن بن عقيـل ، وأخوه جعفر ،
ومحمد بن مسلم بن عقيـل ، ومحمد « أبو بكر » بن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن
عقيـل ، وقُطِعَت اليد اليمـنى للحسن المثنَّى ابن الإمام الحسن ولم يستشهد.

شهادة القاسم

وضاق صدرُ « القاسم بن الحسن »
 جاءَ ويمشي معه أخوه
 فانتخب الحسينُ إذ رآهما
 فازبحر القاسمُ ثم كرا
 « إن تُنكروني فأنا نجلُ الحسنِ
 هذا حسينُ كالأسيرِ المرهقِ
 وشئتَ الجموعَ وهي تترى
 أهوى يشدُّ نعلُهُ ما هابا
 فناشهُ بضربة عن عمدٍ
 فصاح يا عماءُ ثم أهوى
 عزَّ على عمِّك أن تدعوه
 واحتملَ الحسينُ جسمَ الشَّبلِ
 فاستقبلته زينبُ العقيلةُ
 هذا الحسينُ مُفردٌ في كربلا

بجلِ الامامِ الصابرِ الميمتَحِنِ
 الى الحسينِ كني يودِّعوه
 نحوَ الجهادِ جُرِّدا سيفاهما
 يقولُ : والمهجةُ منه حَرى
 سبطُ النبيِّ المصطفى والمؤمنِ
 بينَ أناسٍ لاسقوا صوبَ المزنِ »
 فانقطعتْ له التَّعالُ اليسرى
 لا كثرةَ الطعنِ ولا الضَّرابا
 « عمرو بنُ سعدِ بنِ نفيلِ الأزدي »
 فجاءهُ الحسينُ ليس يقوى
 فلا يُجيبُ عندما ترجوه
 ورجلُهُ تخطُّ فوقَ الرَّمْلِ
 تصيحُ يا ضياغمَ القبيلةُ
 أحاطهُ جيشُ العدا مُتصِلا^(١)



(١) القاسم ابن الامام الحسن بن علي بن أبي طالب ، اشترك في المعركة وهو غلام لم يبلغ الحلم ومعه أخوه عبد الله الأكبر ويكنى بأبي بكر. ويذكر ابو خنف في مقتلته . كما نقل الطبري . ما مضمونه : ان القاسم وهو الشبل الشجاع انقطع شسع نعله في المعركة وانها اليسرى فابى ان يواصل القتال حافياً فنزل يشدها فتجمع حوله الاعداء فقطعوه إرباً إرباً فلحق بموكب الشهداء السعداء.



بطولة العباس

فسمع العباس صوت زينب
قال لإخوان له : تقدّموا
هم جعفر الفدّ وعبدُ الله
إذ واجهوا الموت رجالاً بررة
فلم يك العباسُ بعدُ يصبرُ
يسمعُ صوت الصبية العطاشى
يقولُ : يا أخاه ضاق صدري
فدمعت عيني الحسين واكتوى
إن شئت فاطلب للنساء ماء
فحمل القربة نحو المشرعة
لم يرهب العباسُ ذاك الجمعا
مُرتجلاً يهدر وهو يضربُ
« لا أهرب الموت إذا الموتُ زقا
إني أنا العباسُ أغدو بالسّقا
وراح في قتاله يجالُدُ

وهو يرى في غربة سبط النبي
فقالتوا في عزة لم يُججموا
وثم عثمان فتى الدواهي
مُشبهين بأبيهم حيدر
فجاء للحسين وهو يزُرُ
حاشاه أن يغضّ طرفاً حاشا
أريد أن أخد منهم ثأري
وقال : أنت أنت صاحب اللّوا
وصبية بانوا لنا ظمأ
وقد أحيطت بالرماح المشرعة
إلا وقد أثار فيه النّفعا
يقولُ : هل من فارس يا عربُ
حتى أوارى في المصاليق لقي^(١)
ولا أهاب الموت يوم الملتقى
وعن بنات المصطفى يجاهدُ

(١) المصاليق : القبور. لقي : مطروح.



حَتَّى إِذَا مَا اقْتَحَمَ الْفُرَاتَا
 مَدَّ يَدًا لِلْمَاءِ كَيْ يَغْتَرِّفَا
 تَذَكَّرَ الْحُسَيْنَ وَالنِّسَاءَا
 فَقَالَ وَالدَّمْعَةُ فِي الْعِيُونِ
 وَبَعْدَهُ لَا كُنْتُ أَوْ تَكُونِي
 وَتَشْرِي بِبَارِدِ الْمَعِينِ
 فَتَرَكَ الْمَاءَ وَظَلَّ عَاطِشَا
 فَاحْتَبَأَ أَوْ لَوْ وَرَاءَ نُخْلَةٍ
 وَنَصَّبُوا بِغِيلَةٍ كَمِينَا
 فَقَالَ : « إِنَّ قَطْعَتُمْ يَمِينِي
 وَعَنْ إِمَامٍ صَادِقٍ الْيَقِينِ
 وَلَمْ يَزَلْ يَضْرِبُكُمْ ضُلَالَا
 وَجَاءَتْ السَّهَامُ مِثْلَ الْمَطَرِ
 وَقَدْ أَصَابَتْ السَّقَاءَ الْأَسْهَمُ
 مُدَّ ضَرْبِ الْعِبَاسِ بِالْعَمُودِ
 فَصَاحَ يَا حُسَيْنُ يَا غَرِيبُ
 عَلَيْكَ مِنْ جِرَاحِي السَّلَامُ
 جَاءَ الْحُسَيْنُ هَاتِفًا بِصَاحِبَةِ
 وَشَمَّتْ بَغْرِي الْأَعْدَاءُ
 وَعَادَ نَحْوَ خِيَمَةِ الْأَطْهَارِ
 فَسَمِعَتْ سُكِينَةُ وَزَيْنَبُ
 وَصَرَخَتْ زَيْنَبُ وَاضْمَيْعَتْنَا

وَأَسَكَّتِ الضَّجِيجَ وَالْأَصْوَاتَا
 فَفِي فُرَادِهِ لَهَيْبُ مَا انْطَفَأَا
 وَكَيْفَ ظَلُّوا بَعْدَهُ ظُمَاءَا
 « يَا نَفْسُ مِنْ بَعْدِ الْحُسَيْنِ هُوَ
 هَذَا الْحُسَيْنُ وَارِدُ الْمُنُونِ
 تَاللَّهِ مَا هَذَا فِعَالٌ دِينِي
 وَمَالُ الْقَرِيبَةِ مَاءٌ وَمَشَى
 يَحَاوِلُونَ مَنَعَهُ أَوْ قَتَلَهُ
 حَتَّى بَرُوا مِنْ زُنْدِهِ الْيَمِينَا
 إِنِّي أَحَامِي أَبَدًا عَنْ دِينِي
 نَجَلِ النَّبِيِّ الطَّاهِرِ الْأَمِينِ
 فَقَطَّعُوا ذِرَاعَهُ الشَّامِلَا
 فَصَلَّاهَا بِصَدْرِهِ وَالنَّخْرَ
 أَرِيقَ مَأْوَها وَطَاحَ الْعَلَمُ
 وَجَسَمُهُ مُزَقَّ بِالْحَدِيدِ
 أَخِي يَا مَظْلُومُ يَا حَبِيبُ
 قَدْ قَالَهَا وَانْقَطَعَ الْكَلَامُ
 انْكَسَرَ الظُّهْرُ وَقَلَّتْ حِيلَتِي
 مَدَّ طَاحَ مِنْكَ السَّيْفُ وَاللَّوَاءُ
 يُكْفِكِفُ الدَّمُوعَ بَانْكَسَارِ
 فَكَثَرَ الْمُعْوَلُ وَالْمُتَجَرَّبُ
 بَعْدَكَ يَا عِمَادَنَا وَبَيْتَنَا



ونددت فاطمة والنبينا
هذا الحسين مفرد في الطّف
ونجله السجاد في خيمته
وعندها صاح الحسين معلنا
هل من يخاف النار أو يؤوب
وعندها استعد للممات

وجعفر الطيار والوصيا
وحولك النساء غدت في خوف
يعالج المحنة في علته
هل من مغيث صادق يعيشنا
فسكت القوم ولم يجيبوا
وكان آيساً من الحياة^(١)



(١) العباس بن علي بن أبي طالب ، وأمه فاطمة بنت حزام الكلايية وتكثي بأم البنين ، وكنيته أبو الفضل. لُقّب بقمر بني هاشم. عُرف عنه الشجاعة ، وشدة البأس ، وقوة الجسم ، وكان مخلصاً غاية الاخلاص لأخيه الإمام الحسين عليه السلام حمل لواءه يوم الطف ، وأبلى بلاءً حسناً. هدد مقتله الحسين فقال عليه السلام في نعيه : « الآن انكسر ظهري ، وقلت حيلتي » وشخصية العباس حاضرة بقوة في الضمير الاسلامي الشيعي ولا تغيب عن الذاكرة فلا تسعها هذه السطور والاشعار ، وهو آخر من استشهد من أصحاب الحسين وأهل بيته عليه السلام.

وداع الحسين ❁ الأخير

وقبَّل الصغار والأطفالا	فودَّع النساء والعِيالا
إن صارَ نهْياً لظبي المُنون	مُوصياً بالصبر والسكون
مَنْ لي إذا النارُ أحاطَتْ خيمي	فصرختُ سكينهُ يا أباي
وقبره المنورُ القُدسي	فزدَّننا لحرم النبي
لو تركَ القطا عفا وناما	أجابها هيهات لن ألاما
وأعولتُ بحزنهما النساء	فارتفع الضجيجُ والبكاء
تصبري قد قرأت مني	وصاح يا زينبُ يا أُخيي
غيرَ جدٍير لبسه ممزقا	ثم دعا يُريدُ ثوباً خلقا
يسلبه الأوباش منه ليلا ^(١)	يضعه تحت الثياب كي لا



(١) لحظات الوداع من اصعب اللحظات على ذوي النفوس الكبيرة والضمائر الحرة فهنا هو الحسين بين أطفاله وعائلته يودعهم الوداع الاخير من اجل ان يرسم للاجيال طريق الحرب والكرامة والعزة والتحرر من ضعف الارادة من سطوة الطواغيت.



الطفل الرضيع

ثمّ دعا بطفله الرضيع
ما جاوز العام وهده الظما
مخاطباً تلك الجموع الجاهله
قدّم طفله لكى يسقوه
أوّلهم « حرمله بن كاهل »
فذبّح الرضيع دون ذنب
هوّن بي والله ما قد نزل
ثمّ ملا كفّيه بالدماء
عاد وغطّى طفله المصابا
استرجعي وادّعي بالصبر

مُودّع إيّاه بالدموع
ما ذنبه يا قوم ماذا أجرما ؟
يسألها بالله أن تباهله
لكنّهم بنبله رموه
ذاك الذي لم ير غير الباطل
فذا أبوه شاكياً يا ربّ
كلّ بعين الله جلّ وعلا
وقد رمى بالدم للسماء
مخاطباً زوجته « الرّبابا »
فذا شفيّع الناس يوم الحشر



دُعَاءُ الْحُسَيْنِ ۑ قَبْلَ مَقْتَلِهِ

ورفعَ اليدينِ بالدعاءِ	إلى إِلَهِ الكونِ والسماءِ
يا ربَّ لا يكنْ عليكْ أهوننا	هذا الذي قد حلَّ غدرهً بنا
مِنْ ناقةٍ تُقتلُ في « ثمودِ »	وَمِنْ فصِيلها طريِّ العُودِ
فإنْ تكنْ حبستْ عَنَّا النصرا	فَهَبْ لَنَا ثوابَهُ في الأخرى
وأنتَ شاهدٌ على ما فعلوا	وأرعبوا وأحرَقوا وقتلوا ^(١)



(١) بقي الحسين ۑ وحيداً بعد استشهاد أصحابه وفتية أهل بيته فأراد أن يودع طفله الرضيع واسمه عبد الله من زوجته الزباب ، وعندما حمله طالباً له الماء اختلف جيش عمر بن سعد في إعطائه الماء ، فحسم نزاع القوم حرمله بن كاهل الأسدي بسهم ذبح الرضيع وهو بين يدي والده ، فرمى الحسين الدم الى السماء ثم خضب وجهه بيده وقال : هكذا ألقى الله وأنا مخضب بدمي .

والحسين انما يفعل هذا ليس ضعفاً واستسلاماً للموقف الصعب ، انما يريد ان يعمق الجانب العاطفي من مسيرة الثورة في ذاكرة الاجيال لكي تظل مشعلاً وهاجاً ونبراساً يضيء طريق الشعوب وهي تكافح من اجل العدالة والحرية .



الحسين ٥ يهزم الجموع

وَأَصْلَتَ الْحُسَيْنُ سَيْفَ الْحَقِّ
وَقَدْ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْقِتَالِ
مُرْتَجِزاً يَكْرُرُ نَحْوَ الْمِئْنَةِ
يَصِيحُ يَا عَصَابَةَ الْأَشْرَارِ
وَالْعَازِ أُولَى مِنْ دُخُولِ النَّارِ
وَشَدَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَحْوَ الْمِيسْرَةِ
مُرْدِداً «أَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ»
وَهَا أَنَا «أَحْمِي عِيَالَاتِ أَبِي
يَضْرِبُ فِي جَمْعِهِمْ كَحِيدَرَةٍ
تَخَافُ تَدْنُو نَحْوَهُ وَتَقْرُبُ
فَصَاحَ «عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ» فِيهِمْ
فَإِنَّهُ ابْنُ الْأَنْزَعِ الْبَطِينِ
أَعْرَفَهُ هَذَا ابْنُ قَتَّالِ الْعَرَبِ
شُدُّوا عَلَيْهِ وَافْضُلُوا رِحَالَهُ
فَأَمْطَرَتْ سَهْمُهُمْ آلَافاً

يَلْمَعُ فِي يُمْنَاهُ مِثْلَ الْبَرْقِ
فَارْتَعَبَتْ أَشْأَوْسُ الْإِبْطَالِ
مُقْتَحِمَاءَ رِمَاحِهَا الْمُسْتَنَّةِ
«الْمَوْتُ أُولَى مِنْ رُكُوبِ الْعَارِ
وَاللَّهُ مَا هَذَا وَهَذَا جَارِ»
فَأَحْجَمَتْ جَمْعُهَا الْمُنْكَسِرَةَ
وَأَنَّنِي «آلِيَتْ أَلَا أَنْثَنِي»
بِعِزْمَةٍ «أَمْضِي عَلَى دِينِ النَّبِيِّ»
حَتَّى غَدَتْ فَرَسَانَهُمْ مَتَشَرَّةً
فَهُوَ الشَّجَاعُ الْبَطْلُ الْمَجْرَّبُ
أَتَعْرِفُونَ قَدْرَهُ وَيَلْكُمُو
وَقَاتِلِ الْأَبْطَالِ فِي «صَقِّينِ»^(١)
لَا يَعْرِفُ الْمَوْتَ وَلَا يَرْجُو الْهَرَبَ
عَنْهُ وَرَوَّعُوا بِهَا عِيَالَهُ
لَكِنْ أَبِي الضَّمِيمِ لَنْ يَخَافَا

(١) الأنزع البطين : المقصود به الإمام علي بن أبي طالب ٥ حيث كان حاسر الرأس ، مهيب الطلعة ، ضخيم الجسم ، قوي البنية ، مفتول العضلات.

فصاح يا جمع أبي سفيان
إن لم يكن خلق لكم ودين
هل عرب أنتم وهل أحرار
فصاح « شمر » ما الذي تقول
قال أنا الذي لكم يقاتل
ليس عليهنّ بما جناح
فردّ شمر لك ما تريد
واشتدّ بالحسين حرّ العطش
واقترحت الفرات ثم اغترفا
ف قيل : هل تلذّ شرب الماء
فانتفض السبط وعاف الماء
وقد رماه « ابن نمير الأزدي »
فتمّ الحسنيّ بالدعاء

ويا مسوخ البغي والطغيان
فراجعوا الاحساب من تكونوا
أم أنكم عصاة أشرار ؟
إنك بعد ساعة مقتول
لا يقرب النساء منكم جاهل
فلتقصّدوني فدمي مباح
فأنت كفر سيّد عيّد
فكرّ في جموعهم لا يختشي
بكفه ماء ليطفي اللفها
وقصد احاط القوم بالنساء
وقصد الخيام والنساء
بنبلّة في حلقه والزناد
وطرفه يُشير للسماء^(١)



(١) تعجز الكلمات عن وصف المشهد الذي تتشابك فيه الصور والاحداث ، حيث يقف الحسين وحده امام جيش الاعداء بكل شجاعة ورباطة جأش فيقف التاريخ معه حابساً أنفاسه ليبدأ منعظاً جديداً في مسيرة الشعوب ، ومن هنا أتى أي تعليق بعد ان ذرفت الدموع.



الوداع الثاني

رَبِّ انْتَقِمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الظَّالِمِينَ
عَدا فودّع العيالَ ثانيًا
يقولُ : صبراً واستعدُّوا للبلَا
فرُّبكم ينجيكم بالرحمة
ويُعِدُّ النعمةَ بالعطاء
فلا تقولوا ما يحطُّ قدرُكم
فلأنتم ودائعُ النبيِّ
وعندها قالَ « ابنُ سعد » ونجكم
ما دامَ مشغولاً بأمرِ الحرم
واللهِ إنَّ يَكُنْ لكم قَدْ فَرَّغَا
واختلطتْ ميمنةٌ بميسرة
فحملُوا عليه بالسهم
وأرعبَ النسوةُ والأطفالُ
فحملَ الحسينُ لئلاً غضبا
يضربُ فيهم والفؤادَ ظام
فقالَ للقومِ : ألا من ماءٍ
فقالَ شمرٌ لا تذوقُ الباردَ

وأمةٌ بعثتْ علينا مجرمة
موصيا نساءهُ مُواسيا
إذا القضاءُ فيكم قد نَزَلَا
من بعدِ أنْ يكشفَ هذي الغمة
كرامةً من خالقِ السماءِ
ولا تُبِحُوا للطغاةِ سرَّكم
وانتم أمانَةُ الوصيِّ
شدُّوا عليه قبلَ أنْ يفجأكم
وقلبُ به معلَّقٌ بالخيم
لعادَ جيشُكم دماً مُصطبغاً
فهو ابنُ قاتلِ الرجالِ حيدرُهُ
حتَّى تخالفتْ على الخيامِ
وصرختْ من خوفها العيالُ
وسيفُهُ صاعقةٌ تلهبها
وعن بناتِ المصطفى يُحامي
أطفلي لهيبَ الجمرةِ الحمراء
حتَّى تَرى النارَ إليها واردة



وقال بعضُ صُددٍ للفراتِ
لا تشربنَّ منه أو تقضي ظمًا
فأغمضَ الحسينُ طرفاً ومشى
ثم رمى سهماً « أبو الخنوفِ »
فوقَّع السهمُ على جبهتهِ
فهتفَ الحسينُ ربَّ قَدْ تَرى
ربَّ احصهم بينَ يديكَ عَددا
ورفعَ الصوتَ لهم يُنادي
فبئسَ ما خلفتُم محمداً
لا تقتُلونَ بعدَ قَتلي رجلاً
لكنَّ يهونُ كلُّ قتلٍ بعدي
فإنَّني أطمعُ بالشَّهادةِ
وأسألُ الباري بأنَّ يَنقِمَ
قالَ « الحُصَيْنُ » : ومَذا يَنقِمُ
فقالَ : يُلقِي بِأَسْكُمْ بَيْنَكُمْ
وضَعَفَ الحسينُ عَن قَتالِهِم
ورشَّ قُوهُ ثُمَّ بالحِجَارَةِ
فحجَّرَ أَصَابَهُ فِي جَبْهَتِهِ
فأَحْدَثَ الثُّوبَ لِيَمْسَحَ الدَّمَ

كَأَنَّهُ يَمُوجُ كَالْحَيَّاتِ
أو تَقَبَّلَ الأَمْرَ وَأَنْ تَسْتَسْلِمَا
وقالَ يَا رَبِّ أَمِثَّهُ عَطَشَا
نَحْوَ الحُسَيْنِ فِي ثَرَى الطُّفُوفِ
وسألتِ الدما على لحيتهِ
ما أنا فيه والذي ما قَدْ جَرى
ولا تَدْرُ في الأَرْضِ مِنْهُمْ أَحَدَا
يا أُمَّةً خَائِتَ وصايا الهادي
في أهلِهِ وما حَفِظْتُم وَلِدا
فيه تَخافُونَ الإِلَهَ والمَلا
فأَبْشَروا بِذَلَّةٍ وَبُعْدِ
وهيَ لَدِينَا غايَةُ السَّعَادَةِ
مِنْكُمْ لَمَّا سَفَكْتُمُوهُ مِنْ دِمَا
مِنَّا لَكُمْ والسَّوْرُ مِنْكُمْ يَنْهَدِمُ ؟
وعنْدَها وَيَلْكُمْ وَيَلْكُمْ
فأَفْرَعُوا عَلَيْهِ مِنْ نَبالِهِم
فَهُم لِعَمْرِي أُمَّةٌ غَدَّارَةٌ
أَسْأَلَ مِنْهُ دَمَهُ فِي وَجْهِهِ
رَمَاهُ آخِرُ بِهِم سُمُّا^(١)

(١) ودع الحسين عياله الوداع الأخير وأوصى أهله بالصبر والحلم حيث قال : استبعد
واللبلأ واعلموا ان الله حاميك وحافظكم وسنجيكم من شر الأعداء ويجعل عاقبة امركم



الى خير ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة فلا تشكو ولا تقولوا بالسنتكم ما ينقص من قدركم.

وهنا صاح عمر بن سعد بالجيش : ويحكم اجمعوا عليه ما دام مشغولاً بنفسه وحرمة والله ان فرغ لكم لامتاز ميمنتكم عن ميسرتكم ، فحملوا عليه يرمونه بالسهم حتى تخالفت السهم بين اطناب المخيم ، فحمل عليهم كالليث الغضبان فلا يلحق أحداً الا بعجه بسيفه فقتله والسهم تأخذه من كل ناحية وهو يتقيها ب صدره ونحره.

ورجع الى مركزه وهو يثر من قول : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

وطلب في هذا الحال ماء فقال الشمر : لا تذوقه حتى ترد الماء وناداه رجل : يا حسين الا ترى الفرات ؟ فلا تشرب منه حتى تموت عطشا فقال الحسين ﷺ : اللهم آمته عطشا ، فكان ذلك الرجل يطلب الماء فيؤتى به فيشرب حتى يخرج من فيه وما زال كذلك الى أن مات عطشا.

وهنا رماه ابو الحتوف الجعفي بسهم في جبهته فنزعه وسالت الدماء على وجهه فقال : اللهم انك ترى ما انا فيه من عبادك العصاة ، اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تذر على وجه الارض منهم احدا ولا تغفر لهم ابدا.

وصاح بصوت عال : يا أمة السوء بئسما خلفتم محمدا في عترته اما انكم لا تقتلون رجلاً بعدي فتهابون قتله ، بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إياي ، وأيم الله اني لارجو ان يكرمني الله بالشهادة ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون.

فقال حصين : وربما ينتقم لك منا يا ابن فاطمة ؟ قال يلقي بأسكم بينكم ويسفك دماءكم ثم يصب عليكم العذاب صبا.



السَّهَامُ تصيبُ قلبَ الحسينِ ❦

مَثَلَتْ أَصَابُهُ فِي الْقَلْبِ	فَاهْتَرَّ بِالْبُكَاءِ عَرْشُ الرَّبِّ
وَقَالَ : بِاسْمِ اللَّهِ وَالْأَدْمَاءِ	رَاعِفَةً وَتَنْزِفُ الْأَحْشَاءِ
هَاتِقَتْلُونَ رَجُلًا لَيْسَ عَلَى	وَجْهِهِ الْبَسِيطِ مِثْلُهُ بَيْنَ الْمَلَا
أَخْرَجَ ذَاكَ السَّهْمَ مِنْ قَفَاهُ	فَانْبَعَثَتْ فَوَارَةٌ دِمَاهُ
فَمَلَأَ الْكَفَّيْنِ مِنْهُ وَرَمَى	نَحْوَ السَّمَاءِ دَاعِيًا مُتَمَتِّمَا
هُوَ يَا رَبَّاهُ مَا قَدْ فُعِلَا	بِعَيْنِكَ الْخَطْبُ وَمَا قَدْ نَزَلَا
ثُمَّ غَادَا مُخَضَّبًا لِحَيْتَيْهِ	وَصَابِغًا مِنْ دَمِهِ شَيْبَتَيْهِ
يَقُولُ : هَكَذَا أُلَاقِي جَدِّي	مُخَضَّبَ الشَّيْبِ تَرْيِبَ الْخَدِّ
ثُمَّ هَوَى لِلْأَرْضِ عَنْ جَوَادِهِ	فَالْتَفَّ هَذَا الْكُونُ فِي سَوَادِهِ
حَيْثُ أَحَاطَ بِالْحُسَيْنِ الْفَجْرَةُ	وَالْبَعْضُ مِنْهُمْ شَاتِمٌ لِحَيْدَرِهِ
وَالْحَقُّدُ فِي قُلُوبِهِمْ يَشْتَعِلُ	بِجَاهِلِيَّةٍ نَمَاهَا الْخَبْلُ
مُنْتَقِمِينَ مِنْ سَلِيلِ أَحْمَدَا	تَجَمَّعُوا لِيُطْفِئُوا نُورَ الْهَدَى (١)

(١) ولما ضعف ❦ عن القتال وقف يسرتح رماه رجل بحجر على جبهته فسال الدم على وجهه فاخذ الثوب ليمسح الدم عن عينيه رماه آخر بسهم محدد له ثلاث شعب وقع على قلبه الشريف فقال : بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، ورفع رأسه الى السماء وقال : الهي انك تعلم انهم يقتلون رجلاً ليس على وجهه الارض ابن نبي غيره. ثم اخرج السهم من قفاه وانبعث الدم كالميزاب فوضع يده تحت الجرح فلما امتلأت رمى به نحو السماء وقال : هون علي ما نزل بي انه بعين الله ثم وضعها ثانية فلما امتلأت لطخ به رأسه ووجهه ولحيته وقال : هكذا اكون حتى القى الله وجددي رسول الله وانا مخضب بدمي.



صريعاً يُجَبِّن شجعانها

تخادَّلُوا لَجَبِّنِهِمْ عَنْ قَتْلِهِ
وهو وحييدٌ بينهم مَكْثُورٌ
تَرْتَهَبُ الْإِبْطَالُ أَنْ تَدْنُو لَهُ
إِذْ ذَاكَ قَدْ ذُنَا لَهُ غَلَامٌ
حَاوَلَ أَنْ يَحْمِيَ الْحُسَيْنَ فَعَدَا
وبعدَهُ جَاءَ إِلَيْهِ ابْنُ الْحَسَنِ
يَقُولُ : وَيَحْكُمُ أَتَقْتُلُونَهُ
فَقُطِعَتْ يَمِينُهُ بَضْرِيَّةً
وَبَقِيَ الْحُسَيْنُ فِي الْمِيدَانِ
يَنْوُو بِالطَّعْنِ وَبِالْجِرَاحِ
فَبَدَرَ الشَّيْءُ إِلَى مَقْتَلِهِ

ما انْجَلَّتِ الْحَرْبُ غُلَاً عَنْ مِثْلِهِ
لَكِنَّهُ ذُو هَيْبَةٍ وَقُورٌ^(١)
وَالشَّمْسُ فِي سَمَائِهَا تَعْنُو لَهُ
فِي الْحُسَيْنِ بَدْرٌ مُشْرِقٌ تَمَامٌ
مَهْوَى السَّيُوفِ فَمَضَى فِي الشُّهْدَا^(٢)
وَذَاكَ عَبْدُ اللَّهِ شَبْلٌ مُؤَمَّنٌ
وَهُوَ ابْنُ فَاطِمٍ وَتَعْرِفُونَهُ
فَجَاءَ سَهْمٌ قَدْ أَصَابَ قَلْبَهُ^(٣)
تُحِيطُ فِيهِ زُمَرَةُ الدُّؤْبَانِ
وَقَلْبُهُ يَنْبُضُ بِالْكَفَّاحِ
وَشَاهِرًا فِي وَجْهِهِ لَنْصَلِهِ



(١) المكثور : هو الذي تكاثر عليه الاعداء ولم يكن معه ناصر أو معين.

(٢) ذلك الغلام هو محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب ؑ.

(٣) ذلك الفتى هو عبد الله بن الحسن الزكي بن علي بن أبي طالب ؑ.



رأس الحسين ؑ

وَتَلَكُّمُ مَشِيئَةُ السَّمَاءِ ^(١)	وَكَانَ مَا كَانَ مِنَ الْقَضَاءِ
وَضُيْعُ الْيَتِيمِ وَالْمُسْكِينِ	فَأَعْوَلَ الْهَدَى لَهُ وَالْدِينُ
وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ وَالزَّكَاةُ	وَانْتَحَبَ الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ
وَالْمَشْعَرُ الْحَرَامُ ثُمَّ زَمْرُ	وُزِّلَ الصِّفَا بِهِ وَالْحَرَمُ
بَاكِئَةً مِنْ عَثْرَةِ الزَّمَانِ	وَارْتَحَفَتْ سَتَائِرُ الْأَرْكَانِ
وَارْتَجَّ دِينَ الْمَصْطَفَى بِأَسْرِهِ	وَنَاحَ أَحْمَدُ لَهُ فِي قَبْرِهِ
يَا أُمَّةً قَدْ سَفَكَتْ خَيْرَ الدِّمَاءِ	وَصَاحَ جَبْرِيلُ حَزِيناً فِي السَّمَاءِ
اللَّعْنَةُ الْكُبْرَى مِنَ الْجَبَّارِ	عَلَيْكَ يَا مَفْضُوحَةً بِالْعَارِ



(١) بعد أن أعييت الجراح الامام الحسين ؑ وأضعفه نزف الدم والجيش متردد جنباً من الإجهاز عليه بادر الشقي اللعين شمر بن ذي الجوشن ، حيث ارتداه الشيطان ، فشهر سيفه واحتز رأسه المقدس.

لم أستطع أن أصف تلك اللحظة التي توقف فيها التاريخ ، وتنكر فيها الزمن ، حيث قوى الشر تجهز على الخير المتمثل بالامام الحسين ؑ فكيف يمكن وصف تلك اللحظة وكيف يمكن تصويرها ، فهي أبشع جريمة يرتكبها شيطان ، وأكبر مأساة يعيشها مبدأ ، في تلك اللحظة ، كانت المقل مفتوحة لكنها لا ترى سوى الظلام ، فقد انطفأ النور وهجرت الشمس السماء وذبح القرآن ، فالمأ الأعلى يبكي والكائنات تنوح ذلك حزن الوجود.



فرس الحسين ❦

وبعد مقتل الحسين انحرما	جواده مجرحاً محمداً
ويصرخ الظليمة الظليمة	من أمة قاتلة أئمة ^(١)
قد قتلت سبط النبي الهادي	وباعث « آكلة الأكباد » ^(٢)
وحين شاهدت نساء الفرسا	مقطّع السرج وبمضي شرسا
أعولن بالبكاء وبالثبور	ورحن يخرجن من الخدور
فتلك تدعو ذا حسين عار	نادبة لجلدها المختار
وتلك أهوت نحوه تقبل	وبالرداء فوقه تظلل ^(٣)



(١) وبعد مقتل الامام الحسين ❦ أخذ فرسه ، وهو من جواد خيل رسول الله ﷺ ، يدور حوله ويلطخ ناصيته بدمه وهو يحمم ويصهل صهيلاً عالياً ويرفس القتلة برجله غضباً وحزناً ، حتى زوي أنه قتل جماعة منهم.

وقد قال الإمام محمد الباقر ❦ حول محممة الفرس وصهيله ، أنه كان يقول : « الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها ».

(٢) آكلة الأكباد : هي هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ، حيث لاكت من حقها كبد سيد الشهداء حمزة عم النبي ﷺ في معركة أحد ، بعد أن بقرت بطنه.

(٣) وما أروع أبيات الحاج ميثم الكعبي في تصوير هذا المشهد :

فواحدة تحنو عليه تظمه	واخرى عليه بالرداء تظلل
واخرى بفيض النحر تطبغ نحرها	واخرى تفدي به واخرى تقبل
واخرى على خوف تلوذ بجنبه	واخرى لما قد ناله ليس تعقل



اللّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا هَذَا الْقُرْبَانَ

وزينبُ تحملُـهُ جُثماننا	يا رَبَّنَا تَقَبَّلْ القُرْبانا
وامتلاءً الفضلاءُ بالغبارِ	والتَّقَاتِ الرمالُ بالأشجارِ
وانكشفَ النهارُ في ظلام	ففوقَ رمحِ هامةِ الإمام ^(١)



(١) خيم الحزن والاسى على الدنيا لحظة استشهاد الامام الحسين ؑ وكانت تلك ذروة اكبر مأساة في التاريخ الاسلامي والانساني.

وهنا يتجلى الموقف البطولي لعقيلة بني هاشم زينب ابنة علي ؑ حيث وضعت يديها تحت الجسد الصريع وهي تقول : ربنا تقبل منا هذا القربان لدينك.
اجل ان الحسين ؑ أعز قربان واشرف فداء لدين جده محمد بعد ان اصبح لعبة في يدي بني امية.

حرق الخيام ومحنة السجّاد ❁

وهو لعمري من شنيع الفعل	وسُلبَ الحسينُ بعدَ القتلِ
وصيخَ فيها إستعدّوا للبلّاءِ	وأُحرقتْ خيامه في كربلاءِ
والخوفُ يكوي كلّ قلب حائرٍ	وباتتِ النساءُ يومَ العاشرِ
قدّ عظمتْ حتى على الجبالِ ^(١)	ومحنةُ السجّادِ في العيالِ



(١) وبلغت الوحشية بجيش يزيد ان سلبوا الحسين ❁ بعد قتله ، ورضّوا صدره وظهّره بسنابك الخيل ، ورفعوا رأسه الشريف في رمح طويل افتخاراً بقتل سيد شباب أهل الجنة ، واستعداداً بالأسرى والسبايا من آل الرسول للرحيل بهم الى الكوفة ومنها الى الشام.

وهنا يبدأ مشوار جديد وشوط آخر من مسيرة الثورة الحسينية الخالدة حيث يمثل الامام السجّاد ❁ وعمته زينب الحلقة الموصلة بين الثورة والاجيال ، ولولا هذه الحلقة المباركة لماتت الثورة في مهدها وغطتها رمال الصحراء في كربلاء.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الجزء السادس

الامام علي بن الحسين السجاد ؑ





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الإهداء

الى سيدي الامام السجاد
علي بن الحسين .. زين العابدين
أقدم هذا الجزء من (قوافل النور)
راجياً له ان يقبل مواضع القيود في يديه ..
ونغمات الدعاء في شفتيه.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

إضاءة

وُلِدَ الإمام السجاد ؑ عام ٣٨ هـ ، وهي الفترة التي كانت مشتعلة بالفتن ، حيث نشط الناكثون ، والمارقون ، والقاسطون على جدّه أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب ؑ وجمعوا أمرهم على مخالفة الحق الذي كان يدور معه حيثما دار ، فعاش الإمام زين العابدين تلك المحنة بفصولها الصعبة ، التي انتهت بشهادة سيّد الأوصياء وإمام المتقين علي بن ابي طالب في محراب صلاته في مسجد الكوفة عام ٤٠ هـ.

ثمّ عاش السجاد محنة عمه الإمام الحسن ؑ حين خذله الناس ما عدا الثلّة المخلصة من أصحابه ، وحين أخذ تيار الانحراف الأموي يفرض سيطرته على الساحة الإسلامية ، من خلال الخدعة والإرهاب والإغراء ، والسياسات المادية التي برع معاوية في ابتداعها بشقّي الوسائل الباطلة ، فشاهد عمّه المظلوم يتعرّض للخيانة تلو الأخرى من قبل جيشه المهزوم ، حتى اضطرّ إلى الهدنة مع جيش الشام ، وقلبه يعتصر المألماً يراه من تعاظم جبهة الباطل وجمود المجتمع الإسلامي وعجزه عن إدراك خطورة الأحداث التي تمرّ عليه ، وعتمة المستقبل التي ستواجهه ، وفق تخطيط دقيق من قِبَل بني أميّة أعداء الرسول والرسالة ، الذين دخلوا الاسلام خوفاً وطمعاً فظلّوا له كارهين معادين يكيّدون له ولأهله ، ويفتتون وحدة الأمّة وتماسكها عبر سياسة التجهيل الفكري والترغيب المادي والإرهاب الأمني ، فتبدلت ملامح أمّة محمد ؐ وصارت على شفا حفرة من الضياع والتردي في كافة أبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية.

وبعدها عايش الإمام السجاد ؑ محنة الأحرار من شيعة علي ؑ أمثال ميثم التمار ، ورشيد الهجري ، وحجر بن عدي الكندي ، وأصحابه البررة ، وتعرّضهم للقتل والسجن والتشريد على يد معاوية ، وتحسس بألم وحرقة غلبة التيار النفعي على واقع الامّة ، وعلى مبادئ الإسلام الأصيل ، وهذه لوحدها تكفي لأن تمزق



القلوب المؤمنة التي امتلأت بحب الله وعاشت هموم الرسالة بكل وعيها وعمقها.

ومرت فصول كربلاء على الإمام السجاد ؑ كاملة واضحة ، يعيش دقائقها ويرى تفاصيلها ويرصد حركاتها ، بكل ما تمثل من ظلامه ومأساة وانتهاك وردة. فكان ؑ الشاهد الأكبر على تلك الجريمة النكراء. كان شاهداً على الإيمان والكفر ، على الوفاء والخيانة ، كما كان شاهداً على الأقوياء المؤمنين المخلصين الذين واجهوا الجيوش المعادية بالثقة ، وعلى الضعفاء المهزومين الذين سقطوا أمام أول إشارة من الطغاة. ومن أصدق شهادة منه وهو ابن النبوة والإمامة ، فرع الشجرة الطيبة ذات الأصل الثابت والفرع المتنامي في السماء.

وإذا كان أحرار كربلاء ، قد أدوا دورهم وانتهت معاناتهم في أرض الطف ، فإن السجاد الصابر ، كان عليه أن يواصل مسيرته ويبدأ مرحلة جديدة من المأساة والمعاناة والدور الرسالي ، مع موكب السبايا من أهل بيته من النساء والأطفال ، كان يرى الشياطين الحاقدة تلهب الأجساد النحيلة وهو مقيد في ركبته ، ويرى الرماح المجنونة وهي ترفع الرؤوس الشريفة وكأن جيش الظلم لم تروه دماء الحسين وأصحابه ، ولم يكتف بالجريمة البشعة ، فأراد أن يجمع في الانحراف والسقوط الى أدنى مسوياته ، فعمد إلى الانتقام الجسدي والنفسي من ذريته ونسائه وأهل بيته ؑ.

إنّه موت القيم ، وتشويه التاريخ ، وطغيان المسوخ على الإنسانية الحقة .. فهل يبلغ التمادي والجهل والظلم والوحشية والحقْد ، حداً يخرج فيه الإنسان عن إنسانيته كلّها ، فلا يبقى منها سوى الجلد يغطي البطش والطغيان ويغلف الحقْد الأعمى والظلم المسعور ؟.

إنّه الإنسان ، يملك بيده خيار الواقع الذي يسلكه والمصير الذي يؤول إليه ، فيختار بين أن يسلك سبل الهدى والرشاد فيفوز الفوز العظيم ، أو يختار الانحراف والضلال ، فيمضي في مسالك التيه المعتمة ، ويخسر الخسران المبين :



(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) .

إنّهُ الانسان ، بيده أن يغرس ليورق أشجاراً من العطاء وينشر إخضرار الحق والإحسان فيما حوله .. وبيده أن يقتلع الأزهار ، ليزرع الشوك ، وبيده يضرّم النار فيما حوله ، فينتهي إلى ظلمات فوقها ظلمات ومصيره إلى النار .

وهو الانسان في كل زمان ومكان .. أعطاه الله تعالى العقل والوعي والإدراك وعزّفه سبل الخير والشر ، وترك له الاختيار ووضع أمام الاختبار الصعب ، فالسعيد من انتصر على أهوائه ونوازعه الضيقة ، وغلب قيم الحق ، والعدل ، واتخذ القرار الحكيم بإرادة ثابتة في طريق الهدى اللاحب .. والشقي من ضعف فتردّى وانهار أمام نزعات النفس ونداء الباطل ، فعاش الضياع وانتهى إلى الموت وإن كان حياً بين الناس .

هذا النموذج رافق الانسانية منذ البداية وسيستمر إلى ما شاء الله ، صراع بين الحق والباطل ، بين قيم الخير وأساليب الشر ، بين الهدى والضلال ، والقرار بيد الانسان وله أن يختار بين خط الحسين وبين خط يزيد .

و « مؤسسة دار الاسلام » إذ تصدر هذا الجزء من ملحمة « قوافل النور » تتمي على الجيل الإسلامي الواعد أن ينهل من معين تاريخ أهل البيت (عليه السلام) الدروس والعبر والقوّة ، ما يعينه على تخطي عقبات الطريق الكأداء ، التي يُحاول أعداء الإنسانية أن يضعوها بين خطاه لكي ينكفيء إلى الوراء قلقاً مهزوماً :

(يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) .

فسلام على السجاد زين العابدين في الاولين والآخرين .

وسلام عليه في سجل الخالدين .

والحمد لله رب العالمين .





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

في محنة الأسر

وبعدَ أن جفَّ دُمُ المناحرِ	وبعدَ مقتلِ الحسينِ الطاهرِ
وسُلبتِ قلائدُ النسوانِ	أحرقَتِ الخيامُ بالنيرانِ
وشُمَّتْ عَصَائِبُ الشَّيْطَانِ	وضجَّتِ السماءُ بالدُحَانِ
حتَّى بكت للمشهدِ الصَّحَايِ	وسيقَ آلُ المصطفى أَسَارِي
وأنقلتِ رجلاهُ بالقيودِ	وكُبلَ السَّجَّادُ بالحديدِ
بناتُ طه وهو خيرُ الرُّسُلِ ^(١)	وأركبت على النِّيقِ الهَزَلِ
وئدبَ القتيْلُ للقتيلِ	مروا على الأجسادِ في عويلِ

(١) لم يكتف جيش السلطنة الأموية بقتل الإمام الحسين ﷺ وأصحابه وأهل بيته يوم عاشوراء ، إنما عمد إلى أسلوب آخر لم يألفه العرب في حروبهم وهو قطع الرؤوس وحرق الخيام وسلب النساء والأطفال.

قال ابن الأثير في الكامل والطبري في تاريخه : لما قتل أبو عبد الله الحسين ﷺ مال الناس على ثقله ومتاعه ، وانتبهوا ما في الخيام وأضرموا النار فيها ، وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول ﷺ ففرت بنات الزهراء حواسر مسلبات باكيات.

وجاء في أمالي الصدوق وسير أعلام النبلاء للذهبي ، أنَّ رجلاً جاء إلى فاطمة ابنة الحسين ﷺ فانتزع خلخالها وهو يبكي ، فقالت له : ما لك ؟ فقال : كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله ؟ فقالت له : دعني قال : أخاف أن يأخذه غيري.

ونظرت امرأة من آل بكر بن وائل كانت مع زوجها إلى بنات رسول الله ﷺ بهذه الحال فصاحت : يا آل بكر بن وائل ! أتسلب بنات رسول الله لا حكم إلا لله ، يا لشارت رسول الله ، فردّها زوجها إلى رحله.



مذ دارت المنون بالكووس
جسم أخيهام دامي الأوصال
يا جد لم يدن له أهل القرى^(١)
وحمرز وحسنأ أخاهما
وآل هاشم رجالات الوفا

أجسادهم كانت بلا رؤوس
وشاهدت زينب في الرمال
فهتفت هذا الحسين في العرا
ونددت في حرقه أباهما
وأُمهما الزهراء بنت المصطفى



(١) بعد مقتل الحسين ﷺ وحرق خيامه وسلب عياله ، قرر الجيش الأموي بقيادة عمر بن سعد أن تقطع الرؤوس ، وتسبي النساء والأطفال ، وتحملهم النياق المهزل بغير وطاء ، وتتجه بهم نحو الكوفة حيث ينتظرهم عبيد الله بن زياد والي الكوفة ، فمرت القافلة على أرض المعركة.

قال الخوارزمي في مقتله : فقالت النسوة : بالله عليكم إلا ما مررت بنا على القتلى ، ولما نظرت زينب إلى القتلى صاحت : يا محمداه ! هذا حسين بالعراء ، مرميل بالدماء ، مقطّع الأعضاء وبناتك سبايا ، فأبكت كل عدو وصديق ، ثم ألقت بنفسها على الأرض وبسطت يديها تحت جسده الشريف ودفعته نحو السماء وقالت : إلهي تقبل منا هذا القربان.

وما أجمل قول الشيخ الأوردبادي رحمة الله ، وهو يصف دور زينب في واقعة كربلاء بقوله :

حتم القضاء عليهم ما ان يندبا
في حيث معترك المكارة في السبا

وتشاطرت هي والحسين بدعوة
هكذا بمشيتك النصول وهذه



من كربلاء إلى الكوفة

وسارت القافلةُ الملهوفة
يزجرُهما خوْلَةٌ والشمرُ
تدفعُ بالأيدي سِيَاطَ الظالمِ
قافلةٌ يقدّمها السجّادُ
حتّى بدت للركبِ من بعيدِ
تُقدِّقُ في أنحائها الطبولُ
حتّى إذا ما وصلتها القافله
قام « عبيدُ الله » فوق المنبرِ
ويحمّدُ الله على ما وقعَا
واجتمع الناسُ بِبَابِ المسجدِ
فصرخ الإمامُ لا تبكونا
تطوي الفيافي في طريقِ الكوفه
ودمّعها على المآقي سترُ
وقلبُها ينبضُ بالعزائمِ
بموكبٍ يسوقه الجلالُ
الكوفه الحمرا بيوم عيدِ
في فرح يشوبه الذهولُ^(١)
ونزل السجّادُ يحمي العائله
مُستبشراً بقتل خير البشرِ
من حادثِ هزّ الجهاتِ الأربعا
وبعضُهم يكي بقلبٍ مُكمدِ
ألسنُهم أنتم قتلتمونا



(١) واتجهت قافلة السبايا من كربلاء الى الكوفة وكان رأس الحسين عليه السلام مع خوئي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم ورؤوس أهل البيت عليهم السلام مع شمر بن ذي الجوشن ، وقيس بن الأشعث ، وعمرو بن الحجاج.

وكانت الكوفة في تلك الأيام تعيش حالة من القلق والخوف والذهول والتناقضات ، فهي من ناحية تحتزن أحزانها وآلامها على القتيل العظيم الذي تعرفه ، ومن ناحية أخرى تعيش الجهل والمسخ ، والانتصار المزيف.

ولكنّها سرعان ما رجعت إلى رشدها واستيقظت من غفلتها فحيم عليها الحزن واعتصرها الألم والندم.



خطبة زينب ؓ

وَأَوَمَّتْ زَيْنَبُ لِلْجَمْعِ
فَسَاكَتُوا وَارْتَدَّتِ الْأَنْفُسُ
وَرَفَعَتْ نِدَاءَهَا الشَّجِيحَا
وَخَاطَبَتْهُمْ يَا رِجَالَ الْغَدْرِ
تَبْكُونَ لَا جَفَّتْ لَكُمْ دُمُوعُ
فَأَنْتُمْ كَمَنْ أَبَادَتْ غَزَاهَا
مَا فَيْكُمْ إِلَّا الْكَذُوبُ الصَّلَفُ
كَأَنْتُمْ مَرَعَى بِأَرْضِ الدَّمَنِ
فَبُئْسَ مَا قَدِمْتُمْ لِلْآخِرَةِ
فَابْكُوا كَثِيرًا وَاضْحَكُوا قَلِيلًا
لَنْ تَرْضَوْهَا أَبَدًا بَعْثِلَ
حَيْثُ سَلِيلُ خَاتِمِ النَّبَوِّ
وَهُوَ مَلَاذُ الْحَائِرِ الشَّرِيدِ
وَهُوَ مَنْارُ عِزَّةِ الْإِسْلَامِ
تَعْسًا لَكُمْ بِفَعْلِكُمْ وَسُحْقًا
وَخَسْرَتٌ صَفَقْتَكُمْ وَبِؤْسٌ
يَا وَيْلَكُمْ أَيُّ فِئَادٍ وَارٍ
وَأَيُّ حَرَمَةٍ لَهْ أَبْزَمٌ

وَجَفُّهَا يَخْفُقُ بِالدُّمُوعِ
وَسَكَتُ لَصَوْتِهَا الْأَجْرَاسُ
وَحَمَدَتْ وَأَطَرَتْ النَّبِيَّ
يَا أُمَّةً قَدْ جُبِلَتْ بِالْمَكْرِ
وَلَا خَفَا صَوْتُ لَكُمْ مَسْمُوعُ
مَنْ بَعْدَ قُوَّةٍ وَفَلَّتْ فَتْلَهَا
وَالْمَتْلُقُ الْخُيُوتُ النَّطْفُ
أَوْ فَضَّةٍ مَنَقُوشَةٍ فِي كَفِّ
بِقَتْلِكُمْ تِلْكَ النَّفُوسَ الطَّاهِرَةَ
فَقَدْ حَمَلْتُمْ عَارَهَا ثَقِيلًا
وَلَنْ تَبُوءُوا بَعْدَهَا بَعْدِلَ
قَتَلْتُمُوهُ عَطَشًا وَقَسُوهُ
وَمَفْزَعٌ لِلْهَارِبِ الطَّرِيدِ
وَابْنُ الْوَصِيِّ الْمُرْتَضَى الْإِمَامِ
فَقَدْ أَضَاعْتُمْ دِينَكُمْ وَالْحَقَّ
بِغَضَبٍ مِنْ بَعْدِهِ لَنْ تُرْحَمُوا
فَرَيْتُمْ لِأَحْمَدِ الْمُخْتَارِ
وَأَيَّ نَزْفٍ طَاهِرٍ سَفَكْتُمْ



لقد أتيتم فعلةً شوهاءا
أتعجبونَ حيثُ أمطرت دما
فأبشروا بالخزي والعذاب
فاضطرب الناسُ لها حيارى
يكونُ من هول المصاب ندما
وابن زيادٍ خاف تلك الميحنة
فارفع البكاء والتحيبُ
فراح حقداً ينكتُ الشايبا
هزّت جبال الأرض والسما
والكونُ من فعلتكم تجهما
في هذه الدنيا وفي الحسب
إذ أشعلت وسط القلوب نارا
دموعهم تفيضُ حزناً ودماءً^(١)
فاخرج الرأس ليطفي الفتنة
وانفطرت من الأسى القلوبُ
ويرعبُ النساءُ والصبايا



(١) لما دخلت عائلة الحسين ﷺ إلى الكوفة اجتمع أهلها للنظر إليهم ، فصاحت أم كلثوم : يا أهل الكوفة ! أما تستحون من الله ورسوله أن تنظروا إلى حرم النبي ﷺ وفي هذا الجو الحزين أقبلت امرأة مغفلة من الكوفيات وقالت : من أي الأسارى أنتم ؟ فقلن : نحن أسارى آل محمد فكثر البكاء ، وأخذ أهل الكوفة يناولون الأطفال التمر والخبز ، فصاحت أم كلثوم وهي زينب الكبرى : إن الصدقة علينا حرام ، ثم رمت به إلى الأرض .

وأما والي الكوفة المغرور فعند وصول القافلة جمع الناس في المسجد الأعظم وهم في حالة الذهول والحيرة وخطب خطبة قال فيها : الحمد لله أظهر الحق وأهله ، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه . وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته .. الكامل لابن الأثير ١ / ٣٤ .

واظهر فرحته واستبشاره ، ونشوته ، وغروره بالنصر الزائف أمام النساء والأطفال .

زعموا بأن قتل الحسين يزيدهم
لكنما قتل الحسين يزيدا

أما الإمام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ فقد خطب بعد الثناء والحمد قال : أيها الناس ! من عرفني ، فقد عرفني ، ومن لم يعرفني ، فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أنا ابن من اتُّهكت حرمة ، وسُلبت نعمته ، واتُّهبت ماله ، وسُبي عياله ، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات ، أنا ابن من قُتل صبراً وكفى بذلك فخراً .

ثم قال : أتبيكون وتنوحون من أجلنا فمن الذي قتلنا ؟ .



موقف زيد بن أرقم

فانتفض ابنُ الأرقمِ الصَّحابي	مواجهاً للوغدِ في الخطابِ
ارفعُ عصاك عن فمِ الحسينِ	وعن شفاهِ ثائي السبطينِ
إني رأيتُ المصطفى يقبلُهُ	طفلاً على عاتقه ويحملُهُ
ثمَّ بكى للمشهدِ المريعِ	وهطلت عيناه بالدموعِ
فصاح فيه ابنُ زيادٍ وبلكُ	لو لم تكن شيخاً أبحتُ قتلَكُ
فخرج ابنُ أرقمِ يُعِيدُ	يا ناسُ أنتم معشرُ عبيدُ
قتلتُم الإمامَ وابنَ فاطمه	ودنتم لابنِ البغيِّ الآثمِ
يقتل دون رحمةٍ خيـاركم	وبالهُوى يُقي لكم شراركم ^(١)



(١) لقد أبدى عبيد الله بن زياد كفراً وطيشاً وحقاًقة عندما وضع رأس الحسين ربحانة رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة بين يديه وجعل ينكت بالقضيب ثناياه ، فقال له زيد بن أرقم : ارفع القضيب عن هاتين الشفتين فوالله الذي لا اله إلا هو لقد رأيت شفتي رسول الله تقبلهما ، ثم بكى فقال له ابن زياد : أبكى الله عينيك ، لو لا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك. فخرج زيد من المجلس وهو يقول : أنتم العبيد بعد اليوم ، قتلتهم ابن فاطمة وامرتم ابن مرجانة يقتل خياركم ، ويستعبد شراركم فرضيتهم بالذل. الطبري ٦ / ٢٦٢ ، البداية والنهاية لابن كثير ٨ / ١٨٠ ، تاريخ ابن عساکر ٤ / ٣٤٠ .

وكانت هذه الصرخة تمثل بداية التحسس في المجتمع الإسلامي بشكل عام وفي المجتمع الكوفي على وجه الخصوص والتحريك ضد الأمويين الذي أخذ بالتوسع بفضل صرخة الحسين ونهضته الخالدة.



الحوارُ الساخن

وانعقدَ المجلسُ بالحشودِ وحَفَّ بالأسيافِ والعيودِ
فدخلت زينبُ رغمَ الحرسِ واتَّخذت زاويةً في المجلسِ
فسألَ الطاغِي وراح يغضبُ من هذه فقيـل هـذي زينبُ^(١)

(١) تعد خطبة عقيلة بني هاشم زينب ابنة علي ؑ في ذلك الظرف الصعب من أهم الوثائق الخطيرة في ملف الثورة الحسينية. حيث كشفت فيها القناع عن مدى خطورة المشروع الأموي الذي يهدف إلى تمزيق الأمة والقضاء على الرسالة، وسلطت الضوء بقوة على الواقع المتردي للأمة الإسلامية آنذاك.

يقول الراوي : لما أومأت زينب ابنة علي ؑ إلى الناس فسكنت الأنفاس والأجراس فعندها اندفعت بخطابها مع طمأنينة نفس وثبات جأش وشجاعة حيدرية ، فقالت صلوات الله عليها : الحمد لله والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار ، أما بعد يا أهل الكوفة ، يا أهل الختل والغدر ، أتبيكون فلا رقات الدمعة ، ولا هدت الرثة ، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ، ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف والكذب الشنف وملك الإماء ، وغمز الأعداء ، أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم ، وفي العذاب أنتم خالدون. أتبيكون وتنتحبون ، إي والله فابكوا كثيراً ، واضحكوا قليلاً فلقـد ذهبتم بعارها وشنارها ، ولن ترخصوها بغسل بعدها أبداً ، وأنى ترخصون قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومدة حجتكم ومنار محجتكم ، وملاذ خيرتكم ، ومفزع نازلتكم ، وسيد شباب أهل الجنة ، ألا ساء ما تزرون.

فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً ، فلقـد خاب السعي ، وتبت الأيدي ، وخسرت الصفقة ، ويؤثم بغضب من الله ورسوله ، وضريت عليكم الذلة والمسكنة.



الحمدُ لله الذي أباح قتلكم
فهتفت في وجهه بقوّه
وهو الذي طهّرنا تطهيرا
وإنّما يفتضح الكذابُ
فغضب الملعون ثمّ قال
قالت : رأيتُ القدرَ الجميلا
قد كتب الله لنا الشهادة
فهّم أنّ يضربها بقسوّه
فقال دعها أيُّها الأميرُ
فإنّهم مشكولون حزينه

وهو الذي كذب أحدوثكم
أكرمنا الإله بالنبوّه
ألمننا التأويل والتفسيرا
الفاسق الفاجر والمعابُ
كيف رأيت صنعهُ تعالى
حيث القتلُ يتبعُ القتيلا
وهي لنا كرامة وعادة
فقام « عمرو بن حريث » نحوه
ولا تؤاخذها بما تقولُ
وقد أفاض قلبها شجونهُ ^(١)

ويلكم يا أهل الكوفة ، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم ؟ وأي كريمة له أبرزتم ؟ وأي دم له سفكتم ؟ وأي حرمة له انتهكتم ؟ لقد جئتم شيئا إذاً ، تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتحزّ الجبال هداً !

لقد اتيتم بها خرقاء ، شوهاء ، كطالاع الأرض وملاء السماء أفعجبتكم أن مطرت السماء دماً ، ولعذاب الآخرة أحرزى وهم لا ينصرون ، فلا يستخفّنكم المهمل ، فإنّه لا يحفزّه البدار ، ولا يخاف فوت النار ، وإن ربيكم بالمرصاد.

(١) جاء في مقتل المقرم عن الكامل لابن الأثير : إن زينب ابنة أمير المؤمنين ؑ عندما دخلت إلى مجلس عبيد الله بن زياد انحازت عن النساء وهي متنكرة مما لفت انتباه ابن زياد فقال : من هذه المتنكرة ؟ قيل له : ابنة أمير المؤمنين ، زينب العقبيلة. فأراد أن يحرق قلبها ، فقال متشمتاً : الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثكم. فقالت عليها السلام : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه حمّداً وطهّرنا من الرجس تطهيراً ، إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا. قال ابن زياد : كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك ؟

قالت ؑ ما رأيت إلا جميلاً. هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم

➡



وقال مَنْ هذا على عنادٍ^(١)
قال ألم يُصَبِّبْ بِذَاكَ المقتلِ
يكبرني وهو أخي عليُّ
قال بلِ اللهُ الذي قد قَتَلَا
وقال للجَلَدِ خُذْ لي رأسه
فصرخت عَمَّتُهُ اقتلني معه
وما سيَّتَ اليومَ من نساءنا

والتفت الطاغِي على السجَّادِ
قيل عليّ بن الحسين بن عليّ
قال الإمام كان لي سميُّ
قتله الناسُ بيوم كَرِيلاً
فغضب الطاغِي وأطرى نفسه
فحاول الجَلَدُ أن يقطَّعه
حسبُك ما سفكت من دمائنا



وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم ، فانظر لمن الفلج يومئذ ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة ، فغضب ابن زياد واسشاط من كلامها معه في ذلك الموقف وهم أن يضربها.

فقال له عمرو بن حريث : إنها امرأة ولا تؤاخذ بشيء من منطقتها ، فالتفت إليها ابن زياد وقال : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك.

فرقت دموع العقيلة وقالت : لعمرى لقد قتلت كهلي وأبرزت أهلي وقطعت فرعي واجتثت أصلي ، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

(١) يذكر المؤرخون وأصحاب المقاتل المحاورة التالية بين الإمام السجاد عليه السلام وابن زياد ، وسط أجواء الأسر والحزن والألم : قال ابن زياد : ما اسمك ؟ قال : أنا علي بن الحسين.

فقال له أو لم يقتل الله علياً ؟ فقال السجاد عليه السلام : كان لي أخ أكبر مني يسمى علياً قتله الناس ، فردّ عليه ابن زياد بأن الله قتله ، قال السجاد عليه السلام : الله يتوقى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وما كان لِنَفْسٍ أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً. فكبر على ابن زياد أن يرد عليه وهو في نشوة غرور فأمر أن تضرب عنقه. فانتفضت العقيلة زينب واعتنقت السجاد عليه السلام وقالت حسبك يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت ، وهل أ بقيت أحداً غير هذا فإن أردت قتله فاقتلني معه ، فقال السجاد عليه السلام : أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة. فنظر ابن زياد إليهما وقال : دعوه لها ، عجباً للرحم ودت أنهما تقتل معه. ابن الأثير ، الكامل : ٤ / ٣٤.



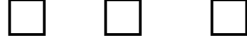
موقف عبد الله بن عفيف الأزدي

وكان في المجلس شيخٌ أعمى
قد ذكره ابن عفيف الأزدي
صاح بوجه ابن زيادٍ ويلكم
لقتل خير الناس أمّاً وأباً
ورحتم من فوق هذا المنبر
فأين أولادُ المهاجرين
وثله الأنصار والأصحاب
ينتقموا من فعل هذا الطاغية
وغادر المجلس وهو غاضبٌ
فلم يرقُ لابن زيادٍ قوله
فأرسلوا وراءه الجنودا
فاقتحموا الدارَ عليه ليلاً
وليس في الدار سوى صبيّه
فراح فيهم يضربُ الجموعا
« والله لو يكشفُ لي عن بصري
واجتمعوا عليه حيثُ أوثقنا

قد هاله ما يستباح ظلماً
يُعرف بالوثبة والتحدي
جمعتم رجالكم وخيلكم
سبط النبي الهاشمي الأتيا
تنتقصون ظمماً ابن حيدر
لكي يجيئوا الطاغية اللعينا
وخيرة الشيوخ والشباب
صوت يزيدٍ وصدى معاويه
يصحبه الإخوان والأقارب
وأغضب المستكرين فعله
ليأسروه عنوةً وحيداً
وطوقوها حرساً وخيلاً
فقال هاتي السيف يا بنيّه
وكان صوته لهم مسموعاً
ضاق عليكم موردي ومصدري
وكان فيهم آيساً من البقا



واقْتِيدْ نَحْوَ حَتْفِهِ بِصَبْرِ
وسَيْقِ أَهْلِ الْبَيْتِ نَحْوَ خَرِبِهِ
تَقُولُ لَا تَأْتِي لَنَا فِي ذَا الْبَلَدِ
وَمَكْثُوا فِي قَبْضَةِ اللَّئِيمِ
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ ثَائِرٍ وَخَرَّ
وزَيْنَبُ أُسَيْرَةٌ مُعَذِّبُهُ (١)
إِلَّا الَّتِي فِي الْأَسْرِ أَوْ أُمُّ وَلَدِ
يَكَابِدُونَ قَسْوَةَ الْأَيَّامِ



(١) بعد استعراض ابن زياد لقوته وانتصاره المزعوم ، وبعد تلك المواجهة الإعلامية الحادة بينه وبين عائلة الحسين ؑ الأسيرة ، بدأ التحسس في المجتمع الكوفي خصوصاً بعد حادثة زيد بن أرقم ، وعبد الله ابن عفيف الأزدي ، فأمر ابن زياد بحبس الأسرى في دار خربة إلى جنب المسجد الأعظم والناس حولهم مجتمعون يكون ويلطمون وجوههم.
فصاحت زينب بالناس : لا تدخل علينا إلا مملوكة أو أم ولد فإنهنَّ سيبن كما سبيننا.

المسير نحو الشام

وبعدھا ساروا مع الرؤوسِ	نحو بلادِ الشامِ والنحوسِ ^(١)
قد قُيِّدوا بأثقلِ الحديدِ	وقُرعوا بالشِّتمِ والوعيدِ
تصهَّروا حرَّارةُ الصَّحرَاءِ	بلا ظلالِ باردٍ وماءٍ
ووافوا الشامَ كما جاء الخبرُ	في أوَّلِ الأيَّامِ من شهرِ صفرِ
فوجدوا دمشقَ قد تزيَّنتْ	وبالجيوشِ الحمرِ قد تحصَّنتْ
كأنَّ عيِّداً في الشامِ صاراً	فأفرَّحَ الكبارَ والصَّغاراً
وقد تناسوا غضبَ الجبارِ	ووسَّمت جباهُهم بالعارِ
ووصل الموكبُ بابَ المسجدِ	ويالِهُ من منظرٍ ومشهدِ
يقدمُ موكبُ السَّبا السَّجَّادُ	وخلفهُ النسوةُ والأولادُ



(١) في أوَّلِ يومٍ من شهرِ صفرٍ دخلت القافلة دمشق وأوقفوهم على (باب الساعات) وقد خرج الناس بالدفوف وهم في فرحٍ وسرورٍ ، ودنا رجل من سَكينة بنت الحسين وقال : من أي السبايا أنتم ؟ قالت : نحن سبايا آل محمد ﷺ .

وكان يزيد جالساً على منظره على « جيرون » وهو جانب من المسجد الأموي ، ولما رأى الرؤوس على أطراف الرماح وقد أشرفوا على ثنية جيرون نعب غراب فأنشأ يزيد يقول :

لما بدت تلك الحمولُ وأشقرت	تلك الرؤوسُ على شفا جيرون
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل	فلقد قضيتُ من الرسولِ ديوني

ومن هنا حكم ابن الجوزي والقاضي أبو يعلى والتفتازاني وجلال الدين السيوطي بكفره ولعنه ، كما ذكر السيّد المكرم في مقتله نقلاً عن روح المعاني للآلوسي ٢٦ / ٧٣ .



فضائل أهل البيت

حيث دنا « شيخ » من الإمام
قال الإمام هل قرأت المصحفا
فقال هل قرأت آي القُرْبى
قال نعم قرأتها مرارا
قال عليّ نحن هم يا هذا
وهل قرأت آية التطهير
فانتحب الشيخ وراح يكي
وقال هل لي توبة يا سيدي
فصاح يا ناس من الدواهي
فهؤلاء أطهر البرية
فوصل الأمر إلى يزيد
ثم اقتلوه كي يكون عبره

يقول رب انصر جيوش الشام
قال نعم وذاك أمر ما خفا
وحبهم أجز يزيدل الذنبا
وقد فهمت قصدها تكرارا
نحن غدونا لكم ملاذا
وآية الخمس بلا تزوير
مذ عرف الإمام دون شك
قال نعم وأنت خير السند
أن تأسروا آل رسول الله
أهل التقى والطهر والحمية
فقال كبلوه بالحديد
يريد في ذاك خفاء العترة^(١)

(١) ودنا شيخ من السجاد عليه السلام وقال له : الحمد لله الذي أهلككم وأمكن الأمير منكم !
وهنا أفاض الإمام من لطفه على هذا المسكين المغتر بتلك التمويهات لتقريبه من الحق
وارشاده إلى السبيل ، وهكذا أهل البيت عليه السلام تشرق أنوارهم على من يعلمون صفاء قلبه
وطهارة طينته واستعداده للهداية. فقال عليه السلام له : يا شيخ أقرأت القرآن ؟ قال : بلى قال عليه السلام :
أقرأت قوله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال : نعم قال : وقرأت



وأدخلوا آل الرسول المسجدا
مقيّداً متّبِعاً مقيّدا
فوقفوا بين يدي يزيد
الفاسيق الفاجر والرعدي
فصرخ الإمام يابن هند
ماذا تقول لو رأنا جدي
فضجّ أهل الشام بالبكاء
وارتعدوا خوفاً من البلاء



قوله تعالى : (**وَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ**) وقوله تعالى : (**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ**) قال الشيخ : نعم قرأت ذلك ، فقال ﷺ : نحن والله القرى في هذه الآيات ، ثم قال الإمام : أقرأت قوله تعالى : (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) .

قال : بلى ، فقال ﷺ : نحن أهل البيت الذين خصّهم الله بآية التطهير .
قال الشيخ : بالله عليك أنتم هم ؟ فقال ﷺ : وحق جدنا رسول الله لنحن هم من غير شك . فوقع الشيخ على قدميه يقبلها ويقول أبرأ إلى الله ممن قتلكم . وتاب الى الإمام مما فرط في القول معه ، وبلغ يزيد فعل الشيخ وقوله فأمر بقتله .



يزيد يعلن كفره وفجوره

وأحضروا رأسَ الحسين خاضباً	فأهطعَ الجمعُ له مناكباً
إلا يزيدُ فلقد نالَ الأملُ	منَ الحسينِ بالذي كان فعلُ
مردداً يا ليت أشياخي الأول	قد شهدوا ما كان من وقع الأسل
إنّا قتلنا القرمَ منهم والبطل	ثمّ عدلناه بيـدرٍ فاعتدل
قد لعبت هاشمُ بالملكِ الأجل	لا خيرُ جاء ولا وحيُّ نزل ^(١)
ثمّ مضى يخاطبُ السجّاداً	كيف رأيتَ من طغى وعادى

(١) يذكر المؤرخون أن يزيد بن معاوية شاب طائش نزق عرف بالفسق والفجور وشرب الخمر ، وحينما أدخلت عليه عائلة الحسين ﷺ وهم في حالة من العذاب والعناء مكبلين بالقيود حتى إنّ الجامعة كانت تربط في عنق الإمام زين العابدين ﷺ وإلى زينب وبقي بنات رسول الله ﷺ.

في هذا الجو هتف الإمام السجاد ﷺ مخاطباً يزيد وهو على سريرته منتفخاً بقوله : « ما ظنّك برسول الله لو يرانا على هذا الحال ؟ » فبكى الحاضرون وأمر يزيد بالحبال فقطعت.

ثمّ تمثّل بأبيات ابن الزبيري :

ليت أشياخي بيـدرٍ شهدوا	جرعَ الخـزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واسـتهلّوا فرحاً	ثمّ قالوا يا يزيدُ لا تشل
قد قتلنا القرمَ من ساداتهم	وعدلناه بيـدرٍ فاعتدل
لعبت هاشمُ بالملك فلا	خيرُ جاء ولا وحيُّ نزل
لست من خندف إن لم أنـتقم	من بني أحمد ما كان فعل



كيف رأيت صنع كفّ الباري
قدّره الرّحمن قبل الخلق
ودار فيما بينهم حديث
لكن زين العابدين استرجعا
وقال دعني يا يزيد أخطب
لو أن جدّي المصطفى رأي
قيّدتونا بقيود الدُّل
فحجل الطاغى من الإمام
وأمر الخطيب أن يرقى على
ذاك وصيّ أحمد المختار
فأكثر الخطيب بالوقيعه
قال علي : أيّها الخطيب
تُرضي بما قد قلّته المخلوقا
فلتبوأ من جحيم النار

فقال كان ذا من الأقدار
وقد صبرنا للقضاء الحق
سبّ به علياً الخبيث
وقلبه بحرقه تقطعا
في موقف ما كنت في أكذب
في هذه الحال مع النسوان
ونحن أبناء إمام الرُّسل
وفكّ قيده بلا كلام
منبره وأن يسبّ « البطلا »
وسيد الهداة والأخيار
بال طه وكبار الشيعة
لو سأل الله بما تجيب
وتسخط الله بما لا يوقى
مقاعداً من ذلّة وعار



الخطاب التاريخي

مخاطباً إياه في كراهيه	والتفت السجّاد نحو الطاغيه
لكي يقول الصدق والرشادا	يسأله أن يرتقي الأعوادا
لأنّه أدرك ما يريد	فلم يُجبْ مطلبه يزيد
دع الغلام يا يزيد يخطب	لكنّما الناس ألحت تطلب
وقد غدا فؤاده مشتتا	ما قدر ما يحسنه هذا الفتى
فصاحهً بحكمة وحلم	فقال لا ، هذا وريث العلم
فبدأ الإمام حمداً وثنا	فلم يزالوا فيه حتى أذنا
سِتّاً على كرامة المنازل ^(١)	وقال أعطينا من الفضائل

(١) في غمرة هذا المشهد المؤلم وبعد إعلان يزيد لكفره وعدم إيمانه بالوحي ورسالة النبي محمد ﷺ من خلال ترديده للأبيات السابقة ، التفت إلى الإمام السجاد عليه السلام يقول : كيف رأيت صنع الله يا علي بأبيك الحسين ؟ قال : رأيت ما قضاه الله عز وجل قبل أن يخلق السماوات والأرض.

وشاور يزيد من كان حاضراً عنده في أمره فأشاروا عليه بقتله ، فقال زين العابدين عليه السلام : يا يزيد ! لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار به جلساء فرعون حين شاورهم في موسى وهارون فلم ينجحوا له : أرجه وإخاه ، ولا يقتل الأعداء أولاد الأنبياء وأبناءهم فأمسك يزيد مطرقاً. إثبات الوصية ١٤٣.

ثم أمر يزيد الخطيب أن يعتلي المنبر وينال من الحسين عليه السلام وأبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وصعد الخطيب المنبر وبالغ في ذم العترة الطاهرة وأثنى ثناءً كاذباً على يزيد وأبيه ، فانبرى

➔





له الإمام السجاد عليه السلام : ويلك أيُّها الخاطب اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق فتبوء مقعدك من النار.

إنَّجِه الإمام نحو يزيد فقال له : أتأذن لي أن أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهنَّ لله رضا ولهُؤلاء الجالسين أجر وثواب ...

فرفض إجابته ، وألح عليه الجالسون بالسماح له ، فردَّ عليهم يزيد قائلاً : إنَّ صعد المنبر لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان ، إنَّه من أهل بيت قد زفوا العلم زقا. وأخذوا يلحون عليه في أن يسمح في الخطاب ، ولم يجد بداً من إجابتهم فسمح له ، واعتلى الإمام المنبر فخطب خطاباً رائعاً هيمن فيه على الجالسين ، أبكى العيون واضطرب المجلس وتغيرت الأجواء لصالح مدرسة أهل البيت عليه السلام.

ومن خطابه عليه السلام : قولهُ : أيُّها الناس أعطينا ستاً وفضلنا سبع ، وأعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة ، والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين ، وفضلنا بأنَّنا النبي والصديق والطيار وأسَدُ الله رسوله وسيِّدة نساء وسبطي هذه الأئمة ، ومنا مهديُّها أيُّها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي ، أيُّها الناس أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن زمزم والصفاء ، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا ، أنا ابن خير من اتزر وارتدى ، وخير من طاف وسعى ، وحجَّ وليّ ، أنا ابن من حمل على البراق وبلغ به جبرئيل سدة المنتهى ، فكان من ربه كقَاب قَوْسَيْنِ أو أدنى ، أنا ابن من صلَّى بملائكة السماء ، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى ، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله ببدر وحنين ، ولم يكفر بالله طرفة عين ، أنا ابن صالح المؤمنين ووارث النبيين ، ويعسوب المسلمين ونور المجاهدين وقاتل الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين ، ومفرق الأحزاب ، أربطهم جأشاً ، وأمضاهم عزيمَةً ، ذاك أبو السبطين الحسن والحسين ، علي بن أبي طالب.

أنا ابن فاطمة الزهراء ، سيِّدة النساء ، وابن خديجة الكبرى ، أنا ابن المرملة بالدماء ، أنا ابن ذبيح كربلاء ، أنا ابن من بكى عليه الجن في الظلماء. وناحت الطير في الهواء.

فلَمَّا بلغ إلى هذا الموضع ضجَّ الناس بالبكاء وخشي يزيد الفتنة فأمر المؤذن أن يؤذن للصلاة ، فقال المؤذن : الله أكبر ، قال الإمام : الله أكبر ، جلَّ وأعلى وأكرم مما أخاف وأحذر ، فلَمَّا قال المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله ، قال عليه السلام : نعم أشهد مع كل شاهد أن لا إله غيره ولا ربَّ سواه ، فلَمَّا قال المؤذن : أشهد أن محمداً رسول الله ، قال الإمام للمؤذن :



سماحةً فصاحةً وعلماً
ثم وقد بسبعة فُضِّلنا
بأنَّ منّا أحمد المختار
وفاطماً سيِّدة النساء
وجعفر الطيّار كان منّا
وسَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
وانطلق الإمام في خطابه
أنا ابن مَكَّةِ وَجَمْعِ وَمَنِي
أنا ابن مبعوث السماء أحمد
أنا ابن مَن قاتل في سيفين
أنا ابن مَن رَّثاه جبرائيلُ
أنا ابن ذاك الهاشمي البطيل
فاطمة حسبي بذاك فخرا
انا ابن مَن أبكى ملائكة السما
انا ابن مَن أضحى دفين كريلا
وأيقن الطغاةُ بالبلاء
عاصفةً تحطمُ الحصونا

شجاعةً فصاحةً وعلماً
ثم وقد بسبعة فُضِّلنا
بأنَّ منّا أحمد المختار
وفاطماً سيِّدة النساء
وجعفر الطيّار كان منّا
وسَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
وانطلق الإمام في خطابه
أنا ابن مَكَّةِ وَجَمْعِ وَمَنِي
أنا ابن مبعوث السماء أحمد
أنا ابن مَن قاتل في سيفين
أنا ابن مَن رَّثاه جبرائيلُ
أنا ابن ذاك الهاشمي البطيل
فاطمة حسبي بذاك فخرا
انا ابن مَن أبكى ملائكة السما
انا ابن مَن أضحى دفين كريلا
وأيقن الطغاةُ بالبلاء
عاصفةً تحطمُ الحصونا



أسألك بحق محمد أن تسكت حتى أكلم هذا ! والتفت إلى يزيد وقال : هذا الرسول العزيز
الكريم جدّك أم جدّي ؟ فإن قلت جدّك علم الحاضرون والناس كلّهم أنّك كاذب ، وإن
قلت جدّي ؟ فلم قتل أبي ظلماً وعدواناً وانتهبت ماله وسبيته نساءه فويل لك يوم
القيامة إذا كان جدّي خصمك.

فصاح يزيد بالمؤذن : أقم للصلاة ، فوقع بين الناس همهمة وصلّى بعضهم وتفرّق الآخر.



فَأَمَرَ الطَّاعِيَةَ الْمُؤَذِّنَا
حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَ الشَّهَادَةَ
التَّفَتَ إِلَى إِمَامٍ لَا بَنَ هُنَا
فَإِنْ زَعَمْتَ أَنْ طَهُ جَدُّكَ
أَمَا إِذَا كُنْتُ أَنَا ابْنُ ابْنَتِهِ
وَلَمْ سَيِّتْ أَهْلَهُ وَالنَّسْوَ
فَالْوَيْلُ إِنْ كَانَ النَّبِيُّ حَصَمًا
ثُمَّ أُقِيمَتْ بَعْدَهَا الصَّلَاةُ

أَنْ يَصْعَدَ الْمُنِيرَ كَيْ يُؤَذِّنَا
لِلْمَصْطَفَى بِالْوَحْيِ وَالسِّيَادَةِ
وَقَالَ هَلْ جَدُّكَ ذَا أُمِّ جَدِّي؟
فَقَدْ كَذَبْتَ وَتَعَدَّى حَدُّكَ
فَلَمْ وَضَعْتَ السَّيْفَ فِي عَتْرَتِهِ
وَهُمْ لِكُلِّ النَّاسِ خَيْرٌ أَسْوَ
يَوْمَ الْحِسَابِ إِذْ تُلَاقِي ظِلْمَكَ
فَأَتَمَّ بِالطَّاعِيَةِ الطَّغَاةُ



رأس الحسين ؑ بين يدي يزيد

وسطَ ذَهلٍ مِن بناتِ المصطفى	ثمّ دعا برأسٍ فخرِ الشُّرفا
فمَ الحسينِ الطاهرِ العفيفا	فراح ينكتُ الفمَ الشريفِ
من شبيهِ الحمْدِ وآلِ فهِرِ	مسترجعاً ثاراتِ يومِ بدرِ
أن ينصفونا فعلى صمصامنا	وهو يقول : قد أبّت أقوامنا
كانوا من الكمّاةِ والأبطالِ	نفلقُ الهاماتِ من رجالِ



موقف يحيى بن الحكم

فقال والهـم طـوأة والألم
من ابن مرجانة حين تنمى
ونسأل آل المصطفى قد نقصا

وكان في المجلس « يحيى بن الحكم »
أولاء يا يزيد أدنى رُحما
سمية أولادها عدُّ الحصى



موقف أبي برزة الأسلمي

ثمَّ « أبو برزة أعني الأسلمي »
أشهد أنّي قد رأيتُ أحمداً
وقال ذا شبابٍ أهل الجنة
قد قتل الله الذي يقتله
فغضبوا منه وجُرّ سحبا
قام وقال قوله ملء الفم
قَبْلَ مِنْهُ الشفتين واليَدا
فصار حبه هُدىً وسُنّة
وفي زاوياً سَقَرٍ يُنزلُهُ
وكاد أن يُقتلَ فيه حبا^(١)



(١) رغم التحسس والذهول الذي أحدثه خطابه الإمام السجاد ؑ في مجتمع الشام كان من حماقة يزيد أن دعا برأس الحسين ؑ ووضع أمامه ، في مرأى من النساء والأطفال ، فلما لاح الرأس الطاهر لهم أكثروا من الصراخ والبكاء ثم أذن يزيد للناس إذناً عاماً أن يدخلوا عليه وأخذ ينكثُ ثغر الحسين ؑ بقضيب يده ، وهو يقول : يوم بيوم بدر ، وأنشد قول الشاعر :

أبي قومنا أن ينصفونا فأنصفت
نفلق هاماً من رجال أعزّة
صبرنا فكان الصبر منّا عزيمة
قواضبُ في أيماننا تقطر الدما
علينا وهم كانوا أعقّ واذلماً
وأسيافنا يقطعن كفاً ومعصماً

فأجابه يحيى بن الحكم بن أبي العاص أخو مروان وكان حاضراً في المجلس بقوله.

لهامٌ بجنب الطيف أدنى قرابة
سميّة أمسى نسلها عدد الحصى
من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

فضربه يزيد على صدره وقال : اسكت لا أم لك. تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٥ والكامل لأبن الأثير ٤ / ٣٧.

وكان في المجلس أبو برزة الأسلمي وقد هاله المشهد المؤلم فقال : « أشهد لقد رأيت النبي ﷺ يرشف ثناباه وثنابا أخيه الحسن ؑ ويقول : أنتما سيّدا شباب أهل الجنة قتل الله قاتلكما ولعنه وأعدّ له جهنم وساءت مصيراً » فغضب يزيد وأمر به فأخرج سحبا.

تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٧. مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٦.



موقف رسول قيصر

فساءُهُ ما قد رأى من منظرٍ	وكان حاضراً رسولُ قيصرٍ
نؤمُّ عند مشهدٍ عظيمٍ	فقال إنّنا في بلادِ الرومِ
ننـزوره ونبذلُ النفيسا	يُنسب قِدماً لحمارِ عيسى
أشهد أنّ جمعكم في غيٍّ	وقد قتلتم عترة النبيّ
بكل إيمانٍ وكل نُسكٍ	وقبّل الرّأسَ وراح يكي
واقترفوا ذنباً به وجُرمنا ^(١)	فصلبوه سفهاً وظلماً



(١) يذكر المؤرخون وأرباب المقاتل أن رسول قيصر كان عند يزيد فلما رأى رأس الحسين عليه السلام وعرف أنه ابن بنت رسول الله ﷺ وسيماء الطهر والجلال تشع منه ، التفّت إلى يزيد وقال له : إن عندنا في بعض الجزائر حافر حمار عيسى عليه السلام ونحن نحج إليه في كل عام من الأقطار ونهدي إليه النذور ونعظمه كما تعظمون كتبكم فأشهد إنكم على باطل ، فأغضب يزيد هذا القول وأمر بقتله ، فقام إلى الرأس الشريف وقبله وتشهد الشهادتين وفاز مع الشهداء في درب الحسين عليه السلام الألاحب.



موقفُ هند بنت عمرو زوج يزيد

ورفعوا الرأس ببابِ القصرِ	وشاهدتهُ هندُ بنتُ عمرو
فصرختُ رأسُ ابنِ بنتِ أحمدِ	على الرماحِ قد قضى بين العدا
وهتكت حجابها وأقبلت	ورفعت صرختها وأعولت
وأقبل الطاغى يقولُ شعرا	لما رأى الرؤوسَ بين الأسرى
« يا حبذا برْدُك في اليدينِ	ولونك الأحمَرُ في الخدينِ
كأنَّه بات بعسجدينِ	شفيت نفسي من دم الحسين ^(١)



(١) أخرج يزيد رأس الحسين ﷺ ورفعته على باب قصره ثلاثة أيام ، فلما رأت زوجة يزيد هند بنت عمرو بن سهيل الرأس الشريف على باب دارها وهو يعبق بعطر سماوي رائع دخلت المجلس العام وهي تصرخ حاسرة : رأس الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ على باب دارنا !! فقام إليها يزيد وسترها بالحجاب وقال لها : اعولي عليه يا هند فإنه صريحة بني هاشم عجل عليه ابن زياد ، وكأن يزيد بدأ بالتنصل من مسؤولية قتل الحسين ﷺ ولكن وقائع التاريخ ووثائق الثورة الحسينية تثبت بدون أدنى شك أن النظام الأموي المتمثل بشخصية يزيد وجلاوزته يتحمل المسؤولية الكاملة عن مجزرة كربلاء الآثمة.

وفي هذا الجو المشحون بالتوتر أمر يزيد بجميع رؤوس الشهداء أن ترفع على أبواب الشام والجامع الأموي ففعلوا بما ذلك. وعندها أخذ يترنح فرحاً ببنتين من الشعر المشهورين :

يا حبذا برْدك في اليدينِ	ولونك الأحمَر في الخدينِ
كأنَّه بات بعسجدينِ	شفيت نفسي من دم الحسينِ



فضول شيخ من الشام

يطلبُ من يزيد باهتمام	وكان في الحضور شيخ شامي
فقال يا أميرُ لو تكونُ لي	لما رأى فاطمة بنت علي
بدمعة حري وصوت متعب	ففزعزت فاطمة لزنب
يا ليت حيدرأ أتنا ثانيه	كيف أكون بعد عزّي جاريه
فلإن ذاك أعظمُ الدواهي	فانتفضت زنب لا والله
قالت إذن عن ديننا تعزلُ	قال يزيدُ لو أريدُ أفعلُ
وأنتُم فارقتمُ ملتنا	فقال أنتم تركتم ديننا
وقبله بالله قد كفرتم	فهتفت بجدنا اهتديتم
فسكتت لأتته أميرُ	فسبّها بظلمه الشريرُ
وذاك طبعُ في بني أمّيه ^(١)	يشتم ظالماً بلا رويه



(١) يذكر الطبري وابن الأثير في تأريخيهما : أن رجلاً من الشام نظر إلى فاطمة بنت علي ؑ وقيل بنت الحسين ؑ فطلب من يزيد أن يهبها له كخادمة ففزعزت ابنة أمير المؤمنين وتعلقت بزنب العقيلة وقالت : كيف أستخدم ؟

قالت العقيلة : لا عليك إنه لن يكون أبداً ، فقال يزيد لو أردت لفعلت .

فقال له زنب : إلا أن تخرج عن ديننا ، فردّ عليها : إنما خرج من الدين أبوك وأخوك !

فقال ابنة علي : بدين الله ودين جدّي وأبي وأخي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً قال : كذبت يا عدوة الله ! فرقت عليها السلام وقالت : أنت أمير مسلط تشتم ظالماً وتقهر سلطانك ، وانتهى الحوار الساخن عند هذا الحد ، وحينما عاود الرجل الشامي الطلب نهر يزيد وقال له : وهب الله لك حتفاً قاضياً .



الخطاب الشجاع

وخطبت زينب بنت فاطمه
معلنةً أمّن سجايا العدل
تخديرك الإماماء في القصور
فأين أهل البأس والحماء
ينتقمون من طليق الطلّقا
وأُمّه أكلته الأكباد
والله ما فرّيت إلا جلدك
لتلقين الله في دماننا
فحسبنا بالله خير حاكم
شاهدنا جبريل والملائك
لئن عليّ جرت الدواهي
فإنني أستصغر استكبارك
لكنّ عندنا العيون عبرى
يا عجباً بقتل حزب النجبا
والله لا تمحو لنا من ذكر
والله لا يرحض عنك عازها
وليس من رأيك إلا فنّد
وعند ذا قاطعها يزيّد

وهي التي بما سيجري عالمه
تُذّل في الناس بنات الرّسل
وسوقكم لنا بلا خدور
وأين أهل الفضل والأبواء
ومن على منبر جدنا رقا
وجدّه مبغضنا في النادي
فكد بما شئت علينا كيدك
وما كشفت اليوم من خبائنا
وحسبنا بأحمد المخاصم
وصدّرتنا المرضوض والسنا بك
إنّي أناديك واننت لاه
وإنني أستهضم احتقارك
وهذه منا الصدور حرى
فالمصطفى باك وأصحاب العبا
ولا تميث وحيننا بالكفر
وسوف يلقى أبداً شئنا
وليس أياؤك إلا عدّد
فقال ما يهوى وما يريّد



(١) قال ابن نما وابن طاووس : لما سمعت زينب بنت علي ؓ يزيد يتمثل بأبيات الشاعر ابن الزبيري التي ذكرناها في هامش سابق ، وقفت وقالت : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين ، صدق الله سبحانه حيث يقول : (**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّؤَالُ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ**) .

أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض ، وآفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هواناً ، وبك عليه كرامة وإن ذلك لعظم خطرك عنده فشمت بأنفك ، ونظرت في عطفك ، جذلان مسروراً ، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة ، والأمور متسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، فمهلاً مهلاً ، أنسيت قول الله تعالى : (**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْهُمْ نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّهُمْ لُمْلِي لَهُمْ لَيَزِيدُوا فِي عُتُوِّهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**) آل عمران / ١٧٨ .

أمن العدل يا ابن الطلقاء ، تخديرك حرائرك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوهن تحذو بمن الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهن أهل المناهل والمعازل ، ويتصفح وجههن القريب والبعيد ، والدي والشريف ، ليس من حماقن حمي ولا من رجالهن ولي ، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه الأكرياء الأزياء ، ونبت لحمه من دماء الشهداء ، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن ، والإحن والأضغان ، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم :

لأهلنا واسـتـهـلوا فرحاً
ثم قالوا يا يزيد لا تشل
منحنيأ على ثنايا أبي عبد الله سيّد شباب أهل الجنّة تنكتهـا بمخصرتك وكيف لا تقول ، وقد نكأت القرحة ، واستأصلت الشأفة ، بإراقتك دماء ذريّة محمد ؐ ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهـم فلتردن وشيكاً موردهم ولتودن أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت ، ألهـم خذ لنا بحقنا ، وانتقم ممّن ظلمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دمائنا ، وقتل حماتنا .

فوالله ما فريت إلّا جلدك ، ولا حززت إلّا لحمك ، ولتردن على رسول الله ؐ بما تحملت من سفك دماء ذريّته وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ويلم

⇐





شعنتهم ، ويأخذ بحمّهم (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)

وحسبك بالله حاكماً ، وبمحمد ﷺ خصيماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم من سؤل لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً وأيكم شرّ مكاناً ، وأضعف جنداً ، ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك ، إنّي لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعتك ، وأستكثر توبيخك ، لكنّ العيون عبرى ، والصدور حرى .

ألا فالعجب كل العجب ، لقتل حزب الله النجباء ، بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الأيدي تنطف من دماننا ، والأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل ، وتعفرها أمتها الفراعيل ، ولئن اتخذتنا مغنماً ، لتجدنا وشيكاً مغرمّاً ، حين لا تجد إلّا ما قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد ، وإلى الله المشتكى وعليه المعول ، فكديدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحيناً ، ولا يرخص عنك عارها ، وهل رأيك إلّا فند وأيامك إلّا عدد ، وجمعك إلّا بدد ، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين .

والحمد لله ربّ العالمين ، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة ، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة ، إنّه رحيم ودود ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .



أسرة النبي ﷺ في الخربة

وعندها خاف يزيدُ الفتنه	وخاف أن تدنوَ منه الحنّه
فأخرج العيالَ والإماما	فعمَّ إذ ذاك الضجيجُ (الشاما)
أسكنهم في الشامِ داراً حربيه	منتظراً ينفذُ فيهم مأربه ^(١)
ظلموا ثلاثاً يندبون الطقفا	ودمعهم ملتهبٌ ما جففا



(١) إثر خطبة الإمام السجاد عليه السلام التاريخية في الجامع الأموي وخطبة العقيلة زينب في مجلس يزيد وحالة التحسس العام وتصاعد أجواء التوتر والاضطراب في الشام ، خشي يزيد وقوع الفتنة ، فقرر أن يخرج الإمام والعيال عن أجواء القصر وأسكنهم في دار حربية أشبه ما تكون بسجن خاص لأسرة رسول الله ﷺ لا تقبيهم من حر ولا برد. فأقاموا فيها أياماً وقلوبهم يعتصرها الألم ويخيم عليهم الحزن ودموعهم ما جفت على قتلى كربلاء.

لقاء الإمام مع المنهال

وذا ت يوم خرّج السجّادُ
شاهده « ابنُ عمرو المنهالُ »
فقال صرنا كبني يعقوبِ
يُذبحون غدرَةً أبناءنا
بجدّنا نفتخرُ الأعرابُ
يفتخرون إن طهه المؤلُّ
واسترجع الإمامُ مما كانا
وانتشرت أحبّاءُ آلِ طه
واستتكرّ الناسُ على يزيدِ
قالوا قتلتَ ابنَ النبيِّ الهادي
أبعدَ إيمانٍ نعوذُ كفرا
وكتّرت عند يزيدٍ اللّائمة

مكبلاً بحزنه يقادُ
فقال كيف أمست العيالُ
في آلِ فرعون بلا ذنوبِ
ويأسرون عنوة نساءنا
بديننا جانهم يهابُ
ونحن آل بيتِه نُقتلُ
فصبرُهُ قد حيّرَ الزمانا ^(١)
في « جَلّ ق » الشام وفي قُراها
فعلتُهُ الشنعاء بالتهديدِ
وعترةً من أفضل الأولادِ
وبعد قرآنٍ نقول هجرا
بقتله لابنِ البتولِ فاطمه

(١) وفي بعض الأيام خرج الإمام السجّاد من الخربة ليروح عن نفسه الهموم والأحزان ، فالتقى بالمنهال بن عمرو فبادره بالسلام قائلاً : كيف أمسيت يا ابن رسول الله ؟ فرمقه الإمام بطرفه وقال : أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم أمست العرب تفتخر بأن محمداً منها وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها وأمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

فلم يجد من قولهم مناصاً ولا من اتهمهم خلاصاً
فقال ابن زياد قتله وهو يلاقي ذنبه وعمله^(١)



(١) ولما كثرت الناقمون على يزيد بقتله رجحانة رسول الله ﷺ دعا الإمام زين العابدين عليه السلام فأبدى له اعتذاره وألقى المسؤولية على ابن مرجانة عبيد الله بن زياد قائلاً : لعن الله ابن مرجانة ، أما والله لو أتى صاحبه ما سألتني خصلة أبداً أعطيته إياها ولدفعت الختف عنه بكل ما استطعت.

ولكن الإمام السجاد عليه السلام أعرض عنه ولم يجبه بشيء ، فقد عرف حقيقة أمره وأنه يريد الهروب من آثار الجريمة النكراء التي اقترفها.

ويذكر الطبري أن معاوية كان قد أوصى ولده يزيد في الحسين عليه السلام حيث قال له : إن أهل العراق لن يدعوا الحسين حتى يخرجوه فإذا خرج عليك فاصفح عنه فإن له رهماً ماسة حقاً عظيماً. فيزيد قد خرج عن الاسلام ولم يلتزم حتى بوصية أبيه.



المسير نحو المدينة

وقد أحسنَ باضطرابِ الشامِ	فأرسلَ الرسولَ للإمامِ
ليُخرجَ السَّجَّادَ والعِيالَ	وليُحسنَ التَّكْرِيمَ والمَقَالِ
وجَهَّزَ العِتْرَةَ للمسيرِ	وعودَةَ للأهلِ والعشِيرِ
وأمرَ النعمانَ أنْ يصحبا	بالرفقِ في مسيرةِ أهلِ العبا
وسارتِ القافلةُ الحزينه	تطوي صحارى الشامِ للمدينه
دموعُهم لحزنهم دليلاً	وفي حِداٍ ركبهم عويلاً
أطفأهم تلوذ بالسَّجَّادِ	وزينبَ والكُـلُّ في حِدادٍ ^(١)



(١) كان لوجود عائلة الحسين عليه السلام ورؤوس الشهداء في الشام أثر في ازدياد المعارضة على يزيد فخشي من تفاقم الأمور فقرّر أن يخرجهم إلى المدينة ، فعهد إلى النعمان بن بشير أن يصاحب ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وعقائل الرسالة ويردهنّ إلى يثرب ، وأمر بإخراجهنّ ليلاً خوفاً من الفتنة ، وسارت القافلة تطوي الصحراء في رحلة الحزن والمعاناة والدموع.

العودة إلى كربلاء

وفي طريق الشام لاح مفترق
بعيرة هذا طريق كربلا
فماليت التّياق للطفوف
وحين لاحت لهم القبور
وقد رموا أنفسهم عليها
قد أمطروها بالدموع الحري
تلك تنادي أين قبري والدي
وزينب تندب يا أحيّا
اليوم ذلّ بعدك الاسلام
ففوق كل مصرع بكاء
حنّوا لها وجداً وبانكسار
جاء يزور مصرع الحسين
يقول يا حبيب يا حسين
أجب حبيباً طالما ناغاك
أني تجيب ودماك الزاكيه
ورأسك الطاهر فوق الرمح
وراح جابر يصب الدمع

شاهده الحادي فصاح واختنق
هذا طريق من مضى مرّلاً
ومالت الشمس إلى الكسوف
أضحت لها قلوبهم تفور
يشكون ما أصابهم إليها
يدعون حيدرأ بها والزهرا
وهذه تصرخ أين رائدي
قد قتلوا بقتلك النّبي
وقد أبيع البلد الحرام
وفوق كل تربة عزاء
وقد رأوا جابراً الأنصاري
منتحباً ودامع العينين
حبك فينا للنبي دين
طفلاً بحضن المصطفى رأكا
جفت وقد ناحت عليك الناعيه
وصدرك المرضوض بعد الذبح
يكي سليل أحمد والشرعا



واعتنق الإمام في نحيبٍ	والكلُّ منهم صاحٍ يا حبيبي
قال علي ها هنا يا جابرُ	قد قتلَ السَّبطُ الإمامَ الطاهرُ
وها هنا قد قُتِلَتْ رجالُنَا	وها هنا قد سُيِّتَ نساؤُنَا
وها هنا قد أحرَقُوا الخياما	وها هنا قد ذبحُوا الاسلاما
وها هنا قد هُتِكَتْ خدورُ	وها هنا قد قُطِعَتْ نخورُ
وها هنا شُرِدَتْ الأطفالُ	وها هنا زُوِّعَتْ العيالُ
ثمَّ تعالَت صرخاتُ النسوةِ	لما تذكرن مصابَ الإخوةِ
ومكثوا ثلاثنةً في كربلا	وبعدها ثقلُ الإمام ارتحالا
وذاك في العشرين من شهر صفر	فصار ذكرى كلِّما عاد ومز ^(١)

(١) يذكر كثير من الكُتّاب وأرباب المقاتل أنّ قافلة السبايا وقبل وصولها إلى المدينة انعطفت نحو العراق ، حيث كربلاء وذكريات الطفّ الأليمة. وحين بدت لهم معالم القبور الطاهرة وتنسموا عبير الحسين ﷺ وأهل بيته تدفقت المقل بالدموع ورميت النساء بأنفسهنّ على ذلك الصعيد المعطر بدماء الشهادة. فكثرت الصراخ والعويل ، ويقوا ثلاثة أيام يندبون الحسين حتى بَحَّت الأصوات وتفتّشت القلوب. كما تذكر بعض المصادر أنّ الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري قد تشرف بزيارة قبر الحسين ﷺ فالتقى به الإمام السجاد ﷺ هناك وحادثه عمّا جرى على أهل البيت ﷺ من محن ورزايا وخطوب وهو حديث يدمي القلوب بالحسرات. وبهذا يعد جابر الأنصاري أول زائر لقبر الحسين ﷺ حيث وقف على قبره وأجهش بالبكاء وهو يقول : يا حسين ، يا حسين ، يا حسين ، ثم قال : حبيب لا يجيب حبيبه وأنى لك بالجواب وقد شخبت أوداجك على أثباك وفترق بين رأسك وبدنك أشهد أنّك ابن خاتم النبيين ، وابن سيّد المؤمنين ، وابن حليف وسليل الهدى ، وخامس أصحاب الكساء ، وابن سيّد النقباء ، وابن فاطمة سيّدة النساء .. وما لك لا تكون كذلك وقد غدتك كف سيّد المرسلين ، وريبت في حجر المتقين ورضعت من ثدي الإيمان ، وفطمت بالاسلام ، فطبت حياً وطبت ميتاً غير أن قلوب

➡





المؤمنين غير طيبة بفراقك ، ولا شاكّة في الخير لك ، فعليك سلام الله ورضوانه ، وأشهد
أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.
ثمّ أجال بصره حول القبر وقال : السلام عليكم أيّها الأرواح التي حلّت بفناء الحسين
وأناخت برحلته ، أشهد أنّكم أقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأمرتم بالمعروف ، ونهيتم عن
المنكر ، وجاهدتم الملحدين ، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين.
والذي بعث محمداً ﷺ بالحقّ نبياً ، لقد شاركنكم فيما دخلتم فيه فقال له عطية العوفي :
كيف ولم نهبط وادياً ولم نعل جبلاً ولم نضرب بسيف والقوم قد فرق بين رؤوسهم
وأبدانهم وأوتمت أولادهم وأرملت الأزواج ؟
فقال له : إني سمعت حبيبي رسول الله يقول : مَنْ أَحَبَّ قوماً كان معهم ومَنْ أَحَبَّ عمل
قوم أشرك في عملهم ، والذي بعث محمداً بالحقّ نبياً أنّ نيتي ونية أصحابي على ما مضى
عليه الحسين وأصحابه.



العودة الى المدينة

وحين قاربوا ديارَ يثربِ تنسموا بعيرة طيبِ النبي
توقفوا لم يدخلوا عليها وارسوا « ابن حذلم » إليها
ينعى الحسين باكياً منبها يا أهل يثربِ دعوا البقا بها
قد قُتل الحسين والأنصارُ ورأسه على القنأ يُدارُ
قوموا فها قد وصل السجّادُ وأهلُهُ من بعد أسرِ عادوا
فهْرجَ الناسُ لصوتِ الناعي بكل قلبٍ مكمّدٍ ملتاعٍ
وقد دعوا بالويل والثبورِ على يزيدِ الشرِّ والفجورِ^(١)

(١) بعد أن مكث الإمام السجاد عليه السلام مع العائلة ثلاثة أيام في كربلاء قضوها بالنكد والبكاء والحسرات ، توجهت القافلة إلى يثرب حيث قبر النبي صلى الله عليه وآله والأهل والعشيرة. ولما وصل الإمام زين العابدين عليه السلام بالقرب من يثرب نزل فضرِب فسطاطه وأنزل عمارته وأخواته ، والتفت إلى بشر بن حذلم فقال له : يا بشر ! رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه ؟ فقال له : نعم يا ابن رسول الله ، فأمره الإمام أن يدخل المدينة وينعى لأهلها الإمام الحسين عليه السلام وانطلق بشر إلى المدينة ، فلما دخل المدينة اتّجه نحو المسجد النبوي الشريف ورفع صوته بالبكاء عالياً وهو يقول :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتل الحسين فادمعي مدرأ
الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منه على القنأ يُدارُ
وهرج الناس نحو المسجد النبوي الشريف وقد علا صراخهم بالبكاء على الإمام الشهيد ، وهم يلتفون حوله ويطلبون المزيد من الأخبار وبشر غارق بالبكاء فقال لهم : هذا علي بن الحسين عليه السلام مع عمارته وأخواته قد حلوا بساحتكم وأنا رسوله إليكم أعزّفكم مكانه.



وخرج الإمام وهو ينحسب
 فحمد الله وأثنى وشكر
 يقول قد حل مصاب جليل
 قد قُتل الحسين ثم عترته
 ودار رأسه على البلدان
 وقد بكته في السموات العلى
 والأرض والسماء والبحار
 فأى قلب فيه لم ينصدع
 صرنا ونحن الآل مبعدين
 بغير ذنبٍ لا ولا جرمه
 وراح في الجمع الحزين يخطب
 ثم مصلياً على خير البشر
 وثلمة في الدين لا تُكتمل
 وسبيت نساؤه وصيته
 من فوق رأس الرمح والسنان
 ملائكة الله وأدمع الملا
 والماء والجبال والأشجار
 وأنى أذن للذي صار تعي
 مقتلين أو مشردينا
 قد طاردتنا الزمرة الأئمة^(١)

(١) يصف بعض المؤرخين لقاء الإمام السجاد عليه السلام مع الجماهير التي استقبلته على أبواب المدينة كالذي مات فيه رسول الله ﷺ لكثرة البكاء والنحيب وأولاد الإمام ﷺ أن يحدث الناس بما جرى عليهم من عظيم الزايا والنكبات بقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته فجيء له بكرسي فجلس عليه : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، بادىء الخلق أجمعين ، الذي بعد فارفع في السموات العلى ، وقرب فشهد النجوى ، نحمده على عظام الأمور ، وفجائع الدهور ، وألم الفجائع ، ومضاضة اللواذع ، وجليل الرزء ، وعظيم المصائب الفاضعة ، الكاظة ، الفادحة ، الجائحة .

أيها القوم إن الله تعالى إبتلانا بمصائب جليلة ، وثلمة في الإسلام عظيمة ، قُتل أبو عبد الله الحسين وعترته ، وسبيت نساؤه وصيته ، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالٍ السنان ، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية .

أيها الناس فأى رجالات منكم يسرون بعد قتله أم أي فؤاد لا يحزن من أجله أم أية عين منكم تحبس دمعها ، وتضن عن أهمالها ، فلقد بكت السبع الشداد لقتله ، وبكت البحار بأمواجها . والسموات بأركانها ، والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها ، والحيتان في لجج البحار ، والملائكة المقرَّبون ، وأهل السموات أجمعون .

➡



والقبر والمنبر في عزاء
وتلك تدعو فاطماً وجعفر
وما جرى لسيد الشباب
وانفجرت بالدمع كل عين
والحزن والعويل والحداد
تبكي على قتلها ابن حيدر
ويذرف الدمع سخياً أحمر
وانتشرت مجالس البكاء
لهم نياحة بأشجى حزن
ولم يعد بناتها خضياً
بذكر مأساة شهيد العترة
وثلة من النساء النجب^(١)

ودخلوا المسجد في بكاء
تلك تعزي بالمصاب حيدر
وقد بكى النبي للمصاب
وعقدت مآتم الحسين
وغرقت يثرب بالسواد
وباتت المدينة المنورة
فكل بيت يندب المطهر
وأُنشدت قصائد الرثاء
وأهل بيت المصطفى في حزن
لم تعرف النسوة منهم طيباً
ولليتامي دمعاً وعبرة
أبناء جعفر وولد زينب

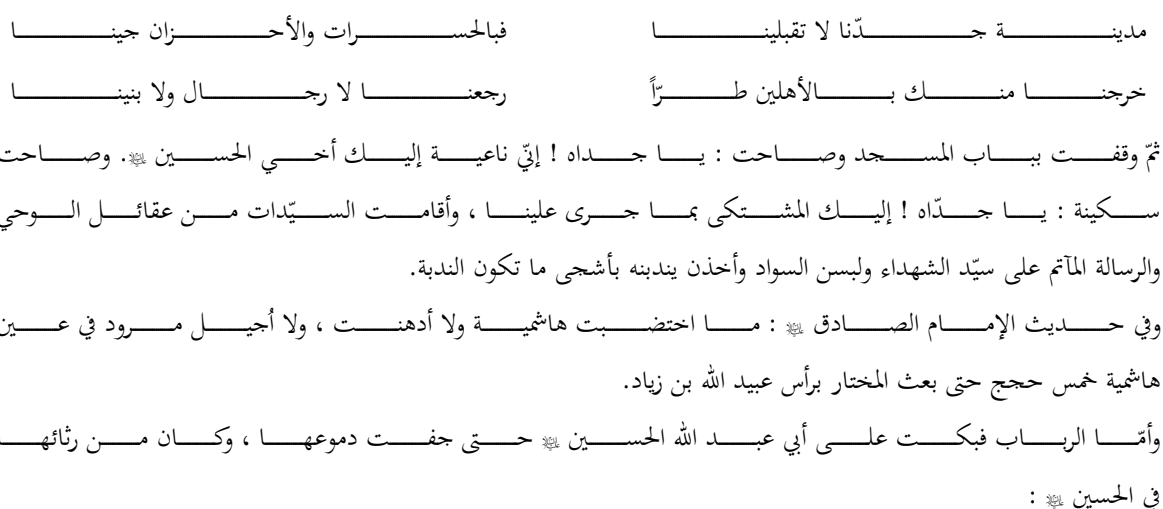


أيها الناس أي قلب لا ينصدع لقتله ، أم أي فؤاد لا يحزن إليه ، أم أي سمع يسمع بهذه
الثمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم.

أيها الناس أصبحنا مشردين ، مطرودين ، مذودين ، شاسعين عن الأمصار كأننا أولاد ترك
وكابل من غير جرم اجترمناه ، ولا مكروه ارتكبناه ، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها ، ما سمعنا
بهذا في آبائنا الأولين ، إن هذا إلا اختلاق ، والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم
إليهم في الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوه بنا ، فإننا لله وإننا إليه راجعون ، من مصيبة ما
أعظمها ، وأفضعها وأمرها ، وأفدحها ، فعنده نحتسب ما أصابنا ، فإنه عزيز ذو انتقام ...

(١) بعد خطاب الإمام السجاد عليه السلام الذي استعرض فيه فصول المحنة القاسية والمأساة
الرهيبية التي تعرض لها أهل البيت عليه السلام دخلت القافلة المدينة بالحزن والدموع والحسرات. أما
عقيلة الطالبين زينب عليها السلام فإنها أنشأت تقول :





إِنَّ الَّذِي كَانَ نَوْرًا يُسْتَضَاءُ بِهِ
سَبَطَ النَّبِيُّ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً
قَدْ كُنْتَ لِي جِبَالًا صَعْبًا أَلُوذُ بِهِ
مَنْ لِلْيَتَامَى وَمَنْ لِلسَّائِلِينَ وَمَنْ
وَاللَّهُ لَا أَبْتَغِي صَهْرًا بَصَاهِرُكُمْ

بِكَرْيَلَاءَ قَتِيلٌ غَيْرُ مَدْفُونٍ
عَنَا وَجُنِبَتْ خُسْرَانُ الْمَوَازِينِ
وَكُنْتُ تَصْحَبُنَا بِالرَّحْمِ وَالْيَدَيْنِ
يَغْنِي وَيَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مُسْكِنٍ
حَتَّى أَغْيِبَ بَيْنَ الرَّمْلِ وَالطَّيْنِ



أحداث عاشوراء لا تغيب عن الذاكرة

وَعَادَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ نَادِبًا	يَذْكُرُ طَوْلَ عَمْرِهِ الْأَطْيَا
يَذْكُرُهُمْ حِينَ يَرِيدُ الْمَاءَ	كَيْفَ قَضَوْا فِي كَرِبَلَا ظَمَاءَ
وَكَيْفَ كَانُوا طَعْمَةَ السَّيُوفِ	مَجْزَرِينَ فِي ثَرَى الْطُفُوفِ ^(١)
وَحِينَ يَنْدُبُ الْحُسَيْنَ يَذْكُرُ	طُفُولَةَ رَعَاهُ فِيهَا الْأَطْهَرُ



(١) بعد واقعة كربلاء استقرَّ الإمام السَّجَّاد عليه السلام في المدينة يذكّر مصيبة الحسين عليه السلام ليلاً ونهاراً وليكون شاهداً حيّاً على أحداثها ، وحلقة وصل بين الثورة والأجيال التي تليها ؛ فبدأ منهاجته الرسالي في تذكير الناس بمبادئ الثورة عبر البكاء والدموع ، قال الإمام الصادق عليه السلام : إنّ جدّي علي بن الحسين عليه السلام بكى على أبيه عشرين سنة وما وضع بين يديه طعام حتى بكى ، حتى عدّله بعض مواليه فقال له : إنّّي أخاف عليك أن تكون من المهالكين فقال عليه السلام : يا هذا إنّما أشكو بشي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ، إنّ يعقوب كان نبياً فعَيَّب الله عنه واحداً من أولاده وعنده إثنا عشر وهو يعلم أنّه حي فبكى عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن ، وإنّي نظرت إلى أبي وإخوتي وعمومي وصحبي مقتولين حولي فكيف ينقضني حزني ؟ وإنّي لا أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة ، وإذا نظرت إلى عماتي وأخواتي ذكرت فرارهنّ من خيمة إلى خيمة .



المولد المبارك

في شهر شعبان باحضان الهدى	في الكوفة الحمراء يوم ولدا
وضمّه لصدّره سعيّدا	حين عليّ أخذ الوليدا
إلى الحسين بابنّه عليّ	مذكراً بشارة النبي
تغبطه لزهده العباد	يولد منه لي فتى سجّاد
لم يُر مثله صبوراً في المحن	كنيته أبو الحسين والحسن
وهو الأمين الساجد الأبّي	ذو الثغفات الطاهر الزكيّ
أجداده من هاشم وكسرى	ووصف ابن الخيرتين طراً
يغضي حياءً قال واصفوه	هيّته تعنو لها الوجوه
وتفرّح القلوب من بسمته ^(١)	لا تشبع العيون من رؤيته

(١) جاء في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي وكتاب كشف الغمة للأربلي إنّ الإمام السجاد عليه السلام وُلِدَ في يوم الخامس من شعبان سنة ٣٨ هـ. وهذا هو المشهور عند الإمامية ، فقد أشرقت سماء الكوفة وابتهجت أرضها بولادة زين العابدين إمام الحكمة والعرفان ، ورائد الهداية والمعرفة ، وسراج الدنيا والدين ، يقول السيّد المصري عبد العزيز سيّد الأهل : لقد وُلِدَ ضعيفاً نحيفاً تلوح في نظراته ومضات خافته ، وكأنّها ومضات همّ منطفئ ، وما لبثت هذه الومضات المكسورة إن دلت فإنّما تدل على حزن قادم يوشك أن يقع.

لقد رافقته الخطوب وصاحبته الآلام منذ ولادته فقد احتفظت يد المنون أمّه الزكيّة وهو في المهّد ، وتتابع عليه المحن بعد ذلك يتبع بعضها بعضاً ، وكان أشدّها وقعاً وأعمقها أثراً أحداث كربلاء التي عاش تفاصيلها. وكما هي العادة الجارية لإجراء مراسم الوليد في الاسلام ، فقد حملته والده الحسين عليه السلام مسرعاً به إلى جدّه أمير المؤمنين فأذن في أذنه

➡





اليمنى ، وأقام في اليسرى فكانت كلمات التوحيد أول نغم يدخل قلبه وكيانه ، بذلك بقيت لنا خاشعاً في مناجاته وأدعيته.

وأما تسميته فقد أجمع المؤرخون والرواة أنّ رسول الله ﷺ قد سمّى حفيده بعلي بن الحسين ﷺ ولقبه بزين العابدين قبل أن يخلق بعشرات السنين ، فقد روى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري وغيره قال : كنت جالساً عند رسول الله ﷺ والحسين في حجره ، وهو يداعبه ، فقال ﷺ : يا جابر ! يولد له مولود اسمه علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيّد العابدين ، فيقوم ولده ، ثم يولد له ولد اسمه محمد فإن أدركته يا جابر فأقرئه منّي السلام.

وأذاع جابر هذا الحديث ، كما أدرك الإمام محمداً الباقر ﷺ وبلغه هذه التحية من جدّه الرسول ﷺ فتلقاها الإمام بمزيد من الغبطة والسرور. كما نذكر ذلك إن شاء الله في القسم السابع من هذه الملحة حول الإمام الباقر ﷺ.

وأما كنيته فهي أبو الحسين ، وأبو الحسن ، وأبو محمد ، وأبو عبد الله ، وكان له ﷺ عدّة ألقاب فهو : زين العابدين ، سيّد العابدين ، ذو الثغفات ، السجّاد ، الزكي ، الأمين ، وابن الخيرتين ، ولا شك أن هذه الألقاب والصفات تحكي خصائص شخصيته المباركة وسمات نفسه العلية في الروح والإخلاص والحب والتضحية والوفاء والعطاء الذي ليس له انقطاع.



الصحيفة السجّادية

يُعرف بالدعاء والتهجد
وكثر السجود والتعبّد
حتى غدا دعاؤه صحيفه
عالية في نهجها منيفه^(١)

(١) تعد الصحيفة السجّادية للإمام زين العابدين عليه السلام من أعز كتب الدعاء والعرفان ومن أهم ذخائر التراث والأدب والبلاغة. وهي كما يقول الإمام الشهيد الصدر رضي الله عنه : تعبر عن عمل اجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة والظروف السياسية تفرضه على الإمام السجاد عليه السلام إضافة إلى كونها تراثاً ربّانياً فريداً يظل على مرّ الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب ، وتظل الانسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمدي العلوي ، وتزداد حاجة كلّما ازداد الشيطان إغراء والدنيا فتنة.

وسندها المبارك ينتهي إلى الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام وإلى الشهيد الفذ زيد ابن علي بن الحسين عليه السلام وقد توارثها أهل البيت عليهم السلام حتى أوصلوها إلى الأجيال بأمانة وإخلاص. كما ذكرت سلسلة سندها في مقدّمة الصحيفة ، ولجلالة قدرها سميت بزبور آل محمد ، وكانت منذ القدم موضع عناية علمائنا والواعين من أبناء مدرسة أهل البيت عليهم السلام لما تتمتع به من أصالة فكرية ونفحات روحية وبلاغة علوية ، وأساليب عرفانية ومناهج تربوية في إعداد الفرد والمجتمع ، ومواجهة تحديات الشيطان على مختلف مواقع الصراع والمواجهة ، وهي نور القلب وسلاح الروح أمام التحديات ، وأذكر حين كنّا في المعتقل في منتصف السبعينات كان الجالّادون من رجال الأمن العراقي يعدّون الصحيفة السجّادية من الكتب المنوعة التي يحظر على المؤمنين تداولها في المعتقل رغم أنّها مجموعة أدعية ومناجاة في رحاب الله تعالى وآفاق الروح والحياة ، وذلك لما لها من أثر نفسي وأخلاقي في تماسك الشخصية واعدادها بالقوّة في مواجهة التحديات.



زبور آل أحمد قد وُصفت
ببداها بالحمد والتَّسَاءِ
ثم الصلاة للنبي الهادي
تضمنت أفضل ما قد قيل
فيه تواضع العباد البررة
يَدْعُو لجنـد الله في الثغور
وفي المناجاة لله دوي
يسمع منه الباقر الدعاء
قد ورثوها أهل بيت الرحمة
تلهج فيها ألسن الأخيار

على ذخائر الدعاء إئتلفت
لله في السراء والضراء
وآله أئمة الرشاد
من الدعاء مهذباً جميلاً
ودمعة من خوفه منحدره
وقلبه منبع كل نور
فهو بحق جدّه علي
وزيد يملئ قوله إملاء
حتى غدت معروفة في الأمة
فهو بحق درة الأذكار



فضائل الإمام السجّاد ؑ

وللإمام أفضل الصفات	من كرم كانت ومكرمات
فهو يحبّ العبد والفقير	ويذكر المسكين والأسير ^(١)
يُطعمُ من طعامه المملوكا	ما فرق العبيد والمملوكا
جيرانه كأهله لديه	فالكل منهم وافد إليه
في الليل يحمل الجراب دأبه	وحسبه بذاك فخراً حسبه
حتى لقد أثّر في أكتافه	لينعّم الفقير في أكتافه



(١) عرف الإمام السجّاد ؑ بفضائل الأخلاق والمكرمات؛ فطالما جالس الفقراء والمساكين حتى أصبح محبوبهم ، وطالما حمل والغذاء على ظهره لعوائل البؤساء والضعفاء في أحياء المدينة ونواحيها يسد جوعهم ويحفظ كرامتهم. حتى روى الزهري انه لقي الإمام السجّاد ؑ في الليل وهو يحمل على ظهره جراب الطعام للفقراء فقال له : الى أين يا ابن رسول الله فقال له الإمام : انا في سفر وبعد أيام لقي الإمام فقال له ألم تسافر أجابه الإمام لا حيث تظن يا زهري .. انما هو سفر وهكذا كان الإمام يرعى الفقراء ويخونو عليهم كالام الدؤوم.



الإمام السجّاد ؑ في لسان الرواة والفقهاء

ويبته محطّ أهل الذكّر	حتى روى العجيب منه الزّهري ^(١)
يقول ما رأيت هاشمياً	أفضل منه ميّتاً وحيّاً
وقد روى عنه رواة كثُر	فعلمه يزخر وهو بحر
منهم أبو حمزة الثمّالي	« ثابت المعروف بالرجال »
ثمّ شهيداً رشيداً الهجري	وسالم المعروف مولى عمير
ثمّ سعيد بن جبير الصيرفي	من ناله الحجاج بالسيف
ثمّ سدير بن حكيم الصيرفي	فظالم بن عمرو المعروف
وآخرون ممن رواة الصدق	قد عرفوا إمامهم بحق

(١) كان منزل الإمام السجّاد ؑ ملتقى العلماء ومتدى الذاكرين والباحثين في علوم الشريعة وآدابها ، فهو المعلم الذي تشد إليه الرحال ، وصاحب الحلقات الدراسية في مسجد جدّه رسول الله ﷺ .

حتى قال عالم الحجاز والشام وأحد الفقهاء الأعلام وهو محمد بن مسلم القرشي الزّهري : ما رأيت هاشمياً مثل علي بن الحسين وقال : كان علي بن الحسين أفضل أهل زمانه وأحسنهم طاعة. وحينما سئل عن أزهّد الناس في الدنيا ، فقال : علي ابن الحسين ؑ .

وكان من شدّة حبّ الزّهري للإمام السجّاد ؑ أنّه إذا ذكره بكى . تاريخ دمشق ١٢ / ١٩ .

ولقد روى عن الإمام السجّاد ؑ رواة كثيرون ، منهم العالم الجليل أبو حمزة الثمّالي ، واسمه ثابت بن صفية ، صاحب دعاء السحر في شهر رمضان المبارك ، وهو من وجوه الكوفة ورجالات الشيعة فيها ، وقد روى عن الإمام رسالته المعروفة رسالة الحقوق .





ومنهم رشيد الهجري وهو بطل من أبطال الاسلام الخالدين ورمز من رموز الجهاد الذي حمل مبدأ الإمامة وصمد بوجه الطاغية عبيد الله بن زياد. وكان قد أخبره أمير المؤمنين عليه السلام بما سيلقى في حب آل محمد. فقد قال له يوماً : يا رشيد ! كيف صبرك إذا أرسل إليك دعي بني أمية فقطع يديك ورجليك ولسانك ، فقال للإمام : يا أمير المؤمنين ! أحر ذلك إلى الجنة ، وبادر الإمام قائلاً له : يا رشيد ! أنت معي في الدنيا والآخرة.

وهكذا نال الشهادة مع الأبرار الذين لاحقهم الطاغية بعد مقتل الحسين عليه السلام فكان مع الخالدين ، ومنهم سالم بن عبد الله مولى عمر فقد عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام ومنهم سعيد بن جبير الكوفي وهو من العلماء التابعين المجاهدين ، كان من أبرز العلماء في عصره ، وقد تعرض له الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي بالتعذيب حتى الاستشهاد ، وقبره اليوم شاخص يزار في مدينة الكوت في العراق.

ومنهم سدير بن الحكيم الصيرفي الكوفي ، عده الشيخ الطوسي من رجال الإمام زين العابدين. ومنهم ظالم بن عمرو ويكنى أبا الأسود الدؤلي ، عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام كان من العلماء الأعمى والشعراء الموهوبين وهو المؤسس الأول لعلم النحو حيث أخذه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في قصة معروفة.

وغيرهم كثير حتى أحصاهم الشيخ باقر شريف القرشي في كتب الرجال بمائة وثلاثة وستين رجلاً إضافة إلى إمراة فاضلة روت عن الإمام السجاد عليه السلام هي أم البر وقيل حباة الوالدية.



والبيتُ يعرفهُ والحلُّ والحرمُ

قد حجَّ عشرين على أقدامه
لم يزجر الناقةً من رقتِه
وذات عام في الإحرام
فأفرج الناسُ له في الكعبه
فغاطَّ فعلتهم هشامُ
فقال : من هذا الذي تفرَّقوا
هذا الذي تعرفه البطحاءُ
هذا ابن سيّد العباد أحمد
ولم يكن قولك من ذا ضائره
تعرفه الأعرابُ والأعاجمُ
ما قال لا قط سوى التشهدِ
وخيلُه تُقادُ من أمامه
لكي يُشيع الرفقَ في أمتِه
وقد دنا الإمامُ من هشام
فاستلم الركنَ بكل هيبه
ثم أراد يُجهلُ الإمامُ
عنه فرد قوله الفرزدقُ
والبيتُ والأركانُ والأرجاءُ
نراه فينا الهاشمي السيّد
فهو سنا الدنيا ونورُ الآخرة
وكفه تألفها المكّارمُ
فهو بحق بحرُ آلا أحمد^(١)

(١) كانت علاقة أهل البيت ﷺ بالحج وطيدة لما ينطوي عليه من مضامين عبادية واجتماعية ، وثقافية ، وسياسية خصوصاً الإمام زين العابدين ﷺ فقد عرف عنه أنّه كان شديد التعلق بالكعبة الشريفة ومسجد الحرام حتى قيل إنّهُ كان يحج ماشياً على قدميه حبّاً في هذه العبادة ، وتواضعاً وشوقاً في السعي إلى الحبيب ، وروي أنّه أوصى ولده محمداً الباقر ﷺ بناقته التي كانت ترافقه في هذه الرحلات الطويلة بأنّها إذا نفقت أي إذا ماتت أن يحفر لها ويدفنها خشية أن تأكلها الوحوش.





وهناك قصة مشهورة تشهد على مدى تعلق المسلمين الشديد بالإمام زين العابدين عليه السلام والحب والولاء الروحي له بين الجماهير وذلك حينما حج هشام بن عبد الملك وطاف بالبيت وأراد أن يستلم الحجر الأسود فلم يقدر على استلامه من شدة الزحام ، فنصب له كرسي فجلس ينتظر ثم أقبل وسط هذا الحشد الجماهيري الهائل الإمام زين العابدين عليه السلام وأخذ يطوف فكان إذا بلغ موضع الحجر انقرجت الجماهير لهيبته وتنحى الناس لجمال طلعتة حتى يستلمه لعظيم معرفتها بقدره وجهها له على اختلاف بلدانها ومذاهبها واتجاهاتها ، وحينما سأل أحد الناس عن الإمام ومن يكون هذا ؟ تنكر هشام للإمام السجاد عليه السلام لئلا يفتنوا بمعرفته ، فأجاب الشاعر الفرزدق بقوله : أنا أعرفه ، ف سجل الشاعر هذا الموقف في قصيدة رائعة مشهورة نذكر منها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
وليس قولك من هذا بضائه	فالعرب تعرف من أنكرت والعجم
يكاد يمسه عرفان راحته	ركن الخطيئ إذا ما جاء يستلم
ما قال لا قط إلا في تشهده	لولا التشهد كانت لأوه نغم
يغضي حياء ويغضي عن مهابته	فلا يكلّم إلا حين يبتسم
ينشق نور الهدى عن نور غرته	كالشمس تنجّاب عن إشراقها الظلم
مشقة من رسول الله نبعته	طابت عناصرها والخيم والشميم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد ختموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم	في كل فرض ومختوم به الكلم



ثورة المدينة

تعرفه يثرب بالحميه	فهى بُراء من بني أميه
بثورة يقودها الأنصار	وثله الأصحاب والأخيار
كانوا يرون أن آل هاشم	أولى بنصر من بني المآثم
دافعهم أن يزيد فاجر	وظالم وفاسق وكافر
وتارك للصوم والصلاة	منهمك باللهو واللذات
فاشتعلت يثرب بالتحدي	بخير فرسان وخير جنود ^(١)

(١) تشير الأبيات إلى ثورة المدينة وقد تسمى بثورة الحرة ، وهي من الثورات الكبيرة التي هزت مشاعر المسلمين ، وكان سبب الثورة تراكم الثارات عند أهالي المدينة على بني أمية خصوصاً بعد ثورة الحسين عليه السلام وما جرى على أهل بيته من بعده ، إضافة إلى تجاهر رأس السلطة (يزيد) بالفسق والفجور وارتكاب الموبقات والمعاصي ، وعدم الإكتراث بإرادة الأمة وحرّيتها واختيارها وكرامتها. فرأى أهل المدينة وانطلاقاً من مسؤوليتهم الشرعية أن يبعثوا وفداً للتفاوض مع يزيد في الشام ، فرجعوا وهم أشد نقمة على الأمويين ، فكانت الثورة الشعبية على والي المدينة وتحريرها من النظام الأموي الجائر.

وقد كان عبد الله بن حنظلة وهو أحد قادة الثورة يقول : والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء ، إنّه ينكح الأمهات والبنات ، ويشرب الخمر ، ويدع الصلاة ، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسناً. الطبري ٤ / ٣٦٨.

فطردوا الحاكم الأموي عثمان بن محمد بن أبي سفيان وسائر بني أمية وشكلت حكومة مؤقتة يديرها رجال الثورة.





ويذكر المؤرخون أنَّ مروان بن الحكم وهو من الشخصيات الأساسية في النظام الأموي هرع إلى الإمام زين العابدين عليه السلام خائفاً على نفسه وعلى نسائه من الإعتداء ، فأجابته الإمام عليه السلام إلى ذلك وضم نساء الأمويين إلى حرمه ، ويقول المؤرخون أنَّ الإمام السجاد قد كفل أربعمئة امرأة مع أولادهن وحشمنهن وضمهن إلى عياله ، إلى أن خرج قائد الجيش الأموي مسلم بن عقبة من المدينة ، بعد ارجاعها إلى السلطة الأموية وأقسمت واحدة منهنَّ إنَّها ما رأت في دار أبيها من الراحة والعيش الهنيئ مثل ما رآته في دار الإمام علي بن الحسين عليه السلام .

بعد ذلك وصلت الأنباء إلى دمشق بقيام الثورة في المدينة ، فخاف يزيد امتداد الثورة إلى باقي الأرجاء فانتدب أشرس مجرم إرهابي وهو مسلم بن عقبة لمواجهة أهالي مدينة النبي صلى الله عليه وآله ، ويوصف بأنَّه من جبابرة العرب ، ويحدثنا صاحب العقد الفريد عن شكله بأنَّه كان أعور أفغر ، ثائر الرأس ، كأنَّما يقلع رجله من وحل إذا مشى ، ويقول المستشرق دوزي : إنَّه كان لا يؤمن بالله ، ولا بالاسلام ، وكان مريضاً ، فلمَّا أسند إليه يزيد قيادة الجيش غرَّ السرور ، وقد قال له يزيد : إن شئت أن أعفيك ، فليَّ أراك مدنفاً « مريضاً » منهوكاً ، فقال له الخبيث : نشدتك الله أن لا تحرمي أجراً ساقه الله . « معاوية بن أبي سفيان لعمر أبو النصر . نقلاً عن الإمام زين العابدين للشيخ باقر شريف القرشي / ٢٦٦ »

وسار الجيش الأموي يطوي البيداء نحو المدينة ففرض عليها الحصار فقام المدنيون فحفروا الخندق الذي حفره رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الأحزاب ، ولم تتمكن قوات يزيد من احتلال المدينة إلا أن عبد الملك بن مروان أسرع بايعاز من أبيه إلى مسلم بن عقبة فدلَّه على عورات البلد ونقاط الضعف في الخندق وبذلك استطاع الجيش أن يدخل المدينة المنورة . وقد التحم الجيشان في معركة دامية ، استشهد فيها الصحابي البطل عبد الله بن حنظلة مع أبنائه وثلة من أبناء المهاجرين والأنصار ، وقد فقدت المدينة في هذه الواقعة ثمانين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله حتى لم يبق بها بدري ، كما فقدت سبعمئة من قریش والأنصار وعشرة آلاف من سائر الناس . الطبري ٧ / ١٢٠٥ .

وقد أباح (مسرف بن عقبة) المدينة لجيشه الأثم أيام فقتل الأبرياء من الأطفال والشيوخ وهتك الأعراض ، وأخذ البيعة لمن بقي من الناس أثم حول وعبيد ليزيد بن معاوية يفعل بهم ما يشاء .



عثمانٍ أقبح فيه من عثمانٍ
يسلب من أموالهم ويعتدي
فضمَّ أهلَهُ إلى أهليهِ
من فضلٍ من تعرفهُ السَّماءُ
في يدِ عبدِ الله وابنِ حنظله
فخطط الطاغوتُ لانتقامٍ
يقوده « مسلمٌ بنِ العقبه »
يثربُ أَيْاماً وأن يُطاحا
فكلُّ أهلٍ يثربٍ همُ العدا
ومسلم ينشد فيه شعرا

فوثبوا بـابن أبي سفيانٍ
مخرباً ومفسداً في البلدِ
فرَّ إلى الإمامِ كي يحميه
وذاك ما لم ينكر الأعداءُ
أصبحت المدينةُ المجللةُ
وسارت الأخبارُ نحو الشامِ
أعدَّ جيشاً كي ينالَ مأربه
أوصاه بالسيفِ وأن تباحا
بكل رأسٍ يتغني التمردا
فرحف الجيش اللئيم غدرا



وأما الإمام زين العابدين عليه السلام فقد ألقى عليه القبض عندما كان عند قبر جدّه رسول الله ﷺ يدعو الله ويناجيه وجيء به إلى الطاغية ، فلمّا رآه ارتعدت فرائصه من هيئته وقام إليه تكريماً وقال له : سلني حوائجك ، فأخذ يتشفع بمن حكم عليهم بالموت فأجابته إلى ذلك ، ولم يبايع الإمام ليزيد كما بايع الناس .

وأمر المحرم ابن عقبة بحز رؤوس الشهداء من أبناء يثرب وبعثها إلى الطاغية يزيد بن معاوية فلمّا وضعت بين يديه سرّ بذلك سروراً بالغاً وجعل يتمثل بقول الشاعر ابن الزبيري يوم أخذ كما هي عادته كلّما حقّق نصراً على بني هاشم وأحرار الإسلام وثواره :

ليت أشياخي بيـدر شـهدوا جـزع الخـزرج مـن وقـع الأسـل
لأهلّـوا واسـتـهلّوا فرحـاً ثمّ قالوا يـا يـزيد لا تشـل

هذه هي نهاية ثورة المدينة أو واقعة الحرة ، فقد كانت من الكوارث المأسوية في حياة المسلمين ، وقد تركت لوعة وحزناً في نفس الإمام زين العابدين عليه السلام وهو يرى مدينة جدّه المصطفى وقد عاث يزيد فيها فساداً وتركها ركاماً من الأطلال الموحشة قد ملئت بيوتها بالأسى والشكل والأحزان بعدما كانت واحة غناء عامرة بالهدى والنور والعطاء.



« أبلغ أبا بكر إذا الأمر انبرى
أجمع سكران من القوم ترى
فحاصروا مدينة الرسول
فحفر الثوار فيها خندقا
لكنما الحرب استطالت نارهـا
حيث التقى الجمعان عند الحره
فيالها من وقعةٍ معابه
لم يبق « بدرئ » بُعيد الوقعه
قد سالت الدماء دون رحمه
أباحها ثلاثه للقتل
وأجبر الناس على المبايعه
منتها كقبر النبي الأطهر
لكنما السجّاد لم يعط يدا
وبقي الإمام منه حذرا
وعانت المدينة العذابا
فالشكل والحزن وظلم الوالي
قد ترك الأجواء فيها مظلمه

وانحطت الرايات من وادي القرى
أم جمع يقظان نفى عنه الكرى
ومهبط الآيات والتنزيل
ليضمّنوا لثورة الحق البقا
واتقدت في يثرب جمارهـا
« ومسرف » صب عليها شره
عضت ثمانين من الصحابه
عشره الآف بها أو تسعه
وانتهكت فيها نساء الأمه
مشتتا فيها لكل شمل
إلى يزيد خولا وطائعه
بخيله وجنده والعسكر
أو أن يخاف منه أو يؤيدا
لما رآه طاغيا مستهترا
عاشت ولكن فقدت أحبابا
ومقتل الأنبياء والرجال
مذ أسرفت فيها أكف الظلمه



ثورة التوابين

لكنّما الكوفةُ باتت قلقه آلُ أمّيةً بها مفترقه
والشيعَةُ الأبرارُ في عناءٍ وندمٌ يموج في الأحشاء^(١)

(١) بعد واقعة كربلاء بداء الشعور بالذنب والإحساس بالندم يتصاعد تدريجياً في نفوس شيعة أهل البيت ﷺ وخصوصاً في أحواء الكوفة التي تنصر الحسين ﷺ وهي التي دعتهم إليها ولم توفق إلى نصرته وإغاثته يوم عاشوراء ، فبدأ الواعون من المجتمع الكوفي يتلاومون بألم وحسرة يتحدّثون سرّاً عن مشروع الثورة ، وقد رفعوا شعارهم : يا لثارات الحسين.

وعقد التّوّابون أوّل لقاء لهم في دار الصحابي الجليل زعيم الشيعة آنذاك سلمان بن صرد الخزاعي ، وقد ألقى في هذا اللقاء عدّة كلمات حماسية لاهبة بالدموع والأسف لعدم التوفيق لنصرة ربحانة رسول الله الإمام الحسين بن علي ﷺ وكان عدد الحضور أكثر من مائة رجل من فرسان الشيعة ووجهائهم ، وكان ذلك في سنة ٦١ هجرية وهي السنة التي استشهد فيها الإمام الحسين ﷺ. واتّخذ المجتمعون في هذا المؤتمر الخطير عدّة قرارات سياسية وجهادية وهي :

— الاتفاق على سليمان بن صرد الخزاعي قائداً للثورة وقد أنيطت به مسؤولية الاتصال بالمناطق الأخرى ووضع الخطة العسكرية للثورة.

— التعهد على سرية العمل والتخطيط وإحاطة التحرك بالسرية خوفاً من افشال الحركة.

— جمع الأموال والأسلحة والمعدات الأخرى وقد اتفقوا على عبد الله بن وائل التميمي لجمع الأموال وشراء الأسلحة.

— تحديد الوقت المناسب للثورة ، واتفقوا على أن تكون الانطلاقة في مطلع ربيع الثاني سنة ٦٥ للهجرة وإنّ السنوات الأربع كافية للإعداد لهذه الثورة.

— أن يكون موقع النخيلة هو النقطة التي يجتمعون فيها ومنه تنطلق الثورة على النظام الأموي الفاسد.



إن لم يكونوا نصروا الحسينا	ولم يوفوا للنبيّ الدينا
قد كاتبه ودعوه سرا	لكنهم لم ينصروه جهرا
فاشتعل اللوم بهم والعتب	عسى يكفرّ الونا والذنب
فما الذي محو سواد العار	غير طاب الثار للأطهار
فيالثرارات الحسين ارتفعت	وخلفها كل السيوف التمتع
فاجتمعوا في دار الخزاعي	القائد المقدم المطاع
فذكروا مقتل سبط طه	وأطلقوا أهلاً تجرّ أهـا
وقرروا أن يكتبوا للشيعه	في السر نحو ثورة مريعـه



ولما حان الوقت المتفق عليه تجمّع أربعة آلاف في النخيلة وقد انطلق الثوار إلى قبر الحسين عليه السلام وهم ييكون ويعلنون ندمهم وتوبتهم إلى الله من خذلانهم لسبط النبي وريحانته ، ثم انصرفوا عن القبر الشريف بعد أن أقسموا على الأخذ بالثأر للحسين الشهيد ، وكان عبد الله بن عوف الأحمر يلهب النفوس بشعره الثوري ، حيث كان يخاطب الجموع بقوله :

صحوث وودعت الصبا والغوانيـا	وقلت لأصحاـي : أحييوا المناديـا
وقولوا له إذ قام يدعو إلى الهدى	وقبل الدعا : لبيك لبيك داعيـا

وسار جيش التوابين يقدمهم عبد الله بن عوف وهو يثير حماسهم مرتجاً بأشعاره.

فوصلوا إلى (عين الورد) وقد زحفت عليهم جيوش الشام بقيادة المجرم عبيد الله بن زياد. فالتحم الجيشان التحاماً رهيباً وجرت أعنف المعارك ، وأبدى التوابون من البسالة والبطولة والصمود ما يشرف صفحات التاريخ. فاستشهد قائد التوابين سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة وعبيد الله بن سعد وغيرهم من الأبطال. وفي غمرة الصراع رأى التوابون أن لا قدرة لهم على المواصلة فتركوا ساحة القتال ورجعوا مع الجراح النازفة في ظلمة الليل بهيم إلى الكوفة ، ولا شك أن ثورة التوابين رغم أنّها لم تحقق نصراً حاسماً إلا أنّها ساهمت في بلورة الوجود الشيعي الثوري في الكوفة ، وكذلك تحطيم القوة العسكرية للجيش الأموي الذي لا يقهر ، ومهدت الطريق إلى ثورة المختار العظيمة.



وجمعوا الأموال للصلاح
ودام نظمهم أعرهم أعواما
ثورهم في بقعة النخيلة
كان لهم أربعه آلاف
وانطلقوا لمصرع الحسين
فأعلنوا ثوبتهم للباري
ظلوا ثلاثاً في طفوف كربلا
ساروا على اسم الله للجهاد
يقدمهم فيها « ابن عوف الشاعر »
« خرجن يلمعن بنا إرسالا
نريد أن نلقى بها الأقيالا
وقد رفضن الولد والأموالا
نرضي به ذا النعم المفضالا »
فوصلوا صباحاً « لعين الورده »
فالتحم الجيشان في بسالة
فاستشهد ابن صرد الخزاعي
وبعده المسيب بن نجبه
واستشهد الباقر في القتال
وقفل القلعة نحو الكوفه

والفتح والجهاد والكفاح
أربعة من قبل أن تقام
فجيشهم فيها أعد خيله
لم يرهبوا الموت ولم يخافوا
والكل منهم دامع العينين
وطلبوا الغفران بانكسار
من قبل أن ثورهم تشتعلا
ليقطعوا الوادي بعد الوادي
مرتجزاً بشعره يجاهر
عوايساً يحملننا أبطلا
القاسطين الغدر الضلّالا
والخفرات البيض والحجالا
قد قالها ما أحسن المقالا
فيها « عبيد الله » لم جنده
والكل منهم ناله ما ناله
وهو صحايب بلا نزاع
لاقى على درب الحسين ربه
من بعد يوم شرس النزال
جرحى من المعركة المخوفه



ثورة المختار الثقفي

وهكذا الكوفة ظلت قلقه رجائها قلـوهم محترقه
ينتظر الأحرار فيها الثارا يبايعون سـرّاً المختاراً^(١)

(١) يعدّ المختار بن يوسف الثقفي من الشخصيات الإسلامية والقيادية اللامعة في التاريخ الإسلامي حيث فجر ثورة عارمة بوجه الأمويين تقوم على أساس الولاء والمحبة لأهل البيت عليهم السلام ومعاقبة الجناة والمفسدين خصوصاً الذين شاركوا في مجزرة كربلاء الأليمة. فقد امتازت شخصيته بشدّة الذكاء والدهاء والقدرة القيادية العالية إضافة إلى حبّه وولائه لأهل البيت عليهم السلام ولسمو مكانته عند الأئمة الأطهار عليهم السلام.

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام : ما امتشطت فينا هاشمية ولا أخضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام.

وفي رواية أخرى لما بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد إلى الإمام زين العابدين عليه السلام حرّ الإمام ساجداً لله وقال : الحمد لله الذي أدرك ثاري من أعدائي وجزى الله المختار خيراً.

ومن نال العقاب المجرم المسوخ حرملة بن كاهل الأسدي الذي قتل عبد الله الرضيع عندما حمله والده الحسين عليه السلام ليسقوه شربة من الماء فرماه الخبيث حرملة بسهم فذبحه من الوريد إلى الوريد ، فقد ترك هذا الرضيع الذبيح لوعة في قلوب العلويين ، فقد روى المنهال بن عمرو قال : دخلت على علي بن الحسين عليه السلام حال منصري من مغبة فقال لي : يا منهال ! ما صنع حرملة بن كاهل الأسدي ؟ قلت : سيدي ، تركته حياً في الكوفة.

فرفع الإمام يديه إلى السماء ، وراح يدعو بحرارة قائلاً : أَللّهُمَّ أذقه حر الحديد .. أَللّهُمَّ أذقه حرّ النار ، قال المنهال : فلمّا قدمت الكوفة قصدت المختار وكان لي صديقاً فسلمت عليه ،

➡



ويجمعون المال والسلاح	لثورة تحقق الصلاح
حتى إذا ما قويت شوكتهم	واكتملت على الوفا عدّتهم
تفجرت صرختهم بالثار	إلى دم ابن المصطفى المختار
فأطبقوا على دروب الكوفه	وقاتلوا جيوشها الموصوفه
فانتصروا ونصروهم مؤزراً	وقد أحاط بالطغاة الخطر



ورأيتُه مشغول الفكر يتقرب أمراً وما هي إلا لحظات حتى جيء بالجرم حرملة بن كاهل فأمر بإحضار نار ، وتقطيع أوصاله وإلقائها في النار ، فكبرت فالتفت المختار إليّ وقال : إنّ التكبير لحسن ، لم كبرت ؟ فأخبرته بدعاء الإمام علي بن الحسين ؑ وعظّم ذلك عند المختار وصام يومه شكراً لله على استجابة دعاء الإمام على يديه .

وأما قصّة مصرع الطاغية عبيد الله بن زياد بن أبيه فقد علم المختار إن عبد الملك بن مروان أرسل جيشاً كثيفاً بقيادة عبيد الله بن زياد لفتح الكوفة ، وعهد إليه أن يبيحها ثلاثة أيام لجنده ، كما فعل ذلك يزيد بن معاوية في مدينة النبي ﷺ فانتدب المختار لمواجهة جيشاً مفعماً بحب آل محمد ﷺ والدفاع عن مدرستهم العقائدية الأصيلة والروح المعنوية العالية وكان بقيادة الرجل الشجاع إبراهيم بن مالك الأشتر رضي الله عنه ، وكان جيش ابن زياد يفوق جيش الأشتر عدداً وعدة إلا أنه فارغ من الإيمان والروح المعنوية ، وقد التحم الجيشان في معركة الزاب الهيبه ، أبدى فيها جيش الكوفة صموداً وبسالة وإقداماً فانهزم جيش الشام شر هزيمة وخسر خسائر فادحة في الأرواح والعتاد ، وقد قتل البطل إبراهيم الأشتر رأس الضلال والجريمة عبيد الله بن زياد وقتل الحصين بن نمير كما قتل أكثر القادة العسكريين من أهل الشام وحمل رأس ابن زياد إلى المختار فسّر بذلك سروراً بالغاً .

ووجه المختار برأس الخبيث إلى الإمام علي بن الحسين ؑ وحين وصل الرسول إلى باب الإمام صاح بأعلى صوته : يا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومهبط الملائكة ، ومنزل الوحي ، أنا رسول المختار بن أبي عبيدة الثقفي ومعني رأس عبيد الله ابن زياد ...

ولم تبق علوية في دور بني هاشم إلا صرخت ، فقد تذكرت ما اقترفته ابن مرجانة من الجرائم تجاه حرائر النبوة وبنات رسول الله ﷺ ولما رأى الإمام الطاغية سجد لله شكراً ، وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أنجز ما وعد وأدرك ثأري من عدوي .



فانتقموا من قاتلي الحسين
ثم أقاموا دولة فتيهه
فأرسلت دمشق بالفرسان
فحدثت معركة في الزاب
فقتل المسوخ « عبيد الله »
وأرسلت رؤوسهم ليشرب
وسجد الإمام وهو يشكر
وفرحت عقائل الإمامه

ثم وفوا لله كل دين
قد أعقبت حكم بني أميه
لكنما الأشتر في الميدان
واستعر القتل مع الضراب
ومعه « الحصين » ذاك اللاهي
وفرحت بقتلهم آل النبي
ثم يقول ذلك المقدر
وابتشرت بالنصر والكرامه



رسالة الحقوق

ظلّ الإمام يقطن المدينة
ورغم ذا قلـوبهم حزينه
لكنّنه ظلّ طويلاً يدعو
مريئاً جليلاً ليعلو الشرع
رسالة الحقوق من عطائه
وهي نظام الدين في صفائه^(١)
قد جمعت حق بني الانسان
بعد حقوق الخالق الرحمن

(١) مارس الإمام السجاد ؑ نشاطاً فكرياً واجتماعياً واسعاً في المدينة المنورة طيلة مدّة إمامته التي كانت حوالي ٣٥ سنة ، حتى قيل إنّه كان المؤسس الثاني لمدرسة أهل البيت ؑ الفكرية والفقهية بعد جدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ حيث نشر الفقه والعلم ، وأخذ عنه العلماء وطالّاب الحقيقة من مختلف أصقاع العالم . كما إنّه ترك تراثاً فكرياً وتربوياً رائعاً في مختلف فنون العلم والأدب والأخلاق والمعرفة .

ومن تراثه الخالد رسالته إلى بعض أصحابه المعروفة برسالة الحقوق وهي مجموعة حقوق إنسانية وأخلاقية واجتماعية وسياسية من النمط العالي تصلح أن تكون دستوراً لحقوق الإنسان في كل زمان ومكان ، وقد سبقت بمضمونها الإنسانية الراقية الإعلان العالمي لحقوق الإنسان المعتمد من قبل الأمم المتحدة في القرن العشرين .

فهي تحدّد واجبات الإنسان تجاه ربّه وخالقه الذي أنعم عليه بنعمة الوجود وسائر النعم الأخرى ، وحقوق الوالدين والنفوس والإخوان والجيران وسائر طبقات الأمّة وشرائعها الاجتماعية المختلفة ، وقد بلغت خمسين حقاً ، وهي إن دلّت على شيء إنّما تدل على سمو الفكر وصفاء الروح وسعة العقل عند زين العابدين وسيد الساجدين ؑ وقد روتها كتب الحديث المعتبرة مثل الخصال ومن لا يحضره الفقيه للصدوق ، وتحف العقول لابن شعبه الحراني ، وغيرها من المصادر .



ثمّ حقوق السادة الأئمة
ثمّ حقوق النفس والرعيّة
ثمّ حقوق الأب والأبناء
ثمّ حقوق الزوج والأصحاب
خمسون حقاً توجب الرعيّة
أوجزها الإمام في رساله

وبعدها جاءت حقوق الأئمّه
ثمّ حقوق المرحم المرعيّه
والأهل والوفاء للأصدقاء
والنصح للإخوان والأحباب
قد أسندت بسورة وآيّه
لتحتوي القانون والعدالّه



السَّجَّادُ ❦ في ذمّة الخلود

ورغم أنّ عمل السَّجَّادِ	مقتصرٌ في النصِّح والرَّشَّادِ
لكنَّه اغتَاطَ بني أُمِّيَّه	وحسَّدتَه الأنفُسُ الدنيَّه
قال « الوليد » قولهً بالغدرِ	« والله لا راحة لي في عمري »
وذا « علي » يسكن المدينه	حيّاً وكل الناس يعشقونه
فدسَّ سماً للإمام قاتلاً	فأفرح الطغاة والأرذالا
وأحزن القرآن والإسلاما	وعطَّل الحلال والحراما
وحُمِّل السَّجَّادُ للبقيعِ	مودعاً بالحزن والدموعِ
واتَّشحت يثربُ بالسَّوادِ	وهي توارى جسد السَّجَّادِ
عليه منّا أفضل السلام	فقد هوت دعامة الإسلام ^(١)

(١) واصل الإمام السَّجَّادُ ❦ مشاريعه الإصلاحية في الإرشاد والتوجيه والارتفاع بالأُمَّة إلى مستوى المسؤولية الرسالية والأخلاقية ، فقد كان قطب الرحى في المدينة المنورة خصوصاً بعد تصفية كل المعارضين للنظام الأموي .. فتعلق الناس بالإمام وأحبَّوه لعلمه وعبادته وورعه وصفاء نفسه. فكان السعيد من يحظي برؤيته ، والعظيم من يهتدي بهداه. وقد شق ذلك على الأمويين وقد تأزم الموقف بعد موت عبد الملك بن مروان حيث تسلَّم ابنه الوليد زمام الأمر بعده وكان من أشدَّ الحاقدين على الإمام زين العابدين ❦ فقد روى الزهري أنّه قال : لا راحة لي وعلي بن الحسين ❦ موجود في دار الدنيا ، وأصرَّ الخبيث على إغتيال الإمام فبعث سماً قاتلاً إلى عامله على يثرب وأمره أن يدسه للإمام ونقذ عامله ذلك وقيل كان على يد سليمان بن عبد الملك.

➡





وقد تفاعل السم في جسم الإمام ﷺ فأخذ يعاني أشد الآلام وأقساها فبقي ﷺ أياماً طريح الفراش ييئث شكواه إلى الله ويدعو لنفسه بالمغفرة والرضوان ، ويوصي أهل بيته بالصبر والتقوى خصوصاً ولده محمد الباقر ﷺ الذي حمل لواء الإمامة بعده فكان الوصي والوارث من بعده في قيادة الأمة والدفاع عن رسالتها الإسلامية.

وهكذا انطوت صفحات عصر الإمام زين العابدين ﷺ فودع الدنيا راحلاً إلى الله نقى الثوب وضاح الجبين. فجهز وكفن وحمل نعشه على الأعناق فدفن في مقبرة البقيع إلى جنب عمه الإمام أبي محمد الحسن المجتبي ﷺ. ولكن أفكاره وأهدافه بقيت حيّة تزخر بالعطاء والنماء تحرك التاريخ وتوقض النفوس وتقارع الظالمين.

فسلام عليك سيدي أيتها السجاد ، يا علي بن الحسين ، أيتها الزاحل العظيم. ولمزيد الفائدة فإننا نثبت رسالة الحقوق بنصها الكامل باعتبارها أعز وثيقة إنسانية ودستورية في ملحق هذه الهوامش.

والله ولي التوفيق.

والحمد لله رب العالمين



رسالة الحقوق

للامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (❦)

المقدمة

إعلم . رحمتك الله . أن الله عليك حقوقاً محيطَةً في كل حركة تحركتها أو سكوناً سكنتها [أو حال حلتها] أو منزلة نزلتها أو جارحة قلبتها أو آلة تصرفت بها (بعضها أكبر من بعض) :

[أ] فأكبر حقوق الله عليك :

ما أوجبه لنفسك تبارك وتعالى من حقه الذي هو أهل الحقوق (ومنه تُفرَّع) .

[ب] ثم ما أوجه الله عز وجل لنفسك ، من قرنك إلى قدمك ، على اختلاف

جوارحك :

(❦) لقد ذكرت رسالة الحقوق في العديد من المصادر المعتبرة مثل كتاب مَنْ لا يحضره الفقيه للشيخ علي بن الحسين الصدوق رضي الله عنه وكتاب تحف العقول لابن شعبه الحراني وغيرهما من مصادر الحديث الشريف . ولمزيد الفائدة فأنتنا نشيتها بنصّها الكامل في هذا الملحق .

فجعل لسانك عليك حقاً ولسمعك عليك حقاً ، ولبصرك عليك حقاً ،
وليدك عليك حقاً ، ولرجلك عليك حقاً ، ولبطنك عليك حقاً ، ولفرجك عليك
حقاً.

فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال.

[ج] ثم جعل عزّوجلّ لأفعالك عليك حقوقاً :

فجعل لصلاتك عليك حقاً ولحجتك عليك حقاً ، ولصومك عليك حقاً ،
ولصدقتك عليك حقاً ، ولهديك عليك حقاً ، ولأفعالك عليك حقاً.
ثمّ تخرج الحقوق منك إلى غيرك ، من ذوي الحقوق الواجبة عليك ، وأوجبها
عليك : حقوق أئمتك ، ثمّ حقوق رعيّتك ، ثمّ حقوق رحمك ، فهذه حقوق
يتشعّب منها حقوق.

[د] فحقوق أئمتك ثلاثة :

أوجبها عليك حقّ سائسك بالسلطان ، ثمّ حقّ سائسك بالعلم ، ثمّ حقّ
سائسك بالملك. وكلّ سائسٍ إمام.

[هـ] وحقوق رعيّتك ثلاثة :

أوجبها عليك حقّ رعيّتك بالسلطان. ثمّ حقّ رعيّتك بالعلم. فإنّ الجاهل
رعيّته العالم ، ثمّ حقّ رعيّتك بالملك : من الأزواج وما ملكت الأيمان.

[و] وحقوق رحمك كثيرة ، متّصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة. فأوجبها
عليك :

حقّ أمك ، ثمّ حقّ أبيك ، ثمّ حقّ ولدك ، ثمّ حقّ أخيك ، ثمّ الأقرب
فالأقرب ، والأول فالأول.



[ز] ثمَّ [حقوق الآخرين] :

حقّ مولاك المَنعم عليك ، ثمَّ حقّ مولاك الجارية نِعْمْتُكَ عليه ، ثمَّ حقّ ذي المعروف لديك ، ثمَّ حقّ مُؤذَنك لصلاتك ، ثمَّ حقّ إمامك في صلاتك ، ثمَّ حقّ جليستك ، ثمَّ حقّ مالِك ، ثمَّ حقّ غريمك الذي يُطالبُك ، ثمَّ حقّ خليطك ، ثمَّ حقّ خصمك المدّعي عليك ، ثمَّ حقّ المشير عليك ، ثمَّ حقّ مُستنصحك ، ثمَّ حقّ الناصح لك ، ثمَّ حقّ مَنْ هم أكبر منك ، ثمَّ حقّ مَنْ هم أصغر منك ، ثمَّ حقّ سائلك ، ثمَّ حقّ مَنْ سألته ، ثمَّ حقّ مَنْ جرى لك على يديه مساءةٌ بقولٍ أو فعل ، عن تعمدٍ منه أو غير تعمد ، ثمَّ حقّ مَنْ جرى على يديه مسرةٌ من قول أو فعل ، ثمَّ حقّ أهل ملّتك عامّة ، ثمَّ حقّ أهل ذمّتك.

ثمَّ الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرف الأسباب.

فطوبى لِمَنْ أعانته الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ، ووفقهُ لذلك وسدّده.

[أ] حقّ الله

[١] فأما حقّ الله الأكبر عليك :

— فأنَّ تعبدَهُ لا تُشركَ به شيئاً ، فإذا فعلت ذلك بإخلاصٍ جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة (ويحفظ لك ما تحبُّ منها).

[ب] حقوق الأعضاء

وأما حقّ نفسك عليك : أن تستعملها في طاعة الله : فتؤدّي إلى لسانك حقّه ، وإلى سمعك حقّه ، وإلى بصرك حقّه ، وإلى يدك حقّها ، وإلى رجلك حقّها ، وإلى بطنك حقّه ، وإلى فرجك حقّه ، وتستعين بالله على ذلك.



[٢] وأما حقّ اللسان :

- . فإكرامه عن الحنا.
- . وتعويده على الخير [والبرّ بالناس ، وحسن القول فيهم] .
- . وحمله على الأدب .
- . وإجمامه إلّا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا .
- وإعفاؤه عن الفضول الشنيعة ، القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلة فائدتها .
- ويُعدّ شاهد العقل ، والدليل عليه ، وتزيّن العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه . ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم .

[٣] وأما حقّ السمع :

- فتنزيهه عن أن يجعله طريقاً إلى قلبك إلّا لفوهمة كريهة تُحدث في قلبك خيراً ، أو تكسب خلقاً كريهاً ، فإنّه باب الكلام إلى القلب ، يؤدّي إليه ضرب المعاني على ما فيها من خيرٍ أو شرٍّ . ولا قوة إلّا بالله .

[٤] وأما حقّ بصرك :

- . فغضّه عمّا يحلّ لك .
- وترك ابتذاله إلّا لموضع عبرة تستقبل بها بصراً ، أو تستفيد بها علماً فإنّ البصر باب الاعتبار .

[٥] وأما حقّ يدك :

- فأن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك فتنال بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الآجل ، ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل .
- . ولا تقبضها عمّا افترض الله عليها .



ولكن توقّرْها : بَقْبُضِهَا عن كثير ممّا يحلّ لها ، وبسطها إلى كثير ممّا ليس عليها ،
فإذا هي قد عُقِلَتْ وشُرِّفَتْ في العاجل وَجَبَ لها حُسْنُ الثواب من الله في
الآجل .)

[٦] وأما حقّ رجلك :

— أن لا تمشي بها ما لا يحلّ لك. [فبها تقف على الصراط فانظر أن لا
تزلّ بك فتردى في النار] .

— ولا تجعلها مطيّتك في الطريق المستخفة بأهلها فيها ، فإنّها حاملتُك
وسالكةُ بك مسلك الدين ، والسبق لك. ولا قوة إلّا بالله.

[٧] وأما حقّ بطنك :

. فأن لا تجعله وعاءً لقليل من الحرام ولا لكثير .

— وأن تقصد له في الحلال ، ولا تُخرجه من حدّ التقوية إلى حدّ التهوين
وذهاب المروءة.

. وضبطه إذا همّ بالجوع والعطش .

— [ولا تزيد على الشّبع] فإنّ الشّبع المنتهي بصاحبه إلى التخم مكسلة
ومثبطة ومقطعة عن كلّ برّ وكرم وإنّ الريّ المنتهي بصاحبه إلى
السُّكر مسخفة ومجهلة ومذهبة للمروءة .)

[٨] وأما حقّ فرجك :

— فحفظه ممّا لا يحلّ لك أن تُحصِنَه عن الزنا ، وتحفظه من أن يُنظر إليه
والاستعانة عليه بغضّ البصر ، فإنّ من أعون الأعوان ، وكثرة ذكر
الموت ، والتهلّد لنفسك بالله والتخويف لها به . وبالله العصمة
والتأييد ، ولا حول ولا قوة إلّا به .



[ج] ثمَّ حقوق الأفعال

[٩] فأما حقّ الصلاة :

— فأَنْ تعلم أنَّها وفادة إلى الله ، وأَنَّك قائمٌ بها بينَ يدي الله ، فإذا علمتَ ذلك كنتَ خليقاً أن تقومَ فيها مقامَ العبد ، الذليل [الحقير] ، الراغب ، الراهب ، الخائف ، الراجي ، المسكين ، المتضرع وخشوع الأطراف ، ولين الجناح ، وحسن المناجاة له نفسه ، والطلب إليه في فكاك رقبتك التي أحاطت بها خطيئتك ، واستهلكتها ذنوبك .
وَتَقْبَلُ عليها بقلبك .
وتقيمها بحدودها وحقوقها . ولا قوّة إلّا بالله .

[١٠] وحقّ الحجّ :

— أنْ تعلم أنَّه وفادة إلى ربّك ، وفرارٌ إليه من ذنوبك ، وفيه قبول توبتك ، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك .

[١١] وأما حقّ الصوم :

— فأَنْ تعلم أنَّه حجابٌ ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك ، ليسترك به من النار ، فإن تركت الصوم خرقت سِتْرَ الله عليك .

(وهكذا جاء في الحديث : « الصوم جُنَّةٌ من النار » فإن سكنت أطرافك في حجبها رجوت أن تكون محجوباً ، وإن أنست تركتها تضطرب في حجابها ، وترفع جنبات الحجاب فتطلّع إلى ما ليس لها ، بالنظرة الداعية للشهوة ، والقوّة الخارجة عن حدّ الثّقِيّة لله ، لم تأمن أن تحرق الحجاب وتخرج منه . ولا قوّة إلّا بالله) .



[١٢] وأما حقّ الصدقة :

— فأَنْ تعلم أنّها ذخرك عند ربك ، ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإشهاد [عليها] فإذا علمت ذلك كنت بما استودعته سراً أوثق [منك] بما استودعته علانيةً ، وكنت جديراً أن تكون أسررت إليه أمراً أعلنته ، وكان الأمر بينك وبينه فيها سراً على كل حال ، ولم تستظهر عليه في ما استودعته منها بإشهاد الأسماع والأبصار عليه بها كأنتك أوثق في نفسك لا كأنتك لا تثق به في تأدية وديعتك إليك.

— وتعلم أنّها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا ، وتدفع عنك النار في الآخرة.

— ثمّ لم تمنّ بها على أحدٍ ، لأنّها لك ، فإذا امتننت بها لم تأمن أن تكون بها مثل تهجين حالك منها إلى مَنْ مننت بها عليه ، لأنّ في ذلك دليلاً على أنّك لم تُرد نفسك بها ، ولو أردت نفسك بها لم تمنّ بها على أحدٍ. ولا قوّة إلا بالله.

[١٣] وأما حقّ الهدى :

— فأَنْ تُخلص بها الإرادة إلى ربّك ، والتعرّض لرحمته وقبوله ، ولا تريد عيون الناظرين دونه ، فإذا كنت كذلك لم تكن متكلفاً ولا متصنعاً ، وكنت إنّما تقصد إلى الله.

[١٤] وأما حقّ عامّة الأفعال :

— واعلم أنّ الله يُراد باليسير ، ولا يُراد بالعسير ، كما أراد بخلقه التيسير ولم يُرد بهم التعسير.

— وكذلك التذلل أولى بك من التدهن ، لأنّ الكلفة والمؤونة في المتدهقنين ، فأما التذلل والتمسك فلا كلفة فيهما ، ولا مؤونة عليهما لأنهما الخلق ، وهما موجودان في الطبيعة. ولا قوّة إلا بالله.



[د] ثم حقوق الأئمة

[١٥] فأما حقّ سائسك بالسُلطان :

— فأن تعلم أنّك جُعِلتَ له فتنَةٌ ، وأتته مُبتلىٌّ فيك بما جعله الله له عليك من السُلطان.

. وأن تُخلص له من النصيحة.

— وأن لا تماحكه ، وقد بُسِطَتْ يَدُه عليك ، فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه.

— وتذلل وتلطّف لإعطاءه من الرضا ما يكفّهُ عنك ولا يضرّ بدينك ، وتستعين عليه في ذلك بالله.

— ولا تعازّه ولا تعانده ، فإنّك إن فعلتَ ذلك عققه ، وعققتَه نفسك ، فعرضتَها لمكروه ، وعرضتَهُ للهلكة فيك ، وكنيت خليقاً أن تكون مُعِيناً له عليه نفسك (وشريكاً له في ما أتى إليك [من سوء] . ولا قوّة إلّا بالله.

[١٦] وأما حقّ سائسك بالعلم :

. فالتعظيم له.

. والتوقير لمجلسه.

. وحسن الاستماع إليه ، والإقبال عليه.

— والمعونة له على نفسك في ما لا غنى بك عنه من العلم ، بأن تفرّغ له عقلك ، وتحضره فهمك ، وتذكّي له قلبك ، وتجلي له بصرك ؛ بترك اللذات ، ونقص الشهوات.



— وأن تعلم أنّك . في ما ألقى إليك . رسوله إلى من لقيك من أهل
الجهل ، فلزمك حسنُ التأديبة عنه إليهم ، ولا تُخنّه في تأديبة رسالته ،
والقيام بها عنه إذا تقلّدها .

. وأن لا ترفع عليه صوتك .

. وأن لا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يُجيب .

. ولا تحدّث في مجلسه أحداً .

. ولا تغتاب عنده أحداً .

. وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء .

. وأن تستر عيوبه .

. وتُظهر مناقبه .

. ولا تُجالس له عدواً .

. ولا تُعادي له ولياً .

فإذا فعلت ذلك شهدت ملائكة الله عزّ وجلّ بأنّك قصدته وتعلّمت علمه لله
جلّ وعزّ اسمه ، لا للناس . ولا حول ولا قوّة إلّا بالله .

[١٧] وأما حقّ سائسك بالملك :

— فنحو من سائسك بالسلطان ، إلّا أنّ هذا يملك ما لا يملكه ذاك
تلزمك طاعته في ما دقّ وجلّ منك إلّا أن تخرجك من وجوب حقّ
الله ، فإن حقّ الله يحول بينك وبين حقّه وحقّ الخلق ، فإذا قضيته
رجعت إلى حقّه فتشاغلت به . ولا قوّة إلّا بالله .



[هـ] ثم حقوق الرعية

[١٨] فأما حقّ رعيّتك بالسُّلطان :

— فأنّ تعلم أنّك إنّما استرعيته بفضل قوّتك عليهم ، فإنّنه إنّما أحلّهم محلّ الرعية لك ضعفهم ، وذلّهم ، فما أولى من كفاكهُ ضعفهُ وذلّه.

— حتّى صيرَه لك رعيّةً ، وصيرَ حكمك عليه نافذاً ، لا يمتنع عنك بعزّة ولا قوّة ، ولا يستنصر في ما تعظمه منك إلّا بالله . بالرحمة والحياطة والأناة !.

. فيجب أن تعدلَ فيهم ، وتكونَ لهم كالوالد الرحيم.

. وتغفر لهم جهلهم.

. ولا تعاجلهم بالعقوبة.

وما أولاك . إذا عرفت ما أعطاك الله من فضل هذه العزّة والقوّة التي قهرت بها . أنّ تكون لله شاكرًا ! وتشكر الله عزّ وجل على ما آتاك من القوّة عليهم ومن شكر الله أعطاه في أنعم عليه . ولا قوّة إلّا بالله.

[١٩] وأما حقّ رعيّتك بالعلم :

فأنّ تعلم أنّ الله جعلك قيماً لهم في ما آتاك من العلم ، وولّاك من خزانة الحكمة.

— فإن أحسنّت في تعليم الناس ما ولّاك الله من ذلك ، ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم ، وقمتَ لهم مقام الخازن الشفيق الناصح لمولاه في عييده ، الصبر المحتسب الذي إذا رأى إذ حاجةٍ أخرج له من الأموال التي في يديه [زادك الله من فضله] كنت راشداً ، وكنتَ لذلك آملاً معتقداً. وإلّا كنتَ له خائناً ، ولخلقه ظالماً ، ولسلبه وغرّه متعرّضاً.



كان حقاً على الله عز وجل أن يسلبك العلم ، وبهائه ، ويسقط من القلوب
محلّك.

[٢٠] وأما حقّ رعيّتك بالملك :

وأما حق رعيّتك بملك النكاح :

. فأن تعلم أنّ الله جعلها سكناً ومستراحاً وأنساً وواقيةً
— وكذلك كلّ واحد منكما يجب أن يحمّد الله على صاحبه ويعلم أنّ
ذلك نعمة منه عليه ووجب أن يُحسن صحبه نعمة الله.
. فتكرمها وترفق بها.

— وإن كان حقّك عليها أوجب وطاعتك لها ألزم في ما أحببت
وكرهت ، ما لم تكن معصيةً فإنّ لها عليك حقّ الرحمة والمؤانسة أن
ترحمها ، لأنها أسيرك.

. وتطعمها ، وتسقيها ، وتكسوها.

. فإذا جهلت عفوت عنها.

— موضع السكون إليها قضاء اللذة التي لا بدّ من قضائها ، وذلك
عظيم. ولا قوّة إلّا بالله.

وأما حقّ رعيّتك بملك اليمين :

— فأن تعلم أنّه خلق ربّك وابن أيبك وأمّك ولحمك ودمك ، وأنك
تملّكّه ، لا أنت صنعته دون الله ، ولا خلقت له سمعاً ولا بصرّاً ، ولا
أجريت له رزقاً ، ولكنّ الله كفّاك ذلك ، ثمّ سخّره لك ، وأتمنّك عليه ،
واستودعك إيّاه لتحفظه فيه ، وتسير فيه بسيرته ، فتطعمه ممّا تأكل ،
وتلبسه ممّا تلبس ، ولا تكلفه ما لا يطيق.



— فَإِنْ كَرِهْتَهُ (خَرَجْتَ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ) اسْتَبَدَلْتَ بِهِ ، وَلَمْ تَعَذِّبْ خَلْقَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

[و] وَأَمَّا حَقُّ الرَّحِمِ

[٢١] فَحَقُّ أُمِّكَ :

— أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا حَمَلَتْكَ حَيْثُ لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ أَحَدًا ، وَأَطْعَمَتْكَ مِنْ ثَمَرَةٍ قَلْبُهَا مَا لَا يُطْعِمُ أَحَدٌ أَحَدًا ، وَأَنَّهُمَا وَقَّتَكَ — (سَمِعَهَا وَبَصَرَهَا وَيَدَهَا وَرِجْلَهَا وَشَعْرَهَا وَبَشَرَهَا) وَجَمِيعَ جَوَارِحِهَا مُسْتَبْشِرَةً بِذَلِكَ فَرِحَةً ، مُوَابِلَةً مُحْتَمِلَةً لِمَا فِيهِ مَكْرُوهُهَا وَأَلَمُهَا وَثَقَلُهَا وَعَمَّهَا ، حَتَّى دَفَعَتْهَا عَنْكَ يَدُ الْقَدَرَةِ ، وَأَخْرَجَتْكَ إِلَى الْأَرْضِ .

— فَفَرَضْتَ أَنْ تَشْبَعَ وَتَجُوعَ هِيَ ، وَتَكْسُوكَ وَتَعْرَى ، وَتَرْوِيكَ وَتَظْمَأَ ، وَتُظَلِّلَكَ وَتَضْحَى ، وَتُنْعِمَكَ بَبُؤْسِهَا ، وَتَلْذُذَكَ بِالنَّوْمِ بِأَرْقِهَا ، وَكَأَنَّ بَطْنُهَا لَكَ وَعَاءٌ ، وَجِجْرُهَا لَكَ حَوَاءٌ ، وَثَدْيُهَا لَكَ سِقَاءٌ ، وَنَفْسُهَا لَكَ وَقَاءٌ تَبَاشِرُ حَرَّ الدُّنْيَا وَبَرْدَهَا لَكَ وَدُونُكَ .

— فَتَشْكُرُهَا عَلَى قَدَرِ ذَلِكَ فَإِنَّكَ لَا تَطِيقُ شُكْرَهَا وَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ .

[٢٢] وَأَمَّا حَقُّ أَبِيكَ :

— فَتَعْلَمُ أَنَّهُ أَصْلُكَ ، وَأَنَّكَ فَرْعُهُ ، وَأَنَّكَ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ ، فَهَمَّا رَأَيْتَ فِي نَفْسِكَ مِمَّا يُعْجِبُكَ فَاعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ أَصْلَ النِّعَةِ عَلَيْكَ فِيهِ .
فَاْحْمَدِ اللَّهَ وَاشْكُرْهُ عَلَى قَدَرِ ذَلِكَ . وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

[٢٣] وَأَمَّا حَقُّ وَلَدِكَ :

فَتَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْكَ ، وَمُضَافٌ إِلَيْكَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ .



— وَأَنْتَكَ مَسْئُولٌ عَمَّا وَلَّيْتَهُ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ ، والدلالة على رَّبِّهِ ،
والمعونة له على طاعته فيكَ وفي نفسه ، فمُثَابٌّ على ذلك ومعاقب .
— فاعمل في أمره عمل مَنْ يَعْلَمُ أَنَّه مُثَابٌّ على الإحسان إليه ، معاقب
على الإساءة إليه المتزَيِّنُ بِحُسْنِ أَثَرِهِ عَلَيْهِ في عاجل الدُّنْيَا المعزِرُ إلى
رَّبِّهِ في مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بِحُسْنِ الْقِيَامِ عَلَيْهِ ، وَالْأَخْذَ لَهُ مِنْهُ . وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ .

[٢٤] وَأَمَّا حَقُّ أَخِيكَ :

— فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّه يَدُكَ الَّتِي تَبْسُطُهَا ، وَظَهْرُكَ الَّذِي تَلْتَجِيءُ إِلَيْهِ ، وَعِزُّكَ
الَّذِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، وَقُوَّتُكَ الَّتِي تَصُولُ بِهَا .
. فَلَا تَتَّخِذْهُ سِلَاحًا عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ .
. وَلَا عُدَّةً لِلظُّلْمِ لَخَلْقِ اللَّهِ .
— وَلَا تَدْعُ نَصْرَتَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَعُونَتَهُ عَلَى عَدُوِّهِ ، وَالْحُؤُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
شَيَاطِينِهِ ، وَتَأْدِيَةَ النَّصِيحَةِ إِلَيْهِ ، وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ فِي اللَّهِ .
— فَإِنْ انْقَادَ لِرَّبِّهِ وَأَحْسَنَ الْإِجَابَةَ لَهُ ، وَإِلَّا فَلْيَكُنِ اللَّهُ آثَرَ عِنْدَكَ وَأَكْرَمَ
عَلَيْكَ مِنْهُ . وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

[ز] حقوق الآخرين

[٢٥] وَأَمَّا حَقُّ الْمَنْعَمِ عَلَيْكَ بِالْوَلَاءِ :

فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّه أَنْفَقَ فِيكَ مَالَهُ ، وَأَخْرَجَكَ مِنْ دُلِّ الرِّقِّ وَوَحْشَتِهِ إِلَى عِزِّ الْحَرِيَّةِ
وَأَنْسَاهَا ، وَأَطْلَقَكَ مِنْ أَسْرِ الْمَلِكَةِ ، وَفَكَ عَنْكَ قَيْدَ الْعُبُودِيَّةِ وَأَوْجَدَكَ رَائِحَةَ الْعِزِّ
وَأَخْرَجَكَ مِنْ سِجْنِ الْقَهْرِ وَدَفَعَ عَنْكَ الْعُسْرَ ، وَبَسَطَ لَكَ لِسَانَ الْإِنْصَافِ ،
وَأَبَاحَكَ الدُّنْيَا كُلَّهَا) فَمَلِّكَكَ نَفْسَكَ ، وَحَلَّ أَسْرَكَ وَفَرَّغَكَ لِعِبَادَةِ رَبِّكَ
وَاحْتَمَلَ بِذَلِكَ التَّقْصِيرَ فِي مَالِهِ .



— فتعلم أنّه أولى الخلق بك (بعد أولي رحمك) في حياتك وموتك ،
وأحقّ الخلق بنصرك (ومعونتك ، ومكانفتك في ذات الله ، فلا تُؤثر
عليه نفسك) ما احتاج إليك.

[٢٦] وأما حقّ مولاك الجارية عليه نعمتك :

— فأن تعلم أنّ الله جعلك حاميه عليه ، وواقيه ، وناصر ، ومعقلاً ،
وجعله لك وسيلة وسبباً بينك وبينه ، فبالحرى أن يحجبك عن النار ،
فيكون ذلك ثوابك منه في الآجل.

— ويحكم لك بميراثه في العاجل . إذغ لم يكن له رَحْمٌ . مكافأة لما
أنفقته من مالك عليه وقمت به من حقّه بعد إنفاق مالك ، فإن لم تقم
بحقّه خيف عليك أن لا يطيب لك ميراثه . ولا قوّة إلّا بالله.

[٢٧] وأما حقّ ذي المعروف عليك :

. فأن تشكره .

. وتذكر معروفه .

. وتنشر له المقالة الحسنة .

— وتُخلص له الدعاء في ما بينك وبين الله سبحانه . فإنك إذا فعلت
ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانيةً .

— ثمّ إن امكنك مكافأته بالفعل كافأته ، وإلّا كنت مُرصداً موطناً
نفسك عليها .

[٢٨] وأما حقّ المؤذن :

— فأن تعلم أنّه مذكرك برّك ، وداعيك إلى حظّك ، وأفضل أعوانك
على قضاء الفريضة التي افترضها الله عليك .
. فتشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك .



— وإن كنتَ في بيتك مهتَمًا لذلك ، لم تكن لله في أمره متَّهمًا ، وعلمت أنه نعمة من الله عليك ، لا شك فيها ، فأحسن صِحة نعمة الله بحمد الله عليها على كل حال . ولا قوَّة إلا بالله .

[٢٩] وأما حقَّ إمامك في صلاتك :

— فأن تعلم أنه قد تقلَّد السفارة في ما بينك وبين الله ، والوفادة إلى ربِّك .

. وتكلَّم عنك ولم تتكلَّم عنه .

. ودعا لك ولم تدعُ له .

. وطُلبَ فيك ولم تُطلبَ فيه .

— وكفأك همَّ المقام بين يدي الله ، والمسألة له فيك ، ولم تكفه ذلك ، فإن كان في شيء من ذلك تقصير كان به دونك ، وإن كان تمامًا كنت شريكه ، وإن كان آثمًا لم تكن شريكه فيه .

— ولم يكن له عليك فضل ، فوقى نفسك بنفسه ، ووقى صلاتك بصلاته .

. فتشكر له على [قدر] ذلك . ولا حول ولا قوَّة إلا بالله .

[٣٠] وأما حقَّ الجليس :

. فأن تُلين له كنفك ، وتطيّب له جانبك .

. وتُنصفه في مجارة اللفظ .

. ولا تُغرق في نزع اللحظ إذا لحظت .

. وتقصد في اللفظ إلى أفهامه إذا لفظت .



— وإن كنت الجليس إليه كنت في القيام عنه بالخيار ، وإن كان الجالس إليك كان بالخيار ، ولا تقوم إلا بإذنه.

. وتنسى زلاته .

. وتحفظ خيبراته .

. ولا تُسمعه إلا خيراً ، ولا قوّة إلا بالله .

[٣١] وأما حقّ الجار :

. فحفظه غالباً .

. وإكرامه شاهداً .

. ونصرته ومعونته في الحالين جميعاً إذا كان مظلوماً .

— ولا تتّبع له عورة ولا تبحث له عن سوءة لتعرفها ، فإن عرفتها منه .

من إرادة منك ولا تكلف كنت . لما علمت حصناً حصيناً وسيراً

ستيراً ، لو بحثت الأستة عنه ضميراً لم تتّصل إليه لانتوائه عليه .

وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته في ما بينك وبينه

. لا تستمع عليه من حيث لا يعلم .

. ولا تسلّمه عند شديدة .

. ولا تحسده عند نعمة .

. وثُقْبِلْ عشرته ، وتغفر زلته ، ولا تدّخر حلمك عنه إذا جهل عليك .

— ولا تخرج أن تكون سلفاً له ، تردّ عنه لسان الشتيمة ، وثُبْطِلْ فيه كَيْدٌ

حامل النصيحة .

. وتعاشره معاشرةً كريمة . ولا حول ولا قوّة إلا بالله .



[٣٢] وأما حقّ الصاحب :

— فأن تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سبيلاً ، وإلا فلا أقلّ من الإنصاف.

— وأن تكرمه كما يكرمك ، ولا يسبقك في ما بينك وبينه إلى مكرمة ، فإن سبقك كافأته.

. وتودّه كما يودّك ، ولا تقصّر به عمّا يستحقّ من المودّة.

. تلزم نفسك نصيحته وحياطته.

. ومعاذته على طاعة ربّه.

. ومعاونته على نفسه في ما لا يهّم به من معصية ربّه.

. ثمّ تكون عليه رحمة ، ولا تكون عليه عذاباً. ولا قوّة إلاّ بالله.

[٣٣] وأما حقّ الشريك :

. فإنّ غاب كفيّته.

. وإن حضر ساويته.

. ولا تعزم على حكمك دون حكمه.

. ولا تعمل برأيك دون مناظرته.

. تحفظ عليه ماله.

— وتنفي عنه خيانتَه في ما عزّز أو هانّ فإنّه بلغنا « أنّ يد الله على

الشريكين ما لم يتخاونا ». ولا قوّة إلاّ بالله.

[٣٤] وأما حقّ المال :

. فأن لا تأخذه إلاّ من حله.



— ولا تُنفقه إلّا في حلّه ولا تحرفه عن مواضعه ، ولا تصرفه عن حقائقه ، ولا تجعله . إذا كان من الله . إلّا إليه ، وسبباً إلى الله .

— ولا تُؤثر به على نفسك مَنْ لا يحمذك وبالحرّي أن لا يُحسن خلافته في تركّيك ، ولا يعمل فيه بطاعة ربّك ، فتكون مُعيناً له على ذلك ، أو بما أحدث في مالك أحسن نظراً ، فيعمل بطاعة ربّه فيذهب بالغنيمة .

— فاعمل فيه بطاعة ربّك ، ولا تبخل به [فتبوء بالإثم والحسرة والندامة مع التبعة . ولا قوّة إلّا بالله .

[٣٥] وأما حقّ الغريم الطالب لك :

— فإن كنتَ موسراً أوفيتّه ، وكفيتّه وأغنيته ، ولم تردّدته وتمطله ، فإنّ رسول الله ﷺ قال : « مطلّ الغنيّ ظلم » .

— وإن كنتَ مُعسراً أرضيتّه بحُسن القول ، وطلبت إليه طلباً جميلاً وردّدته عن نفسك ردّاً لطيفاً .

ولم تجمع عليه ذهاب ماله ، وسوء معاملته ، فإنّ ذلك لؤمّ . ولا قوّة إلّا بالله .

[٣٦] وأما حقّ الخليط :

. فإن لا تعرّه .

. ولا تعشه .

. ولا تكذّبه .

. ولا تغفله .

. ولا تحدعه .

. ولا تعمل في انتفاضة عمل العدو الذي لا يُقي على صاحبه .



— وإن اطمأنَّ إليك استقصيت له على نفسك ، وعلمت : « أنَّ غبن المسترسل ربا » .

. وتتقي الله تبارك وتعالى في أمره . ولا قوَّة إلا بالله .

[٣٧] وأما حقَّ الخصم المدَّعي عليك :

— فإن كان ما يدَّعي عليك حقاً كنت شاهده على نفسك لم تنفسخ في حُجَّتِه ولم تظلمه ، ولم تعمل في إبطال دعوتِه وأوفيتِه حقَّه ، وكنت خصم نفسك له ، والحاكم عليها ، والشاهد له بحقَّه ، دون شهادة الشهود ، فإن ذلك حقَّ الله عليك .

— وإن كان ما يدَّعيه باطلاً رَفَقْتَ به ، وردَّعْتِه وناشدته بدينه ، ولم تأت في أمره غير الرفق ، ولم تُسْخِط رَّبَّكَ في أمره ، وكسرت حدَّته بذكر الله ، بل تبوء بإثمِه ، وبه يشحذ عليك سَيف عداوته ، لأنَّ لفظه السوء تبعث الشرَّ ، والخير مَقْمَعَةٌ للشرِّ . ولا قوَّة إلا بالله .

[٣٨] وأما حقَّ الخصم المدَّعي عليه :

— فإن كان ما تدَّعيه حقاً أجملت في مقاولته بمخرج الدعوى فإنَّ الدعوى غلظة في سمع المدَّعي عليه ، ولم تحجِّد حقه .

— وقصدت قصد حجتك بالرفق ، وأمهل المهلة ، وأبين البيان ، وألطف اللطف .

— ولم تشاغل عن حجتك بمناعته بالقييل والقال ، فتذهب عنك حجتك ، ولا يكون لك في ذلك دَرَكٌ .

وإن كنت مبطلاً في دعواك اتَّقِيتَ الله عزَّ وجلَّ ، وثبَّتَ إليه ، وتركت الدعوى . ولا قوَّة إلا بالله .



[٣٩] وأما حقّ المستشير :

— فإنّ حضرك له وجه رأي ، جهدتَ له في النصيحة ، اشرت عليه (بما تعلم أنّك لو كنت مكانه عملت به.

— وذلك ليكن منك في رحمةٍ ، ولينٍ ، فإنّ اللين يؤنس الوحشة ، وإنّ الغلظ يؤحش موضع الأنس.

— وإن لم يحضرك له رأي ، وعرفتَ له مَنْ تثقُّ برأيه وترضى به لنفسك ، دلّته عليه ، ارشدته إليك فكنت لم تأله خيراً ، ولم تدخره نصحاً. ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

[٤٠] وأما حقّ المُشير عليك :

— أن لا تتهمه في ما لا يوافقك عليه من رأيه إذا أشار عليك فإنّما هي الآراء وتصرّف الناس فيها واختلافهم ، فكن عليه في رأيه بالخيار ، إذا اتّهمت رأيه ، فأما تهمته فلا تجوز لك ، إذا كان عندك ممّن يستحقّ المشاورة.

— ولا تدعْ شكره على ما بدا لك من إشخاص رأيه ، وحسن وجه مشورته.

— فإذا وافقك حمدت الله ، وقبلت ذلك من أخيك بالشكر والإرصاد بالمكافأة في مثلها ، إن فرغ إليك. ولا قوّة الا بالله.

[٤١] وأما حقّ المستنصح :

— فإنّ حقّه أن تؤدّي إليه النصيحة على الحقّ الذي ترى له أنّه يحمل ، وتُخرج المخرج الذي يلين على مسامعه ، وتكلّمه من الكلام بما يُطيقه عقله ، فإنّ لكلّ عقل طبقةً من الكلام يعرفه ويجتنبه.

. وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به. ولا قوّة إلاّ بالله.



[٤٢] وأما حقّ الناصح :

. فان تُلّين له جناحك.

. ثمّ تُشرب له قلبك ، وتفتح له سمعك ، حتّى تفهم عنه نصيحته.

— ثمّ تنظر فيها : فإنّ كانَ وَفَّقَ فيها للصواب حمدت الله على ذلك ، وقبلت منه وعرفت له نصيحته.

— وإن لم يكن وَفَّقَ له فيها رحمته ، ولم تتهمه ، وعلمت أنّه لم يألُك نصيحاً ، إلّا أنّه أخطأ ، ولم تُؤاخذ به بذلك إلّا أن يكونَ عندك مستحقّاً للتهمة ، فلا تعباً بشيءٍ من أمره على كلّ حال . ولا قوّة إلّا بالله.

[٤٣] وأما حقّ الكبير :

. فإن حقّه توقير سيّنه.

. وإجلال إسلامه ، إذا كان من أهل الفضل في الإسلام ، بتقدّمه فيه.

. وترك مقابلاته عند الخصام.

. ولا تسبقه إلى طريق.

. ولا تؤمّه في طريق.

. ولا تستجعله.

— وإن جهل عليك ، تحمّلت ، وأكرمته بحقّ إسلامه ، وحرمته مع سيّنه ، فإنما حقّ السن بقدر الإسلام . ولا قوّة إلّا بالله.

[٤٤] وأما حقّ الصغير :

. فرحمته.

. وتنقيفه وتعليمه.



. والعفو عنه ، والستر عليه.

. والرفق به.

. والمعونة له.

. والستر على جرائمه ، فإنه سبب للتوبة.

. والمداراة له ، وترك مماحكته ، فإن ذلك أدنى لرشده.

[٤٥] وأما حق السائل :

— فإعطاؤه [على قدر حاجته] إذا تيقنت صدقته وقدرت على سدّ

حاجته.

. والدعاء له في ما نزل به.

. والمعاونة له على طلبته.

— وإن شككت في صدقة ، وسبقت إليه التهمة له ، ولم تعزم على

ذلك ، لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان ، أراد أن يصدك عن

حظك ، ويحول بينك وبين التقرب إلى ربك ، فتركته بستره ، ورددته

رداً جميلاً.

— وإن غلبت نفسك في أمره ، وأعطيته على ما عرض في نفسك منه ،

فإن ذلك من عزم الأمور.

[٤٦] وأما حق المسؤول :

. إن أعطى قبل منه (ما أعطى) بالشكر له ، والمعرفة لفضله.

. وطلب وجه العذر في منعه.

. وأحسن به الظن.



— واعلم أنه إن منَعَ فماله منَعَ ، وأن ليس التَّشْرِيبُ في ماله ، وإن كان ظالماً ، فإنَّ الإنسانَ لظَلُومٌ كَقَارٍ .

[٤٧] وأما حقٌّ من سرِّكَ اللهُ به وعلى يديه :

— فإن كان تعمَّدها لك : حمدت الله أولاً ، ثمَّ شكرتُه على ذلك بقدره ، في موضع الجزاء .

. وكافأته على فضل الابتداء ، وأرصدت له المكافأة .

— وإن لم يكن تعمَّدها : حمدت الله وشكرته ، وعلمت أنه منه ، توخَّذك بها .

. وأحببت هذا إذ كان سبباً من أسباب نِعَمِ الله عليك .

— وترجو له بعد ذلك خيراً ، فإنَّ أسباب النِّعمِ بركةٌ حيثُما كانت ، وإن كان لم يتعمَّد . ولا قوَّةٌ إلَّا بالله .

[٤٨] وأما حقٌّ من ساءك (القضاء على يديهِ بقولٍ أو فعلٍ) :

— فإن كان تعمَّدها كان العفو أولى بك (لما فيه له من القمَع ، وحُسن الأدب مع كثير أمثاله من الخلق) .

— [وإن علمت أنَّ العفو عنه يضُرُّ ، انتصرت] فإنَّ الله يقول : (وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ) على قوله : (مِن عَزْمِ الْأُمُورِ) وقال عزَّ وجلَّ : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) هذا في العمد .

— فإن لم يكن عمداً ، لم تظلمه بتعمُّد الانتصار منه ، فتكون قد كافأته في تعمُّد على خطأ .

. ورفقت به ، ورددته بالطفِّ ما تقدِّر عليه . ولا قوَّةٌ إلَّا بالله .



[٤٩] وَأَمَّا حَقُّ أَهْلِ مِلَّتِكَ (عَامَّةً) :

. فإضمار السلامة.

. ونشر جناح الرحمة بهم.

. والرفق بمسيئتهم.

. وتألّفهم.

. واستصلاحهم.

— وشكر محسنهم إلى نفسه ، وإليك ، فإنّ إحسانه إلى نفسه إحسانٌ

إليك ، إذا كفّ أذاه ، وكفّك مؤثنته ، وحبس عنك نفسه.

. فَعَمَّهم . جميعاً . بدعوتك .

. وانصرهم . جميعاً . بنصرتك .

. وكفّ الأذى عنهم .

. وتُحِبُّ لهم ما تُحِبُّ لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك .

— وأنزّلهم . جميعاً . منك منازلهم : كيّيرهم لمنزلة الوالد ، وصغيرهم

بمنزلة الولد ، وأوسطهم بمنزلة الأخ ، وعجائزهم بمنزلة أمك .

. فَمَنْ أتاكَ تعاهدته بلُطفٍ ورحمةٍ .

. وصلّ أخاك بما يجبُ للأخ على أخيه .

[٥٠] وَأَمَّا حَقُّ أَهْلِ الذِّمَّةِ :

. فالحكم فيهم أن تقبل منهم ما قبل الله .

. وتفي بما جعل لهم من ذمّته وعهده .

. وتكلّمهم إليه في ما طلبوا من أنفسهم ، وأجبروا عليه .



— وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك ، في ما جرى بينك وبينهم من معاملة.

— ولا تظلمهم ما وفوا لله عز وجلّ بعهدده ، وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله ، والوفاء بعهدده وعهد رسول الله ﷺ حائلٌ فإنّنه بلغنا أنّه قال : « مَنْ ظَلَمَ معاهداً كُنْتُ خصمه » فاتّق الله. ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

فهذه خمسون حقاً محيطاً بك ، لا تخرج منها في حال من الأحوال ، يجب عليك رعايتها ، والعمل في تأديتها ، والاستعانة بالله جلّ ثناؤه على ذلك. ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

والحمد لله ربّ العالمين وصلواته على خير خلقه محمّد وآله أجمعين وسلّم تسليمًا.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الجزء السابع

الامام محمد بن علي
الباقر ؑ





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الأهداء

الى الامام ابي جعفر
محمد بن علي الباقر
باقر العلم .. ورائد الحلم.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

إضاءة

يمثل الإمام محمد الباقر عليه السلام مدرسة فكرية وأخلاقية في حياة المسلمين ، لما تنحصر به هذه المدرسة بالعطاء الثمر على مستوى بناء الفرد والمجتمع ، وتعدّ مرحلته عليه السلام مرحلة تاريخية مهمة وخطيرة في حركة مدرسة أهل البيت عليه السلام حيث كان له الدور الأكبر في إرساء قواعد الجامعة الإسلامية الكبرى في حياة الأمة الإسلامية ، تلك الجامعة التي كانت وما زالت مصدر الإشعاع الفكري والروحي في تاريخ الإسلام والمسلمين ، ومن خلالها انطلقت الأفكار الأصلية والمشاريع البناء في مواجهة التحديات العقائدية والاجتماعية والسياسية التي تهدد العقل الإسلامي ، والكيان الفكري ، والسياسي للأمة بالتشويه والمسح والتحريف ، وعلى الصعيد الداخلي للدولة الإسلامية.

فقد عاش الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام مرحلة الصراعات السياسية للخطوط المختلفة في اتجاهات الحكم والسياسة ، كما واجه القلق الثقافي والاضطرابات العقائدية للمدرسة الكلامية والتيارات الفقهية التي عاصرها.

فكان عليه السلام قطب الرحى للأمة والملاذ الآمن للعلماء ، وطلاب الحقيقة ، فقد تخرج على يديه مئات العلماء في مختلف صنوف المعرفة ، ونهل من علومه آلاف الرواة والمحدثين يحملون فكره وهديه وأخلاقه ما ينير لهم الطريق في الحياة الفكرية والاجتماعية.

و « مؤسسة دار الإسلام » إذ تقدم الإمام الباقر عليه السلام ضمن ملحمة « قوافل النور » المباركة في سيرة النبي وأهل بيته عليه السلام . لتشعر بالفخر والشرف أن تكون هذه الملحمة قد ساهمت في رسم حروفها ملامح الشخصية الفذة ، والحياة الخالدة للإمام الباقر عليه السلام ، فحياته تعبق بشذى العلم والطيب ، وتنحصر بالهدى والمكرمات.

فهو الإمام الذي بقر العلم ، وتوسع في مغازيه وآفاقه. فسلام على امامنا أبي جعفر الباقر عليه السلام وعلى ابائه الطاهرين عليه السلام وابنائهم الميامين ورحمة الله وبركاته.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

المولد المبارك

في دارة السجّاد حلّ نور
قد وُلِدَ الباقرُ فهو بُشْرَى
طلعتُها أضواءُ المدينة
فأُمُّه فاطمة بنتُ الحسن
أول مولودٍ لآلِ هاشم
في رجبٍ قد وُلِدَ الإمام
قد ضمُّه الحسينُ في أحضانه
لقبُّه بالباقرِ النبي
يَقْرُ علم الأولين بقرا
وعَمَّتِ الفرحةُ والسُرورُ
تَمْسُحُ أتعابَ القلوبِ الحيرى
بالبشرِ والآمالِ والسكرينه
صدّيقة طاهرة من الدرن
من علويين من الأكرام
فاستبشّر النبي والإسلام
يسقيه كأسُ الحُبِّ من حنانه
وقد نماه للعلى « علي »
ويغتدي للظامئين بحرا^(١)

(١) وُلِدَ الإمام محمد الباقر عليه السلام في يوم الجمعة في غرة شهر رجب الحرام عام ٥٧ هـ أي قبل استشهاد جدّه الإمام الحسين عليه السلام بثلاث سنوات كما في « وفيات الأعيان ».

وهو الإمام الخامس من أئمة أهل البيت عليه السلام الذين نصّ عليهم رسول الله ﷺ ليخلفوه في قيادة الأئمة الإسلامية ، ومن الذين شملهم حديث الثقلين المتواتر : إني مخلص فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتكم بما لن تضلّوا بعدي أبداً.

وقد ولد من أبوين علويين طاهرين زكيين واجتمعت فيه خصال جدّه السبط الحسن وجدّه سيّد الشهداء الحسين عليه السلام ، فأبوه سيّد الساجدين وزين العابدين وسراج الدين والدنيا الإمام علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.

➞





وأُمّه السيّدة الزكيّة الطاهرة فاطمة بنت الإمام الحسن سيّد شباب أهل الجنّة وتكفّى أمّ عبد الله ، وكانت من سيّدات نساء بني هاشم ، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يسمّيها الصّدّيقة ، ويقول فيها الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام : كانت صديقة لم تدرك من آل الحسن مثلها.

لقد كان الإمام الباقر عليه السلام بشارة النبي حيث حدّث عنه قبل ولادته ، وكان أهل البيت عليه السلام ينتظرونه بفارغ الصبر ، وقد أجريت له فور ولادته مراسيم الولادة كالإقامة ، في أذنية وحلق رأسه والتصدق بزنة شعره فضّة على المساكين ، والعقّ ، عنه بكبش والتصدق به على الفقراء. وسمّاه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله بمحمد ولقّبه بالباقر قبل أن يولد بعشرات السنين وكان ذلك من أعلام نبوّته ، وقد استشف من وراء الغيب ما يقوم به سبطه من نشر العلم والمعرفة وحماية الدين من التحريف وتربية العلماء والمحدثين.



مشاهد كربلاء

لم يبلغ الباقر سنَّ الثالثه	إلا وقد شاهد أقسى حادثه
في كربلاء عانى من الأهوال	في محنة النساء والأطفال
رأى الحسين جده صريعاً	مقطّعاً على الثرى تقطيعاً
رأى الخيام أصبحت زمامدا	رأى الخيول تطحن الأجسادا
رأى النساء في البراري حيرى	رأى العيون بالدموع عبرى
رأى السماء امتلأت دُخاناً	رأى الرجال ترفع السناناً
وفوقه رأس ابن بنت المصطفى	وسيد المنتجبين الشُّرفا
رأى السبابا في دروب الشام	أسيرة لزمرة اللئام
رأى الشياطين تلهب الظهورا	رأى القيود تُثقل النحورا
فظل قلبه لها حزينا	يمزج في لوعته الأنينا
مشاهد ما فارقت عينيه	فقد تراءت دائماً إليه
يذكرها فتشط الدموع	سحينة يغمرها الخشوع ^(١)



(١) لقد عاش الإمام الباقر عليه السلام منذ طفولته حادثه كربلاء ومصرع جده الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابهم بكل ما في تلك الحادثة من مشاهد مؤلمة وصور لا تغيب عن الذاكرة .. وقد حمل مأسوراً الى الكوفة والشام وكان مع السببا أهل البيت عليه السلام فشاركهم المحن والمصائب الأليمة التي تصدّع لها القلوب ، فبقيت تلك الصور والمشاهد مختزنة في قلبه بالحزن فتفيض عيناه بالدموع والثأر والإصرار على حمل مشعل الثورة والدفاع عن مبادئها وأهدافها المقدسة.



حديث جابر بن عبد الله الأنصاري

لكنَّه يُفرحُه أن يسمعا
يُحبُّ أصحابَ النبي جدّه
قد نقلوا له سلاماً منه
فقد روى « جابرُ الأنصاري »
بأن ستُدرَكُ الفتى « محمدا »
فأقرأه مني الحبَّ والسلاما
فجاء جابرُ إلى السجّادِ
يحملُ أجزاءً من القرآنِ
عاد لأهله مع الصغارِ
مقبلاً لرأسه وصدره
قال له : لك السلامُ العطرُ
من جدِّك المبعوث بالكتابِ
أجابهُ لجدِّي السلامُ
ثم عليك أيُّها المبحرُ
فردَّ جابرٌ لي الشفاعة
فابتسم الإمامُ بالقبولِ

تلاوة القرآن أو صوت الدعا
لأنَّه وارثُ من بعده
ونقلوا بعض الصفات عنه
ذلك عن نبيِّنا المختارِ
الباقِر المؤيَّد المسددا
فهو إمامٌ يحفظ الإسلاما
ونحلُّ الغَضِّ مع الأولادِ
فاق بها بقيَّة الأقرانِ
فضمَّه جابرُ الأنصاري
يشمُّ عطرَ أحمدٍ في نحره
يا أيُّها الباقِر والمفتخرُ
وسيد الأشراف والأطيابِ
مَيَّ يا جابرُ والاكرامُ
تحيَّة فيها ثنا متصلُ
تضمُّنها بعد قيام الساعه
وقد أجاب صاحب الرسول (١)

(١) لقد ورد حديث الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري بعدة طرق وصيغ





متنوعة وكلها تتفق على مضمون واحد ، فقد جاء كما في الإرشاد للشيخ المفيد عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال : دخلت على جابر بن عبد الله فسلمت عليه فرد علي السلام قال لي : من أنت ؟. ذلك بعد ما كُفَّ بصره.

فقلت : محمد بن علي بن الحسين.

قال : يا بُني ! أدنُ مني . فدنوت منه ، فقبل يدي.

ثم قال لي : رسول الله يُقرئك السلام.

فقلت : وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته ، فكيف ذاك يا جابر ؟.

فقال : كنت ذات يوم ، فقال لي : يا جابر ! لعلك تبقى حتى تلقى رجلاً من ولدي يقال

له : محمد بن علي بن الحسين يهب الله له النور والحكمة فأقرئته مني السلام.

وفي أبيات الملحمة تفصيل وتصوير لرواية أخرى اعتمدها الشاعر في نظم قصة لقاء جابر مع الإمام الباقر عليه السلام.



أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ

ونقل الرواة من أسمائه	ما يُجْجَلُ الفرقَدَ في سمائه
فهو الأمينُ الشاهدُ الصبورُ	وهو الشبيه الباقِرُ الشكورُ
معتدلُ القامةِ في جمال	وأسمَرُ مـورَدُ بخال
له وقارٌ في الوری ورهبه	تضطربُ القلوبُ منه هيبة ^(١)



(١) لقب الإمام الباقر عليه السلام بـ «عَدَّة ألقاب» وهي تدل ملامح شخصيته العظيمة وهي : الأمين ، الشاكر ، الشبيه ؛ لأنَّه كان يشبه جدَّه رسول الله ﷺ. الصابر ، الشاهد ، الباقر ؛ وهذا من أكثر ألقابه اشتهاً وانتشاراً ، وقد لقب هو وولده الإمام جعفر الصادق بـ « الباقرين » كما لقب بـ « الصادقين » من باب التغليب ، وكنيته « أبو جعفر » ولا كنية له غيرها.

وقد وصفه معاصروه بأن شمائله كشماثل رسول الله ﷺ وأنَّه كان معتدل القامة أسمى اللون ، رقيق البشرة ، له خال ، ضامر الكشح ، حسن الصوت ، مطرق الرأس.

قال عبد الله بن عطاء المكي كما في الارشاد للشيخ المفيد والبحار للمجلسي : ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام ولقد رأيت الحكم بن عتيبة مع جلالته في القوم بين يديه كأنَّه صبي بين يدي معلِّمة.

وقال ابن العماد الحنبلي : أبو جعفر محمد الباقر كان من فقهاء أهل المدينة ، وقيل له الباقر لأنَّه بقر العلم أي شقَّه وعرف أصله وتوسع فيه ..



حديث قتادة

العالمُ المفسّرُ الوجيهُ	فقد روى « قتادة » الفقيه
لم يرتعب خوفاً لديهم قلبي	قال : جلسْتُ عند جُلّ الصّحبِ
أصبح قلبي من ضلوعي طائرا	لكنّما حينَ رأيتُ الباقرَ
فليسَ مَنْ يسمَعُ كالعيانِ	هيئُتهُ قد مالأت كياني
ونبعُتهُ أصفى من الصفاءِ	يحملُ علمَ الأرضِ والسّماءِ
لأربعينَ سنّةً من عُمره	مُؤازراً والِدَهُ في أُمّره
مقتدياً بالهَدي والسّدادِ ^(١)	يعجبُ من عبادةِ السّجّادِ



(١) قال قتادة بن دعامة البصري للإمام الباقر عليه السلام يوماً كما في كتاب في رجاب أهل البيت عليه السلام : لقد جلسْتُ بين يدي الفقهاء وقدّام ابن عباس ، فما اضطرب قلبي قدّام أحدٍ منهم ما اضطرب قدّامك.

وقال له عبد الله بن معمر الليثي كما في كشف الغمة : ما أحسب صدوركم إلا منابت أشجار العلم فصار لكم ثمرة وللناس ورقة.



النص على إمامته

أوصى له السجّاد بالإمامه	معرفاً لصحبه مقامه
فهو إمام المسلمين بعده	وهو الذي ينفذ فيهم عهده
وصيّة عن النبي الأكرم	إلى الإمام الباقر المعظّم
حتى إذا رحل السجّاد	وانهار من أهل العبا العماد
قام الإمام باقر العلوم	بدوره الكبير والعظيم
متبعاً سنة من قد رحلا	من سلف كانوا أئمة الملا ^(١)



(١) إنّ النص من قبل الإمام السجّاد عليه السلام على إمامة ولده الإمام الباقر عليه السلام تعتبر في الحقيقة توكيداً للنصوص الثابتة عن النبي الأكرم عليه السلام في إمامة أهل البيت عليه السلام التي تؤكد بطبيعتها على أنّ الإمامة في إثني عشر نقيباً كنقباء بني إسرائيل كلّهم من قريش.

ومن تلك النصوص ، النص الذي رواه جابر بن عبد الله الأنصاري وقد جاء فيه : فقال : يا رسول الله ! ومن الأئمة من ولد علي ابن أبي طالب ؟ قال : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة ، ثم سيّد العابدين في زمانه علي بن الحسين ، ثم الباقر محمد بن علي وستدركه يا جابر ، فإذا أدركته فأقرئه منّي السلام. كفاية الأثر ١٤٤ . ١٤٥ .

كما إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام كان يوجه الأنظار دائماً إلى إمامة ابنه الباقر عليه السلام ويستثمر الفرص والمناسبات لإعلانها أمام أبنائه وخاصته وتلامذته وثقاته من أجل أن يعمّق في وجدانهم حقيقة الإمامة المتمثلة بالإمام الباقر باعتباره الشخصية التي تجسد العمق والامتداد في مسيرة أهل البيت عليه السلام .



الدور العلمي للإمام الباقر عليه السلام

يَنْشُرُ عِلْمَ الشَّرْعِ الْغَرَّاءِ
فَحَلَقَاتُ مَسْجِدِ النَّبِيِّ
خَاضَ جَمِيعَ أَبْجَرِ الْمَعَارِفِ
فَالْفَقْهُ وَالْكَلَامُ وَالتَّفْسِيرُ
وَالْجَنْفُ وَالْجَامِعَةُ الْكُبْرَى
مِنْهُلُ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثُ
يُرْوَى عَنْ الصَّحَابَةِ الْكِبَارِ
فَاتَسَمَّعَتْ دَائِرَةُ الْعُلُومِ
وَحَدَّثَتِ الرُّوَاةُ فِي الْأَمْصَارِ
وَرَدَّ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالزَّنَادِقَةِ
وَقَدْ صَفَا التَّوْحِيدُ فِي زَمَانِهِ
حَتَّى غَدَتِ مَدْرَسَةً حَيَاتِيَّةً
مُؤَسَّسَةً جَامِعَةً لِلدِّينِ

فِي خُلُقٍ يُنْمِي لِلْأَنْبِيَاءِ
تَشْهَدُ بِالْفَضْلِ إِلَى الْوَصِيِّ
وَحَوْلَهُ مَخْتَلَفُ الطَّوَائِفِ
وَالْهَدْيُ وَالْأَخْلَاقُ وَالتَّعْبِيرُ
وَمَا حَوَتْ أَسْرَارُهَا الْخَطِيرَ
وَالْعَقْلُ وَالسِّيَرَةُ وَالْمَوْرُوثُ
عَنِ النَّبِيِّ الْمَصْطَفَى الْمُخْتَارِ
عَلَى يَدَيِ بَاقِرِهَا الْعَظِيمِ
عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
وَحَاجَجِ الْخَصُومِ وَالْمَنَاطِقِ
مَذْشُودِ الْبَاقِرِ مِنْ أَرْكَانِهِ
وَمَلَأَتْ كُلَّ الدُّنْيَا زُؤَانَهُ
وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ فِي يَقِينٍ^(١)

(١) يتمثل دور الإمام الباقر العلمي في التركيز على نشر علوم الشريعة ورد الشبهات والمقولات والعقائد الباطلة التي تحاول أن تشوش أفكار المسلمين ، وتضعف أركانهم وتمسح





شخصيتهم ، فلقد كان المشروع الأموي في زمانه يتمثل في إشاعة الجهل والتحريف الفكري في حياة الأمة ، فكان دور الباقر عليه السلام هو تعطيل هذا المشروع الظالم وحماية الفكر والوعي الاسلامي من الخطط المبرمجة التي تشوه الاسلام ، وتزور مفاهيمه وأحكامه ... فاتخذ عليه السلام من المسجد النبوي الشريف منطلقاً لمدرسته الفكرية فتحلّق حوله العلماء والفقهاء والفلاسفة ينهلون من نعيم علمه الصافي ، فحدّث في التفسير والحديث والفقه ودّرس في الفلسفة والكلام والفلك ، وردّ على الزنادقة والملاحدة بدليل العقل والنقل وبأسلوب أخلاقي حكيم ومؤثر ، وهكذا أصبح قطب الرحى للفكر الاسلامي ومدار الحكمة والعلم للعلماء والفقهاء وطالّب الحقيقة. حتى أننا نستطيع أن نقول أنّ حياة الإمام الباقر عليه السلام كانت مدرسة ثرة العطاء الخالدة في تاريخ الأمة الاسلامية وحركتها الفكرية والسياسية ، وما علم الجفر وهو : الكتب والعلوم الخاصة بأهل البيت عليه السلام المدونة على جلد العنز وعلم الجامعة الذي ورثوه من آبائهم إلا نماذج علمية لضخامة دور الإمام الباقر وغزير عطائه الثقافي في حياة الأمة الاسلامية.



رعايته للفقراء والمساكين

يُخَنُّو عَلَى الْمَسْكِينِ وَالْفَقِيرِ	فَهُوَ لَهُمْ أَكْبَرُ مِنْ نَصِيرِ
يُحَرِّرُ الْعَبْدَ كُلَّ عَامٍ	بِالْحُبِّ وَالرَّقَّةِ وَالسَّلَامِ
فَمَا لَهُ لِلْفَقَرَاءِ صَدَقَهُ	نَعْمَتُهُ بِكَفِّهِمْ مِنْدَقَهُ
فَكَمْ كَسَى الدِّيَاجَ مِنْ مَسْكِينِ	وَكَمْ رَثَى لِبَائِسٍ حَزِينِ
كَمْ أَشْبَعَ الْجِيَاعَ فِي الْمَدِينَةِ	وَكَمْ رَعَى كَسِيرَةً مَسْكِينَهُ (١)



(١) الكرم والسخاء من مكارم الأخلاق التي عرف بها أهل البيت عليهم السلام وكان الإمام الباقر عليه السلام يَخَنُّو عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ويرفع من شأنهم ، ويقول المؤرخون كما في عيون الأخبار للصدوق ، والبيان والتبيين للجاحظ أنه عهد لأهله إذا قصدهم سائل أن لا يقولوا له : يا سائل خذ هذا ، وإنما يقولون له : يا عبد الله ! بورك فيك ، وقال : سمّوهم بأحسن أسمائهم ، وكان أحب شيء إلى الإمام عليه السلام في هذه الدنيا صلته لإخوانه ، فكان لا يمل من صلتهم وصلة قاصديه وراجيه ومؤمليه .

وكان كثير البرّ والمعروف على فقراء المدينة وكان يتصدق عليهم في كل يوم جمعة بدينار ويقول : الصدقة يوم الجمعة تضاعف على غيره من الأيام .

وذكر المؤرخون : إنه كان أقلّ أهل بيته مالاً وأعظمهم مؤونة ومع ذلك كان يجود بما عنده لانعاش الفقراء والمحرومين .

فقد روت مولاته سلمى فقالت : كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيّب ، ويلبسهم الثياب الحسنة ، ويهب لهم الدراهم ، وقد عدلته سلمى عن ذلك ، فقال لها : يا سلمى ! ما يؤمل في الدنيا بعد المعارف والإخوان ، وكان يقول : ما حسنت الدنيا إلّا صلة الإخوان والمعارف .



إحياء مجالس الحسين ❦

وَيَنْصَبُ الْمَجْلِسَ لِلْعَزَائِ	يُجِيبِي مَآسِي الطِفِّ فِي بَكَاءِ
وَلتَحْفَظُوا بِيَعْتَنَا وَسِرَّنا	يَقُولُ لِلأُمَّةِ أَحْيُوا أَمْرَنَا
قَدْ أَصْبَحَتْ لِنَهْجِنَا مَدَارِسَا	وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْمَجَالِسَا
وَتَرْسُمُ الْبَقَاءَ وَالْخُلُودَا	تُعَلِّمُ الثَّوْرَةَ وَالصُّمُودَا
وثلَّةٌ قَدْ دَمِيتْ نَحْوُهَا	دُمُ الْحُسَيْنِ زَيْتُهَا وَنُورُهَا
عَلَى الْمَدَى لثَّأْرُهُ تَنَادِي	فَفِي الْحُسَيْنِ رَايَةُ الْجِهَادِ
مَجْبُولَةٌ بِالْخَيْرِ وَالْحَبِّهِ	وَهَكَذَا رَاحَ يَصُوغُ عَصَبَهُ
وَالصَّدَقِ وَالْإِيثَارِ وَالْعَطَاءِ	كَانُوا لَهُ كَنْزاً مِنَ الْوَفَاءِ
فَهُمْ لَدَى الأُمَّةِ كَانُوا الْقَادَةَ (١)	قَدْ عُرِفُوا بِالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ

(١) لقد اهتمَّ الأئمة الأطهار بعد الإمام الحسين ❦ بإحياء ذكرى عاشوراء اهتماماً خاصاً .. لأن واقعة كربلاء تمثل الحدث الأهم في تاريخ الاسلام وحياة الأئمة ، حيث حققت هدفين كبيرين :

الأول : بعث الروح النضالية في حياة الأئمة وتفادي سقوطها في اليأس والقنوط .. فكانت ثورة الحسين الأمل المشرق الذي رسم ملامح المستقبل بعد عقود العذاب والخذل والمعاناة تحت وطأة الحُكَّام الأمويين.





الثاني : كشف ستار الشرعية المزيفة التي يتسترُ بها الحُكّام على جرائمهم وفجورهم في حياة الناس. فقد بدأت تتصدع أركان الدولة الظالمة شيئاً فشيئاً عبر الثورات المتلاحقة التي اتخذت من الحسين مشعلاً يضيء لها الطريق.

وكان للإمام الباقر عليه السلام الدور المتميز في ربط الناس بثورة الحسين عبر إحياء مجالس الذكرى بنفسه وإقامة العزاء على شهداء الطف في منزله وعبر الزمن تحولت هذه إلى مدارس للتوجيه والتعبئة الفكرية والسياسية والتربوية في حياة الفرد والأمة وإلى يومنا هذا.

وقد تجسدت الشعائر الحسينية في سيرة أهل البيت عليه السلام كما في بحار الأنوار وغيره من المصادر بما يلي :

١ . اظهار الحزن واقامة مجالس العزاء والبكاء على قتلى يوم الطف في كربلاء فكان الإمام الباقر عليه السلام يقول : مَنْ ذرفت عيناه على مصاب الحسين ولو مثل البعوضة غفر الله ذنوبه.

٢ . الزيارة : حث الإمام الباقر عليه السلام على زيارة قبر جدّه الإمام الحسين عليه السلام لتعميق الارتباط به فكراً ومنهجاً واستلهم روح الثورة ومعاهده على الاستمرار على منهجه فإن الزيارة تعني الحبّ والوفاء والعهد والبيعة على التضحية من أجل الأهداف المقدّسة. وكان يقول عليه السلام : مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي وزيارته مفروضة على من أقرّ للحسين بالإمامة.

٣ . نظم الشعر وانشاده في ذكرى الحسين ورثاء الشهداء الذين بذلوا مهجهم دون الحسين في كربلاء.



أزمة النقد في الدولة الإسلامية

ما ظهرت مشكلَةٌ في الأمّة
إلاّ وكان الباقر الطيّب
بعلمه بات يحلّ العقدا
وحين حلت أزمة « النقود »
أعني به المشؤوم عبد الملك
مذ هدد الروم بشتم المصطفى
فحارّ عبدُ الملك المشؤوم
ولم يجد بداً من الإذعان
فأرسل الرسول نحو يثرب
فسوف تشهد الإمام الباقر
بيّن له محتنتنا الكبيّره
وشدّ رحله لأرض الشام
فحلّ في دمشق نجلاً المصطفى
وحين راح يسردّ الحكايه
فابتسم الإمام ثم قال
فالأمّر لم يبلغ مداه حدّا
وأصّحت على العباد عُمه
لكلّ ملهوف غدا مجيّا
مستشرفاً بنور عقله الغدا
في زمن الخليفة الرعديّ
وهو ابن مروان طريد السكك
ونقش ذاك في النقود سرفا
بما ستفعل العتاه الروم
لباقر العلم الإمام الحاني
وقال إن جئت إلى دار النبي
ومن بعلمه يُعين الحائرا
وما بنا من أزمة خطيره
فهو دعامة إلى الإسلام
حيث ابن مروان بركبه احتفى
ولم تكن فيها له درايه
هوّن فلن يُسلمنا تعالى
فابدأ وسكّ بالشام النقدا



واضرب دراهماً بذكر الهادي	وسورة التوحيد للعباد
وامنعهم عن سكة الغريب	وعملية التليث والصليب
فعجب الناس من الإمام	وقيل: هذا رائد الإسلام
وانتهت المعضلة المخيفه	واغتم في أحقاد الخليفه
ورجع الإمام للمدينه	من بعد حل أزمة لعينه
كادت بأن تُدي بالاسلام	لولا بيان حكمة الإمام ^(١)

(١) كان للإمام الباقر عليه السلام الدور الأكبر في مواجهة التحديات الصعبة التي تواجه الأمة ، فهو الملاذ الذي يلجأ إليه المسلمون في المواقف الصعبة.

وكانت مشكلة النقد الاسلامي في عصره من أخطر المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي واجهت الدولة الاسلامية في عصره ، فقام الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام بأعظم خدمة للأمة الاسلامية عبر الزمن ، فقد حرّر النقد من التبعية للامبراطورية الرومية ، حين كان النقد يُصنع هناك ويحمل شعار الروم النصارى ، وقد جعله الإمام مستقلاً بنفسه ، يحمل الشعار الاسلامي ، وقطع الصلة بينه وبين الروم المسيحيين.

أما قصة ذلك كما جاء في كتاب الإمام الباقر عليه السلام من موسوعة أعلام الهداية الصادر عن المجمع العالمي لأهل البيت ، فهي أن عبد الملك بن مروان نظّر إلى قسطاس قد طرز بمصر فأمر بترجمته إلى العربية ، فترجم له ، وكتب عليه الشعار المسيحي « الأب والابن والروح » فأنكر ذلك ، وكتب إلى عامله على مصر عبد العزيز بن مروان بإبطال ذلك وأن يحمل المطرزين للثياب والقراطيس وغيرها على أن يطرزها بشعار التوحيد ، ويكتبوا عليها « شهد الله أنه لا إله إلا هو » وكتب إلى عمّاله في جميع الآفاق بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده شيء بعد هذا النهي.

وقام المطرزون بكتابة ذلك ، فانتشرت في الآفاق وحملت إلى الروم ، ولما علم ملك الروم بذلك انتفخت أوداجه ، واستشاط غيظاً وغضباً وكتب إلى عبد الملك أن عمل القراطيس بمصر ، وسائر ما يطرز إنما يطرز بطراز الروم إلى أن أبطلته ، فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت ، وإن كنت قد أصبت فقد أخطأوا. فاختار من هاتين الحالتين أيهما شئت وأحببت ، وقد بعثت إليك بهدية تشبه محلك ، وأحببت أن تجعل رد

➡





ذلك الطراز إلى ما كان عليه في جميع ما كان يطرز من أصناف من أصناف الأعلاق حالة أشكرك عليها وتأمّر بقبض الهدية.

ولما قرأ عبد الملك الرسالة أعلم الرسول أنّه لا جواب له عنده ، كما ردّ الهدية ، وقفل الرسول راجعاً إلى ملك الروم فأخبره الخبر ، فضاعف الهدية وكتب إليه ثانياً يطلب باعادة ما نسخته من الشعار ، ولما انتهى الرسول إلى عبد الملك ردّه مع هديته ، وظل مصمماً على فكرته ، فمضى الرسول إلى ملك الروم وعرفه بالأمر ، فكتب إلى عبد الملك يتهدده ويتوعده ، وقد جاء في رسالته : إنّك قد استخففت بجوابي وهديتي ، ولم تسعفني بحاجتي فتوهمتك استقلت الهدية فاضعفتها ، فجريت على سبيلك الأول وقد أضعفتها ثالثة ، وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن برّد الطراز إلى ما كان عليه أو لأمرن بنقش الدنانير والدراهم ، ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام ، فينقش عليها شتم نيّك ، فإذا قرأته ارفضّ جبينك عرقاً ، فأحب أن تقبل هديتي ، وتردّ الطراز إلى ما كان عليه ، ويكون فعل ذلك هدية تودني بها ، وتبقى الحال بيني وبينك.

ولما قرأ عبد الملك كتابه ضاقت عليه الأرض ، وحرار كيف يصنع ، وراح يقول : أحسبني أشأم مولود في الإسلام ، لأني جنيت على رسول الله ﷺ من شتم هذا الكافر ، وسيبقى عليّ هذا العار إلى آخر الدنيا فإنّ النقد الذي توعدني به ملك الروم إذا طبع سوف يتناول في جميع أنحاء العالم.

وجمع عبد الملك الناس ، وعرض عليهم الأمر فلم يجد عند أحد رأياً حاسماً ، وأشار عليه روح بن زبياع ، فقال له : إنّك لتعلم المخرج من هذا الأمر ، ولكنك تتعمد تركه ، فأنكر عليه عبد الملك وقال له : ويحك ! من ؟. فقال له : عليك بالباقر من أهل بيت النبي ﷺ فأذعن عبد الملك ، وصدقه على رأيه ، وعرفه أنّه غاب عليه الأمر ، وكتب من فوره إلى عامله على يثرب يأمره بإشخاص الإمام وأن يقوم برعايته والاحتفاء به ، وأن يجهزه بمائة ألف درهم ، وثلاثمائة ألف درهم لنفقته ، ولما انتهى الكتاب إلى العامل قام بما عهد إليه ، وخرج الإمام من يثرب إلى دمشق ، فلمّا سار استقبله عبد الملك ، واحتفى به وعرض عليه الأمر ، فقال ﷺ : لا يعظم هذا عليك ، فإنّ له ليس بشيء من جهتين : إحداهما إنّ الله عزّ وجلّ لم يكن ليطلق ما تحدّد به صاحب الروم في رسول الله ﷺ والأخرى وجود الحيلة فيه.

فقال : ما هي ؟ قال ﷺ : تدعو في هذه الساعة بصنّاع فيضربون بين يديك سككاً للدراهم





والدنانير ، وتجعل النقش سورة التوحيد وذكر رسول الله ﷺ أحدهما في وجه الدرهم ، والآخر في الوجه الثاني ، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة التي يضرب فيها ، وتعتمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الأصناف الثلاثة إلى العشرة منها وزن عشرة مثاقيل ، وعشرة منها ستة مثاقيل ، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل ، فتكون أوزانها جميعاً واحداً وعشرين مثقالاً ، فتجزئها من الثلاثين فيصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل ، وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان ، فتضرب الدراهم على وزن عشرة ، والدنانير على وزن سبعة مثاقيل .

وأمره بضرب السكة على هذا اللون في جميع مناطق العالم الإسلامي ، وأن يكون التعامل بها ، وتلغى السكة الأولى ، ويعاقب بأشد العقوبة من يتعامل بها ، وترجع إلى المعامل الإسلامية لتصب ثانياً على الوجه الإسلامي .

وامتثل عبد الملك ذلك ، فضرب السكة حسبما رآه الإمام ﷺ ولما فهم ملك الروم ذلك سقط ما في يده ، وخاب سعيه ، وظلّ التعامل بالسكة التي صممها الإمام ﷺ حتى زمان العباسيين .

وذكر ابن كثير إنّ الذي قام بهذه العملية الإمام زين العابدين ﷺ ولا مانع من أن يكون الإمام زين العابدين قد نَقَذ الخطة بواسطة ابنه محمد الباقر ﷺ .

وعلى أي حال فإنّ العالم الإسلامي مدين للإمام أبي جعفر الباقر ﷺ بما أسداه إليه من الفضل بإنقاذ نقده من تبعية الروم المسيحيين .



حلمه وسعة صدره

وكان ما كمال من السباب	وذات يوم سببه كتابي
والمرأة الطباخة البذية	فقال أنت أمك الزنجية
إن كنت قد صدقتني مقالا	فابتسم الإمام ثم قال :
فليغفر الله الذي ما قلنا	يغفر لها الله وإن كذبتا
لربّه وأسلم احتسابا	فبهت الكافر ثم تابا
ما كنت أدري ما يُخي الباقر !!	فقال رب اغفر وأنت الغافر
حاط بها الإمام كل الأمه ^(١)	من خلق وعقّة ورحمه



(١) كان الحلم من أبرز ملامح شخصية الإمام الباقر عليه السلام فكان يقابل الإساءة بالإحسان والبرّ والمعروف ويعامل الجهلاء بالصفح والحلم والحكمة ، وقد ذكر المؤرخون أنّ رجلاً كتابياً هاجم الإمام عليه السلام واعتدى عليه وخاطبه بسوء القول : أنت بقر ! فتبسّم الإمام ووجهه مفعم بالمرودة والحب قائلاً : لا أنا باقر. فراح الرجل يواصل هجومه وإساءته قائلاً : أنت ابن الطباخة !. فتبسّم الإمام ولم ينفعل بل قال له : ذاك حرفتها. ولم يقف الكتابي عن غيّه ، بل راح يهاجم الإمام قائلاً : أنت ابن السوداء الزنجية البذية. ولم يغضب الإمام عليه السلام إنما قابله باللطف قائلاً : إن كنت صدقت غفر الله لها ، وإن كنت كذبت غفر الله لك. وهنا بهت الكتابي ، وانبهر من عظمة أخلاق الإمام التي شابت أخلاق الأنبياء ، فاعلن إسلامه واختيار طريق الحق والهدى.



صَبْرُهُ وَرَأْفَتُهُ

وينقل الرواة أَنَّ صَبْرَهُ	حَيَّرَ فِيمَا يَنْقَلُونَ عَصْرَهُ
ففي حديثٍ إِنَّهُ قَدْ كَانَ	في صَحْبِهِ يُعَلِّمُ الْقُرْآنَا
إِذْ سَمِعَ الصَّيْحَةَ عِنْدَ بَيْتِهِ	وَصَرْخَةً لِلْمَوْتِ فِي نَسْوَتِهِ
وَجَاءَهُ بَعْضُ الْمَوَالِي مُسْرِعًا	فَقَالَ فِي السِّرِّ لَهُ مَا أَفْرَعَا
لَكِنَّهُ ظَلَّ عَلَى هَيْبَتِهِ	يَزِيدُ فِي الْقُلُوبِ مَنْ رَهْبَتِهِ
وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَاهُ	ثُمَّ إِلَى جَنَّتِهِ دَعَاهُ
فَجَهَّزُوهُ وَاخْفِضُوا الْبَكَاءَ	وَصَبَّوْا الصَّبِيَّانَ وَالنِسَاءَ
وَقَالَ أَنْتِ يَا فَتَاهُ حُرٌّ	فَابْتَسَمْتَ فِي قَلْبِهَا الْمُسْرَه
وَعِنْدَمَا سَاءَلَهُ الْأَصْحَابُ	أَتَاهُمُ بِالْبِسْمَةِ الْجَوَابُ
مَنْ أَنْ بَعْضُ وَلَدِهِ الثَّمَانِيهِ	فِي غَفْلَةٍ قَدْ أَسْقَطَتْهُ الْجَارِيهِ
فَارْتَعَبْتَ خَوْفًا مِنَ الْعُقُوبِهِ	لَكِنَّهَا قَدْ حُرَّتْ مَثُوبِهِ ^(١)

(١) روى المؤرخون عن عظيم صبره إِنَّهُ كَانَ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ سَمِعَ صَيْحَةَ عَالِيَةٍ فِي دَارِهِ ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ مَوَالِيهِ فَأَسْرَّ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ ، فَقَالَ ﷺ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَعْطَى ، وَلَهُ مَا أَخَذَ ، إِنَّهُمْ عَنِ الْبَكَاءِ ، وَخَذُوا فِي جَهَازِهِ ، وَاطْلَبُوا السَّكِينَةَ ، وَقَوْلُوا لَهَا : لَا ضَيْرَ عَلَيْكَ أَنْتِ حَرَّةٌ لَوْجَهُ اللَّهُ لَمَا تَدَاخَلَكَ مِنَ الرُّوعِ.





ورجع إلى حديثه ، فتهيب القوم سؤاله ، ثم أقبل غلامه فقال له : قد جهزناه ، فأمر أصحابه بالقيام معه للصلاة على ولده ودفنه ، وأخبر أصحابه بشأنه فقال لهم : إنه قد سقط من جارية كانت تحمله فمات. عيون الأخبار وفنون الآثار / ٢١٨.

ومن الجدير بالذكر أنّ ولد الإمام الباقر سبعة كما ذكر المفيد في الإرشاد وهم : أبو عبد الله جعفر بن محمد ، وعبد الله بن محمد ، وأُمّهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وإبراهيم وعبيد الله وأُمّهما أم حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفية ، وعلي وزينب لأم ولد وأم سلمة لأم ولد.

وبعد اضافة الولد الذي مات بعد أن سقط من يد الجارية يكون المجموع ثمانية ..



وصيَّتهُ الخالدة

وهكذا كان مدار الخلق	في عَفْوةٍ ورَأْفَةٍ ومنطِقٍ
يُوصِي إلى شِيعتهِ الوصايا	ويوصلُ الإكرامَ والهدايا
في كرمٍ قلٍّ له نظيرُ	عاش به الغنيُّ والفقيِرُ
يقولُ في وصيَّةٍ أخيره	شيعتنا من استقام السيره
فلتخلصوا في القول والأعمالِ	ولتنفقوا دوماً بلا سؤالِ
ولتكرموا الأصحابَ والأعداءِ	ولتصدقوا حديدكم أداً
لا تدخلوا غِشاً ولا خيانه	ولتحفظوا الوفاءَ والأمانه
ولتأمرُوا بالحقِّ والعدالهِ	واجتنبوا الشبهةَ والجهالهِ
كونا لنا زيناً وليس شينا	ولتصحبوا أدلةً علينا
فأنتم سراجُ هذا الدينِ	والحالمون الحقُّ في يقينِ ^(١)

(١) وكان للإمام الباقر عليه السلام وصايا لشيعته ومحبيه وعموم المسلمين تمثل مناهج تربية وأخلاقية رائعة ، نذكر منها وصيَّته لأحد تلامذته وهو جابر بن يزيد الجعفي « رض » التي اشتملت على مبادئ الأخلاق في التعامل مع الآخرين ، حيث يقول عليه السلام كما في تحف العقول : أوصيك بخمس : إن ظلمت فلا تظلم ، وإن خانوك فلا تخن ، وإن كُذبت فلا تغضب ، وإن مُدحت فلا تفرح ، وإن دُمت فلا تجزع ، وفُكّر فيما قيل فيك ، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله حلٌّ وعزٌّ عند غضبك من الحق أعظم

➡



عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس ، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك ، فتوب أكتسبته من غير أن يتعب بدنك ، واعلم بأنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك ، وقالوا : إنك رجل سوء لم يزنك ذلك ، ولو قالوا : إنك رجل صالح لم يسرك ، ولكن اعرض نفسك على كتاب الله فإن كنت سالكاً سبيله ، زاهداً في تزييده ، راغباً في ترغييه ، خائفاً من تخوفه فاثبت وأبشر ، فإنك لا يضرك ما قيل فيك ، وإن كنت مابيناً للقرآن ، فماذا الذي يغرك من نفسك ، إن المؤمن معي بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها ، فمزة يقيم أودها ويخالف هواها في محبة الله ومزة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله ، فينتعش ويقلل الله عثرته فيتذكر ، ويفزع إلى التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف ، وذلك بأن الله يقول : (**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**) .

يا جابر ! استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلصاً إلى الشكر ، واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله إزراءً على نفسك وتعرضاً للعفو ، وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم ، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل ، وتحرز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ ، واستجلب شدة التيقظ بصدق الخوف ، واحذر خفي التزين بحاضر الحياة ، وتوق مجازفة الهوى بدلالة العقل ، وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم ، واسبق خالص الأعمال ليوم الجزاء ، وانزل ساحة القناعة باتقاء الحرص ، وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة ، واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل ، واقطع أسباب الطمع ببرد اليأس ، وسد سبيل العجب بمعرفة النفس ، وتخلص النفس بصحة التفويض ، واطلب راحة البدن بإجماع القلب وتخلص إلى إجماع القلب بقلّة الخطأ ، وتعرض لرقّة القلب بكثرة الذكر في الخلوات ، واستجلب نور القلب بدوام الحزن . وتحرز من إبليس بالخوف الصادق ، وإيّاك والرجاء الكاذب فإنك يوقعك في الخوف الصادق ، وتزين لله عز وجل بالصدق في الأعمال ، وتجب إليه بتعجيل الانتقال . وإيّاك والتسويق فإنك يغرق فيه الهلكى ، وإيّاك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب ، وإيّاك والتواني فيما لا عذر لك فيه فإليه يلجأ النادمون ، واسترجع سالف الذنوب بشدة الندم ، وكثرة الاستغفار ، وتعرض للرحمة وعفو الله بحسن المراجعة ، واستعن على حسن المراجعة ، بخالص الدعاء ، والمناجاة في الظلم ، وتخلص إلى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق ، واستقلال كثير الطاعة .





واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر ، والتوسل إلى عظيم الشكر بخوف زوال النعم .
واطلب بقاء العزّ بأمانته الطمع ، وادفع ذلّ الطمع بعزّ اليأس ، واستجلب عزّ اليأس ببعدها
الهمة ، وتزود من الدنيا بقصر الأمل ، وبادر بانتهاز البغية عند إمكان الفرصة ، ولا امكان
كالأيام الحالية مع صحّة الأبدان .

وإياك والثقة بغير المأمون فإن للشر ضراوة كضراوة الغدأ ، وأعلم إنّه لا علم كطلب
السلامة ، ولا سلامة كسلامة القلب ، ولا عقل كمخالفة الهوى ، ولا خوف كخوف
حاجز ، ولا رجاء كرجاء معين ، ولا فقر كفقير القلب ، ولا غنى كغنى النفس ، ولا قوة
كغلبة الهوى ، ولا نور كنور اليقين ، ولا يقين كاستصغارك للدنيا ، ولا معرفة كمعرفتك
بنفسك . ولا نعمة كالعافية ، ولا عافية كمساعدة التوفيق ، ولا شرف كبعد الهمة ، ولا
زهد كقصر الأمل ، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات ، ولا عدل كالإنصاف ، ولا تعدّي
كالجور ، ولا جور كموافقة الهوى ، ولا طاعة كأداء الفرائض ، ولا خوف كالخزن ، ولا
مصيبة كعدم العقل ، ولا عدم عقل كقلّة اليقين ، ولا قلّة يقين كفقْد الخوف ، ولا فقد
خوف كقلّة الحزن على فقد الخوف ، ولا مصيبة كاستهانتك بالذنب ، ورضاك بالحالة التي
أنت عليها ، ولا فضيلة كالجهاد ، ولا جهاد كمجاهدة الهوى ، ولا قوّة كردّ الغضب ، ولا
معصية كحبّ البقاء ، ولا ذلّ كذلّ الطمع ، وإياك والتفريط عند إمكان الفرصة فإنّه ميدان
يجري لأهله بالخسران .



وصيته الأخيرة

وبعد ذاك راح يوصي الصادقا	بأن يكون للهدى معانقا
ويحفظ القرآن والشريعة	ويُعطي الفقهاء رواة الشيعة
أوصاه أن يدفن في ثيابه	فإنها شاهدة لما به ^(١)



(١) روى الكليني في الكافي بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : إنّ أبي قال لي ذات يوم في مرضه : يا بُنيّ ! أدخل أناساً من قريش من أهل المدينة حتى أشهدهم ، فأدخلت عليه أناساً منهم ، فقال : يا جعفر ! إذا أنا مت فغسلني وكفني وارفع قبري أربع أصابع ورشّه بالماء ، فلمّا خرجوا قلت : يا أبت ! لو أمرتني بهذا صنعتُهُ ولم ترد أن ادخل عليك يوماً تشهدهم ، فقال : يا بُنيّ ! أردت أن لا تنزع . أي لا تنزع في الإمامة والخلافة من بعدي متى علموا إنّك وصي .

وروى الكليني في الكافي كذلك عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : كتب أبي في وصيته أن أكفنه في ثلاثة أثواب أحدها رداء له حبرة كان يصلي فيه يوم الجمعة وثوب آخر وقميص .



شهادته

من آل مروان عُداة الأتقيا	من أثر السمّ الذي سُقيا
حتى قضى بسُوءه « المرواني »	وظلّ في محتته يُعاني
لما قضى من كان فيها أسوه	فحزنت مدينة النبوة
في موكبٍ محتشدٍ مُريع	وحُمِلَ الباقرُ للقيع
وقد بكاه في الورى الاسلام	صلى عليه الصادقُ الإمام
وقد نعاها للهدى أهلُ الوفا	وناح من خلفِ الستور المصطفى
فإنّاه من بركاتِ الله	وظلّ ذكره على الشفاه
يحملُهُ الآباءُ والأبناء ^(١)	فعلّمُهُ ليس له انتهاء

(١) ذكر محمد بن جرير الطبري في دلائل الإمامة .. إنّ الإمام الباقر عليه السلام قد تعرّض للإعتقال في بلاد الشام ثم أطلق سراحه بسبب تأثيره على جماهير دمشق وكان ذلك على أثر مناظراته لزعيم النصارى هناك ودحض آرائه وتبيان زيفها والرد على كل الشبهات التي أثارها حول عقيدة التوحيد ورسالة الاسلام وشريعته المقدسة ، ولم تتحقق للنظام الأموي غايته الدنيئة في محاصرة الإمام وإبعاده عن جماهيره الممتدة بامتداد شعوب الأمة الاسلامية.

فقد رأت السياسة الأموية المنحرفة إنّه ليس هناك بُدّ من اغتيال الإمام ، وهكذا دُسّ إليه السم في عام ١١٤ هـ.





وقد اختلف المؤرخون في اليد الآثمة التي أقدمت على اقتراف الجريمة في قتله ، فمنهم مَنْ قال : إنّ هشام بن الحكم . كما في بحار الأنوار . هو الذي أقدم على اغتيال الإمام فُدسّ إليه السم وهو القول الأرجح وذلك لشدة حقده هشام على آل النبي ﷺ . ومنهم مَنْ قال : إنّ الذي أقدم على سَم الإمام هو إبراهيم بن الوليد أو أنّه اشترك مع غيره في عملية اغتيال الإمام ﷺ . وهكذا ودّع الإمام الدنيا وهي حطام تحت قدميه وحمل إلى البقيع زكي النفس طاهر الأردان ورحل إلى ربّه سبحانه صابراً محتسباً . وحلّ على الله ضيفاً كريماً مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، فسلام عليه يوم ولد ويوم رحل إلى ربّه ويوم يبعث حيّاً . والحمد لله ربّ العالمين



الجزء الثامن

الامام جعفر بن محمد
الصادق ؑ





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الإهداء

إلى سيدي الامام جعفر بن محمد الصادق ؑ
الذي فجر ينابيع العلم والحكمة
وحمل لواء الحق والعقيدة
وبعث النهضة في تاريخ الأمة
أهدي هذا الجزء من (قوافل النور)
راجياً ان يكون مشعلاً يضيء الطريق للأجيال.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

اضاءة

هذا هو الجزء الثامن من ملحمة قوافل النور الشعرية التي بدأت في خضمّ معاناة المهجرة الطويلة ، وهو أول جزء يعد ويطبع في العراق ، بعد سقوط الصنم والعودة من المنافي الثلجية.

ويتناول هذا الجزء حياة ، ومدرسة الامام جعفر الصادق ؑ الامام الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، فقد روى الحسن بن علي الوشاء قال : أدركت في مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كلّ يقول ؛ حدثني جعفر بن محمد.

وكلمة شيخ التي وردت في الرواية تعني الاستاذ ؛ وهذا يشير الى كم من الحلقات العلمية التي أخذت العلم عن الامام الصادق ، وحملته مشاعل في بلاد المسلمين المترامية الاطراف.

وهذه الرواية حدها تكشف بوضوح لا لبس فيه ولا غموض ، أن الامام الصادق ؑ كان مثابة العلماء ، ومرجع الفقهاء ، ورائد الفلاسفة ، ومصدرأ أصيلاً نقياً لكل صنوف العلم ، وآفاق المعرفة.

و « مؤسسة دار الاسلام » إذ تقدم هذا الجزء من ملحمة « قوافل النور » ترجو لأجياها الواعدة ان تنهل من معين الامام الصادق ؑ ما يمدّها بالزاد والوقود ، وهي تشق طريقها الصعب لبناء حياة أفضل تقوم على أساس العدل ، والحق ، والامن ، والسلام.

والحمد لله رب العالمين





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

المولد المبارك

أورقَ غصنُ الخيرِ في المدينه	في دوحه النبوة الأمينه
بنْتُ أبي بكرٍ وكانت قدوه	قد حملت بالطهر « أم فروه »
وتشهدُ الاعجازَ والمكارم	وهي ترى في حملهِ العلائم
وحان من بدرِ الهدى تمامه	حتى إذا ما اكتملت أيامه
وابتسمَ الطاهرُ للأطهار	شعت سماءُ البيتِ بالأنوار
تزهى الأملأُ لابن الزهرا ^(١)	قد ولد الصادقُ أيُّ بشرى



(١) ولد الإمام جعفر بن محمد الصادق ؑ في المدينة المنورة يوم الاثنين في السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٨٣ هـ في اليوم الذي ولد فيه جده رسول الله ﷺ وهو يوم عظيم البركة يُعظّمه المسلمون ويُستحب فيه الصوم شكراً لله والصدقة وفعل الخيرات.

وأُمهُ الجليلة المكرّمة فاطمة المكنّاة بـ « أم فروه » وقيل اسمها « فروه » بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، والتي قال في حقها ولدها الإمام الصادق ؑ : كانت أمي ممن آمنت ، وأتقت ، وأحسنّت ، والله يُحبّ المحسنين.

وأبوها القاسم بن محمد ، من فقهاء الشيعة ، وهو من خواص الإمام زين العابدين ؑ يقول : لقد أولدني أبو بكر مرتين . لان أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهكذا تكون أمه راجعة الى أبي بكر من جهة أبيها وأمها. نور الابصار / ١٦٠ .



أَسْمَاؤُهُ وَالْقَابَةُ

يَحْمِلُهُ السَّجَادُ فِي يَدَيْهِ	لِيَرَفَعَ الْأَذَانَ فِي أُذُنَيْهِ
أَنْشَوْدَةً تَهْتَفُ بِالتَّوْحِيدِ	لِيَعِثَّ النَّبِيُّ مِنْ جَدِيدِ
فَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ يَوْمًا صَادِقًا	فَكَانَ بِالْحَقِّ إِمَامًا نَاطِقًا
أَمَّا اسْمُهُ جَعْفَرُ فَهُوَ يُعْرَفُ	نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ يُعْرَفُ
لُقِّبَ بِالطَّاهِرِ ثُمَّ الْفَاضِلِ	وَالْقَائِمِ الْإِمَامِ ثُمَّ الْكَافِلِ
وَوَجْهُهُ يَزْهَرُ مِثْلَ الْبَدْرِ	كَانَ أَشَمَّ الْأَنْفِ جَعْدَ الشَّعْرِ
فِي خَدِّهِ خَالٌ رَقِيقٌ أَسْوَدُ	أَوْرَثَهُ لَهُ النَّبِيُّ أَحْمَدُ
شَبَّ بِأَحْضَانِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ	يَنْهَلُ مِنْ عُلُومِهِ الزَّوَاخِرِ ^(١)



(١) ولما ولد الإمام الصادق عليه السلام جده السجاد عليه السلام السنة النبوية فيما يعمل للمولود الجديد ، وقد توافرت الاخبار أن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قم سماه بـ « الصادق » لأشتهار صدقه في القول والعمل . وله لقب كثيرة مروفة وأشهرها « الصادق » ومن ألقابه :

الطاهر : وهي الطهارة في المولد ، وطهارة العمل . والفاضل : لسعة فضله . والقائم : أي القائم بأمر الإمامة . والكافل : أي من كفل أمر أخوانه .

و حال ولادته شرع والده الباقر عليه السلام في تربيته وإظهار فضله وإمامته ، وقد ورث من جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المهابة والسؤدد ، وأغلب السمائل الخلقية والأخلاقية ، وبالجملة فقد قال في حقه الشيخ عبد المجيد بن محمد الخاني : ناهيك بإمام ورث مقام النبوة والصدقية ، فأزدهرت في طلعتة أنوار كثيرة ، ومكاشفات شهيرة من المعارف الحقيقية ، وله كرامات لا تحصى . الحقائق الوردية / ٥٤ .

وقال عنه الشبلنجي الشافعي : ومناقبه كثيرة تكاد تفوق عدد الحاسب ، ويحار في أنواعها فهم يقظ الكاتب . نور الإبصار / ١٦٠ .



خصاله وصفاته

في هيبة عظيمة الجلال	كرامة الأصول والخصال
مذكراً بطلعة الرسول	وأمره الطاهرة البتول
وحيدر الكرار والسبطين	الحسين الكريم والحسين
وجده السجاد ذي العباد	ومن مضوا للمؤمنين قاده
لم يُرَ إلا صائماً أو ذاكراً	أو قائماً مخافتاً مجاهراً
فكان من أعظم العباد	وكان من أكابر الزهاد
أوصى له الباقر بالإمامه	فكان في دين الهدى علامه
يُشِيرُ للتوحيد والنبوه	بالحُبِّ والحنان والابوه
يُغْضِي عن المذنب والمسيء	مبتسماً بوجهه المضىء
فكان مقصداً لمن أراد	أن يدرك العزة والرشادا (١)

(١) ورث الإمام الصادق ﷺ صفات أبيه وأجداده ولا سيما جده رسول الله ﷺ من الهيبة والجلال المهيب ، وعلى وجه الخصوص كثرة العبادة والانقطاع الى الله سبحانه ، حتى قال الراوي : كان ﷺ أفضل أهل زمانه وأعلم بدين الله وأتقاهم. تاريخ يعقوبي ٢ / ٣٨١.

ولما ظهرت صفاته الشريفة عهد إليه والده الإمام الباقر ﷺ بالإمامة ، فصار مقصداً يرتاده طلاب العلم والفضيلة ، ومنهلاً لرواد الكمال والحقيقة ، وعرف عنه ﷺ طيلة حياته سعة حلمه ، وإغضائه عن المذنب المسيء ، ومما ورد له في هذا الباب ما نقله الطبرسي في مشكاة الانوار : جاء رجل إلى الإمام الصادق ﷺ وقال له : إن فلاناً ابن عمك ذكرك بما يسوء ، فقال الإمام الصادق ﷺ لجارية له : أتيني بماء الوضوء ، ثم دخل إلى مُصَلّاه ، قال الرجل : فقلت في نفسي إن الإمام دخل ليدعو عليه ، فلما صلى ركعتين سمعته ﷺ يقول في قنوته :

﴿





ربّ هو حقّي قد وهبته وانت أجود مني وأكرم ، فهبه لي ولا تؤاخذه بي. قال الرجل :
فجعلتُ أتعجبُ مما أسمع وارى.

ونقل ابن شهر آشوب : قال جعفر الخنعمي : اعطاني الإمام الصادق عليه السلام صرة وقال لي :
ادفعها الى رجل من بني هاشم ، ولا تُعلمه أنّي اعطيتك شيئاً ، قال الخنعمي : فأتيت الهاشمي
وأعطيته ، فقال الهاشمي : جزى الله هذا الرجل خيراً ما يزال يبعث لنا منذ زمن ما نعيش به
الى قابل ، وهذا ابن عمي جعفر . يقصد الصادق عليه السلام . على كثرة ماله لا يبعث لنا شيئاً.

المناقب ٤ / ٢٧٣ .



أقوال العلماء فيه

وقد روى عنه أئمة الملا
فمالك وشعبة والثوري
وابن عيينة واسماعيل
« حاكم فرض على الانام
وحاتم وروح بن القاسم
ومن أراد العلم والرواية
فهو بذا صار منار الدين
إن قال فهو عن أبيه قالا
حديثه كان حديث طه
فكم له من أثر حميد
فذا أبو حنيفة يقول
عامين كنت عنده لولاهما
وقال عنه زيد الشهيد
وقال عمرو بن عبيد البصري
علومه لغیره مباحه

وجملته الأعلام في من نقلا
وابن جريج بعد وابن عمرو
والشافعي عندما يقول
« واجب في أمة الاسلام »
وأحمد وجملته الاعظام
والفقه والتفسير والهداية
وغاية الصادق والامين
الى النبي يرفع المقالا
فمن أراد الله
على الورى بالعلم والتجديد
كجعفر لم تشهد العقول
هلك في الجهل وجبار السما
حجتنا الصادق والعميد
يهلك من نازعكم بأمر
قد غلبت حجته سلاحه



(١) نقل أرباب السير وأهل التاريخ في طبقات الرجال وتراجهم أن الإمام الصادق عليه السلام كان قبلة لأهل العلم على اختلاف مشاربهم ، ولا سيما أهل المذاهب سواء الباقية منها أو المنقرضة ، ومن الذين تتلمذوا على يديه هم : مالك بن أنس بن مالك الأصمعي ، صاحب المذهب المالكي ، والذي عُرف بكتابه « الموطأ » وابن جريج ، وإسماعيل ، ومن أشهرهم محمد بن إدريس الشافعي ؛ إمام المذهب الشافعي ، والذي عرف بميله إلى أهل البيت عليه السلام حسب ما ورد لنا في أقواله وأشعاره ، واليك هذه الأبيات الشعرية الشهيرة التي انشدها الشافعي حيث يقول :

يا أهل بيت رسول الله حبكم
فرض من الله في القرآن أنزلته
كفاكم من عظيم الشأن أنكم
من لم يصل عليكم لا صلاة له
ومن تتلمذ على يده عليه السلام أبو حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي ، حيث أخذ منه قرابة عامين من الزمان علم الفقه وشيئاً من الأدب ، حتى نقل عنه قول : « لو لا السنتان لهلك النعمان » . وله مع الإمام وتلاميذه جملة من المناظرات والاحتجاجات نقلتها الكتب المعتمدة . وما يُنقل في هذا المجال ما ذكره السيد حامد حسين اللكنهوي حيث جاء قال :
جاء رجل إلى أبي حنيفة وقال له : توفي أخي وأوصى بثلاث ماله لإمام المسلمين فإلى من أدفعه ؟ فقال أبو حنيفة : هل أمرك بهذا السؤال أبو جعفر الدوانيقي ؟ فحلف الرجل كذباً أنه ما أمره بهذا السؤال ، فقال أبو حنيفة : ادفع الثلث إلى جعفر بن محمد الصادق فإنه هو الإمام الحق . عبقات الأنوار ١٠ / ٢٢ .

وهذه شهادة صريحة من الإمام أبي حنيفة بأحقية الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بالإمامة العامة على الناس . ومن أخذ عنه عليه السلام أحمد بن حنبل ، حيث روى الكثير عنه في مسند أحمد ومن أخذ عنه عمه زيد بن الإمام الباقر والمعروف بـ « زيد الشهيد » .
وبالجملة فقد كان دوحة للعلوم والمعارف من حديث ، أو فقه ، أو تفسير ، بحيث قصده البعيد والقريب ، والموالي والمخالف لينهل من بحر علمه ، حتى صار عليه السلام علماً بارزاً يعترف به أهل الشرق والغرب ، وقد جاء في كتاب تاريخ العرب لمير علي قوله :





إن الإمام الصادق يُعتبر في الواقع أول مَنْ أسس المدارس الفلسفية والعقلية في الاسلام ، حيث حضر عنده طلاب الفلاسفة من أنحاء الدنيا ، ومؤسسو المذاهب الإسلامية. وجاء في الصواعق المحرقة لابن حجر نقل الناس من علوم الإمام الصادق عليه السلام ما سارت به الركبان حتى أنتشر صيته في البلدان. وجاء في كتاب الإمام الصادق كما عرفه أهل الغرب ، للدكتور نور الدين آل علي للإمام الصادق عليه السلام أشارات علمية غير مسبقة في علم الضوء حيث أكد عليه أن الضوء ينعكس من الاجسام على صفحة العين البشرية وهذا يلغي الرأي السائد قبل عصره عليه السلام وبالجملته فمنافته وعلومه لا يكاد يُحصيها حاسب.



رواته وتلامذته

مجلسه يضم كل مذهب
حيث الجميع من يديه ينهل
طلابه قد عرفوا بالفضل
أربع ألف من الرواة
أولهم كان هشام بن الحكم
لينشروا العلوم والفضائل
فاعتدلت قوائم الشريعة
وبعده أبان بن تغلب
وحبه لأهل بيت المصطفى
وثقة العجلي وابن حنبل
قد ارجع الإمام بعض الشيعة
ثم ابن عثمان أبان البجلي
يعرف بالشعر وعلم النسب
والحميري وهو إسماعيل
ثم بريد العري البجلي
وبكر الأزدي وابن غامدي
ثم ابن دراج جميل الكوفي
ثم أبو محمد الأزدي

وكل فكرة وكل مشرب
وكلهم من هديه مؤمل
وحكمة بالغية وعقل
قد حدثوا عنه بلا أنفة
وكان في الجدال فذاً وعلم
ويرشدوا من كان عنه غافلاً
وأشهرت أبوابها الواسعة
ومن سما في فقهه والادب
وهو الذي نال بذاك الشرفا
رغم إتهامه لحبه علي
اليه في الفتيا وفي الشريعة
الأحمر الكوفي ذلك الولي
وكان من حفظ أهل العرب
شاعر آل أحمد الأصيل
ومن له باع بعلم الجدل
وجابر سيف على المعاند
وقوله أمضى من السيوف
ذاك حريز الثقة الكوفي



البطال المقتول في الشـرة
وبعده حماد بن عيسى
ومن قضى في الحج والاحرام
وانتشر الحديث من حران
وبعده سالم بن مكرم
ثم ابو حمزة الثمالي
وابن ابي يعفور العبدي
وابن صهيب واسمـه عبـاد
وعروة القتات وابن جعفر
مسائل في فقهـه معروفـه
وابن ابي منصور الكوفي
والقاسم بن عروة البغدادي
ثم الكميـث وابن زيد الأسدي
قد نال في اشعاره الشهاده
ومالك بن أعين الجهني
ومؤمن الطاق الولي البجلي
قد ناقش الارجاء والمعتزله
اتقن فن الجدل العنيد
وابن فضيل الثقـة الظبي
والمستنير بن يزيد الجعفي
ثم زارة العظمـيـم المنزلـه
يروي الصحيح من حديث الشيعة

راح بسيف زمـرة عتـاة
ومن غدا من عمره ميؤوسا
مصداقاً مقولـة الإمام
ذاك بن أعين الفتى الشيباني
ذاك الذي يجيد رعي الغنم
الثقة الصادق بالمقال
ثم ابن ادريس الفتى الأودي
ومن اليه ينتهي الاسناد
علي ابن الطاهرين الازهر
ينسب للـعـريـض او للكوفـه
عيسى الفقيه الزاهد التقى
وكادح الضعيف في الزهاد
الشاعر الشجاع في التمرد
وهي لدى الاحرار دوماً عادـه
العربي الثقة الكوفي
له كتاب عن حروب الجمل
ونال ما نال علـو المنزلـه
منافحاً بفكره السديد
محمد المفسـو الكـوفي
وأمره بالعلم غير مخفي
فعلمـه طابـق دوماً عملـه
فصار من مصادر الشريعة



عظّمهُ الصادقُ في الاطراءِ
وبعدهُ محمدُ بنُ مسلمٍ
كان فقيهاً من وجوهِ الصحبِ
وابن ابي عمير الممتحنُ
له مراسيلٌ أتت بلا سندٍ
قد أحرقوا تراثه وداره
أبو بصيرٍ كان من اصحابه
بالصدقِ كان ينقلُ الروايه
أولاءٍ بعضٌ من روى عن جعفرٍ
وقلّةٌ زاغوا عن الطريقه
لكن أكثر الرواة وثقوا
قيمتهم ان أوصلوا الاحكاما

وقال ذا من أنجم السماءِ
الثقفيُّ ثقاة كالعالمِ
له أصولٌ ذكرت في الكتبِ
الثقاة المجاهد الموثقُ
غدت لأكثر الفتاوى معتمداً
لكنما ظلت له الصداه
ودائماً يُعدُّ من أحبابه
حتى كأن نقله درايه
وغيرهم كثر ثقاة الخبيرِ
لم يأتوا بالصدق وبالحقيقه
واعتمدوا ومُدحوا وصدقوا
وبينوا الحلال والحراماً^(١)

(١) ضمت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام المذاهب الإسلامية على اختلاف المشارب ، كما نبغ فيها جمعٌ غفير من الطلاب والناجحين ممن تلقوا من الإمام عليه السلام ونهلوا من علومه ، وحاججوا غيرهم في الدفاع عن الدين والعقيدة ، كاثبات حق الإمامة وردّ خصومها ، واليك شهادة احد تلامذته الحسن بن علي الوشاء وهو يقول لابن عيسى القمي : أدركتُ في مسجد الكوفة تسعمائه شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد الصادق .

ومن تتلمذوا على يده ورووا عنه أئمة المذاهب : مالك بن أنس ، وابو حنيفة ، والشافعي ، وابن حنبل ، ومن أعلام الدين يحيى بن سعيد ، والثوري ، وسفيان بن عيينه ، وغيرهم ..

ذكر الشيخ عباس القمي : إن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء من رووا عنه من الثقات على اختلاف آرائهم ومقالاتهم فكانوا أربعة آلاف رجل . انتهى الآمال / ١٩٣ .

وممن تتلمذوا على يده وصاروا من خلص أصحابه رجالٌ عُرفوا بالنبوغ والفطنة ، وسرعة البديهة ، وقول الجدل ، منهم : هشام بن الحكم المعروف بقوة الحجة والجدل وعلم الكلام ،

➡





وأبان بن تغلب ، وأبو حمزة الثمالي صاحب الدعاء المشهور ، ومؤمن الطاق صاحب المناظرات ولا سيما مع أبي حنيفة ، وأولاد آل أعين ، ومنهم ؛ زرارة ، ومالك ، وأبو بصير الذي كان ملازماً للإمام عليه السلام وكثير الرواية عنه. إضافة الى ذلك جملة من أبرز شعراء عصره عليه السلام كالسيد الحميري ، والكُميت الاسدي ، وأبان بن عثمان البجلي . وللأسف فقد زاغ عن هذه المدرسة ممن أخذوا عنها رجالاً : كأبي شاعر الديصاني ، والمغيرة بن سعيد ، وأبي الخطاب ، وابن أبي العوجاء.



جامعة الإمام الصادق

وسار شرعُ الحق في الآفاق
ولم يقل مَنْ قبله سلوحي
كان إذا ما أجمع الحجيج
قال سلوحي لم يحكم بعدي
وكان فذاً يعلم التأويلا
والطبيب والنجوم والحسابا
وإنه يعلم ما في المصحف
من غامضٍ ومبهمٍ ومختلفٍ^(١)

(١) تنقل كتب السير والتاريخ أن خلفاء بني العباس كالسقيّاح والمنصور حملوا الإمام الصادق عليه السلام بالاكراه على الهجرة من المدينة الى بغداد خوفاً على سلطتهم هناك ، وليكون تحت أنظارهم خوفاً منه ، ولما حل الإمام عليه السلام في ربوع العراق ألتفّ حوله الناس لينهلوا من علومه التي لا حصر لها ، فصار اسوةً بحده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والذي نقل الخاص والعام أنه عليه السلام قد تحدى البشر بقوله « سلوحي قبل أن تفقدوني » وهذه من مختصات أمير المؤمنين ، ما نازعه فيها أحدٌ إلا حار ، وافتضح ، وندم ، وهكذا سار حفيده الصادق عليه السلام على نفس الدرب بدقائق العلوم والمعارف كعلوم الدين ، والتأويل ، والفقه ، والاصول ، والحديث ، والتفسير ، والعلوم الطبيعية كالطب ، والنجوم ، والرياضيات ، والكيمياء ، والفيزياء ، والطبيعة ، وعلوم الانساب ، وتأويل الرويا ، وغيرها..

ويذكر الأستاذ محمد أمين غالب الطويل : كان الإمام الصادق عليه السلام يعرف من العلوم إضافة لعلوم الاصول والفروع علوم الفقه والكيمياء والفلك ، وأغلب العلوم الباطنية والظاهرة ولقد صدق من قال عنه : « كان أعلم أهل عصره ». تاريخ العلويين / ١٤٨.

وذكر الشيخ الشبلنجي : قال ابن قتيبة : كتاب الجفر كتبه الإمام جعفر الصادق عليه السلام وفيه كل ما يحتاج إليه الى يوم القيامة ، والى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعري :

لقد عجبوا لآل البيت لما
ومرآة المنجم وهي صغرى
أناهم علمهم في جلد جفر
تريه كل عامرة وقف

كرمه وسخاؤه

لكنه كان إذا حلّ المسا	وخيّم الظلام ثم عسعسا
طاف على أزقة المدينة	ليطعم المسكين والمساكينه
جرابيه يحملها مملوءا	لثقله أو شك أن ينوءا
يأمر أهله بدفع الصدقه	لم يترك الفقير حتى يرزقه ^(١)



(١) تواترت الاخبار عن كرم الإمام الصادق ❁ وسخائه فقد عُرف عنه إطعامه المساكين سرّاً وجهراً ، وكان يحمل صدقاته بنفسه على من يعوليه ، وكان يأمر أهله وأولاده وتلاميذه بالصدقة والإطعام ويحثّ عليها ، وذكر الراوي : كان الإمام الصادق ❁ يحمل الخبز للفقراء والغرباء الذين يبيتون ليلاً ويمكثون نهراً في ظلّة بني ساعدة في المدينة ، وكان يقول لمرافقه المعلّى بن خنيس : لو قدرنا لواسيناهم حتى بالمملح. ثواب الاعمال / ١٤٤ ، للشيخ الصدوق.

من وصية له ❁ لتلميذه عبد الله بن جندب الكوفي : يا ابن جندب : لا تتصدق على أعين الناس ليزكوك ، فإنك إن فعلت ذلك فقد أستهوتفت أجرك ، ولكن إذا أعطيت يمينك فلا تُطلع عليه شمالك لأن الذي تتصدق لاجله سرّاً يُجزيك علانية.

وقال ❁ : لا يكون الجواد جواداً إلا بثلاثة : أن يكون سخياً بماله على حال اليسر والعسر ، وأن يبذله لمستحقه ، وأن يرى أن الذي أخذه من شكر من أعطاه أكثر مما أعطاه.

وقال ❁ : لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال : تعجيله ، وسره ، وترك الامتنان به.

وقال : الاخوان ثلاثة : مواسٍ بنفسه ، ومواسٍ بماله ، وهما الصادقان في الاخاء ، وآخر يأخذ منك البلعة لينال بعض اللذة فلا تعدّه من أهل الثقة.

وكان ❁ ممّن أفشى العطاء والتصدق سرّاً وجهراً ، حتى أنتشر صيته ولكثرة ما عُرف عنه بكفالتة للمساكين والفقراء ، كان يسمى بـ « الكافل ».



قصة الطفل والجارية

وقال كان الصادقُ التقِيُّ	وقد روى سفيانُ الثوريُّ
سطحاً ولا يُفتح بابٌ موصدٌ	يأمر أهله بأن لا يصعدوا
وهي على بعض السطوح ماشيه	وذا ليلةٍ رأته جاريه
من ولده محبباً وضيا	تحمل في أحضانها صبيا
وأسقطت ذاك الصبي النائما	فارتعدت لما رأته قادما
وأصـبـحت مرعوبةً تدورُ	فمات من ساعته الصغيرُ
قال لوجه الله أنتِ حُرهِ ^(١)	مذ شاهد الإمام تلك البره



(١) قصة غزيرة المحتوى أوردتها كتب التاريخ ، واليك ما ذكره ابن شهر آشوب قال : قال سفيان الثوري : دخلت على الإمام الصادق عليه السلام فرأيتُه متغير اللون فسألته عن ذلك فقال عليه السلام كنتُ قد نهييت في البيت عن الصعود الى سطح الدار فجاءت جارية ممن تربي بعض ولدي فصعدت السلم والصبي معها ، فلما بصرت بي فزعزت وأرتعدت فسقط الصبي الى الارض ومات ، والله ما تغير لوني لموت الصبي وإنما تغير لما أدخلت عليها من الرعب ، وما كنت أظن أن أحداً يخاف غير الله سبحانه ولأجل هذا قلت لها : لا بأس عليك إذهي فأنت حرة لوجه الله. المناقب ٤ / ٢٧٤ .

سلام الله عليك من إمام ما أحلمك وما اخوفك من الله سبحانه.

قصة ظريفة

كما روى عنه أبو حنيفة
قال رأيتُ جعفرًا يسيرُ
فقلتُ لم تمشِ بك الأعوامُ
قال نعم لكن أردتُ فيها
فهني له ورثتها بحق
فهزغ النعمانُ ثم قبلا
وحسر الإمام عن ذراعه
وابتسم الصادقُ بافتخارٍ
إن شئتَ قبله ودع هذي العصا
حكايمةً بليغةً ظريفةً
على عصا كأنه كبيرُ
فأنتَ بعدُ ذا الفتى الهمامُ
ذكرى النبي للورى أزيها
كما ورثتُ علمه بصدق
تلك العصا وشمها وابتهلا
فانبهر النعمانُ من شعاعه
هكذا ذراعُ أحمدٍ المختارِ
فمن يحد عن نَحْنَا فقد عصا^(١)



(١) قصة نفيسة جاءت في معرض الموعظة وإلقاء الحجة ، وفيها نتلمس سرعة بديهة الإمام عليه السلام وحضور الجواب المفحم المسكت ، وهذه القصة نقلتها الكتب المعتمدة القديمة ، فقد نقلها ابن شهر آشوب ، وإليك ملخصها :

جاء أبو حنيفة النعمان بن ثابت صاحب المذهب المشهور قاصداً الإمام الصادق عليه السلام ليسمع منه ويأخذ عنه فخرج عليه الإمام عليه السلام وهو يتوكأ على عصا فقال له أبو حنيفة : يا ابن رسول الله ما بلغت من السن ما تحتاج معه الى عصا ، فقال الصادق عليه السلام هو كذلك ولكنها عصا رسول الله ﷺ أردت التبرك بها ، وسريعاً ما وثب أبو حنيفة يريد تقبيل العصا ، فحسر الإمام الصادق عليه السلام عن ذراعه وقال له : لم تقبل عصا رسول الله ﷺ وهذا هو لحمه وشعره ودمه فهو أحق بالتقبيل من هذه العصا ، ونحن ابتأؤه ، وورثته ، ومن حاد عن ذلك لم يؤمن به فقد خرج عن نَحْنِ رسول الله ﷺ. المناقب ٤ / ٢٤٨.



رواية مالك

وكان مالكٌ يقولُ فيه	قد ورثَ العلومَ عن أبيه
قد اختلفتْ نحوه زمانا	أنهلُ من حديثه الإيمانَا
فكنت لا أراه إلا صائما	أو قارئاً مرتلاً أو قائماً
ولم يحدث بحديث المصطفى	إلا على طهارةٍ قد عُرفَا
ما سمعتُ مثل الإمام أذني	ولا رأيتُ ككابن البتول عيني
هذا ولم يخطر على قلب بشر	أفضل منه في حديثٍ أو خبر ^(١)



(١) شهادة اعترف بها إمام المذهب المالكي مالك بن انس بن مالك الاصبحي ، وهو ممن روى وأخذ عن الإمام الصادق عليه السلام وقد أثبت له عدة روايات في كتابه « الموطأ » وفيها نرى القول الحق والمنطق الصدق لرجل كبير المنزل عند جمهور المسلمين ، مثل مالك وهو يُثني بأجلال على أستاذه الإمام الصادق عليه السلام ويكشف بالحق وبلا مؤاربة عن صفات عالية عُرف بها الإمام الصادق ، وكانت من مختصاته عليه السلام وهذه الرواية التي جاءت بها هذه الشهادة القيمة أوردتها الشيخ الصدوق حيث قال :

قال مالك بن انس فقيه أهل المدينة وإمام أهل السنة : كنتُ اختلفُ على الإمام جعفر بن محمد الصادق لأسمع منه ، فكان يقدمُ لي مخدَّةً ويعرف لي قدراً ، فكان حينما اختلف اليه إجمده في إحدى ثلاث خصال : إما صائماً ، وإما قائماً ، وإما ذاكراً ، وكان من عظماء العباد ، وكبار الزهاد الذين يخشون الله عز وجل ، وكان كثير الفوائد وما حدثني بحديث جدّه رسول الله ﷺ إلا كان على وضوء ، فوالله ما سمعتُ بمثل حديثه ولا رأيْتُ مثله.

الخصال / ١٦٧.



الحوار مع الزنادقة

في عصره شاع حديثُ الزندقة
قد زلزلوا عقيدةَ الضعافِ
فلأنكروا التوحيدَ والمعادَا
وعقدوا مجالساً للجدلِ
لكنه حاورهم بصديقٍ
مبيناً أدلةَ الوجودِ
حتى غدوا أضحوكةَ الزمانِ
قد خالفوا طبيعةَ الإنسانِ
فيألمهم من عصبيةٍ مغروره
قد حذر الإمامُ منهم صحبه
مستمعين وعظمه بالآي
امامهم قد اسكت الزنادقة
فخضعت له الرقابُ طوعا
من خشية الرحمن والجبارِ
تنشره أهلُ الهوى والفسقه
وطرحوا مسائلَ الخلافِ
وحدادعوا الرحمنَ والعبادَا
مع الإمامِ الصادقِ المبجلِ
وردّهم بحكمةٍ ورفقٍ
ومثبتاً حقيقةَ التوحيدِ
وعبرة القاصي ودرس الداني
كأبن أبي العوجاءِ والديصاني
تشوّهت أرواحهم والصورة
ففتح الكلُّ إليه قلبه
مستلهمين حكمةً في الراي
وعجزت بالفكر ان تلاحقه
وامتألت تلك العيونُ دمعاً
وآمنت بسادس الأظهر^(١)

(١) شاعت في أيام إمامة الصادق عليه السلام مقولات الزنادقة ، والوثنيين ، وأهل الزيغ من مختلف الديانات والملل الأخرى ، مستغلين فسح المجال لهم من قبل السلطات الجائرة آنذاك ، فكثرت هذه المقولات ، وكثر أهل التعطيل والزندقة من أمثال عبد الكريم بن أبي العوجاء



وأبي شاکر الديصاني ، وابن المقفع الفارسي ، وأهل التنجيم والفلك ممن مُسَخَّتْ نفوسهم .

وقد تصدّى إمامنا الصادق عليه السلام ومجموعة من خلص صحابته ممن عُرف بالجدل ، وعلم الكلام ، والفلسفة ، وقوة المنطق ، كهشام بن الحكم وغيره ، وقد أوردت جملة من المصادر المعتمدة الشيء الكثير من هذه المقولات ، والمجادلات ، والاحتجاجات التي نافح فيها الإمام عليه السلام وتلاميذه عن عقيدة التوحيد واصلول الدين كالمعاد وبعض القضايا الشائكة كقضية التناسخ ، والكثير من محالس الرد على أهل الفلك والتنجيم .

وكان عليه السلام يتمتع بأدب الحوار والحكمة في الجدل والصبر على جهل الجاهل ، وينقل عن أحد الملحدین انه قال للمفضل بن عمر بعد ان رأى منه حدة في الكلام :

يا هذا إن كنت من اهل الكلام كلمناك ، فإن ثبت لك حجة تبعنأك ، وان لم تكن منهم فلا كلام لك ، وإن كنت من اصحاب جعفر بن محمد فما كان هكذا يخاطبنا ، ولا يمثل دليلك يجادل فينا ، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت ، فما أفحش في خطابنا ، ولا تعدى في جوابنا ، وأنه للحليم الرزين ، العاقل ، الرصين ، لا يعتريه خرق ، ولا طيش ولا نرق ، يسمع كلامنا ، ويصغي إلينا ، ويتعرف حجتنا ، حتى اذا استفرغنا ما عندنا وظننا اننا قطعناه ، أدحض حجتنا في كلام يسير ، وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ، ويقطع العذر ولا نستطيع لجوابه رداً ، فان كنت من اصحابه فخاطبنا بمثل خطابه . الطبرسي ، الاحتجاج ٢ / ٦٩ .



المعتزلة والاشاعرة

وكتـُـبرت في عهده الآراءُ	واتبعت بذلك الأهـُـواءُ
فمنهم من قال باعتزالٍ	ومـنهم أرجأ بالأفعال
وبعضهم قد أول الكتابـِـا	مرتبكاً في نهجـِه مرتابـِـا
وجادلت في عصره الاشاعرة	مقلّدين للنصوص الظاهره
قد اغلقوا العقولَ والافهامـِـا	واتعبوا في ذلك الإمامـِـا
فيالها من فتنةٍ مخوفـِـه	من يشرب تمتد حتى الكوفـِـه
وقد تحدى الصادق الافكارـِـا	وردها بحكمةٍ مـرارـِـا ^(١)



(١) وكما ذكرنا من قبل ، فقد شاعت في عهد الإمام الصادق عليه السلام وربما هذه كيد عملته السلطة الحاكمة لأضعاف مدرسة أهل البيت عليه السلام مقالات المعتزلة التي لا تعترف سوى بإمامة العقل رغم قصره ومحدوديته ، والذين عطّلوا أصل العدل ، وكذلك مقالات أهل الأرجاء وشيوع مذهب الاشاعرة الذين يعملون بظاهر النصوص ولا يؤمنون بتطور العقول ، ثم اغلقوا باب الاجتهاد ، كما كثرت مقالات التشبيه ، التعطيل ، ممّا أدى الى خلق فتنة أثّرت على ذوي العقول الضعيفة ، وبسطاء الناس ، ولهذا شرع الإمام الصادق عليه السلام للتصدي لهذه المقالات وأربابها بعد شيوع وانتشار مقالاتهم في المدينة ، والعراق ، وسائر الامصار الاسلامية ، واستطاع برهانه النير ، وقوة جدله من إفحام الخصوم ، وإعلاء كلمة التوحيد.



عصر الإمام الصادق عليه السلام

وعاش عصر جعفر المنصور
الظلم فيه معلّم الخلافه
كم ظلمت فيه من العباد
فيه بنو الزهراء ظلماً شُرّدوا
وهلّمت بيوتهم بظلم
ومنعوا من حقهم إحفاً
والصادق الإمام كان ينظر
فقال فيه الظالم المنصور
لكنه أعلم أهل العصر
وراح يحتال له بمكر
محاولاً تخليده في السجن
يُرسل خلف داره العيوننا
علّ يرى من الإمام زلّه
فكان وعد الله خير حامى
من زمرة تكيد ما تكيد
لكنه كان يقول ديني
فحارت العقول في أوصافه

وهو لعمرى سبّه العصور
والعدل في أكنافه مخافه
وانهدمت دعائم الرشاد
وعذبوا أو سجنوا واستشهدوا
وسفكت دماءهم بجرم
وولغوا في دمهم إسرافاً
لما جرى لأهلّه ويصبر
هذا الشجى والعلقم المريب
بحكمة موروثه وفكر
بجيلة ممزوجة بغدر
فسامه ظلماً بألف لون
متابعاً لخطوه سنينا
فيسبّح سجنه وقتله
لشيعه الحق وللامام
قلوبها حاقدة وسود
تقية من العدى تقيني
وحارت القلوب في أطفاه



وكيف لا وهو ابنُ خيرِ الرُّسلِ وكيف لا وهو ريبُ الفضلِ^(١)



(١) تواترت أخبار دولة بني العباس ، ولا سيما أيام المنصور العباسي فيما فعلته بالناس من الظلم ، والجور ، والقتل ، والتشريد ، ولا سيما في حق آل أبي طالب ؑ فقد ذكر السيوطي في ترجمة المنصور : وكان المنصور فحلُّ بني العباس وفيه طغيان وجبروت حيث قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه. تاريخ الخلفاء / ٢٥٩.

وأخرج السيوطي ايضاً عن عبد الصمد بن علي أنه قال : قلت للمنصور : لقد هجمت على آل أبي طالب كأنك لم تسمع بالعفو وصلة الرحم ! فقال لي : إن آل أبي طالب لم تُعمد سيوفهم طوال الدهر ، وقد رأونا بالامس سوقةً واليوم خلفاء ، فلا تتمهد هيتنا في صدورهم ويستقيم سلطاننا إلّا باستعمال العقوبة معهم. تاريخ الخلفاء / ٢٦٧.

وذكر الشيخ عباس القمي : وإجمالاً فقد كان المنصور رجلاً دمويّاً فتاكاً نصب للإمام الصادق ؑ اشدَّ العداوة حتى استدعاه مراراً ليبطش به أو كاد ، وأخيراً دسَّ له السمَّ ومضى ؑ شهيداً مظلوماً.

وخيرُ ما نتّم به حديثنا في هذا المجال ما ذكره د. حسين فاضل العاني : لقد خلف المنصور لولده المهدي من بعده خزانة مملوءة من رؤوس العلويين. سياسية أبي جعفر المنصور / ٢٩.

وكم عانى أماننا من ظلم هذه الطاغية وكثرة مراقبته له ، والتشديد عليه من قبل جلاوزته ، حتى كان ؑ يعمل هو وأصحابه بمبدأ التقية ، وهو القائل : « التقية ديني ودين آبائي » والتقية استعمال الحكمة في مواجهة الإخطار حفظاً للنفس الحاملة للعقيدة والمبدأ ، وكان ؑ قد نجح مراراً من بطشه بفضل لطف الله سبحانه ، وهكذا وبعد أن حمله مكرهاً من بلد آبائه وأجداده الى بغداد ، وبعد عذابات القتل والتشريد التي رآها الإمام ؑ في أهل بيته وابناء عمومته سقط ؑ تحت رحمة هذا الطاغية لئسقيه سُماً زُعاقاً ليلتحق بعد ذلك بآبائه وأجداده شهيداً مظلوماً.



شعر السيد الحميري

فالحميري قال فيه شعرا كأنه قلّد فيه الدُّرا
فقال كالسحابِ كان جعفرُ وكفه تعجّرُ عنها الأجرُ
الارضُ ميراثٌ له والناسُ وعزمه وعلمه والبأسُ
فيه الخلاصُ من عذابِ النارِ ويوم يُدعى الناسُ للجبارِ
إني تجعّفرْتُ وذاك فخـرُ فهو امام ملهمٌ وخبرُ^(١)

(١) السيد الحميري هو اسماعيل بن محمد بن زيد بن ربيعة من حمير ، ومن قبيلة قحطانية ، وبهذا لم يكن هذا الشاعر سيداً علوياً ولا هاشمياً وإنما هو لقبٌ أطلق عليه لأنه سيّد شعراء أهل البيت عليه السلام بعد الكميّيت ودعبل ، لقد تعرض هذا الرجل الجليل لحملة شعواء قديماً وحديثاً ، حيث نسبت اليه ظلماً تهمة شرب الخمر ، وتهمة اعتناقه عقيدة باطلية وغير ذلك ، وقد تصدى جملة من كبار علمائنا للدفاع عنه بأعتبره صوتاً علوياً يريدون إخفاده كما فعلوا ذلك مع غيره.

قال السيد حسن الصدر : .. وقد أكثر الناس الوضع والكذب عليه ونسبوه الى الفسوق ، والوجه الظاهر عندي أنه كان أول أمره كيسانياً ثم استبصر على يد الإمام الصادق عليه السلام وهو القائل :

تجعّفرْتُ بأسم الله والله أكبرُ وأيقنْتُ أن الله يعفو ويغفرُ
ودنْتُ بدينٍ غير ما كنتُ رائيماً هدايني اليه سيّدُ الناس جعفرُ
وقال الشيخ المفيد : وقد رجع السيد الحميري عن القول بمذهب الكيسانية لما بلغه إنكار الإمام الصادق عليه السلام مقاله ودعا له بالهداية فقال حينئذ :





أيما راكباً نَحْوَ المدينة جسرُهُ
إذا . ما هداك الله . عاينتَ جعفرًا
إليك رددت الأمر غير مُخالفٍ
سوى ما تراه يابن بنتِ محمدٍ
الى أن قال :

وأشهد ربي أن قولك حجةٌ
على الخلق طُراً من مطيعٍ ومذنبٍ

الارشاد / ٢٨٣ .

وقال السيد ابن معصوم : كما نسبوا للسيد الحميري أنه كان كيسانياً فقد نسبوا نفس القول الى كثيرٍ ونسبوا له ابياتاً في هذا الغرض ، وأغلب الظن أنهما رجعا عن ذلك وتابا .
الدرجات الرفيعة / ٥٨٩ .

وقد حضر الصادق عليه السلام وفاته وبشره بالجنة . وينسب إليه هذا القول في حق السيد الحميري : دعوه فإنه إن زلت له قدم ثبتت له أخرى .



تدوين العلوم

وقد مضى الصادق يؤصي صحبه
ان يحفظوا حديثه وكتبه
يقول لا بدّ بأن تُدونا
علومكم كي تتحدى الزمننا
ونسبت كتب اليه جمّه
فهو لعمري وارث الائمة
فجفّره الاحمر والمصباح
وجعفریات الهدى الصّباح
وغيرها من كتب المعارف
وخطه لالاي والمصاحف^(١)



(١) نصّت كتب السير والتاريخ على اسماء ثلثة من خواص اصحاب الإمام الصادق ؑ ممّن عايشوه وسمعوا منه ، ودونوا حديثه ووصاياہ ، وكان ؑ يأمرهم بالتّقّقه بالدين ، وتدوين الحديث خوفاً من الاندثار ، والضياع ، والتشويه ، وبحكم كونه ؑ وارث علم الائمة من آبائه وأجداده وهو القائل : إن عندنا الجفر الأحمر ، والجفر الأبيض ، ومصحف فاطمة ، وإن عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس اليه الى يوم القيامة.

وفي هذا الباب أورد الشيخ البهائي قال : قال صاحب شرح المواقف : الجفر والجامعة كتابان للإمام علي ذكر فيهما على طريقة علم الحروف الحوادث التي تحدث الى انقراض العالم وكان الائمة من ولده يعرفونهما ويتوارثونهما. الكشكول ٢ / ١٨١.

قال الأستاذ محمد أمين غالب الطويل : كان الإمام علي ؑ قد وضع علماً غامضاً سمّاه الجفر ثم وضع ولده الصادق ؑ جفراً آخر مستقلاً وسمّاه « جفر جعفر » فأصبح أحد الجفرين يسمّى الجفر الابيض والثاني الجفر الأحمر ومعنى الجفر الجلد الذي يُكتب فيه. تاريخ العلويين / ١٤٨.

ثم قال : وقد جمع جميع مؤلفات الإمام الصادق ؑ تلميذه جابر بن حيان الكوفي ، وهنا يُشير الى أكثر من ٥٠٠ رسالة جمعها الكوفي في اسرار الكيمياء وطُبعت باسم « كتاب الخواص الكبير ».

ومن الجدير ذكره هنا أنه كثيراً ما حصل اضطراب ، وتشويش ، وتشويه في قضية الجفر حتى وضعت الكثير من الاساطير في هذا الباب.



ثورة زيد بن علي

وفي ليالي الظلم قام زيد
لما رأى الفساد والتحريفا
فطلب الاصلاح والرشادا
فقال لو وصلت للثريا
فقد رأيت من هشام عجا
ثم سب جدي النبي
ماكره المؤمن حر السيف
ببايع زيداً عدة آلاف
مؤججاً لثورة التحدي
حتى أطل ثالث من صفر
فانفضت الجيوش عن قائدها
حتى أصيب جسمه بجرح
لكنه كان أصاب مقتلا
حتى قضى مضرجاً بالنزف
فدفنوه في مياه النهـر
لكنما هشام قد تجرأ
وأمر الطاغى يزيد يـصلب
وظل في الصلب سنيـاً عـده

بثورة يكسر فيها القيـد
ولم يجد خليفـة عـفـيـفا
لينهي الجور والاسـتـبـدادا
ثم سقطت لاحتقـرت الغـيا
كان فتى له يسب العربا
معانداً مكابراً عصيا
الاهوى مطوقا بالحـيـف
تحوطها الرماح والاسـيـاف
وقائداً بنفسه للجنـد
على فتى لولا القضا لم يقهر
مذعورة تلـوـذ عن رائدها
فعالج الجرح بقلب سـمـح
منه فلن يدرك زيـد أـمـلا
في مشهد يعجز عنه وصفي
من خشية الحرق بغير قـبر
واخرج الجثمان حين اصفـرا
وهو فتى فاطمة المـقـرَّب
شيعة كانت تذوق الشـدـه



وبعددها أحرق بالنيران
وذّر بعد ذلك الرماد
وما دروا أن به شفءا
فهو ابن طه وسليل حيدر
ونكسب الإمام في المصاب
وقال قد كان الشهيد عارفا
وهو لعمرى أطهر الجثمان
في النهر كي تشربه العباد
لكل قلب يستضيف الداء
والاطهر ابن الاطهر ابن الاطهر
وذرف الدموع للاحباب
ولو أتاه النصر يوماً لوفى^(١)

(١) الشهيد زيد بن علي بن الحسين ؑ أشهر من نارٍ على علم ، ترجم له الكثير من أرباب السير والتاريخ وأثنوا عليه ، وأقر له الكثير بفضلله وهنا نورد ثنفاً من شهاداتٍ تقديرية في حق هذا الإمام الثائر الشهيد :

— جاء في نور الابصار عن ابن الصباغ في الفصول المهمة : كان زيد بن علي رجلاً ديناً شجاعاً ناسكاً وكان من أحسن بني هاشم عبادةً وأجلهم سيادةً.

— قال أبو إسحاق السبيعي : رأيْتُ زيداً فلم أر مثله ولا أعلم منه ، وكان أفصح الناس لساناً ، وأكثرهم زهداً.

— وقال الشعبي : والله ما ولدت النساء أفضل من زيدٍ فقهياً وشجاعةً وزهداً وكان يُسمى حليف القرآن.

— ومدحه النعمان بن ثابت أبو حنيفة فقال : شاهدتُ زيداً فما رأيْتُ في زمانه أفقه وأبين قولاً منه ، لقد كان منقطع الدين لا ندّ له.

واليك ملخصُ ثورته واستشهاده كما نقلتها كتبُ التاريخ : في أيام حكم الأموي هشام بن عبد الملك انتشر الظلم والفساد ، وأندثرت معالم الشريعة ، حينئذ أنبرى رجلٌ علويٌّ ، عالي الهمة ، أبي النفس ، لا يرضي أن يرى صور الظلم والإذلال خاصةً على آل أبي طالب ، وهنا كانت ثورة الإمام زيد بن علي بن الحسين قرة عين السجاد ؑ بعد أخيه الباقر ؑ وكان شعاره : مأكرة قومٍ حرّ السيوف إلّا ذلّوا. فأعلن ثورته في الكوفة بعد أن نهأ أخوه الباقر ؑ لما رأى من صعوبة الظرف ، ونصحه بعدم الخروج ، لكن زيداً لم يعدّ يحتمل ما يراه من الظلم ، فثار مع عصابة مؤمنة بلغت ٤٠٠٠ رجل.

وفي الأول من صفر ، عام ١٢١ هـ أعلن الإمام زيد بن علي ؑ ثورته ، وفي أثناء القتال





أُصِيبَ بِهِمْ لَكِنَّ الْمَنِيَّةَ الْمُحْتَوَمَةَ عَاجَلَتْهُ فَذَهَبَ شَهِيداً إِلَى رَبِّهِ ، وَخَوْفاً عَلَى جَسَدِهِ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ عَمَدَ بَعْضُ مَنْ ثَبَتَ مَعَهُ فِي الْقِتَالِ بَعْدَ تَفَرُّقِ الْبَاقِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى دَفْنِهِ فِي نَحْرِ يَقَعِ الْآنَ قَرِبَ الْحُلَّةِ ، وَبَعْدَ وَشَايَةٍ وَصَلَتْ إِلَى هَشَامٍ بِمَوْضِعِ قَبْرِهِ فِي النَّهْرِ أَمْرَ الطَّاعِيَةِ هَشَامَ لُعَيْنَةَ يَوْسُفَ الثَّقَفِيِّ بَنَشَ قَبْرَهُ ثُمَّ صَلَبَهُ عِيَاناً أَمَامَ النَّاسِ وَهُوَ عَرِيَانٌ قَرَابَةً أَرْبَعَةَ سَنَوَاتٍ .
وَقَدْ نَقَلَ الشُّبْلَنْجِيُّ فِي نُورِ الْإِبْصَارِ عَنْ تَارِيخِ بْنِ عَسَاكِرَ : إِنَّ الْعَنْكَبُوتَ نَسَجَتْ عَلَى عَوْرَةِ زَيْدٍ لَمَّا صَلَّبَ عَرِيَاناً وَأَقَامَ مَصْلُوباً أَرْبَعَ سَنِينَ .

وَبَعْدَهَا أُنْزِلُوهُ ثُمَّ حَرَقُوا جَسَدَهُ وَذَرَوْهُ فِي الْمَوَاءِ . وَقَدْ ذَكَرَتِ الْمَصَادِرُ التَّارِيخِيَّةُ أَنَّ الْإِمَامَ الْبَاقِرَ (ع) بَكَى عَلَيْهِ كَثِيراً وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ إِمَامُنَا الصَّادِقَ (ع) وَكَانَ مَا يَقُولُ (ع) : « رَحِمَ اللَّهُ عَمِّي زَيْدًا » وَيَكْثُرُ عَلَيْهِ الْبُكَاءُ . بَلْ ذَكَرَ الشَّيْخُ الصَّدُوقُ : لَمَّا بَلَغَ الْإِمَامَ الصَّادِقَ (ع) خَبَرَ اسْتِشْهَادَهُ بِكَى عَلَيْهِ وَقَالَ : « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ عَمِّي زَيْدًا ، مَضَى وَاللَّهُ عَمِّي شَهِيدًا . عِيُونَ أَخْبَارِ الرِّضَا ١ / ٢ .

لَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّامِ خَبَرَ اسْتِشْهَادَهُ وَصَلَبَهُ أَنْشَدَ الْحَكَمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْكَلْبِيُّ هَذِهِ الْآيَاتِ يُشَمِتُ بِهَا بَنِي هَاشِمٍ :

صَلَبْنَا لَكُمْ زَيْدًا عَلَى جَذَعٍ نَخْلَةٍ وَلَمْ نَرْ مَهْدِيًّا عَلَى الْجَذَعِ يُصَلَّبُ
وَقَسَمْتُ بِعَثْمَانٍ عَلَيْهِ سَفَاهَةً وَعَثْمَانُ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ وَأَطْيَبُ
فَلَمَّا سَمِعَ الْإِمَامَ الصَّادِقَ (ع) بِهَذِهِ الْآيَاتِ قَالَ : « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا فَسَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا »
وَأَثْنَاءَ تَوَجُّهِ الشَّاعِرِ إِلَى الْكُوفَةِ أَفْتَرَسَهُ سَبْعٌ فِي الطَّرِيقِ فَلَمَّا بَلَغَ الصَّادِقَ (ع) ذَلِكَ حَمَدَ اللَّهَ وَقَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْجَزَ لَنَا مَا وَعَدَنَا » .

وَنَقَلَ الشَّيْخُ الْمَفِيدُ : لَمَّا بَلَغَ الْإِمَامَ الصَّادِقَ (ع) خَبَرَ قَتْلِ زَيْدٍ حَزَنَ حَزَنًا شَدِيدًا وَفَرَّقَ مِنْ مَالِهِ فِي عِيَالٍ مَنْ أُصِيبَ مَعَهُ فِي الْقِتَالِ . وَكَانَ مَقْتَلُهُ لِلْيَلَّتَيْنِ خَلَّتْ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ١٢٠ هـ وَقِيلَ ١٢١ هـ وَكَانَ عَمْرُهُ يَوْمَئِذٍ ٤٢ سَنَةً وَخَلَّفَ زَيْدٌ بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ أَرْبَعَةَ أَوْلَادٍ ذَكَورٍ وَمِنْ أَبْرَزِهِمْ وَلَدَهُ الشَّهِيدَ يُحْيَى بْنَ زَيْدٍ .

وَهَكَذَا مَضَى هَذَا الثَّائِرُ الْعَظِيمُ كَأَبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ شَهِيدًا رَافِضًا لِلظُّلْمِ وَالذَّلِّ وَهَذَا هُوَ دِيْدَنُ آلِ مُحَمَّدٍ (ع) عِبْرُ الْعَصُورِ ، وَكَثِيرٌ مَا كَانَ الْأَئِمَّةُ (ع) كَالْبَاقِرِ ، وَالصَّادِقِ ، وَالْكَاسِمِ ، وَالرِّضَا (ع) يَتَرَحَّمُونَ عَلَيْهِ وَيَصِفُونَهُ بِالشَّهِيدِ الْمَظْلُومِ ، فَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وَلَدَ وَيَوْمَ اسْتِشْهَدَ وَيَوْمَ يَبْعَثُ حَيًّا .



ثورة يحيى بن زيد

وقد أتى بمثل ما زيد أتى
الى خراسان يجرُ خيله
بأنه لثورة قد قادا
سبعين كانوا مثلما الأعمار
حشده جيشاً غدا عرمرما
تسوقهم حمية الطغيان
فمسح الأعداء أي مسخ
وجيش « نصر » مثل جيش الكفرة
وازداد يحيى شرفاً ونبلاً
قائد جيش نصر الذي انكسر
فأدركوا يحيى بجوزجوان
في ساعة مخوفة عصيه
في وجهه فخر دامي الجسم
وفجع الصادق في مصابه
فسالت الجراح من أردانه
معفراً مخضباً بدمه
ثم دنا وهو قتيلاً مني
ولعن الله على يزيد

وبعده قام ابنه يحيى الفتى
فترك الكوفة ذات ليله
فحط في « سرخس » ثم نادا
حتى أتى « بلخا » مع الثوار
فجاءه « نصر بن سيار » بما
عشرة الاف من الفرسان
فاصطدم الجيشان عند « بلخ »
فسيف يحيى مثل سيف حيدره
وقد غدوا جرحى بها وقتلى
فقد تماوى ابن زراره عمر
وجاء جيش للقتال ثان
فاشتعلت معركة رهيبه
أصيب يحيى عندها بسهم
وقتل الجميع من اصحابه
وسلب القميص من جثمانه
وبعثوا برأسه لأمه
فصرخت شردتموه عني
فلعن الله على الوليد



اذ صلب الجثمان في وديانٍ بلخ وفي هضبة جوزجانٍ
ولم يزل معلقاً مصلوباً سبع سنين يُقرخُ القلوبا^(١)

(١) وهكذا فعل يحيى بن زيد « رحمه الله » فبعد شهادة أبيه زيد بن علي ؑ قام ابنه يحيى بدفنه ، ثم انتقلت السلطة الجائرة الى الفاسق الفاجر الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

ذكر الشيخ المحقق عباس القمي : كان الوليد بن يزيد رجلاً فاسد السيرة مُلحدًا سيئ السلوك معروفًا بالفسق والفجور مُشتغلًا بالغناء واللهو والطرب ، وهكذا لما أدخرت الأيام الشهيد زيد بن علي ؑ للثورة على الفاسق الجائر هشام بن عبد الملك ، عادت الأيام لتهيء ولده يحيى للثورة على هذا الفاسد الفاسق. تمة المنتهى في تواريخ الخلفاء / ١٣٧.

واليك ملخص قصة ثورته واستشهاده حسب ما وردت في المصادر التاريخية :

لما استشهد زيد بن علي ؑ في الكوفة سنة ١٢١ هـ في أيام هشام بن عبد الملك فرغ ابنه يحيى من دفن أبيه ، ولما لم يجد هناك أعواناً معه خرج الى نينوى ، ثم الى المدائن فطُورِد هناك فأُتِجه الى الري أولاً ثم الى سرخس وبقي هناك ٦ أشهر ، وخلالها تعرّض الى السجن لمدة محدودة ثم أطلق سراحه ، وهناك وجد أكثر من سبعين رجلاً عاهدوه على الجهاد ضد أعدائه ، وسرعان ما حارب بهم جيشاً جاء للقبض عليه فانتصر عليهم وغنم ما كان معهم ، ثم رحل الى هرات ثم الى جوزجان وهي مدينة تقع بين مرو وبلخ من بلاد خراسان ، وهناك قويت شوكته ممّا جعلهم يرسلون له جيشاً عرمرماً تعدادة عشرة آلاف فارس من الشام وغيرهم من الميادين الأخرى يقوده العيين سلم بن الاحور الذي أرسله نصر بن سيار بأمر من الوليد بن يزيد ، وهناك التقوا في معركة ضارية استمرت ثلاثة أيام حتى أضْمَحَلَّ جيش يحيى وأصيبَ بسهمٍ أَرادَه شهيداً وبعد قتله فصلوا رأسه ثم بعثوه الى نصر بن سيار ، ثم الى الوليد ثم الى أمه التي بكته كثيراً ودعت على قاتليه ، واما جسده الشريف فُصِّلَ عند بوابة جوزجان وبقي هناك مصلوباً سبع سنوات حتى مجيء دولة بني العباس ، وكان استشهادة رحمه الله سنة ١٢٥ هـ وحيث قبره هناك ، وللشهيد يحيى بن زيد فضلٌ كبير في حفظ السند الاصيلي لصحيفة جده السجاد ؑ والمعروفة بـ « الصحيفة السجادية » حيث سلّمها الى المتوكل بن هارون راوي الصحيفة لما أعلم يحيى بن زيد عن طريق الإمام الصادق ؑ أنه كأبيه زيد بن علي ؑ ماله الشهادة ممّا جعله يخاف من ضياع تراث آل محمد ؑ.

فسلامٌ على شهداء آل محمد ؑ في الأولين والآخرين.



صبر الإمام الصادق *

وكلُّ ذا كان بعينٍ جعفرٍ	كنزاً من الصبرِ كصبرِ حيدرٍ
يعطيه درساً للذين بعده	متبعاً أباءه وجاهده
يرعى يتامى ونساء من قُتلا	سراً لكي يبعث فيها الأمل
فقلبه الحاني على الجميع	من شبيهة الشيخ الى الرضيع
كأنه أبٌ لكل الخلق	يُدْهم بالحب قبل الرزق ^(١)



(١) لما استشهد زيد بن علي عليه السلام وابنه يحيى فقد توالى المحن والشدائد على إمامنا الصادق عليه السلام حيث رأى بأم عينه يتامى وأرامل من قُتلوا مع عمه زيد وابن عمه يحيى.

قال الشيخ المفيد في الارشاد : لما بلغ الإمام الصادق عليه السلام خبر شهادة عمه زيد حزن لذلك حزناً عظيماً حتى بان عليه ثم فرّق شيئاً من ماله في عيال من أصيب معه من أصحابه. وجاء في كتب السير والتاريخ : لما بلغ الإمام الصادق عليه السلام خبر مقتل زيد بكى وقال : إنا لله وإنا اليه راجعون ، عند الله احتسب عمي زيدا ، ثم فرّق شيئاً من ماله على يتامى وأرامل الشهداء.

ولما كان له عليه السلام في آبائه وأجداده قدوة حسنة في التأسي بهم والسير على نهجهم ، فقد تدرع الإمام بالجلد والصبر ، كما صبر جده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لما أصيب بخواص أصحابه كمالك وعمار وغيرهم.

ومن أقواله في هذا المجال ما ورد في إثبات الوصية للمسعودي :

« إني لاستغفر لمذنبى شيعتنا في اليوم والليلة مائة مرة لأتأ نصبر على ما نعلم وهم يصبرون على ما لا يعلمون ».



رواية حميدة

فقد روت في فضله « حميده »	رواية غريبة فريده
قالت : قيل أن يموت جعفر	سيدنا وهو الإمام المفخر
قال : اجمعوا لي الان كل أهلي	وليسمعوا وصيتي وقولي
شفاعتي والله لا أعطيها	من يستخف بالصلاة تيتها
وبالصلاة بعدها أوصانا	ثم بكى وعندها أبكانا (١)



(١) نقل الشيخ الصدوق ، عن أبي البصير في ثواب الاعمال : قال ابو بصير : دخلت على أم حميدة . وقيل حميدة . أعزبها بالإمام الصادق عليه السلام فبكى وبكى لبكائها ثم قالت : يا ابا محمد لو رأيت ابا عبد الله الصادق حين الموت لرأيت عجباً حين فتح عينيه ثم قال : اجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة . قالت : فلم نترك احداً إلا جمعناه فنظر إلينا ثم قال : « إن شفاعتنا أهل البيت لا تنال مستخفاً بالصلاة »

ولما كانت الصلاة عماد الدين ، وعروة اليقين ، ومعراج المؤمن الى ربه ، فقد اكثر الإمام الصادق عليه السلام من الوصية بها ، فقد نقل ابن شعبة الحراني في تحف العقول مقطوعاً من وصية طويلة له عليه السلام الى شيعته وأصحابه جاء فيها : وعليكم بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين كما أمركم الله في كتابه .

كما نقل أيضاً من وصيته لصاحبه عبد الله بن جندب ومنها : وأعلم أن من شبك الشيطان النوم عن الصلاة التي فرضها الله ، فويل للساهين عن الصلوات .

ومما نقله ابن شهر آشوب عن عائذ بن بناته الاحمسي قال : قال لي الصادق عليه السلام : من أتى الله بالصلوات الخمس المفروضات لم يُسئل عما سوى ذلك . المناقب ٤ / ٢٢٥ .



وصية الإمام الصادق عليه السلام

وقال : أوصيكم بوصلي الرحيم
وصية كبرى المعاني
من سمه المخفي في الطعام
أوصى خمسة من الرجال
منهم ابو جعفر المنصور
لكنما كان الوصي موسى
فان قطعها حول النقم
قد قالها وقد غدا يعاني
ومن ضياع أمة الاسلام
وذاك من حكمة بيت الال
حيث غدا من حقه يفور
وغيره اضحى بها مؤوسا^(١)

(١) وصية عظيمة غزيرة المعاني ألّفها امامنا العظيم وهو يودع الدنيا شهيداً ملتحقاً
بآبائهِ وأجداده ، فقد ذكر الكليني : عن سائلة مولاة إمامنا الصادق عليه السلام قالت : لما حضر
مولاي الصادق عليه السلام الوفاة أغمى عليه فلما أفاق قال : اعطوا الحسن بن علي بن الحسين .
يقصد الافطس . سبعين ديناراً ، واعطوا فلاناً كذا ، وفلاناً كذا ، فقلتُ له : مولاي أتعطي
رجلاً حمل عليك بالشفرة ؟ فقال عليه السلام ويحك اما تقرئين القرآن ؟ قلت : بلى ، قال عليه السلام : أما
سمعت قول الله عز وجل : (**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ**) (الرعد : ٢١ .

يا سائلة ، أن الله تبارك وتعالى خلق الجنة وطيبها وطيب ریحها وان ریحها لتوجد من مسيرة
ألفي عام ولا يجد ریحها عاق ولا قطع رحم . الكافي ٧ / ٥٥ .

ومن وصية له عليه السلام لجماعة من شيعته :

أوصيكم بتقوى الله ، والورع في دينكم ، والاجتهاد كله بطول السجود ، وأداء الأمانة ،
وحسن الجوار ، وصدق الحديث ، وصلة الأرحام ، فان بهذا بُعث محمد عليه السلام .

وهكذا ولم أحسن الإمام الصادق عليه السلام بصدق أجله وسرعة لحوقه برّنه بسبب السّم الخفي
الذي دسه اللعين الدوانيقي أسرع بالوصية لخمس من الرجال عاملاً بالتقية التي عمل
بها ، ودعا إليها طيلة حياته ، وحفاظاً على ولده الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وعلى الصفوة

➔





من بقية خواصّه ، رغم أنه قد أعلم القاصي ، والداني ، القريب ، والبعيد ، مراراً عديدة وطويلة حياته مشافهةً ومصارحةً بين آونةٍ وأخرى أن وصيّيه الشرعي هو ولده موسى بن جعفر عليه السلام.

وبهذا الخصوص أورد القطب الراوندي : لما سمع ابو حمزة الثمالي وكان يومئذٍ في الكوفة مع جمعٍ من الشيعة خبر وفاة الإمام الصادق عليه السلام وهو في المدينة قال لمن أتاه بالخبر : هل سمعتُ للإمام الصادق عليه السلام بوصية ؟ قال الرجل : إنه أوصى الى ابنه عبد الله وابنه موسى الى المنصور ، فقال ابو حمزة : الحمد لله الذي لم يضلنا دلّ على الصغير ومنّ على الكبير وستر الامر العظيم. الخرائج والجرائح ١ / ٣٢٨.

ونقل الشيخ الكليني ، والطوسي ، وابن شهر آشوب ، عن ابي ايوب النخعي قال : بعث اليّ المنصور في جوف الليل وأخبرني بموت جعفر بن محمد عليه السلام ثم قال لي : انظر إن كان أوصى الى رجلٍ واحدٍ بعينه فقدمه واضرب عنقه. قال أبو ايوب : فلما أرجعت اليه الجواب أنه قد أوصى الى خمسةٍ منهم أنت ، ومحمد بن سليمان ، وولديه ؛ عبد الله ، وموسى ، وحيدة.

قال المجلسي وهو يُعلقُ على ذلك بقوله : إن الإمام الصادق عليه السلام كان يُعلم بعلم الإمامة الخفّي أن المنصور سيقتلُ وصيّيه فأشرك هؤلاء النفس ظاهراً سترّاً عليه فكتب اسم المنصور أولاً ولكن الإمام عليه السلام كان قد أعلم الناس أن ولده موسى عليه السلام هو الذي كان مخصوصاً بالوصية والإمامة من بعده دون البقية ، وكان أهل العلم يعرفون ذلك. جلاء العيون / ٥٢٣.



شهادته

ثم قضى معذباً شهيداً	مجدداً دين الهدى تجديداً
وَحُمِلَ الجثمانُ للبقيعِ	مجلالاً بالحزن والدموع
فصادق القول غداً مفقوداً	وصار قلبُ أحمدٍ مكموداً
عليه من آبائه السلامُ	فقد بكاهُ الحُلُّ والاحرامُ
وقد بكاهُ العلمُ والقرآنُ	والحجرُ والمطافُ والاركانُ
وصار موسى بعده الإماماً	ليحفظ الأمة والاسلاماً ^(١)

(١) وهكذا رحل هذا الإمام الصابر شهيداً ، مسموماً بسم دسه له المنصور الدوانيقي بعد عذابٍ طويل من المضايقة والتشديد ، وبعدما لاقى ما لاقى من هذا الطاغية الذي حاول مراراً قتله فأنقذه الله منه بلطفه. رحل هذا الإمام وهو يحملُ عذاباتٍ سنين طويلة ، وهو يرى مصائب أهل بيته ، وأولاد عمومته ، وصفوة أصحابه على يد هذا الطاغية.

نقل الشيخ الشبلنجي في نور الابصار عن ابن الصباغ المالكي قال : مات الإمام الصادق عليه السلام مسموماً في سنة ١٤٨ هـ ، وله من العمر ٦٨ سنة ودُفن في البقيع في القبر الذي دُفن فيه أبوه وجده وعم جده ، فله دَرَه من قبر ما أكرمه وأشرفه.

وذكر الشيخ عباس القمي : توفي الإمام الصادق عليه السلام في شهر شوال سنة ١٤٨ هـ بالعنب المسموم الذي أطعمه به المنصور وكان عمره الشريف آنذاك ٦٥ سنة. منتهى الآمال ٢ / ٢٤١.

وعندما رُفع جثمانه الشريف وأُخرج إلى البقيع رثاه الشاعر أبو هريرة العجلي :

أقول وقد راحوا به يحملونه	على كاهلٍ من حامليه وعاتقي
أتدرون من ذا تحملونَ إلى الثرى	ثبيراً ثوى من رأسٍ علياءٍ شاهقي
غداة حثا الحاثون فوق ضريحه	تراباً وأولى كان فوق المفارق





أَقُولُ وَقَدْ رَاحُوا بِهِ يَحْمِلُونَهُ
أَتَدْرُونَ مَنْ ذَا تَحْمِلُونَ إِلَى الثَّرَى
غَدَاةَ حَثَا الْحَاثُونَ فَوْقَ ضَرْجِهِ
أَيَا صَادِقِ ابْنِ الصَّادِقِينَ إِلَيَّ
لَحَقًّا بِكُمْ ذُو الْعَرْشِ أَقْسَمُ فِي الْوَرَى
نَجْوَمٌ هِيَ اثْنَا عَشْرَةَ كُنَّ سُبْقَا

عَلَى كَاهِلٍ مِنْ حَامِلِيهِ وَعَاتِقِ
تُبَيْرًا ثَوَى مِنْ رَأْسِ عَلِيَاءِ شَاهِقِ
تَرَاباً وَأُولَى كَانَ فَوْقَ الْمَفَارِقِ
بِآبَائِكَ الْأَطْهَارِ حَلْفَةَ صَادِقِ
فَقَالَ تَعَالَى اللَّهُ رَبُّ الْمَشَارِقِ
إِلَى اللَّهِ فِي عِلْمٍ مِنْ اللَّهِ سَابِقِ

منتهى الآمال ٢ / ٢٤٥.

وباستشهادِهِ ﷺ انتقلت الإمامة العظيمة إلى ولده الإمام موسى بن جعفر ﷺ بوصيةٍ منه إليه.

والحمد لله رب العالمين.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الجزء التاسع

الامام موسى بن جعفر
الكاظم ؑ





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الإهداء

أقدم هذا الجزء من ملحمة قوافل النور ..
الى اعتاب جدي الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ..
راجياً له ان يقبل سلاسل القيود في يديه ..
وتمتعات الرفض والاصرار في شفتيه ..
وهو يحول عتمة السجن الى نافذة مشرعة
بالنور ، والخشوع ، والامل.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

اضاءة

ما زال مشروع ملحمة قوافل النور يتواصل عبر محطات حياة الائمة الاطهار وحركتهم الدائبة وعطائهم الفذ الذي لا ينضب ، فهم معدن الرسالة ، وعدل القرآن ، وخلفاء الرسول وامناء الامة ، وحفظة التراث الاصيل الخالد.

وان الشعر في هذه الملحمة ليزداد اشراقاً ، وعظمة ، وهو يسطر مواقف وبطولات اولئك العظام ، ويتواصل مع عشاقهم رغم ما اراده الطغاة من تعقيم وطمس لمعانيهم المشرفة وحياتهم وبطولاتهم التي لا تحجبها بوابات الزنازين ، ولا جدران السجون المظلمة ، ولا عيون الرقباء والمنافقين فهنا هي « قوافل النور » في حلقتها التاسعة من السلسلة الذهبية التي ابتدأت بالني المصطفى ﷺ مروراً بعلي وفاطمة ، والحسين ، والسجاد ، والباقر ، والصادق ﷺ لتتصل بحلقات سجن موسى بن جعفر وتابوته المثقل بالحديد والاقفال ، وجسده النحيل الذي لا يكاد المرء ان يميزه عن ثوبه.

ان ثقل الامامة وتحمل اعباء الرسالة اعظم بكثير من ثقل أوزان القصائد والملاحم.

وأنى لحروف موزونة ان تحتوي ذلك العالم الفسيح المترع بالنور والقداسة والشهادة .. لكن لا بد للملحمة من ان تتواصل شعرا ، وادباً ، وتاريخاً حتى تستطيع الاجيال ان تحفظ مقاطعها كشعارات يومية تصاغ من خلالها شخصياتهم ، وتتلور ذواتهم ، وفق منهج رباني سليم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

نسأل الله تعالى ان يوفق الجميع لخدمة اوليائه ، وان يسدد خطانا على طريق مرضاته ، وان يحفظ العراق وأهله من كيد الاعداء انه سميع مجيب.

(رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ)

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

المولد المبارك

ضمّت قوافل الحجيج السادة ^(١)	في موسمٍ للحج والعبادة
مبرزاً مقيداً وجهها	الصادقُ الامامُ كان فيها
زوجته العفيفة النقية ^(٢)	ومعه « حميدة » التقية
مؤكداً على سجايا عطفها	كان يقول دائماً في وصفها
مذخورة من زمن لابن النبي	« حميدة سبيكة من ذهب »
قد طهرت ثوباً وطاب الشرف	بعيدة عن كل نقصٍ يُعرف
فكرمت وزانها ثقاته	علمها الصادق من هُداة
تحمّل في أحشائها مطعمه	في قافلات الحج عادات معه

(١) ذكرت المصادر المعتبرة على ان الامام الكاظم عليه السلام ولد في موسم الحج ، وكان آنذاك والده الامام الصادق عليه السلام برفقة أصحابه قاصداً بيت الله الحرام فوضعت أمه يوم الاحد السابع من شهر صفر سنة ١٢٨ هـ بمنطقة الابواء بين مكة والمدينة ، وهو مكان مبارك دُفنت فيه آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ.

(٢) هي حميدة بنت صاعد الاندلسي ، ويقال عنها انها من بيت يوحى بالعز والمجد والكرامة ، ويظهر من بعض الروايات ان الامام الصادق عليه السلام كان يأمر النساء بأخذ الاحكام منها ، ومن جملة تصريحات الامام الصادق عليه السلام يظهر لنا انها سيدة طاهرة ، جليلة القدر ، تقية ، مطهرة ، معروفة بالصلاح والعفاف.

قال عنها الامام الصادق عليه السلام : حميدة مصفاة من الاناس كسبيكة الذهب ما زالت الاملاك « الملائكة » تحرسها حتى أدت الي كرامة من الله وللحجة من بعدي.

وروي عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال : سمعت الصادق عليه السلام يقول لها : أنت حميدة في الدنيا محمودة وفي الآخرة. الكافي ١ / ٤٧٧.



فجاءها المخاضُ في « الأبواءِ » وظهـرت ارادةُ السـماءِ^(١)
فوضعت وليـدها المباركـا مصلياً مسـبّحاً وما بكى
بـادره الامـامُ بالأذانِ إنشودةً على مدى الزمانِ
تغمـره الفرحةُ والسـعادة مـذ طـبق البشـرُ بها ميلاده
قال الإمام حامداً مُصلياً هذا الذي يغدو خليفةً ليـا
قـد وهـبَ الله لنا غلامـا يُصـبـحُ بعـدي لكم إمامـا

(١) وامتد الزمن بعد زواج الامام جعفر الصادق بـ (حميدة المصفاة) وسافر الى بيت الله الحرام لاداء فريضة الحج ، فحملها معه ، وبعدى الانتهاء من مراسيمه قفلوا راجعين الى المدينة ، فلما انتهوا الى (الابواء) احست حميدة بالطلق ، فارسلت خلف الامام تخبره بالامر ، لانه قد عهد اليها ان لا تسبقه بشأن وليده ، وكان ابو عبد الله ﷺ يتناول الطعام مع جماعة من اصحابه ، فلما وافاه النبأ المسر قام مبادراً من ائمة أهل البيت ﷺ .
لقد اشرفت الدنيا بهذا المولد المبارك الذي ما ولد . في عصره . أيمن ، ولا أكثر عائدة ولطفاً على الاسلام منه .

لد ولد أبر الناس ، وأعطفهم على الفقراء ، وأكثرهم عناداً ومحنة في سبيل الله ، وأعظمهم عبادة وخوفاً من الله .
وبادرة الامام ابو عبد الله عائداً الى اصحابه ، وقد علت على ثغره ابتسامة فبادره اصحابه قائلين :

أسرك الله ، وجعلنا فداك ، يا سيدنا ما فعلت حميدة ؟
فبشرهم بمولده المبارك ، وعرفهم عظيم أمره قائلأ : قد وهب الله لي غلاماً ، وهو خير من برأ الله .

أجل انه خير من برأ الله علماً ، وتقوى ، وصلاحاً ، وتخرجاً في الدين ، وأحاط الامام اصحابه علماً بأن وليده من أئمة أهل البيت ﷺ الذين فرض الله طاعتهم على عباده قائلأ :
فدونكم ، فوالله هو صاحبكم . بحار الانوار ٨ / ٢ .
وكان ذلك في ايام حكم عبد الملك بن مروان .



حتى إذا ما اقترَبَ الحجيجُ
مستقبلين الصادقَ الأمينَا
بالبشرِ والسلامِ والتحيّةِ
ثلاثيّةً قد أوْ لَمْ الامامُ
سمّاهُ « موسى » وكفى بذلك
سمّي من كَلَمَةِ الرَّحْمَنِ
« الصّابِرُ » الصّبورُ في محنته
والعابدُ الصّالحُ في تقواه
والسيدُّ « الشّريفُ » في الأئمة
وهو « الوفي » « والأمين » « الكاظمُ »

من « يشرب » وقد علا الضجيجُ^(١)
وشبّله المطهرَ الميمونَا
قد أقبلت شيعته الوفيه
في فرحٍ قد بُذل الطعمُ^(٢)
فخراً بأن قد بلغَ الافلاكَا
ومن له عصائهُ ثعبانُ^(٣)
« والزاهرُ » الانوار في جبهته
وفي جهاده وفي هُدهُده
ومن له دانت خيَارُ الأُمّة
برغم ما جار عليه الظالمُ

(١) يعتبر الحج من العبادات المهمة ذات المضامين العبادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والثقافية ، وهو دورة تربوية عظيمة لبناء الانسان الفرد والمجتمع.

(٢) كم استبشر الإمام الصادق عليه السلام لما ولد ولده موسى عليه السلام وعمه فرح شديد وبذلك بشر أصحابه وأولم الولائم لهم.

فقد ذكر البرقي عن منهال القصاب : خرجت من مكة وأنا اريد المدينة فمررت بالابواء وقد ولد لأبي عبد الله الصادق عليه السلام ولده عليه السلام فرأيتهم وقد اطعم الناس ثلاثاً. المحاسن / ٤١٨ .

ونقل الشيخ عباس القمي عن أبي البصير انه قال : لما بُشِّرَ ابو عبد الله الصادق عليه السلام بولده موسى عليه السلام قام فرحاً مسروراً ، ضاحكاً سنه وقال عليه السلام : وهب الله لي غلاماً وهو خير من برأ الله ثم وضع الغداء فأكلنا. بصائر الدرجات ٩ / ٤٦٠ .

(٣) سمى الامام جعفر الصادق عليه السلام ولده . ابا الحسن . بأسم (موسى) سمّي كلّيم الله النبي موسى عليه السلام الذي اخبرنا الله تعالى عنه بمواضع متعددة في القرآن الكريم ، وقد أكرمه معجزة العصا ، قال تعالى :

(وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى ﴿١﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفَى بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى ﴿٢﴾ قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَى ﴿٣﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٤﴾ طه ١٧ . ٢٠ .

وقال تعالى : (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) الاعراف ١٠٧ .



« ونفسه الزكية » الحليمه
باب الحوائج الذي قد فتحها
يُفَرِّجُ اللهُ بِهِ الْكَرُوبَا
كنيته معروفةً أبو الحسن
لم يستجر في قبره المقدس
فذا « ابو علي الخلال »
يقول : ما أهمّني من خطر
فسهل الله تعالى أمري
ومرة قال : الإمام الشافعي
قبرُ ابن جعفر هو « الترياق »

وروحه الايية الكريمه
لكل مذنّب عصا واجترحا
ويُفَرِّجُ الْحَزِينَ وَالْمَكْرُوبَا
وهو الإمام الهاشمي المؤمن
إلا وقد صار شفء الأنفس
الحنبلي العالم المفضال
إلا قصدت تربة ابن جعفر
فقبرُ موسى في الدعاء ذخري
لكل ناطق وكل سامع
بحرب يؤمّه المشتاق^(١)

(١) قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي :

هو الامام الكبير القدر ، العظيم الشأن الكبير المجتهد ، الجاد في الاجتهاد ، المشهور بالعبادة ،
المواظب على الطاعات المشهور بالكرامات ، يبيت الليل ساجداً وقائماً ، ويقطع النهار
متصداً وصائماً ، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي (كاظماً) كان يجازي
المسيء باحسنائه اليه ، ويقابل الجاني بعفو عنه ، ولكثرة عبادته كان يسمى (العبد الصالح)
ويعرف بالعراق بـ (باب الحوائج) لنجح مطالب المتوسلين الى الله تعالى به كرامته تحار
من العقول وتقضي بان له عند الله قدم صدق لا تزال ولا تزول. مطالب السؤال / ٨٣.

اما القابه فتدل على بعض مظاهر شخصيته ، وجمله من جوانب عظمتة وهي كما يلي :

— **الصابر** : لانه صبر على الآلام والخطوب التي تلقاها من حكام الجور ، الذين قابلوه
بجميع الوان الاساءة والمكروه.

— **الزاهر** : لانه زاهر بأخلاقه الشريفة وكرمه المضىء الذي مثّل به خلق جده
الرسول ﷺ.

— **العبد الصالح** : لكثرة عبادته واجتهاده في الطاعة ، حتى صار مضرب المثل في عبادته ،



وعاش موسى في هدى النبوة وشبَّ في مواطن الفتوة
ينهل من منابع المعارف ما بان من أسرارها وما خفي
قد أتقن الحكمة والتأويلا وعلم الآيات والتنزيلا^(١)

⇒

وقد عرف بهذا اللقب عند رواة الحديث فكان الراوي عنه يقول : حدثني العبد الصالح .
السيد : لانه من سادات المسلمين ، وأمام من أئمتهم .
الوفي : لانه كان وفيّاً ، باراً بأخوانه وشيعته ، وباراً حتى بأعدائه والحاquدين عليه .
— الامين : لقد مثل هذا اللقب كما مثله جده الرسول الاعظم ﷺ فقد كان أميناً على
شؤون الدين واحكامه ، وأميناً على أمور المسلمين .
— الكاظم : لما كظمه من الغيظ عما فعل به الظالمون من التنكيل والارهاق ، حتى قضى
شهيداً ، مسموماً ، لم يبد لاحد الآمه وأشجانه ، بل تلقى ذلك بالشكر لله والثناء عليه .
— ذو النفس الزكية : وذلك لصفاء ذاته التي لم تتلوث بمآثم الحياة ولا بأقذار المادة حتى
سمت وزكت .

— باب الحوائج : وهذا أكثر ألقابه ذكراً وأشهرها ذيوعاً وانتشاراً ، انه ما قصده
مكروب او حزين الا فتح الله الآمه وأحزانه . اعلام الهداية ٩ / ٤٤ . ٤٥ .

(١) عاش الإمام موسى بن جعفر ﷺ بين كنف ابيه في مدينة جده المصطفى حيث عبق
النبوة ومواطن الفتوة والشرف والسؤدد ، واخذ يزق العلم زقاً على يد والده ﷺ فنهل منه
الاسرار والعلوم والمعارف حتى لحظته العيون بالحكمة وفصل الخطاب ، وكان ﷺ اعلم
اهل زمانه بالقرآن والتنزيل وسائر الكتب المقدسة .

حيث قال الشيخ المفيد : كان ابو الحسن موسى ﷺ افقه اهل زمانه .
وقال ايضاً : وقد روى عنه ﷺ الناس كثيرأ ، وكان افقه الناس ، واحفظهم لكتاب الله
واعلم بما فيه ، واحسنهم له تلاوة وصوتاً . الارشاد ٢٩٦ / ٢٩٨ .

وذكر الطبرسي : كان ابو الحسن موسى ﷺ أجل ولد الصادق ﷺ شأنأ ، واعلاهم في الدين
مكانأ ، وأعلمهم وأفقههم وأكرمهم . اعلام الوری ٢ / ٢٥ .

وقد اتفق المؤرخون انه ﷺ تتلمذ على يد ابيه الصادق ﷺ ودرج في مدرسته الكبرى
فورث علوم آبائه واجداده ﷺ وتشبع من اخلاقهم ومعارفهم ، ولما كان عصره زاحراً

⇐





بالمدارس الفكرية والتيارات العلمية المختلفة وعلى الرغم من حراجه موقفه السياسي الا انه تصدى ﷺ مع جملة من خيرة تلاميذه لكل هذه التيارات الاحادية والزائفة ، كما فعل ابوه ﷺ من قبل واعطى لمدرسة اهل البيت ﷺ زخماً فكرياً واسعاً في الحديث والرواية والتفسير .

وقد ذكرت له كتب الرجال والتراجم أن له أكثر من ثلاثمائة راوياً وتلميذاً ممن وُصفوا بالعلم ، والفضل ، والصلاح ، وكلهم قد اخذوا من علمه وفقهه بما زقه له أبوه الصادق ﷺ من العلوم والمعارف .

وقد عرف عن الامام الكاظم ﷺ انه أعلم زمانه ، لما يتمتع به من سعة العلوم والمعارف ، وقوة الجدل والاحتجاج ، وبلاغة المنطق ، وحسن الدليل في القول والبرهان .



حكاية ابي حنيفة

وذاث يوم قصدَ المدينه
فجاء بيت الصادق المصدق
فوجد الكاظم عند الباب
وهو صبيٌ بعدُ لم يشباً
فقال : أين يضع الغريب ؟
وعندما كررها النعمان
جوابه مؤدباً مكملاً
قال : توق المء والأهءارا
ثم توار من وراء الجدر
وبعدها ضع أين شئت الحاجه
فبهت النعمان للجواب
ما اسمك ؟ قال : قد دعيت موسى
أنا ابن جعفر حفيد الباقر
وجدي السبط الشهيد الظامي
وابن ابي طالب المحامي
وجدي فاطمة الزهراء
هذا جوابه لتلك المسأله

أبو حنيفة يريدُ دينه
يسأل عن حكم بأجل منطقي
أندي من الأمطار في السحاب
لكن علمه يُصب صبا
فالتفت الصبي لا يُجيب
جاء من الكاظم ما يُزان
فاطرق النعمان لما سأل
واجتنب الشارع والثمارا
وحد عن القبلة لا تستدبر
وحاذر العناد واللجاءه
وقال يا ابن خيرة الاطياب
بذكر جدي نرفع الرؤوسا
وجدي السجاد ذي المفاجر
وابن علي سيد الكرام
عن النبي سيد الأنام
البيرة النقية الغراء
وطالما كان يحل المعضله^(١)

(١) قصة ذات عيرة ، أوردتها المصادر المعتبرة ، وفيها زيادات وذيول لم تذكر في المصادر الأخرى ، وهذه مجمل القصة مع زيادتها الواردة في المصادر :



قال أبو حنيفة : حججْتُ في أيام أبي عبد الله الصادق عليه السلام .. قيل كان معه عبد الله بن مسلم فلما أتيت المدينة قصدتُ دار الصادق عليه السلام لأخذ منه علماً .. قيل أشار عليه بذلك عبد الله بن مسلم ، فجلست انتظر الدخول عليه ، قيل لأن جمعاً من الشيعة كانوا عنده ، فبينما أنا كذلك إذ خرج صبي يدرجُ فقام الناس هيبة له فقلتُ : يا أبا مسلم : من هذا الصبي فقال لي : انه موسى ولده. قال أبو حنيفة : فقلتُ في نفسي والله لأخرسه بين الناس بسؤال ، فقلت له : يا غلام : أين يضغُ الغريب الغائط إذا كان عندكم ؟! فقال الصبي : على رسلك ، يتوقُّ شطوطاً الأنهار ، ومساقط الثمار ، وافنية المساجد ، وقارعة الطريق ، ويتوارى خلف جدارٍ ، ثم يرفع ثوبه ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ، ثم يضع حيث يشاء.

قال أبو حنيفة : فلما سمعت قوله عظم في عيني ، فقلتُ له : جعلتُ فداك ما اسمك ؟ فقال : أنا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وحدي فاطمة الزهراء بنت رسول الله.

قال أبو حنيفة : ثم قلت له : يا غلام وممن المعصية ، فنظر إليَّ ثم قال : اجلس حتى أخبرك فجلست ، فقال لي : إن المعصية لا تخلو من إحدى ثلاث ، أما من الله . وليس من الله . فهو اعدل وانصف من أن يُعذب عبداً على ما لا يرتكب واماً من العبد . وهي منه . فإن عفا سبحانه فبكرمه وجوده وان عاقب فبعدله وسلطانه فله حق العقاب والثواب وإن كانت من الاثنين . وليس كذلك . فهما شريكان فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الضعيف. قال أبو مسلم : فأصابت ابو حنيفة سكتةً كأنما ألقيَ حجراً فقلتُ له : ألم اقل لك لا تتعرض لأولاد رسول الله.

قال ابو حنيفة : فإنصرف ولم ألق الصادق عليه السلام مُستغنياً بما سمعت. اعلام الوری ٢ / ٢٩.

وقد ذكر الكراجكي ان أحد الشعراء نظم ذلك في ابيات :

لم تخلُ افعالنا الالائي نُذَمُّ بها	احدى ثلاثٍ خلالٍ حين نأتيها
اما تفرُّ باريننا بصـنعتها	فيسقط اللوم عَنا حين نُنشئها
او كان يشركنا فيه فيلحقه	ما سوف يلحقنا من لائمٍ فيها
او لم يكن لألهي في جنائتها	ذنبٌ فما الذنبُ ألا ذنبُ جانيها

كنز الفوائد : ١ / ٣٦٦





ولأبي حنيفة غير هذا الموقف مع الإمام الكاظم عليه السلام كما ذكر ابن شهر آشوب قال :
دخل أبو حنيفة على الإمام الصادق عليه السلام وكان ابنه موسى عليه السلام صغيراً ، فقال أبو حنيفة : يا
أبا عبد الله رأيت ابنك موسى يصلي والناس يمرون بين يديه فقال الصادق عليه السلام : ادعوا لي
ولدي موسى فلما دُعي أخبره بكلام أبي حنيفة فقال الإمام موسى عليه السلام : نعم يا أبا به إن
الذي أصلي له أقرب إليّ منهم حيث يقول الله تعالى : (**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**)
فضمه والده الصادق عليه السلام إلى نفسه ثم قال عليه السلام : بأبي أنت وامي يا مستودع الأسرار.
سلام الله عليك من إمام ما أعظمك. المناقب ٤ / ١١.



إمامته وفضله

وبات في ظل أبيه يغرفُ
حتى اذا الصادق طال عمره
وقد دنا عمراً من السبعين
وصية النص على الامامه
بايعه شيعته بفخر
يعلم تأويلات آي المصحف
سُمي « بالعالم » في الرواة
كان مثالاً للتقى والزهد
يصوم يومه ويقضي السحرا
يحج للكعبة دوماً ماشياً
نجائب تقاد في يديه
كنوز علم ثرة لا تنزفُ
وصار ينأى للغروب بدره
أوصى لموسى الكاظم الامين
والسيف والكتاب والعمامه
كهالة حففت بنو البدر
يروى أحايث النبي الاشرف
والسيد القائم في الدعاء^(١)
وكان للرحمن أنقى عبد
مصلحاً مسجحاً مفكراً
يظل فيها طائفاً وساعياً
والرميل أضنى تعباً رجليه

(١) عن يزيد بن سليط قال : سألت الصادق عليه السلام عن القائم من بعده ؟ فقال وهو يشير الى ولده موسى عليه السلام .

انه هو عنده علم الحكمة ، والفهم ، والمعرفة بما يحتاج اليه الناس فيما اختلفوا فيه من امر دينهم وهو باب من ابواب الله . عيون اخبار الرضا عليه السلام ١ / ٢٣ .
لقد عاش الامام موسى الكاظم ثلاث عقود من عمره المبارك ، وقد سار على منهاج جدّه رسول الله ﷺ وآبائه المعصومين عليه السلام في الاهتمام بشؤون الرسالة الألهية وصيانتها من الضياع والتحريف ، والجد في صيانة الامة من الاغيار والاضمحلال ، ومقارعة الظالمين وتأيد الأمرين المعروف والناهي عن المنكر للصد من تمادي الحكام في الظلم والاستبداد .
وقد كانت مدرسته العلمية الزاخرة بالعلماء وطلاب المعرفة تشكل تحدياً اسلامياً ، حضارياً ، وتقف امام تراث كل الحضارات الوافدة ، وتربي فطاحل من العلماء والمجتهدين وتبلور المنهج المعرفي للعلوم الاسلامية والانسانية معاً . اعلام الهداية ٩ / ١٨ .



حج بأهله سنيناً أربعاً	ما مثله رأي أو سمعا
يتلو بحزن سُورَ القرآنِ	فيخشعُ السامعُ للمعاني
وطالما يبكي مع الخشوعِ	ووجهه يُتيلُ بالدموعِ
وزهدُهُ يعرفُهُ الزهاد	فذكرُهُ طعامُهُ والـزادُ
فبيتُهُ حصيرةٌ ومصحفٌ	وهو الذي يعنو لديه الشرفُ ^(١)

(١) نشأ الإمام موسى الكاظم عليه السلام في بيت الهدى والتقوى ، وترعرع في مدارج النور والعبادة ، والطاعة ، بالاضافة الى انه قد ورث من آبائه حب الله والانقطاع اليه .

لقد رأى الامام عليه السلام جميع صور التقوى ماثلة في بيته ، فصارت تلك المعاني من مقومات ذاته ومن عناصر شخصيته ، حتى حدث المؤرخون أنه كان أعبد أهل زمانه عليه السلام .

قال الشبلنجي : هو الإمام الكبير الساهر ليله قائماً والقاطع نهاره صائماً والمسمى لفرط حمله عن المعتدين كاظماً . نور الابصار / ١٦٤ .

قال محمد بن طلحة الشافعي : موسى بن جعفر عليه السلام إمام جليل القدر ، عظيم الشأن ، مجتهدٌ جاد الاجتهاد ، مشهورٌ بالعبادة ، مواظب على الطاعات ، مشهور بالكرامات ، يبيت الليل ساجداً وقائماً ، ويقطع نهاره متصديقاً صائماً كان يجازي المسيء بإحسانه ، ويقابل الجاني بعفو عنه وكراماته تحار منها العقول . مطالب السؤل / ٨٣ .

وقال الطبرسي : كان احفظ الناس لكتاب الله واحسنهم صوتاً به وكان اذا قرأه بحزن يبكي السامعين وكان الناس في المدينة يسمونه زين المجتهدين . اعلام الوری / ٢٩٨ .

وقال الكليني : وكان عليه السلام لشدة علاقته بالله تعالى يسعى الى رضاه وقد حج الى بيته مشياً على قدميه وقيل انه حج اربع مرات ماشياً على قدميه . الكافي ٢ / ٩٨ .

وقال الشيخ المفيد : وكان عليه السلام يبكي من خشية الله حتى تخضل لحيته من دموعه ، وكان اوصل للناس بالبر لأهله ورحمه ، وكان يتفقد فقراء المدينة ليلاً ونهاراً . الإرشاد / ٢٩٩ .

كان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام اعبد اهل زمانه وافقهم واسخاهم ، وكان كثير السجود طويلاً في سجده ، وكان كثيراً ما يقول في سجوده : اللهم اني اسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب ، وكان من دعائه عليه السلام قوله : الهي عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك . منتهى الآمال ٢ / ٢١٩ .



كرمه وعطاؤه

في غلسِ الليل يزورُ الفقرا ثم يعوذُ باسمِاً مبتشراً
قد أوصل الصرارَ للمسكين بكفه المطهرِ الامين
حتى لقد جاء بذاك الخبيرُ من زاره موسى فلا يفتقرُ^(١)



(١) لقد تجلّى الكرم الواقعي ، والسخاء الحقيقي في الامام فكان مضرب المثل في الكرم والجلود ، فقد فزع اليه البائسون والمحرومون لينقذهم من كابوس الفقر وجحيم البؤس.

وقد اجمع المؤرخون انه انفق جميع ما عنده عليهم ، كل ذلك في سبيل الله لم يبتغ من أحد جزاءً أو شكوراً ، وكان في صلاته يتطلب الكتمان وعدم الذبوع لئلا يشاهد على الآخذ ذلة الحاجة ، وكان يلتمس في ذلك وجه الله ورضاه ، ولهذا كان يخرج في غلس الليل البهيم فيصل الطبقة الضعيفة ببرّه وإحسانه وهي لا تعلم من أية جهة تصلها تلك المبرات وكان يوصلهم بصراره التي تتراوح ما بين المائتي دينار الى الاربعمئة دينار. تاريخ بغداد ١٣ / ٢٨

وكان يضرب به المثل بتلك الصرار ، فكان أهله يقولون :

عجباً لمن جاءته صرار موسى وهو يشتكي القلة والفقر !!. عمدة الطالب / ١٨٥



حكاية بشر الحافي

وذا ت يوم كان في الطريق
فمرَّ في دارٍ بها غنَّاءُ
فقال : من صاحبُ هذي الدارِ
فقالَت الجاريةُ الصَّبيَّةُ :
فقال : قد صدقتَ فيه قولاً
فهرعت تمشي لـ « بشر الحافي »
واخبرته بالذي قد كانا
وراح يمضي خلفه مهرولاً
وصار من اعظام الزهادِ
حتى غدا من أوثق الرواةِ

يمشي بلا فتى ولا صديق
في باهما جارية حسناء
هل هو عبدٌ أم من الأحرار ؟
بل هو حرٌّ دونما مريه
لو كان ذا عبداً لخاف المولى
والسكر في عينيه غير خافِ
فبان من توبته ما بانا
يكي على أفعاله مولوداً
وأكبر التقاة في بغدادِ
وناقِل الحديث للثقة^(١)

(١) الحرية الحقبة الا تكون عبداً لغير الله سبحانه حينئذ ترفض عبودية الاشياء عليك من مالٍ ، او جاهٍ ، او شهوات ، فتكون عبداً لله وحده هو مولاك وعليه معتمدك دون سواه وفي هذه الحكاية نرى صورة واقعية لهذه الفكرة السامية ، وفيها نلمس ايضاً مدى تأثير الإمام عليه السلام على مجتمعه وكيف كان عليه السلام يمارس الارشاد الفعلي والموعظة الحسنة في توجيه الناس وارشادهم الى الخير والصلاح ، كما نرى في الموعظة البذرة الصالحة اذا وجدت ارضاً خصبة صالحة ، وهو الانسان الصالح فإنها تزهر وتأتي بكل زوج بهيج ، وهكذا الموعظة اذا لقيت أذنأ صاغية ، وقلباً طاهراً ، اثمرت وآتت أكلها كما نقل لنا التاريخ من امثال « بشر الحافي ».

حيث ينقل العلامة الحلي :

ومن الذين تابوا على يد الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام بشر الحافي ، حيث اجتاز الإمام عليه السلام منفرداً بداره ببغداد ، فسمع الملاحمي واصوات الغناء تخرج من تلك الدار ، فخرجت جارية

➡





وبيدها قمامة تريد رميها فرمى بها في الطريق فقال لها الإمام ﷺ : يا جارية أصحاب هذه الدار حرّ أم عبد ؟ فقالت : بل حرّ . وتريد بها الحرية الظاهرية . فقال ﷺ : صدقت فلو كان عبداً لله لخاف من مولاه .

فأسرعت الجارية وأخبرت مولاهما بشئروهما وكان على مائدة السكر فخرج حافياً مُسرعاً حتى لقي الإمام الكاظم ﷺ وتاب على يديه . منهاج الكرامة ٣٢

قال الشيخ عباس القمي : سُمي بشر الحافي لأنه كان دائماً حافياً ، وقيل لأنه هرول وراء الإمام الكاظم ﷺ حافياً حتى صارت صفةً له ، وعلى اثر ذلك نال السعادة العظمى . وكانت له ثلاث اخوات سلكن مسلكه في الزهد والعبادة ، وكان من اعلام المتصوفة ، ونُقل عنه انه سُئل عن سبب حفاه فقال : ان الله تعالى جعل الارض بساطاً فتهي فراشه سبحانه وليس من الادب المشي على فراش الملوك بالنعال . منتهى الآمال ٢ / ٢٩٩

ثم قرأ قوله تعالى (**وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا**) نوح : ١٩

توفي سنة ٢٢٦ هـ بعد ان صار ولياً صالحاً مُلازماً للتقوى والخير راوياً لحديث استأذنه الكاظم ﷺ ناقلاً اخباره .



كلماته ومواعظه

وهكذا ظل الامام الكاظم
وقال فيما قال من كلامه
« من لم يحاسب نفسه » قد خسرا
والمؤمنون كفتا ميزان
وقال يوماً والرواة يروون
« من استوى يومه فهو مغبون »^(١)
تنهل من علومه الأعظم
ما يشبه الريح في أيامه
وقد فنت أعماله وما درى
تألاً بالبلاء والايامان

(١) من مواعظ وحكم الإمام الكاظم عليه السلام : روي عنه انه قال : « صلاة النوافل قربان الى الله لكل مؤمن » و « الحج جهاد كل ضعيف » و « لكل شيء زكاة وزكاة الجسد صيام النوافل » و « من دعا قبل الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ كان كمن رمى بسهم بلا وتر » و « التوودد الى الناس نصف العقل » و « كثرة الهم يورث الهرم ، والعجلة هي الخرق » و « قلة العيال أحد اليسارين » و « من أحزن والديه فقد عظمهما » و « الصنعة لا تكون الا عند ذي دين او حسب » و « الله ينزل المعونة على قدر المؤونة ، وينزل الصبر على قدر المصيبة » و « من اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة ، ومن بذر وأسرف زالت النعمة » و « أداء الأمانة والصدق يجلبان الرزق ، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق » و « ليس منا من لم يحاسب نفسه اليوم والليلة » و « الصنعة لا تتم صنعة عند المؤمن لصاحبها إلا بثلاثة أشياء : تصغيرها ، وسترها ، وتعجيلها ، فمن صغر الصنعة عند المؤمن فقد عظم أخاه ، ومن عظم الصنعة عنده فقد صغر أخاه ، ومن كتم ما أولاه من صنعة فقد كرم فعاله » و « قل الحق وان كان فيه هلاكك فان فيه نجاتك ، ودع الباطل وان كان فيه نجاتك فان فيه هلاكك » و « ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضائه ».

وقال رجل : سألته عن اليقين ؟ فقال : « يتوكل على الله ، ويسلم الله ، ويرضى بقضاء الله ، ويفوض الى الله » وسأله رجل عن الجواد ؟ فقال ﷺ : « إن لكلامك وجهين ، فإن كنت تسأل عن المخلوقين ، فإن الجواد الذي يؤدي ما افترض الله عليه ، والبخيل من بخل بما افترض الله ، وإن كنت تعني الخالق فهو الجواد إن اعطى ، وهو الجواد إن منع ، لأنه إن اعطاك ؛ اعطاك ما ليس لك ، وإن منعك ؛ منعك ما ليس لك » اعلام الهداية ٩ / ٢٣٤ . ٢٣٦



رواته وتلامذته

وابن أبي البلاد ذلك الجلي
وابن نعيم ذلك الكريم
ومثله بشير السدهان
ثم ابن يقطين الفتي الهمام
وابن نعيم الغامدي العالم
وبكر بن صالح الضعيف
فاق الجميع في الروايات عدد
ذاك الذي عند الرجال ثقته
وبعده رفاعه بن موسى
وبعده الفذ أبو جريـر
وابن عميرة الفقيه النخعي
قد وثقته زمرة الأوائـل
من وردت بمدحه الاقـوال
ذاك الذي ضعفه « النجاشي »
الثقة المبرز المـزان
والختممي الوثائق المقـال
وقيس الموثق الساباطي
يعرف في الاصحاب بالتقي
في حب أهل البيت كالمجنون
رووا عن الكاظم اسنى الدرر

ومن رواته أبان البجلي
وابن أبي بكر وبرايم
ثم ابن يوسف الفتي الطحان
ثم أبو اسامة الشحام
وبعده اسباط بن سالم
وابن أبي جهيم الحصيف
ثم جميل بن دراج وقد
والحسن بن الجهم وابن صدقه
وبعده حماد بن عيسى
ثم « درست » بن أبي منصور
ثم سعيد بن يسار الضبي
وصالح بن خالد المحامي
وبعدهم صفوان الجمال
وبعده يأتي فتي « خدش »
وابن طريف ذلك الخزان
والخضرمي الكاذب المغالي !!
وصندل بن الحسن الخياط
وابن أبي عمير الازدي
وهو الذي عانى من السجون
واخرون ممن رواة الخبر



واعتقدوا بصحة الامامه الى الرضا من بعده علامه ^(١)



(١) كرّس الإمام الكاظم عليه السلام جهده لإكمال بناء الجماعة الصالحة التي يهدف من خلالها الى الحفاظ على الشريعة من الضياع ويطرح النموذج الصالح الذي يتولى عملية التغيير والبناء في الاممة ، حيث مارس الإمام عليه السلام تحركاً مشهوداً في هذا المجال وقدم للامة النموذج الصالح الذي صنعته مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

ركّز الامام الكاظم عليه السلام في تربيته للجماعة الصالحة على ضرورة الانتماء الفكري والمعرفي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام وتحرك الامام عليه السلام بهذا الاتجاه مستغلاً للنهضة الفكرية التي حققها الإمام الصادق عليه السلام من قبل فقام باكمال عمل ابيه في بناء الكادر المتخصص فامتدت قواعده من هذا النوع حتى ذكر له (٣١٩) صحابياً.

كل منهم تلقى العلم والمعرفة من الامام الكاظم عليه السلام وقد خضعت هذه الجماعة بأئمتائها الفكري الى برمجة متقنة يمكنها مواجهة التحديات الثقافية والفقهية والابداع في ميدانها الخاص. الامام موسى الكاظم عليه السلام لباقر شريف القرشي ٢ / ٢٢٣.

قام الإمام موسى الكاظم عليه السلام بإعداد نخبة من الفقهاء ورواة الحديث تقدر كما ذكرنا بثلاثمائة وتسعة عشر شخصاً لكن قد تميز من بين أصحابه ستة بالصدق والأمانة وأجمع الرواة على تصديقهم فيما يروونه عن الأئمة عليهم السلام على انه اشتهر بين محدثين ثمانية عشر فقيهاً ومحدثاً من اصحاب الأئمة الثلاثة :

الباقر ، والصادق ، والكاظم عليهم السلام وهم المعروفون باصحاب الاجماع ، ستة من اصحاب الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام وستة من أصحاب الامام أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، وستة من أصحاب الامام أبي الحسن الكاظم عليه السلام وهم :

يونس بن عبد الرحمن ، وصفوان بن يحيى بياع السابري ، ومحمد بن أبي عمير ، وعبد الله بن المغيرة ، والحسن ابن محبوب السرد ، وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي.

هذا في المجال الفقهي أما الميادين الفكرية الأخرى مثل الكلام والقرآن واللغة ، وما شاكل ذلك فلها أيضاً رجال متخصصة فيها. اعلام الهداية ٩ / ١١٠.



انحراف الواقعة

لكن بعضهم بذلك وقفوا	وقد غدا في صحننا مضجعنا
أغررهم الاموال والرئاسه	واسـتغفلوا في النهج والسياسه
قد حسبوا ان غياب موسى	كغيبه الكلـيم أو كعيسى
ويالها من فكرةٍ وفتنه	ما عرفت في آية أو سنه
وبعضهم عاد الى الامام	معتذراً بالفعل والكلـلام ^(١)

(١) قال النوبختي : لما توفي الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بالمدينة افتزقت شيعته من بعده ست فرق :

١ . فرقة تسمكت بإمامته وقالت انه حي لم يموت وسوف يظهر وانه المهدي وهذه الفرقة تُسمى « الناووسية » ورئيسهم من اهل البصرة اسمه « عجلان بن ناووس » وقال الشهرستاني في الملل والنحل « بل هو ناووس » وقيل تُسبوا الى قرية « ناوسا ».

٢ . فرقة زعمت ان الإمام بعد جعفر الصادق عليه السلام هو ابنه الكبير اسماعيل ، وانكرت موته في حياة ابيه رغم تأكيد الإمام الصادق عليه السلام على موته ، وكانوا يقولون بذلك من جهة التلبس عليهم كونهم يعتقدون ان اباه الصادق عليه السلام غيبه عنهم ، وانه سيظهر كما ظهر نبي الله موسى بعد غيبته وذهابه لميقات ربه ، وهذه الفرقة هي الاسماعيليه . ونقل : لا زالت منها اليوم بقية في الجزيرة العربية ، والهند ، وباكستان ، وشمال افريقيا .

٣ . فرقة زعمت ان الإمام بعد الامام الصادق عليه السلام هو محمد بن اسماعيل حفيد الامام الصادق عليه السلام وانه قام بالامامة في حياة الصادق عليه السلام بعد وفاة ابيه اسماعيل ابن الصادق وهم المسمون بـ « المباركية » كان رئيسهم « مبارك » وهو كوفي .

٤ . فرقة زعمت ان الامامة بعد جعفر الصادق عليه السلام في ابنه عبد الله بن جعفر الاطّح وهم « الفطحية » .





٥ . فرقة افتقرت من الفرق السابقة وتزعمها رجل اسمه « الخطاب » فصارت الفرقة باسم « الخطابية » . وقد انقرضت هذه الفرق ما عدا بقايا الاسماعيلية واقربهم الى الامامية جماعة الشيعة البهرة .

٦ . الفرقة السادسة وهي الفرقة الامامية التي ثبتت على امامة موسى بن جعفر عليه السلام وهكذا تكون جميع الفرق الخمس السابقة تُسمى بـ « الواقفية » لأنهم توقفوا عن الاعتقاد بامامة موسى بن جعفر عليه السلام . فرق الشيعة / ٧٨ .

ثم قال النوبختي بعد عده لهذه الفرق : وفرقة الامامية هي الفرقة الحققة الماثورة عن الصادقين عليه السلام وذلك لصحة مخارجها وقوة براهينها وجودة اسانيدها . المصدر السابق .

اما الشيخ المفيد فقد ذكر : وكان اسماعيل اكبر اولاد ابي عبد الله الصادق عليه السلام وكان شديد المحبة له والاشفاق عليه ، حتى كان قوم من الشيعة يظنون انه القائم بعد ابيه والخليفة له لميل ابيه اليه واکرامه ، فمات في حياة ابيه ، فحمل على رقاب الرجال ودُفن بالبقيع ، وكان الإمام الصادق عليه السلام يتقدم نعشه في تشييعه وكان كثيراً ما يكشف عن وجهه ويريد بذلك تحقيق موته عند شيعته او الظّانين خلافته بعد ابيه ، وازالة الشبهة عنهم فيما بعد .

وبعد موت اسماعيل انصرف الشيعة عن القول بامامته بعد ابيه ، ولكن اقام على ذلك جماعة قليلة لم تكن من خاصة ابيه ولا من اوثق رواته ، بل كانوا من الابعاد والاطراف ، وبعد وفاة الامام الصادق عليه السلام انتقل الشيعة الى القول بامامة ولده موسى بن جعفر عليه السلام وافترق الباقيون فريقين فريق منهم ثبت على امامة اسماعيل وهم اليوم قليلون لا يشكلون ثقلًا في ميزان الشيعة ، وفريق منهم رجح عن القول بامامة اسماعيل وقالوا بامامة ولده « محمد بن اسماعيل » لظنهم ان الامامة كانت لأبيه ثم انتقلت الى ابنه وان الابن احق بمقام الامامة من الاخ .

وهذا الفريقان هما « الاسماعيلية » . الارشاد / ٢٨٤ . ٢٨٥ .

ومحمل القول ان الامامة ثابتة للامام موسى بن جعفر عليه السلام بنص ابيه وتأكيده عليه السلام مراراً على ذلك خلاف ما يدعي الاسماعيلية .



جرائم المنصور

وحاولت ظلماً بنو العباس
وضايقوا الكاظم بل ناووه
ولاقت الشيعة في أيامه
بالسجن والتعذيب والمنافي
وامتلات بالشيعة السجون
فمنهم من دس في الجدار
ومنهم من قطعوا يديه
وبعضهم من مات بالقيود
حتى غدت أرواحهم مباحه
مشاهد أدمت فؤاد الكاظم
يكظم حزنه بصبر الاوصيا
فطالما تابعه المنصور
يُحصى على ابن جعفر أنفاسه
يسأل عن اخباره وفعله
لعله يأخذه بتهمه
لكنه قد خاب في مسعاه
فعاجلت أسهم المنية
وقد قضى في سفره للحرم

إغفال ذكره بقلب قاسي
بكل اسراف وقد آذوه
كل صنوف الموت واصطلامه
ومقتل الاباء والاشراف
فللعذاب فوقعهم فنون
ومنهم غلق بالأسوار
وسملوا ببغيتهم عينيّه
وبعضهم يحرق بالحديد
في كل يوم صلبوا بساحة
وهو يرى الشيعة في المظالم
وحلمه صار كحلم الأنبياء
بألف عين خلفه تدور
يُرسّل عند باب حراسه
ويرصد الزوار في منزله
إذ أصبحت شيعة موسى همّه
ولم ينل موسى ومبتغاه
ووقعت بالظالم الرزية
في « بئر ميمون » بليال الظلم^(١)

(١) تعد فترة الحكم العباسي المقيت فترة مظلمة على الصعيد السياسي ، والاجتماعي



والاخلاقي ، فعلى الصعيد السياسي انتشر الارهاب والقتل على الظّنة والتهمة وخاصة على رجالات الشيعة وقادتهم ، حتى صار السجن ، والقتل ، والتشريد ، والارهاب لأنفاه الاسباب أمراً عادياً ، اما على الصعيد الاخلاقي فقد انشغل الحكم والامراء باقتناء الجواري ، والاقبال على اللهو ، واللذة ، والترف ، وبناء القصور ، وتلفوا اموال الناس ، وصادروا اموال المساكين والفقراء ، والمحكوم عليهم بالقتل والسجن ، وقد استفاضت روايات المصادر المعتمدة بنقل صور المطاردة والشدة التي لاقاها الامام وشيعته بحيث تبعوهم في كل ناحية ومصر وجندوا الاموال والرجال لغرض استئصالهم.

وكانت ظروف الامام الكاظم عليه السلام السياسية صعبة للغاية حيث ، حُوصِر وضُيق عليه في حله وترحاله ، وكذلك بالرييل الاول ممن رياه من خلّص تلاميذه واصحابه ، وتشير المصادر الى ان الامام الكاظم عليه السلام قد تحمل اعباء الامامة من سنة ١٤٨ هـ الى سنة ١٨٣ هـ وقد شملت هذه الفترة حكم اربعة من طغاة بني العباسي ، وهم المنصور ، والمهدي والمهدي وهارون.

ففي ايام المنصور العباسي عانى الامام الكاظم ووالده الصادق عليه السلام وتخلّص اصحابه وتلاميذه اشد المعاناة من ظلم وقتل وارهاب وتشريد ..

ونقلت المصادر ان المنصور صادر اموالهم وادخلهم السجون والمعتقلات وطاردتهم تحت كل حجرٍ ومدر ، وبالغ في تعذيبهم وتفنن ، في اساليب قتلهم ، فمَرّة يبيّن عليهم الاسطوانات وهم احياء ، ومرة يمنع عنهم الطعام والشراب حتى يموتوا جوعاً في اعماق سجونهم المظلمة ومرة يثقلهم بالضرب ، والحديد حتى يموتوا ، وهكذا عانى الامام عليه السلام ما عانى حتى اراح الله العباد والبلاد من هذا الطاغية بعد ان خلف لولده المهدي خزانة مملوءة برؤوس العلويين.

ويذكر السيوطي : في سنة ١٤٥ هـ خرج الاخوان محمد ، وابراهيم ، ولدا عبد الله بن الحسن المثنى على المنصور فظفر بهما وقتلهم مع جماعة كثيرة من آل البيت ، فإنا لله وإنا اليه راجعون.

وقال : قتل المنصور خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه وهو الذي ضرب ابا حنيفة لأنه رفض القضاء ثم سجنه ، فمات بعد ايام وقيل ، قتله بالسم لكونه افقّ الناس بالخروج عليه. وقال : وكان المنصور في غاية الحرص والبخل حتى لُقّب بالدوانيقي.





وقال : آذى المنصور جمعاً من العلماء والفقهاء ممن خرج عليه أو افترى بالخروج عليه قتلاً وضرباً وتضييقاً منهم أبو عبد الله الصادق ، وأبو حنيفة ، وابن عجلان ، ومالك بن انس. وأخيراً قال :

وفي سنة ١٥٨ هـ أمر المنصور نائب مكة بحبس سفيان الثوري وعباد بن كثير ، وتخوف الناس أن يقتلهم إذا ورد الحج ، فلم يوصله الله سالماً وكفاهما الله شره إذ عاجله داء البطن في شهر ذي الحجة وهلك فدفن بين الحجون وبئر ميمون. تاريخ الخطباء / ٥٩ . ٦٢ . ومما ذكره اليعقوبي : وأخذ المنصور أموال الناس عنده واستصفها له ، وكان يقول . أي المنصور . : مَنْ قَلَّ ماله قَلَّ رجاله وَمَنْ قَلَّ رجاله قوي عدوه عليه وَمَنْ قوي عدوه عليه ذهب ملكه وَمَنْ ذهب ملكه استبيح جماعه. تواريخ الخلفاء / ١٨٦ .

بينما يذكر القمي : وأجمالاً فقد كان المنصور رجلاً دموياً ، سفاكاً نصب للإمام الصادق وولده من بعده ولجماعة الشيعة أشد العداوة ، وفي السنة العاشرة ، من حكمه دس للإمام الصادق السم سنة ١٤٨ هـ كما مر ذكره. التتمة في تواريخ الخلفاء / ١٨٦ .



عهد المهدي

وبعد ما تـو في المنصـور	تغيّرت من بعده الامور
وانتقل العهد الى المهدي	خليفة بحكمه الغوي
فلم يكن بقسوة المنصور	ولم يكن ببخله المشهور
وهو الذي قد أطلق الرجالا	من سجنه وأرجع الاموالا
مقرباً منه جواري الغنا	ومبعداً عنه التقى المؤمنا
ولم يرث من شرف الاسلاف	سوى هوى الحقـد على الأشراف ^(١)

(١) لم يطرأ على سياسة الخلفاء العباسي المهدي أي تغيير يعول عليه ، التزم بالنهج العباسي كخط ثابت واستوحى منه ما يجب أن يعمل به من تفصيلات قد تستحدث أثناء سلطته ، وسار على ما سار عليه الخلفاء العباسيون من قبله ، نعم طرأ بعض التغيير لصالح العلويين بعد ذلك التضييق الشديد من المنصور على العلويين فكانت مصلحة الحكم تقتضي شيئاً من المرونة ، الأمر الذي دعا الامام عليه السلام أن يستغل هذه المرونة التي اتخذها المهدي العباسي لصالح اتباعه وتوسعة نشاطه ومحاور تحركه.

بعد هلاك المنصور عام ١٤٨ هـ ببيع لولده محمد المهدي وامتدت خلافته عشر سنوات وقليل ، وفور تسلمه الحكم حاول ان يخفف عن كاهل الرعية في مطلع حكمه فأطلق سراح السجناء ، وردّ ما صادره ابوه المنصور من اموالهم وقد شمل هذا القرار جماعة من آل ابي طالب وبعض شيعتهم وكان الإمام الكاظم عليه السلام احد من ردت اموال ابيه اليه.

وهنا يذكر اليعقوبي : وحال اخذه الحكم امر بأخراج من في المحابس من العلويين وغيرهم من سائر الناس وامر لهم بجوائز وصلات. تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٩٤.

وقال السيوطي : وكان ابو محمد بن المنصور جواداً محبباً الى الرعية ، ولما صارت خزائن الدولة بيده اخذ في ردّ المظالم. تاريخ الخلفاء / ٢٧١ . ٢٧٢.

ويبدو من خلال استقراء الروايات انها ضرب من السياسة الماكرة قام بها الخليفة لتهدئة الوضع السياسي المضطرب والظلم الفاحش ايام حكم ابيه ، فحاول فعل هذا السلوك من

↩



وفرح الناس بعهد « المهدي »
 لكنّه اسرف في المجنون
 ولم يكن لنفسه من همّ
 فخمرة من منزل لمنزل
 ونجّله الفاجر « ابراهيم »
 « وجوهر » جارية الغناء
 كؤوسه من فضة أو ذهب
 قد عبثت في عهد النساء
 فالخيزران تحكم الامورا
 تمدحه كما يريد الشعرا
 وهو يصب المال دون خوف
 واستبشروا بئوده والسعد
 واللهو والعيّدان واللحون
 سوى ملذات الهوى والنوم
 يرقصه في الليل صوت « الموصلي »
 وبتنه « عليه » تهيم
 تسقيه من خمر ومن صهباء
 يخالف في ذاك سنة النبي
 تفعل « بالمهدي » ما تشاء
 حتى غدا خليفة مأمورا
 في كذب مزيف وفي افترا
 الى قصيد ضم كل زيف^(١)



ارجاع اموال الناس واطلاق سراح السجناء انما هو لعبة سياسية فعلها هو وغيره لجلب التأييد الى حكمه ونيل محبة الناس له.

(١) ومن سمات حكم محمد بن المنصور المهدي انتشار اللهو والمجون.

قال الشيخ محمد فاضل المسعودي : ويُعتبر محمد المنصور اول خليفة عباسي اسس اللهو والمجون في دولة بني العباس حيث قرب المغنين والفساق واهل اللهو كابراهيم الموصلي وغيره. العبد الصالح / ١٦٧

ومن سمات حكمه سيطرة النساء والجواري على مقاليد الحكم والامور العامة ، فكان للخيزران زوجته مرتبة عالية في الحكم ، وكانت تفتي وتأخذ بأوامرها.

وهكذا انتشر الفساد والمجون في ايامه وعم الاسراف والبذخ في مدة حكمه ، ورغم ان المهدي احسن الى العلويين في بداية حكمه كما ينقل المؤرخون ، غير أن المهدي شجع الوضّاعين في زمنه ، فقام هؤلاء بدور إعلامي تضليلي فأحاطوا السلاطين بهالة من التقديس وأبرزوهم في المجتمع على أنهم يمثلون ارادة الله في الارض ، وأن الخطأ لا يمسهم





فمثّل غياث بن ابراهيم الذي عرف هوى المهدي في الحمام وعشقه لها ، فحدثه على ابي هرير أنه قال : لا سبق إلا في حافر أو نصل . وزاد فيه . أو جناح .
فأمر له المهدي عوض افتعاله للحديث بعشرة آلاف درهم ، ولما ولى عنه قال جلسائه :
أشهد أنه كذب على رسول الله ﷺ ما قال رسول الله ذلك ولكنه أراد أن يتقرب اليّ .

تاريخ بغداد ٢ / ١٩٣ .

وأسرف المهدي في صرف الاموال الضخمة من أجل انتقاص العلويين والخط من شأنهم فتحرك الشعراء والمنتفعون ، وأخذوا يلفقون الأكاذيب في هجاء العلويين ومن جملة هؤلاء مروان بن أبي حفصة الذي دخل على المهدي ذات يوم وأنشد قائلاً :

يا ابن الذي ورث النبي محمداً	دون الأقارب ممن ذوي الأرحام
الوحي بين بني البنات وبينكم	قطع الخصام فلات حين خصام
ما للنساء مع الرجال فريضة	نزلت بذلك سورة الانعام
أنى يكون وليس ذاك بكائن	لبني البنات وراثته الأعمام

فأجازه المهدي على ذلك سبعين ألف درهم تشجيعاً له ولغيره على انتقاص أهل البيت عليهم السلام .



اعتقال الإمام

في كل هذا أصبح الأمام	محتته .. الأمة والإسلام
يُحذّر الناس من الاهواء	والفتنة العمياء والبلاء
فخاف من موقفه المهدي	وهو غلام طائش غوي
فاعتقل الإمام في المدينة	وصار في محبسه رهينه
لكنه أطلقه اذ عانا	لما رأى من ربه برهانا
حيث رأى بنومه « عليا »	محذراً مقلّطاً المحيّا
يقرأ آيات من القرآن	تلهج بالارحام والاخوان
فارتعب المهدي في المنام	مسارعاً لحضرة الأمام
ومكرماً إيّاه بالاموال	ومرجعاً إيّاه للعيال
وبعد حين هلك المهدي	يجرّه شيطانه الغوي
لم ييكنه من أمة الإسلام	سوى جوارٍ صرن كالإتيام ^(١)

(١) ان هاجس الخوف من العلويين وبالذات من الإمام الكاظم عليه السلام لم يدع المهدي مرتاحاً ، اضافة ، الى وجود اهل الحق والنفاق والشااية الذين يثبونه على اعتقال الإمام وانصاره ، لا سيما وان الإمام عليه السلام وانصاره كانوا يُحذّرون الناس من هذا اللهو والفساد والجون ، ويقفون ضد توجه السلطان واتباعه في السير على هذا النهج.

وقد نشط الإمام الكاظم عليه السلام مستغلاً هذه الفرصة المحدودة فكان برنامجيه يتوزع على خطين :

خط التحرك العام في دائرة الامة والانفتاح عليها بهدف إصلاحها ضمن صيغ وأساليب سياسية وتربوية من شأنها إعادة الامة الى وعيها الإسلامي وقيمها الرسالية.





وخط بناء الجماعة الصالحة وتأصيل الامتداد الاسلامي الشيعي فتوجّه خلال هذه الفترة القصيرة بكل قوة نحو هذا الخط حتى جاء دور الرشيد فضيّق على الإمام عليه السلام وسجنه ثم قام بتصفية نشاطه وحياته عليه السلام.

وهكذا اوعز ابن المنصور الى واليه على المدينة ان يعتقل الإمام الكاظم وان يُرسله الى بغداد وحالما وصل الإمام عليه السلام الى بغداد زجّه في سجن رهيب ، لكن حصول كرامة غيبية أدت الى اطلاق سراحه.

فقد نقل ابن خلّكان : ان الخليفة العباسي المهدي رأى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في المنام وهو يقول له : يا محمد ، هل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم ، ففزع المهدي واستدعى حاجبه الربيع واطلق سراح الإمام عليه السلام واكرمه واعاده الى مدينة جده. وفيات الاعيان ٥ / ٣٠٨.

وبعد حكم دام عشر سنوات عُرف بالنساء واللهو والمجون وتسلط النساء والجواري وكثرة الترف والخلاعة ، إضافة الى قتل العلماء والصلحاء بتهمة الزندقة ، هلك محمد بن المنصور بعد ان جمع به جواد فسقط منه فأصطدم بباب خرابة فهلك وكان خارجاً آنذاك الى الصيد واللهو ، وقيل هلك بسم دسسته له احدى الجواري بسبب ضربة لها اتخذها المهدي. تنمة اخبار الخلفاء / ٢١٢.



عهد موسى الهادي

وبايع الطغاة « موسى الهادي »
وكان ذا لهوٍ وذا مجنونٍ
عداؤه للعلويين غدا
فلم يروا كمثلَه عنيـدا
اذ قطع الارزاق والعطاء
بالجهل والاطماع والأحقاد
منغمساً بخمرة الفتون
شعاره الباقي على طول المدى
مخالفاً كتابنا المجيـدا
وصبَّ فوق الأمة البلاء^(١)

(١) بعد هلاك محمد بن المنصور المهدي اخذ ولده هارون البيعة لأخيه موسى الهادي وذلك في عام ١٦٩ هـ وكان آنذاك الهادي صغيراً عمره ٢٦ سنة كما نقل السيوطي عن الخطيب البغدادي في تاريخه قوله : لم يل الخلافة قبله احد بمثل صغر عمره. تاريخ الخلفاء / ٢٧٩ وقد حكم سنة وبضعة شهور ، وبحكم كونه صبيّاً وذا نزعات شريرة عدوانية ، فقد اتسم زمنه بالقسوة ، والخوف ، والارهاب ، وخاصة على العلويين ، حيث اعاد فترة حكم جده المنصور في المطاردة والقتل.

قال اليعقوبي :

والح الهادي في طلب العلويين واخافهم خوفاً شديداً وقطع عنهم ما اجراه ابوه المهدي من الارزاق والصلات وكتب الى الافاق في طلبهم وجلبهم وحبسهم. تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٠٤. وقد عُرف بالسكر والمجون وحب الغناء كأبيه من قبل وكان مُقبلاً على شرب الخمر حتى وصفه الجاحظ بقوله : كان موسى الهادي شقي الاخلاق سيئ الظن مقبلاً على اللهو والمجون والسكر. اخلاق الملوك / ٣٥

ونقل السيوطي عن الذهبي قوله : كان يتناول المسكر ويلعب ويمرح ولا يقيم للخلافة قدراً وعنده سطوة وكبرياء. كان جباراً وقد اشاع حمل السلاح بين يديه. تاريخ الملوك / ٢٧٩.

↩





وتشير جملة المصادر المعتبرة انه بالغ كثيراً في ايذاء العلويين والتكيل بهم وبعد بلاءٍ وعناءٍ شديدين داماً اكثر من سنة اراح الله منه الامة بدعاء الإمام الكاظم عليه السلام كما سيأتي بيانه لاحقاً.

قال السيوطي : مات الهادي في سنة ١٧٠ هـ واختلف في سبب موته ف قيل انه مازح نديماً له فدفعه على اصول قصب قد قطع فتعلق به الندم فدخلت قصبة في منخره فماتاً جميعاً ، وقيل اصابته قرحة في جوفه . كما حصل للمنصور من قبل . وقيل ستمته امه الخيزران لما عزم على ابعاد الرشيد . هارون . عن ولاية العهد ليعهد بها الى ولده . تاريخ الخلفاء / ٢٨٠



ثورة فخ

فانطلقت قوافل الثوار
رائدهم كان الحسين بن علي
فجده بالمكرمات يعني
وهو ابن سبط المصطفى العظيم
وأمه زينب بنت الحسن
ثُرِقتُ ابنها الحسين قائله
« كم لك بالبطحاء من معدٍ
شَبَّ الحسين بالتقى والكرم
يقول : ان الذهب المصفى
على صدور الغيد والثياب
وجلجلت انشودة الأحرار
ذو النسب الطاهر والفخر الجلي
مشتهرٌ بالحسن المثني
الحسن المطهر الكريم
أكرم بها من مرأة لم تهن
وهي به للمجد أضحت نائله
من خالٍ صدق ماجدٍ وجدٍ
وصار في البطحاء مثل العلم
والفضة البيضاء حين تُصفى
عندي تساوي قيمة التراب^(١)



(١) تواترت كتب التاريخ والسير بنقل واقعة فخ مأساوية وسيرة قائدها الشهيد الحسين بن علي ؑ فقد سردها الطبري :

لما وصل الحكم الى الهادي العباسي عمدا الى مضايقة العلويين ، والتنكيل بهم وزجهم في السجون ، وقتل اشرافهم مما حفز العلويين الى الثورة ضده ، فكانت هذه الثورة المأساوية ، وهي من ابرز ثورات العلويين واكثرها لوعة بعد ثورة السبط الحسين ؑ واستشهاده يوم كربلاء ، حيث ضاهت ثورة فخ ثورة السبط الحسين ؑ في الطف سواء في اهدافها او في نتائجها او في لوعتها حتى قال الإمام الجواد ؑ :

لم يكن لنا بعد الطف مصرعٌ اعظم من فخ. تاريخ الطبري ٦ / ٤١٠.



موقف النبي في فح

وفيهِ ما عَنِ الرَّسُولِ أَثَرًا
فَأَوْقَفَ الْأَصْحَابَ لِلصَّلَاةِ
وَقَالَ : هَاهُنَا رِجَالٌ تَقْتُلُ
يُخْطِئُونَ بِمَنْحُوطِ الْجَنَّةِ
أَرْوَاحَهُمْ تَطِيرُ لِلْسَّمَاءِ
أَجْرُ شَهِيدِينَ لِمَنْ يَقْضَىٰ مَعَهُ

فِي أَنَّهُ اجْتِازَ بـ « فِخ » سَحْرًا
وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ فِي أَنْفَاةٍ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَعَلَيْهِمْ رِجَالُ
أَكْفَانِهِمْ يَا وَيْلِي الْأَسْنَه
قَبْلَ جَسَدٍ عُدْنَ فِي الْعَرَاءِ
وَمِنْ يَمُوتُ فِي ضَرْبِ الْمَعْمَةِ ^(١)



(١) وقد نقلت جملة من المصادر ان رسول الله قد اشار الى واقعة فسخ في ايامه فقد نقل القمي بسندٍ الى ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال : مرَّ النبي بفسخ فصلى ركعتين وبكى فلما سُئل قال : نزل عليَّ جبرائيل عليه السلام وقال : يا محمد ان رجلاً من ولدك يُقتل في هذا المكان واجر الشهيد معه اجر شهيدين. وتُقل ايضاً عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام انه لما مرَّ بفسخ توضأ وصلى ثم قال عليه السلام : يُقتل ها هنا رجلٌ من اهل بيتي في عصابة تسبق ارواحهم اجسادهم الى الجنة. منتهى الآمال ١ / ٤٤٨.

ويبدو من سياق ما تقدم انهما ثورة عقائدية رائدة قامت لإحياء دين الله وسنة رسوله ضد الظلم والطغيان والفساد ، وقد تواترت الروايات بخصوص قائدها وهو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وقالت المصادر انه كان ، يُكنى بـ « ابي عبد الله » امه زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكانت امه زينب وابوه علي بن الحسين يُسميان بالصالحين لعبادتهما ، وكان المنصور العباسي قد قتل اباها ، واخاها ، وبنيتها ، وعمومتها ، وزوجها من قبل ، وكانت طالما تدعو على المنصور وهي نادية باكية حتى لحقت بربها سبحانه.

وكان صاحب فسخ الحسين بن علي ذا جلالٍ وفضلٍ وسؤددٍ قلّ نظيره ، وقد وصفه الواصفون بأنه جليل القدر ، سخي الطبع ، وسيد ذو شجاعة ، وحمية أحييت ذكر سبط الرسول الإمام الحسين أيام كربلاء.



سبب الثورة

واجمع المؤرخون قاطبة
سببها ظلم « بني الخطّاب »
اذ قبضت شرطة موسى الهادي
وضربتهم بالسياط ظلماً
فامتألت شوارع المدينة
وازدادت الرهبة بعد المحن
يوم توارى عن عيون الشرطة
فهدد الوالي بحبس يحيى
أو يأتياني بالذي قد اختفى
وقال ان لم تظهر الحقيقة
فأحرق البيوت والمزارع
واخذ العهد من الأشراف
بأن ثورة الحسين الغاضبة
حين أهينت خيرة الأطياف
على رجال هاشم الاجواد
وكبّلتهم بالحبال مجرماً
بالغضب المكبوت والضغينة
عند اختفاء « الحسن بن الحسين »
وهو تحدي لرجال السلطة
ثم الحسين ان أراد البقيّة
بعد ثلاث فهُم أهل الوفا
أهجم بالنار على « سويقه »
وادفن الأنهار والمشاعر
إما الوفا أو شفرة السيف^(١)

(١) والاسباب التي أدت الى الثورة عديدة ، نذكر منها سببين :

الأول : الاضطهاد والإذلال الذي مارسه الخلفاء العباسيون ضد العلويين واستبداد موسى الهادي على وجه الخصوص.

الثاني : الولاة الذين عيّنهم موسى الهادي على المدينة مثل تعيينه اسحاق بن عيسى بن علي الذي استخلف عليها رجلاً من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز.

وقد بالغ هذا الأتيم في اذلال العلويين وظلمهم فالزمهم بالمشول عنده كل يوم ، وفرض عليهم الرقابة الشخصية فجعل كل واحد منهم يكفل صاحبه بالحضور ، وقبضت شرطته على كل من الحسين بن محمد بن عبد الله بن الحسن ، ومسلم بن جندب وعمر بن سلام ، وأدعت الشرطة انها وجدتهم على شراب فأمر بضربهم ، وجعل في أعناقهم حبلاً ، وأمر أن يطاف بهم في الشوارع ليفضحهم.



بيعة صاحب فخ

فاجتمع الثوار آل طالب
فذكروا ما كان عند الوالي
واقسموا أن يصبحوا بالوادي
فبايعوا الحسين إلا « الكاظم »
وقال للحسين يا ابن عمي
فأحسنوا الضراب والقتال
فالقوم فساق بلا إيمان
فخطب الحسين عند المسجد
وقال : يا ناس أنا ابن المصطفى
وقد عرفتكم أمي الزهراء
أطلبون بعض آثار النبي
بايعتكم على كتاب ربي
وإنني أدعوكم الى الرضا
أدعوكم للعدل في الرعية
وان تقيموا معنا الجهادا
أوفوا لنا اذا وفينا لكم

ليلاً بدار الحسين الغالي
فاهتزت السيوف للأبطال
حرباً على كل ولاة الهادي
وهو لعمري بالمصير عالم
إنك مقتول وذاك غمي
وحسبكم من عصابة أبطال
ويضمرّون الشر للقرآن
مصلياً على النبي أحمد
وقد عرفتكم جدي المشرفا
والمرتضى على الوضاء
وتتركون نسلة للكرب
وسنة المطهر المحب
ولأتباع سنة لمن مضى
وقسمة الأموال بالسوية
وتصلحوا العباد والبلادا
وتلك بيعة لنا عليكم^(١)

(١) ان صاحب الثورة الحسين بن علي ، قد شبَّ في طفولته في احضان امه واييه الصالحين حتى نشأ على التقوى والكرم فعرفه الناس بالسخاء والجود كان أبي النفس لا يقبل الذل



والضيم شأنه شأن آبائه واجداده من اهل البيت عليهم السلام ولما نهض بثورته المباركة نهض معه اخوته واهل بيته وثلة سالحة من اصحابه ذكر منهم الاصفهاني في مقاتله : يحيى بن عبد الله بن الحسن المحض ، وادريس بن علي بن الحسن المحض ، وسليمان بن عبد الله بن الحسن المحض ، وقد أسر ثم قُتل فيما بعد ، وعلي بن ابراهيم بن الحسن ، وابراهيم بن اسماعيل بن طباطبا ، الحسن بن محمد بن عبد الله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن المثنى ، وقد اسر ثم قُتل فيما بعد ، وعبد الله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن المثنى.

وذكر المسعودي : لما قُتل الحسين بن علي صاحب فخ والكثير ممن كان معه من اهل بيته واصحابه قُطعت رؤوسهم ثم تركوا ثلاثه ايام لم يواروا الثرى حتى اكلتهم السباع ووحوش الطير . المروج ٣ / ٣٧٢ .



معركة فخ

وحشّـدوا جنـودهم للثـورة
وهرب الـوالي بغير حربٍ
وخرج الحسين نحو الكعبه
ثم استعد الجنـد للـقـراع
وجدّ بالمسير حتى وصلـا
فأرسل (الهادي) جيوشاً تترا
يقودهمـا في سـعيها العباس
واشتعلت معركة مدوية
فطارت الرؤوس والرقاب
وصارت السهام مثل المطر
وطاول الحسين سـهم الغي
واستشهد الثوار بعد صـبر
وترك الحسين في العراء
ملقى بلا غسل ولا تكفين
وأرسلت رؤوسهم للهادي
وامر الطاغـي بقتل الاسرى
وصلبوا على جدار الحبس
وحزن الإمام موسى الكاظم

واصبحت « يشرب » بعد حـرة
سوى رجال قتلوا بالضرب
وهو يناجي في الخفاء ربه
ويشرب وال بهـا « الخزاعي »
« فخاً » فحط عندها مبتهلاً
لعلها تظفر بـابن الزهرا
وبعدّه موسى وجـر الناس
حيث التقى الحشيان يوم التروية
وانثلمت بضربها الحـراب
وسالت الأرض بسيلٍ أحمر
يطلق من « حماد التكري »
وامعنت فيهم رماح الغدر
مضمخاً بأطهر الدماء
مضرحاً كجـده للـدين
وشتمت في ذلك الاعادي
فقتلوا مقيدين صـبرا
من الصباح لمغيب الشمس
ونكست من هاشم العمائم^(١)

(١) واما كيفية الثورة وبدايتها حسب ما اورده المصادر الآتفة الذكر :



لما هلك المهدي العباسي كان يلي حكم المدينة اسحاق بن عيسى ولما ولي موسى الهادي امر الخلافة خرج اسحاق لاستقباله وتهنّته في بغداد ، ثم طلب منه اعفائه من امانة المدينة لما يتوجس من احتمال ثورة العلويين ، فاستجاب الهادي لطلبه ، وعيّن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فأُتبع هذا الوالي الجديد سياسة الاضطهاد والارهاب ضد العلويين ، وافرط في التحامل عليهم ، وامرهم ان يكونوا دوماً تحت عينه ورقابته ، وكانت للوالي الخطابي ضغينة وحقد على الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ، فطلب حضوره يومياً تحت عينه ، ثم طلب منه كفالة وضمانة ، فكفله الحسين بن علي صاحب فخ ، ويحيى بن عبد الله ، ولكن سرعان ما أتهمّه وجماعة من الشيعة من صحابته بشرب الخمر ظلماً وبهتاناً ، ثم جلداهم وفضحهم تحت نظر الناس ، ثم اودعهم السجن ، وسرعان ما خرج الحسين بن علي صاحب فخ وجماعة من العلويين بالاحتجاج على الوالي ، وبعد الحاج شديد وهياج تمّ اطلاق سراحهم بكفالة.

ولكن الوالي الخطابي قد عهد الى ابي بكر بن عيسى الحائك مسؤولية مراقبة الحسن بن محمد المتهم سابقاً ، حيث طلب منه الحضور ، يومياً الى المسجد وحدث ان تعيّب المذكور اعلاه عن الحضور بسبب زواج له ، مما دعى ابن الحائك الى سجن جماعة من العلويين لأجله لحين احضار الغائب ، فحصل إشتباك بسيط بين العلويين وجماعة شرطة الوالي ، مما ادى الى استدعاء الكفيلين الحسين ويحيى وهما وبنهما ، واقسم ان لم يجلبا الغائب ان يحرق دار الحسين بن علي . صاحب فخ . ويضربه ألف سوط ، وبعد خروج الكفيلين التقى صاحب فخ بالغائب محمد بن الحسن ، وطلب منه الاختفاء عن عين الوالي ، ولكن الثاني رفض وطلب لقاء الوالي.

ومن هنا اندلعت الثورة حيث تجمع العلويون في دار الحسين بن علي . صاحب فخ . عددهم ٢٦ رجلاً من آل علي بن ابي طالب ، وثلاثة صالحه من الشيعة ، ممن جاءوا الى الحج فاشتعلت الثورة وشرارتها ، حيث هاجم العلويون دار الامارة ، حيث فرّ الوالي واعوانه ، بعد ذلك خرج الثوار يقودهم الحسين بن علي الى المسجد وهم ينادون بالتوحيد وجعلوا الآذان بـ « حي على خير العمل » وكان قائدهم صاحب فخ قد جلس على المنبر وعلى رأسه عمامة بيضاء ، وبايعوه على القتال والجهاد للرضا من آل محمد ، ثم خطبهم الحسين قائلاً : انا ابن رسول الله وعلى منبر رسول الله وفي حرم رسول الله ادعوكم الى





أحياء سنته ، وهكذا توحدت كلمتهم وباعوه بيعة رجل واحد ، وهنا جاءت نجدة عسكرية لاعادة النظام الى المدينة حينئذ ظهر السوالي المارب ابن الخطاب ، واستقبلهم ثم اتجهوا الى المسجد لقتال العلويين ودارت هناك معركة اسفرت عن فرار جيش السوالي وسيطرة الثوار العلويين على الامور ، حيث كسبوا عدة غنائم مادية ومعنوية.

وبعد اعداد العلويين انفسهم جيداً للقتال في المدينة ، حيث مكثوا ، هناك احد عشر يوماً ثم رحلوا الى مكة سنة ١٦٩ هـ وكان عددهم قد تكامل ٣٠٠ رجل.

وبعد وصول الخبر الى الخليفة العباسي المهادي في بغداد كتب الى محمد بن سليمان بالقضاء على هذه الثورة ورجلها ، ثم امدهم بجيش يقوده موسى بن علي بن موسى ، والعباس بن محمد بن سليمان ، وهكذا نظم العباسيون جيشهم وصار عددهم ٤٠٠ فارساً حتى التقى الطرفان عند فخ ، وهي مدينة تقع على بعد ست اميال من مكة.

وسرعان ما دارت معركة ضارية بين الطرفين « كواقعة كربلاء » حيث قاتل الحسين بن علي صاحب فخ واصحابه قتالاً رائعاً حتى استشهدوا جميعاً الا من نجح منهم وكان الحسين بن علي قد جاءهم ملعون اطلقه اللعين حماد التركي وكان رامياً مشهوراً فأصاب صاحب فخ حينئذ وهب محمد بن سليمان مائة الف درهم لحماة التركي جزاءً له على رميته وبعد ذلك احتزَّ العباسيون رؤوس القتلى وكان عددهم ١٠٠ رأساً وتركوا الجثث ثلاثة ايام دون مواراة ، حتى تحشتها الحيوانات الضارية على حد قول الرواة.

واما الاسرى والذين ورد ذكرهم فيما سبق فقد قُتلوا بعد ذلك سواء ممن قتل في المدينة او ممن جُلب الى بغداد وقُتل هناك.

واما بيان موقف الإمام الكاظم ؑ من هذه الثورة فإننا نجد ان هذه الثورة قد شابها وناظرت ثورة الشهيد زيد بن علي بن الحسين ؑ فيما سبق ذكره ، وان موقف الإمام الكاظم ؑ كموقف جده الامام الباقر ؑ حينئذ من ثورة زيد (رض) حيث رأينا فيما سبق ان الامام الباقر ؑ قد باركها سراً.

واما في هذه الثورة « فخ » فقد نقل الاصفهاني في مقاتله :

ان صاحب فخ قد عرض فكرة الثورة على الإمام موسى ابي الحسن ؑ فأجابته الإمام ؑ : انك مقتول فأحد الضراب فإن القوم فساق يضمرون إيماناً ويبتغون نفاقاً وشركاً فإننا لله وانا اليه راجعون وعند الله احتسبكم من عصابة.





ومن خلال هذا النص نستفيد ان الإمام الكاظم عليه السلام كجده الباقر عليه السلام كان يرى ان الثورة غير مناسبة في هذه الظروف لعدم الاعداد لها ، ولأنها معلومة النتائج رغم انها مشروعة في وجه الظلم والطغيان ، ومن خلال هذا النص وغيره يتضح لنا ان الإمام الكاظم عليه السلام ومن قبله الباقر عليه السلام كان يؤيد هذه الثورة سرّاً ويدعو لها في الباطن ، والدليل على ذلك ما اورده صاحب المقاتل الاصفهاني حيث ذكر انه :

لما جيء برؤوس الشهداء الثائرين . صاحب فخ واصحابه . الى الخليفة العباسي الهادي كان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حاضراً فتهجم الخليفة على الشهيد صاحب فخ ، ونال منه فأجاب به الإمام عليه السلام بقوله : بل مضى والله مسلماً صالحاً صواماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ما كان في اهل بيته مثله ، وكان الإمام الكاظم عليه السلام كثيراً ما يكيه ويترحم عليه.

وهكذا نالت هذه الثورة المباركة المأساوية كثورة كربلاء ، وثورة زيد ثناء القاصي والبداني ، ومنهم جل المؤرخين على اختلاف اهوائهم ، واصحاب السير والادباء والشعراء ودخلت التاريخ بصفحاتها المشرقة البطولة والفداء من اجل الكرامة والقيم الانسانية.



تنبؤ الامام بمقتل موسى الهادي

وهدد الهادي بقتل الطاهر
متهماً إياه في تهديد
فخاف منه شيعته الإمام
فابتسم الإمام ثم حوولا
وراح يدعو الله ان يقيه
يا رب أنت قادر لا تغلب
وقال : لا يأتاكم من خير
إلا وفيه موث موسى الهادي
فقد قضى اليوم وجبار السما
ووصل البريد بعد فترة
ان هلك الفاجر موسى الهادي

موسى بن جعفر الإمام الصابر
بدعمه « الحسين » بالتأييد
من انه يسعى الى انتقام
وقال فيه سوف ينزل البلا
شر خليفة الهوى السفه
وان وهبت نعمة لا تُسلب
من العراق في الضحى والسحر
مقترناً بفرحة العباد
والله إنه لحق مثلما !!^(١)
وقد أشاع في البلاد سره
وعمت الفرحة في بغداد^(٢)

(١) اشارة الى قوله تعالى (إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلٍ مَا أَنْكُمْ تَنْطِفُونَ).

(٢) قال علي بن يقطين وهو من اصحاب الإمام الكاظم : لما علم الهادي العباسي بشورة الحسين بن علي صاحب فخ ، ثم مقتلهم فيما بعد اخذ ينال من العلويين وخاصة من الإمام موسى بن جعفر . وقال : والله ما خرج صاحب فخ الا عن امره وعلمه لأنه صاحب الوصية في اهل هذا البيت . ثم حلف بقتله . أي الكاظم . وسرعان ما انتهى هذا الخبر الى الإمام . وعنده جماعة من اهل بيته فقال لهم : بم تُشيرون علي ؟ قالوا : غيب شخصك عنه وتبسم . ثم انشد :

زعمت سخيئة ان ستغلب رثما
ولتغلب مغالب الغلاب
ثم دخل ورفع يديه الى السماء وقال : « الهي كم من عدو انتضى علي سيف عداوته »
الدعاء المشهور بأسم الجوشن الصغير والمثبت في كتب الادعية ، ثم تفرق القوم فما
اجتمعوا الا لقراءة الكتاب الوارد بموت موسى الهادي العباسي . المناقب ٢ / ٣٠٦ . ٣٠٧ .



عهد الرشيد

وبعدّه بويغ للرشيد
بأنه يببطش بالمخالف
وقلّد الامر ليحيى البرمكي
وقال : قد أخرجت هذا الامرا
فاستعمل العمال كيف شئت
فأني مسلّم اليك
وانصرف الرشيد للذات
في العزف والغناء والتندر
فابتدأ البيعة بالوعيد
ويذل الثروة للموالف
يسنده لکن عليه يتكي
من عنقي اليك فيما يطرا
واعزل من العمال من كرهتا
معتمد في سلطتي عليك
مستأنساً في مُتبع الحياة
ومجلس البغي بلا تستر^(١)

(١) بويغ هارون الرشيد بعد هلاك اخيه موسى الهادي عام ١٧٠ هـ بمؤامرة دبرتها أمه الخيزران ويحيى البرمكي لكي يصل هارون الى الحكم ، وفور استلامه الخلافة أشاع سياسة الترغيب والترهيب لتوطيد حكمه معتمداً على يحيى البرمكي الذي عينه رئيساً للوزراء وفوض اليه امر الخلافة مُنصرفاً هو الى اللهو واللذات.

ويذكر الطبري : قال هارون ليحيى البرمكي : انت اجلسني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك وقد قلدتك امر الرعية واخرجته اليك من عنقي فأحكم بما ترى واستعمل من شئت واعزل من رأيت فإني غير محاسبك في شيء.

فكان يحيى البرمكي يُدير الأمور كما شاء ودون علم هارون. تاريخ الطبري ٣ / ٩٠٣
قال السيوطي : كثيراً ما كان هارون يكي على ذنوبه وإسرافه في نفسه وكان يحب الإطراء والمدح ويُجيز الأموال دون حساب.

ونقل كذلك عن الذهبي قال : وله اخبار في اللهو واللذات المخطورة والغناء الفاحش.
ونقل عن محمد الخرساني قال : هارون العباسي اول خليفة لعب بالصولجان والكرة ورمي النشاب في لهُو واول خليفة لعب الشطرنج من بني العباس.

ونقل عن الصولي قال : هارون اول خليفة من بني العباس جعل للمغنيين مراتب وطبقات واغدى عليهم الاموال. تاريخ الخلفاء / ٢٤٨ . ٢٩٥.



ولو اردنا ان نعرض الحقيقة دون لبسٍ او تحريف فإن هذا الرجل هارون من اولئك القلائل الذين خدمهم التاريخ اكثر مما يستحقون فأطراهم الآخرون زيفاً وبهتاناً كما فعل اكثر المؤرخين.

قال الاستاذ علي الطنطاوي المصري : هارون الرشيد هو اول حاكم استبدادي مطلق ، كان يحكم وحده الامور اكثر من عشرين عاماً ، انه الحاكم الذي جعله الحظ اشهر ملوك الاسلام ، وما كان له دهاء معاوية ، ولا شدة عبد الملك بن مروان ، ولكنه جاء والزمان مُقبل عليه فإنخدع به ، وله مؤرخ ثقة كابن خلدون حتى كذب اخبار لهوه ، ان الرشيد صورة من صور عصره ، حيث الشر ، والفسوق ، واللهو ، والمجون ، والشعر ، والغناء ، والجواري ، يتلوها صور الفقر الفاحش ، والشطّار القتلة ، ثم عالم عجيب يناقض مما سبق ، حيث بناء القصور الفارهة كقصره قصر الخلد ففيه ما لا يستطيع ان يوصف لا ببيان ولا بلسان . رجال من التاريخ / ٨٤

ومما ذكره الاستاذ كامل سليمان : لم يكن هذا الخليفة رشيداً في تفكيره الاخروي ولا سديداً في تقديره الدنيوي بل عمل بجاهلية حمقاء وبعصبية رعناء جعلته لا يتورع عن ارتكاب كبائر المحرمات واقبح الممارسات كالملاحدة بالله الكافر برسوله الذي لا تربطه بالاسلام ادنى رابطة ، وعندما درست اعماله لا سيما مع الإمام الكاظم عليه السلام رأيتُه يعمل اعمال رجل باع آخرته بدنياه وتصرف تصرف عاتٍ متعنت . موسى بن جعفر عليه السلام / ١٧٣

وخلاصة ما ورد في المصادر التاريخية : إن السمات اللازمة لهذا الخليفة هي : نفوذه وتسلطه على المسلمين ، وضخامة بذخه واسرافه باموال الناس ، وخاصة على الطرب ، واللهو ، والشعراء الأجورين في بلاطه ، كما عُرف شره للخمر ، وهتكه محارم الاسلام من استمتاعه بالنساء والجواري .



بغدادُ في عصر الرشيد

وازدهرت بغدادُ بالعمرانِ	حتى غدت ليس لها من ثانٍ
وشيدت الجسور والقناطرُ	وازدهت الساحات والمعابرُ
وقد علت بالترفِ القصورُ	وشعشع الضوء بها والنورُ
وشيد قصرُ « الخلدِ » للخليفة	وأسدلت أستاره الشفيفة
وكثر الغلمان والجواري	وانتشر الخمر لدى الفجار ^(١)



(١) ليس من المبالغة اذا قلنا ان بغداد اعظم مدينة ازدهرت في ايام هارون ، حتى صارت عروس الدنيا وقطب العالم ، وتؤكد جل المصادر وكتب التاريخ ان يحيى البرمكي هو صاحب الفضل الاوفر في الاهتمام ببغداد واعلاء شأنها من الناحية العمرانية ، والفكرية ، والحضارية ، حيث عمل على تطوير هذه المدينة ، وصرف الاموال في عمراتها من قصور وجسور ، وحدائق ، حتى صارت هذه المدينة نزهة للدنيا مما شجعت العلماء والادباء الى ان يقصدها لما توافر فيها من وسائل الحضارة ، والترف ، والفكر. وفي هذا المجال نقل السيوطي قال : كانت ايام هارون كأنها من حسناتها اعراس. تاريخ الخلفاء / ٢٨٦.

وخلاصة القول انها مدينة الترف ، والبذخ ، والعظمة ، والكبرياء ، فمن جمال القصور الى بقاء القباب الى سحر الحدائق والبساتين ، مما صيّر لها قبلة لأهل اللهو والمجون واهل الفاحشة والغناء ، انها كذلك مدينة العلم ، والفن ، والادب ، والنبوغ ، وعلى حد قول بعضهم :
بغداد مدينة الخير والشر والفسوق والدين.



محنة أهل البيت

وظل كل الناس في رخاء
يكابدون الفقور والحرمانا
قد صُلب جور الحقد والبلاء
لم يرقبوا فيهم وصية النبي
يقطع عنهم يد العطاء
لكنما الرشيد في قصوره
سوى التقاة من بني الزهراء
ويحلمون أن يبروا أمانا
على رجالهم بلا استثناء
ولا قرابة له بالنسب
حتى يعيشوا المهمل في ضراء
يستمتع الغناء في فجوره^(١)

(١) هناك من المؤرخين من كان يوصف أيام الرشيد بأنها كانت أيام كلها خير.

نعم انها خير وبركة وسرور للذين ساروا في ركابه ، وباعوا ذمهم وضمايرهم اليه ، ثم غرّفوا بالفجور والفسوق واللهو والكذب والانحلال ، ومن الذين باعوا اقلامهم الباطلة فسخروها في خدمة السلطان الجائر.

فقد نقل السيوطي عن المؤرخ نفطويه قال : اجاز الرشيد اسحاق الموصلي مرة ٢٠٠ الف درهم ، واجاز مروان بن ابي حفصة مرة على قصيدة خمسة آلاف دينار وخرقة وفسر وعشرة من رقيق الروم ، واجاز الاصمعي خمسة آلاف دينار مرة.

ولما ولي الرشيد واستوزر يحيى البرمكي قال ابراهيم الموصلي :

ألم تر أن الشمس كانت مريضة
فلمّا أتى هارون اشرق نورها
تلبست الدنيا جمالاً بملكه
فهارون واليهما ويحيى وزيرها

أعطاه هارون ١٠٠ الف درهم ، ويحيى ٥٠ الف درهم.

اجاز منصور النمري الشاعر على بيت من الشعر ب ١٠٠ الف درهم. تاريخ الخلفاء / ٨٥

وهلّم جرا ، فهؤلاء المزيفون من المداحين والجهلة واهل الفسق والمجون يسرحون ويمرحون تحت ظل الخليفة ، لكن ابناء رسول الله وشيعتهم ومواليهم كانت تُصوب عليهم صنوف





العذاب ، وقد نقل لنا التاريخ صوراً سوداء في هذا المجال ، وقد افاضت المصادر التاريخية ان العلويين ومواليهم كانوا يكابدون المحنة والفقر والحصار والمسكنة ، ولم يكن من حقهم غير القتل والتشريد والارهاب.

ودنوا المؤرخون في كتبهم صفحات سوداء اليممة لما فعله هارون وسلطته الجائرة بالعلويين ، خاصة فقد قتل جمعاً كبيراً منهم سواء بالسيف ، او بالسجن ، او بالسم ، ومن ابرزهم :

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، وقد سجنه مراراً حتى تخلص أخيراً منه بالسم. وإدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى والمعروف بـ « صاحب المغرب » وقد دس إليه السم. ويحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى وقد قتله. ومحمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى وقد سجنه حتى مات. والحسين بن عبد الله بن اسماعيل بن جعفر بن أبي طالب ، جلده بالسياط حتى مات. والعباس بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ضربه الرشيد بمرأوة حتى قتله. واسحاق بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، مات في سجنه. وعبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين المعروف بـ « الافطس » شدد عليه بالسجن مراراً ثم ضرب عنقه.

هذا غيضٌ من فيض ، حيث تنقل المصادر التاريخية جملة من اصحاب الامام الكاظم عليه السلام ومن شيعته تعرضوا الى الحبس والتعذيب نذكر منهم : محمد بن عمير الازدي ، فقد حبسه هارون لمدة سبعة عشر سنة ، وكان من انسك واروع وأعبد الناس ، ومن الذين سجنهم من اصحاب الامام عليه السلام في سجن المطبق : علي بن هاشم ، عبد الله بن علقمة ، مخول بن ابراهيم السعدي ، وهؤلاء بقوا في هذا السجن الرهيب ١٢ سنة متواصلة.



دور البرامكة

اعدى على الرعية البرامكة
حتى غدت منهم تئناً هالكة
قصورهم قد اتخمت بغدادا
وأورثت في الاممة الاحقادا
فجعفر قد ملك « الضياعا »
واستأثر القصور والمتاعا
حتى غدا العراق ملكاً لهم
وضجت العباد ظلماً منهم
وكان في ذاك الامام الكاظم
يراقب الامور وهو العالم
يحذر الناس وقوع الفتنة
يدعوهم الى اتباع السنة^(١)

(١) فور استلام هارون مقاليد الحكم عام ١٧٠ هـ وكان ذلك بفضل امه الخيزران ، ويحيى البرمكي عهد الى يحيى رئاسة الوزراء ، وكان يُناديه « يا ابي » وفور استلام يحيى البرمكي مقاليد الامور قرب البرامكة واعطاهم الوظائف المهمة ، ثم شرع باعطاء الهبات وتبذير الاموال ، حتى مدحه الشعراء واشادوا بكرمه وكرم البرامكة.

وتولى الفضل بن يحيى إمارة خراسان ، ولما خالفه اهل طالقان فتحها ، ثم زحف نحو صاحب الترك واستباحه وغنم امواله.

ولما تسلّم هارون الخلافة بوأ البرامكة مكانة رفيعة ، فأوكل اليهم امر الوزارة ، وفوض اليهم امر المملكة والرعية ، فصارت سلطتهم دون حد.

وهكذا عاث البرامكة . يحيى والفضل بن يحيى ، وجعفر بن يحيى ، وموسى بن يحيى . في امور الخلافة فساداً واغدقوا الاموال على مَنْ يجبونه ممن يُطريهم ويمدحهم ، حتى قيل عنهم « إن أيامهم عروس الايام » فبنوا القصور وشيدوا اماكن اللهو ، وامتلكوا الضياع والحدائق والبساتين ، ومن خالاهم شاع اللهو والفساد ، وظهر التمايز الطبقي بين الناس ، فصنف محروم وصنف متخوم ، واحداً يشكو دنياه واخرٌ يلهو ويلعب ، اما الشرفاء

➞





والعلويون فأخذوا ييكون لدينهم ، بينما اصحاب السلطان والبرامكة فقد اطلقوا لأنفسهم العنان في اللذات ، ورغم ذلك فقد كان هارون يراقب اعمالهم ويتجسس على نواياهم.

ولما علم هارون ان الفضل بن يحيى البرمكي خفف عن الإمام الكاظم عليه السلام في سجنه استدعاه وجرده من ثيابه وضربه في مجلس عام ، ونقل الامام عليه السلام الى سجن آخر.

وهكذا كثر الظلم والفساد وعمت الشكوى من الرشيد والبرامكة ، حتى القى الله سبحانه بأسهم بينهم سرعان ما اوقع بهم هارون وقعة منكرة فأبادهم حتى كأن الشمس لم تشرق عليهم ابداً.

قال القمي : صحيح ان قضية العباسية اخت الرشيد سبب ظاهري للاقناع بالبرامكة ، لكن السبب الحقيقي هو الانتقام الالهي منهم لما فعلوه بالامام الكاظم عليه السلام. اخبار الخلفاء / ٢٩٤

ومن جميل ما ورد في كتب التاريخ ، التي تنقل ما فيه صورة من صور العبرة والموعظة من التاريخ ان احد الوعاظ دخل على احد الخلفاء بعد انقضاء عصر هارون ، فطلب هذا الخليفة من الواعظ ان يعظه فقال له : يا امير المؤمنين أعظمك بما سمعتُ او بما رأيت ؟

فقال الخليفة : بل بما رأيت ، فقال الواعظ كنت يوماً أتصفح سجل الخلافة الكبير في ايام هارون فرأيت في اول صفحاته :

امر امير المؤمنين هارون بأعطاء يحيى البرمكي ١٠٠ الف دينار.

ثم اخذت اقلب صفحاته فوجدت :

امر امير المؤمنين هارون بأعطاء الفضل بن يحيى ١٠٠ الف دينار.

ثم قلبت فوجدت :

امر امير المؤمنين هارون بأعطاء ١٠٠ الف دينار ليحيى ، ومثلها للفضل ، ومثلها لجعفر.

ثم اخذت اقلب حتى وصلت الى ورقة فوجدت فيها :

امر امير المؤمنين هارون بصرف ١٠٠ دينار فقط لجلب نפט وقصب لحرق جثث البرامكة.

فسبحان الله مُغير الاحوال.



موقفُ الامام وحديثُ صفوان الجمال

يقول لو أسقَطُ من شواهِقِ
اهـون من ان اتـولى عمـالا
وقـال مـرّةً الى صـفـوانٍ
لكن فيك خـصلـةٌ مـعيـة
كـراؤك الجـمـال هـذا الطـاغـيـة
وقـال من أحـبّ مـنـهم احـدا
لا تـركـنـوا للظـلـم والاشـرارِ
وظـل هـارون يـكـيـدُ الكـيـدا
عـلى أكـفٍ مـن بـني الزهـراءِ
يـقـوّلُ واللـه لا قـتـلـنـهم
ثم لأنـفـي بـعضـهم لـيـثـربِ
في ذمـة اللـه الـذي عـانـوه
مـقـطّـع الاوصـالَ بـالبـوارقِ
في حـكـم هـارون وأن أوـكـلا
انـت جـمـيل حـسن المـعـاني
احـسـبـها عـن نـحـنـا غـريـة
والسـير في قـوافـل الزبـانيـه
فإنـه مـنـهم عـلى طـول المـدى
فـتـصـبـحوا أذـلـة في النـارِ
يـسـتـعـمـل السـيف ويـطـوي القـيـدا
طـاهـر تـقـيـة بـيـضـاءِ
واسـجـنّـهم وأصـلـبـنـهم
بـالخـوف والارـعـاب والترقـب
مـن قـسـوة الرـجـس وما لا قـوه^(١)

(١) صفوان الجمال ، هو صفوان من بني كاهل كوفي كنيته ابو محمد الجمال ، ثقة.

وقصته مع الإمام الكاظم عليه السلام ينقلها الشيخ الطوسي حيث قال :

قال صفوان الجمال : دخلتُ على ابي الحسن موسى عليه السلام فقال لي :

يا صفوان : كل شيء منك حسنٌ جميل ما خلا شيئاً واحداً.

قلتُ : جعلتُ فداك ، أي شيء ؟ قال عليه السلام : إكراؤك لجمالك لهذا الرجل . يقصد هارون .

فقلت : يا مولاي ما أكرتته أشراً أو بطراً ولا لصيداً أو لهوً ، ولكن أكرتته في طريق مكة

ولا أتولاه بنفسي بل ابعت غلماي . قال عليه السلام : هل تأخذ اجرة كرائك منهم ؟

قلتُ : نعم



قال ﷺ : أتحبُّ بقاءهم حتى تستوفي إجتراك ؟ قلتُ : نعم

قال ﷺ : مَنْ أحبَّ بقاءهم فهو منهم وَمَنْ كان منهم فهو في النار

قال صفوان : فذهبت وبعثتُ جمالي عن آخرها. اختيار معرفة الرجال ٥ / ٧٤٠.

انها موعظة ارشادية بثَّها الإمام ﷺ صوتاً يدوي في اسماع كل من يركن للظلم والظالمين او يعمل معهم ولهم ، لكن الإمام ﷺ في حديثٍ ، آخر يضع لنا ضابطة مهمة للعمل مع السلطان اذا وقع تحت حرجٍ او اكراه ، وهذه الضابطة جاءت في سياق خبرٍ اوردته جملة من المصادر : قال علي بن يقطين . وهو من اصحاب الإمام . دخلت على ابي الحسن موسى ﷺ واعلمته اني راغبٌ في ترك عملي مع هارون فلم يأذن لي.

وقال ﷺ : لا تفعل فإن لنا بك أنساً ولأخوانك بك عزاً وعسى ان يجبر الله بك كسراً ويكسر بك نائرة المخالفين عن اوليائه. ثم قال ﷺ : يا علي كثرة اعمالك للسلطان الإحسان الى الاخوان.

ويريد الإمام ﷺ بذلك مساعدة المؤمنين اثناء العمل مع السلطان وجبر مصائب المحتاجين وإضعاف قدرة هذا السلطان واعوانه عن الاستمرار في هضم حقوق الناس.

وتُشير الروايات الى ان هارون قد علم فيما بعد بكلام الإمام ﷺ مع صفوان وكان هارون قد أسر ايضاً غير ذلك في نفسه على الإمام ﷺ حينئذ توعد هارون الإمام ﷺ وشيعته شراً واقسم على استئصالهم.

وقد تواترت المصادر في ذكر الرشيد وعمله الظالم مع آل ابي طالب ﷺ حيث ينقل أبي الفرج الاصفهاني :

قال الرشيد : حتى متى اصبرُ على آل ابي طالب ، والله لأقتلنَّهم ولأقتلنَّ شيعتهم لأفعلنَّ وافعلنَّ. الاغاني ٥ / ٢٥٥.

ونقل ابن الاثير : عندما تولى الرشيد أمر الخلافة سعى لإخراج الطالبين وشيعتهم جميعاً من بغداد الى يثرب كرها لهم ومقتاً. الكامل ٥ / ٨٥.

وما كانت خاتمة هذا الظالم في افعاله تلك مع آل ابي طالب الا كما روى ابن الاثير حيث ذكر : عندما دنت الوفاة من هارون أخذ يردد : واسوأته من رسول الله ماذا فعلتُ بذريته. الكامل ٥ / ١٣٠.

وكان الجواب من الله العظيم : (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ).



الاعلام المزيف

حتى هجّاهم بعض من تملقوا	كمثل « مروان » الذي تزندقا
والشاعر « النمري » حين سبّا	آل عليّ كي ينال قري
حتى غدا ذكر فضائل النبي	كتهمّة تنذر عند العرب
وفضل أهل البيت ليس يروى	ومن روى فالقتل فيه فتوى
فأمن اليهود والنصارى	واصبحو في أمرهم احارار
لكن آل المصطفى في خوف	يولع في رقابهم بالسيف ^(١)

(١) يتفق أكثر المؤرخين على أنّ الدولة العباسية وسابقتها الاموية سعت بكل قواها وعن طريق الاعلام المزيف ، وعبر الاقلام الباطلة ، والالسن الكاذبة ، والنفوس المريضة ، واهل التملق والادجل ممن باع ضميره لهم للقيام بهذه المهمة القذرة بعد ان اغدقوا عليهم الاموال الطائلة ، وتشير المصادر الى جملة من هؤلاء ومنهم مروان بن ابي حفصة ، ومنصور النمري ، والاصمعي ، وابراهيم الموصلي ، وسلم الخاسر ، واسحاق الموصلي ، وابو الشيص وغيرهم حيث قام هؤلاء بأضفاء مناقب مزورة ، وفضائل مزعومة لبني العباس ، وغيرهم ثم طمس معالم وفضائل اهل البيت ﷺ وعدم ذكر أي شيء لهم ، فذكروهم محرمّ يستوجب القتل.

لذا حاول هارون طمس اخبار الإمام ﷺ وشيعته قدير المستطاع ، وكأنهم يهود او نصارى ، رغم ان هؤلاء آمنون على حد تعبير منصور النمري السابق الذكر في قصيدته المنصفة التي حاول هارون قتله عليها.

وتشير المصادر التاريخية ان الفضل بن يحيى البرمكي ، لما عاد من خراسان الى بغداد سأله هارون : هل ابقيت هناك لآل ابي طالب من احدٍ او تركت له ذكر ؟

فقلت : لا والله يا مولاي لقد جهدتُ فما ذكر لي منهم من باقية. اعيان الشيعة ٤ / ١٠٨ .



حكاية حميد بن قحطبة

فقد روى حميدُ بن قحطبه
قال دعاني مرةً هارونُ
فجئتُ في الليل اليه خائفا
فقال خذ سيفاً وسرّ أمامي
الى بيوتِ رثيةٍ مغلّقه
ستون شخصاً من بني الزهراءِ
شيخ ، وكهل ، وصغير كانوا
قال لي اقتلهم بلا تأخيرٍ
فاسرع السيفُ الى الرقابِ
ثم رميت بالرؤوس الطاهره
فهل ترى يغفرُ لي الرحمنُ
وراح هارونُ يصبُ الظلما
فما اكتفى بغيلة الاحياء
لكن تعدي ظلمه وزادا

وهو الذي حوى أخس مثليه
وهو لعمري ثملٌ مجنونُ
ولم اكن بما يريدُ عارفا
فسرت خائفاً بلا كلامٍ
لكنها بنوهم مؤتلقه
وجوهم تطفح بالضياءِ
وهم لأمة الهدى عنوانُ
حتى أريح بالدماءِ ضميري
إذ صبروا لميتة الأطيابِ
في حفرة لتدفن المؤامره
كلا ولا فحفرتي نيرانُ
فالقتل والتعذيب كان هماً
ولا بقتل عترة الزهراءِ
وحيث عادى سفهاً من عادى ^(١)

(١) انما فعلته شنيعة يقشعر منها البدن ، وترتجف منها القلوب فعلها احد جلاوزة هارون وبأمره شخصياً تكاد عند ذكرها ان تنهد الارض والجبال ، ندغ صاحبها اللعين يتحدث بها كما رواها شيخنا الصدوق « قدس » :

قال حميد بن قحطبة الطائي : دخل عليّ عبيد الله البزاز النيسابوري ، وكان صاحباً له في شهر رمضان ، فلما قدمت له مائدة الطعام امسك وقال : ايها الامير لعلك لك علة توجب افطارك اما انا فصائمٌ.



فقلت . أي حميد . وقد دمعت عيناَيَّ : لا والله ما بيَّ من علة توجب افطاري .

فقال صاحبي : إذن فعلام إفطارك وهذا شهر رمضان ايها الامير ؟

قلت : أنفذ اليَّ هارون ليلة ، وكنتُ في طوس ، وبعد اخذٍ وردٍ يطول سرده .

قال لي هارون : خُذ هذا السيف وامثل لأمر هذا الخادم الذي هو معك ، فجاء بيَّ الخادم الى بيتٍ مُغلق ففتحه لي فإذا بثلاث غرف مغلقة في كل غرفة عشرون نفساً من شيخٍ وكهلٍ وصغير ، فقال لي الخادم : يأمرُك امير المؤمنين بقتل هؤلاء ، وكانوا كلهم علويين من نسل علي وفاطمة ، فجعل يخرج لي واحداً بعد واحدٍ فأضرب عنقه ، حتى اتيت على اخرهم ، وهكذا فعلت بالموجودين في الغرف الاخرى ، حتى اتيت على ستين واحداً منهم ألقيت بجثثهم في بئر كانت هناك . !! قل لي يا عبيد الله : ماذا ينفعني بعد ذلك صومي وصلائي ، وانا لا اشك اني مُخلَّد في نار جهنم . !!؟ . عيون اخبار الرضا ١ / ١٠٠

قال الصدوق « قدس » وهو يُعلق على ما سبق : وللمنصور العباسي مثل هذه الفعلية في ذرية رسول الله ﷺ . عيون اخبار الرضا ١ / ١٠٢

انها صفحة سوداء قائمة يرسمها التاريخ لأناس قبل عنهم إنهم ظلَّ الله في الارض ، وهم خلفاء الامة ، وانهم امراء المؤمنين .

ولله در ذلك المستشرق الالماني الذي عندما عرف هذه الفعلية وغيرها كتب كتاباً مشهوراً « ملوك ومهازل وسخافات » .



هدم قبر الامام الحسين ❁

كان له حليماً حقوداً مخفي	فهدم قبر السبط عند الطف
كي يختفي البريق من ستاره	اذ هدم القبر على زواره
فيا له من مستبد جائر	وقطع السدرة عند الحائر
قاطعها المسخ الزنيم الأرعنا	وصدق الرسول حين لعنا
وطارد الاخيار والاحرار	ذاك الذي قد قتل الأبرار
ومثل ادريس الفتى المؤمن	كمثل عبد الله وابن الحسين
فقتلته من أعظم الدواهي	وبعده يحيى بن عبد الله
قتل ابن جعفر امام البرره ^(١)	وأعظم الفجائع المستنكره



(١) وعندما رأى هارون الرشيد جماهير غفيرة من الامة الإسلامية تتهاافت على زيارة مرقد الامام الحسين قام بهدم الدور المجاورة له ، واقتلاع السدرة التي كانت الى جانب القبر الشريف .

كما أمر بحرث أرض كربلاء ليمحو بذلك كل أثر للقبر المطهر ، وقد انتقم الله منه فإنه لم يدُر عليه الخول حتى هلك في خراسان . تاريخ كربلاء ٥ / ١٩٨ .



رسالة الرشيد

في قصة رهيبة الفصل
أولها رسالة الرشيد
أرسلها الى الامام الكاظم
متهماً إياه بالخصومة
فردده الامام في حكمته
مبيناً بانه ابن طه
وانه نجل علي المرتضى
وخاطب الرشيد بالارحام
بأن ما يسمعه مكذوب
فليس في نيته ان يخرج
مكتفياً بالعلم والرواية
فهذا الرشيد من كلامه
وقبل الامام في عينيه
يذكرها التاريخ في ذهول
وما بها من سرف الجود
ملئمة بالحقد والشتم
وبافتعال فتنه مزعومة
مبدداً للشك في تهمته
بالبضعة الزهراء قد تباهى
وابن الحسين وهو راض بالقضا
وامامة القرآن والاسلام
وان من يشيره مغلوب
أو ان يسئل سيفه أو يسرجا
وما لديه دون ذاك غاية
معتذراً إياه في إنعامه
وضمه بلهفة إليه^(١)

(١) هذا نص الرواية كما جاءت عن الشيخ المفيد ، عن محمد الدامغاني ، والصدوق ، عن هاني بن محمد ، عن ابيه قال : دخلت على ابي الحسن موسى عليه السلام يوم امر الرشيد باعتقاله فسلمت عليه وطلب مني عليه السلام ان أقرأ بطومار كتاب طويل فيه مذاهب وشنعة وافتراء نسبت اليه عليه السلام فلما قرأته قال موسى عليه السلام : لما أدخلت على هارون قال لي : يا موسى خليفان يجي اليهما الخراج ! تكلم بحجتك يا موسى !

قلت . اي الإمام عليه السلام . : أعينك بالله تعالى أن تبوء باثمي ، وتقبل الباطل من اعدائنا علينا ، ونحن اهل بيت منينا بالتقول علينا ، وقد كذب علينا منذ قبض رسول الله ، والذي بعث محمداً بالنبوة ما حمل الي قط من درهم ولا دينار من طريق الخراج.



فلما تمّ كلامي سكت هارون ثم قلتُ : أتأذن لي بحديثٍ عن رسول الله. فقال : قل فإنه مأذونٌ لك قلت : حدثني أبي ، عن جدي عن رسول الله انه قال : انَّ الرِّحِمَ اذا مسّت تحركت واضطربت فإن رأيت ان تناولني يدك ، فأخذ بيدي وجذبني اليه وعانقني طويلاً ثم دمعت عيناه ثم قال هارون : اجلس يا موسى فليس عليك بأس. الاختصاص / ٤٥ .

وينبغي ان نفرق بين الاسباب الواقعية ، وبين الاسباب التي كان يتذرع بها الرشيد لتبرير سلوكه العدائي مع الإمام (ع).

لقد أصبح الامام بعد عقد من حكم الرشيد وجوداً ثقیلاً على هارون لقوة تأثيره في الامنة واتساع الامتداد الشيعي ، حتى وجدناه يقدر المتطوعين في جيش الإمام بمائة ألف سيف. من هنا ضاق صدره وازعجه انتشار صيت الإمام (ع) لان الناس غدت تتناقل مآثر الإمام وعلمه ، وأخلاقه. اعلام الهداية ٩ / ٩٥ .



حكاية المأمون

وقال لابنيه تعالوا سَلِمُوا
واستفسر المأمون باستغرابٍ
فقال يا بني هذا موسى
هو الامام الحق والوليُّ
انا الامام عنوةً وهذا
والله إنه أحقُّ مِنِّي
فالملك ذا يا ولدي عقيمٌ
والله لو نازعتني بالعرشِ
خلال ذاك سعت السعاةُ
بأنه قد جمَّع الاموالا
وانه يهزم بالخلافة
وانه وارثُ علم المصطفى

على الامام عمكم وعظمو
من الذي شيعته للبابِ
أضحى لطفه جذره مغروسا
والطاهر المطهر التقى
صار لكل أمةٍ ملاذا
بالأمر أن يقوم فيه عني
لعدت مذبحاً بغير نعشٍ
ولا يُهابُ الملك الرحيمُ
ووشيت بالكواظم الوشاةُ
وعبأ الجنودَ والرجالا
وكاتمأ في سره أهدافه
وانه دبر أمراً في الخفا^(١)

(١) انما قصة روثا كتب الاقدمين ، وقد وردت على صورتين :

الصورة الاولى : عن سفيان بن نزار قال : كنت يوماً عند رأس المأمون ابن هارون فقال
وهو يحدث جمعاً من الحاضرين : أتدرون من علمي التشيع ؟

فقال القوم جميعاً : لا والله ما نعلم

فقال المأمون : علمنيه والدي الرشيد

قلنا له : وكيف ذلك والرشيد يقتل اهل هذا البيت ؟!

قال : كان يقتلهم على الملك لأن الملك عقيم ، ثم قال :





حججتُ يوماً مع أبي هارون فلما وصل الى المدينة ، ثم اذ دخل علينا شيخٌ قد انهكته العبادة كأنه شئٌ بالٍ ، فلما رآه أبي ترجلٌ من حماره ، واجلسه على بساطه ، فنظرنا اليه بالاجلال والاعظام ، فأقبل والدي يحدثُهُ ويُقبل بوجهه عليه ، فما اسرع الشيخ الى ان نحض فنادانا ابي هارون انا واخي الامين واخي المؤمن : يا عبد الله ، يا محمد ، يا إبراهيم قدموا بين يدي عمكم وسيدكم خذوا بركابه ، وسووا عليه ثيابه ، وشيعوه الى منزله ، فلما خلا المجلس قلْتُ لأبي هارون : يا امير المؤمنين ، مَنْ هذا الرجل الذي عظَّمته واجللته ؟ فقال لي : هذا إمام الناس وحجَّه الله على خلقه وخليفته على عباده ، فقلْتُ : يا امير المؤمنين اوليست هذه الصفات كلها لك وفيك ؟!

فقال : انا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر وهذا موسى بن جعفر إمام حقٍ والله يا بني انه لأحقُّ بمقام رسول الله هذا مني ومن الخلق جميعا والله لو نازعتني انت على هذا الامر لأخذت الذي فيه عيناك فإن الملك عقيم. الاحتجاج ٢ / ١٦٥ .

الصورة الثانية : عن الريان بن شبيب حيث قال :

قال المأمون : دخل الناس على أبي هارون فكان آخر من اذن له موسى بن جعفر عليه السلام فلما نظر اليه نحض له وقرب منه وجثا على ركبتيه وعانقه ثم اخذ يسأله عن احواله فلما نحض موسى عانقه ابي وودعه ..

قال المأمون : فقلْتُ : يا امير المؤمنين ، رأيتك قد علمتَ لهذا الرجل شيئاً ما عملته مع احدٍ قطّ ، فمن هذا الرجل ؟

فقال هارون : يا بُني هذا وارث علم النبيين هذا موسى بن جعفر ان اردت العلم الصحيح فعند هذا.

قال المأمون : عند ذلك انغرس حبّه في قلبي وحبّ اهل بيته. حلية الابرار ٢ / ٢٦٩ .



الرشيد يزور قبر النبي ﷺ

وذا ت يوم قصـد الرشـيـدُ	مدينـة الرسـول يسـتعيـدُ
ذكـرى رسـول الله والصـحابة	وقبـة قدسـية مهابة
مسـلماً وكـلـه احتشـامُ	عليك يا ابن عمنا السلامُ
فبادر الامام ثم قامـا	ليرفع التبجيل والسلاما
قال سلام الله يا جداهُ	يا ابتي وانهمرت عيناه
فغضب الرشيد من خطابه	وقد توارى الرشـد من صوابه
فقال هل انت قريب منهُ	اكثر منا ام بعيد عنه ؟
فابتسم الامام ثم قالـا	بكلمة توضح السؤالا
نحن بنوه دون كل الناسِ	وانتم الاعمام بالعباس ^(١)



(١) نقلت المصادر التاريخية ان هارون اعتمر في شهر رمضان عام ١٧٩ هـ فلما عاد الى المدينة دخل الى قبر النبي ليزوره مع الناس فلما وصل الى القبر وقف وقال : السلام عليك يا رسول الله يا ابن العم ، حينئذ دنا ابو الحسن موسى بن جعفر ؑ من القبر ثم قال : السلام عليك يا أبة ، فتغير وجه هارون ثم قال والحق يملأ قلبه : هذا هو الفخر يا ابا الحسن ، ثم سكت هارون لبرهة بعدها اضاف قائلاً له : لم صرت اقرب الى رسول الله منّا ؟! فأجابه الإمام ؑ : لو بُعث رسول الله حياً وخطب منك كرمك هل كنت تُجيبه الى ذلك ؟ فلم يتفوه هارون بكلام.

كانت حادثة زيارة هارون لقبر الرسول ﷺ ولقاء الإمام به بحيث أغضب الرشيد حتى قال بعدها مخاطباً الرسول : بأبي أنت وامي إني أعتذر اليك من أمر عزمت عليه ، اني اريد ان آخذ موسى بن جعفر فأحبسه لأني قد خشيت أن يلقي بين امتك حرباً يسفك بها دماءهم. الغيبة للطوسي / ٢٨.



حدود فدك

وذا ت يوم سأل الرشيد
قال نعم فحدها من عدن
ثم الى الجبال من أفريقية
فغضب الرشيد باصفرار
وظلل في أحرقاه يفور
فاضمر الرشيد أمر سجنه
وضاق صدره بأمر الكاظم
عن (فدك) وهل لها حدود
الى سمرقند وتلك المدن
وحد سيف البحر من أرمينية
وقال قد ذهبنا بالامصار
مفكراً في أمره يدور
ولم يمر النوم فوق جفنه
فقرر الولوع في المآثم^(١)



(١) تشير المصادر ان هارون قال للإمام أبي الحسن ع : حدّ « فدك » حتى اردها عليك ؟ فقال ع : الحدّ الاول عدن ، والحدّ الثاني سمرقند ، والحدّ الثالث افريقية ، والحدّ الرابع سيف البحر مما يلي ارمينية.

فقال هارون : لم يبق لنا شيء ؟ انما الدنيا كلها. مقتبس من المناقب ٤ / ٣٢٠ . ٣٢١
اشار الامام الكاظم ع في جوابه هذا الى اغتصاب الخلافة من خلال ارض فدك التي تصادرت من الامام علي لئلا تكون له مصدراً اقتصادياً يقف بطريقهم.
والمصادر تشير كذلك ان الرشيد يومها عزم على قتل الإمام ع وقالوا : ان هذه القضية احد الاسباب المهمة التي اعجلت الرشيد لنزع الإمام ع في السجن او التخلص منه.
ومن المفيد ذكره هنا ان قضية فدك في التاريخ الاسلامي شهدت حالات مدّ وجزر بين هذا الخليفة او ذاك ، وعلى طول التاريخ فهذا يغتصبها سرعان ما يردها غيره ، كما فعل عمر بن عبد العزيز الاموي عندما ارجعها الى العلويين ، لكن سرعان ما اغتصبت ثانية بعد موته.

أجل انما لم تكن قطعة ارض بل رمز لكل الكيان الاسلامي المغتصب.



اعتقالُ الامام ٭

فبعث السـجـان والازلامـا	في الليل كي يعتقل الامامـا
فقطعوا صـلاته عليه	ووضـعوا القيـودَ في يديه
وسار فيه الركـبُ نحو البصرة	ويشرب مـلأى بألف حسرة
يسوقهم « حسانُ » وهو « السرويُّ »	وهو لعمري مجرم وملتوي ^(١)



(١) وبعد زيارة الرشيد لقبر الرسول ﷺ ولقائه بالإمام أمر الطاغية هارون باعتقال الإمام ﷺ وفعلاً القي القبض على الإمام ﷺ وهو قائم يصلي عند رأس جدّه النبي ﷺ ولم يمهله لإيمانهم.

فحمل وقيّد فشكى الإمام لجدّه الرسول قائلاً : اليك اشكو يا رسول الله.

وبعد اعتقال الامام غدت الناس تتحدث فيما بينها باستنكار هذا الحدث المهم فتألمت الامّة كثيراً فلم يبق قلب الا وتصدّع من الأسى والحزن فخافت السلطات أن يكون اعتقال محفزاً للثورة عليها ، فحمل جملين ، واحداً الى البصرة ، وهو يحمل الامام ﷺ وكان قائد ركب الشرطة اسمه حسان السروي ، والجمل الثاني الى الكوفة لغرض الايهام على الناس ، لئلا يعرف محل حمل الإمام ﷺ في أيّهما. اعلام الهداية ٩ / ١٦٢.



سجن البصرة

وصار في البصرة أمر موسى	لابن أبي جعفر وهو عيسى
مضيّقاً عليه في محبسه	اذ صار فيه يومه كأمسه
وأقبل الامام في العبادة	والصوم اذ أضحى لديه عادة ^(١)



(١) وهكذا أصبح الإمام عليه السلام حبس سجن البصرة عند عيسى ابن المنصور ومكث عنده سنة من الضيق والتشديد حيث لا يفتح له الباب الا للوضوء وادخال الطعام فصار عليه يقضي ساعات سجنه بين الصلاة والصوم وقراءة القرآن والتضرع الى الله بمناجاته سبحانه حتى عُرف عنه بانه صاحب السجدة الطويلة والمناجاة الخاشعة وكثيراً ما كان يحمّد الله ويشكره على هذا التفرغ لعبادته بقوله عليه السلام :

اللهم إنك تعلم اني كنت سألتك أن تفرغني لعبادتك وها أنت قد فعلت فلك الحمد.

المناقب ٤ / ٣٤٣.



من السجن ينشر علومه

ورغم سجنه وما يقاسي	من ظلم سجان بني العباس
قد واصل الرواة بالحديث	سراً بسعي مجهدٍ حيث
فمنهم ياسين الزياتي	روى وكان أوثق الرواة
وانتشرت أخبار سجن الكاظم	واصبحت حديث كل العالم
وخاف هارون حدوث الفتنة	وكان ان يطفى ضياء السنة
فاصدر الامر بقتل موسى	لما غدا في سجنه محبوساً ^(١)



(١) ففي اثناء حبسه ﷺ عرف بالعبادة ، وبثّ الحديث ، ونشر مكارم الاخلاق ، وكان يكتاب ويراسل بعض ثقاته من اصحابه.

ولما شاع خبر اعتقال الإمام في البصرة وعلم الناس بمكانه هبت اليه العلماء وغيرهم لغرض الاتصال به من طريق خفيّ فاتصل به ياسين الزيات الضير البصري وروى عنه.

النجاشي / ٤٥٣.

لقد قهر الإمام ﷺ بصره وعبادته وثقته بالله سبحانه كل وسائل الجور وشدائد الحبس ، ففي اثناء حبسه عُرف بالعبادة وبثّ الحديث ونشر مكارم الاخلاق ، وكان يُكتاب ويُراسل بعض ثقاته من اصحابه ، بل تؤكد المصادر انه ﷺ اخذ يؤثر بعبادته وتقواه حتى على اعوان هارون ، ولا سيما سجان عيسى بن المنصور الذي اخبر الرشيد بضرورة نقل الإمام ﷺ من سجنه لكونه لم ير منه شيئاً سوى العبادة والخير الكثير ، وهذا مما افزع هارون خصوصاً بعد شيعه خبر سجنه بين الناس ، فأستشعر هارون حدوث امر لا تحمد عقباه مما جعله يفكر ويسرع في التخلص منه ، وكذلك تشير المصادر انه ﷺ قد اثار ايضاً على الفضل بن يحيى لما نُقل الى سجنه مما جعله يرأف بحال الإمام ﷺ ويخفف عنه مما ادى الى عقوبة الفضل من قبل هارون وبالتالي نقل الإمام الى سجن آخر.



موقفُ عيسى

فرد عيسى رغبة الامير	بأن موسى ليس بالشرير
وليس فيه مطمع الولاية	ولا الخروج كان منه غاية
ولا دعا قط على الرشيد	وليس بالحقود والعنيد
فاطلب العفو من الامير	عن قتله وأمره الخطير
أو انني أبعثه اليه	أو اطلق الحديد من يديه ^(١)



(١) واوعز الرشيد الى عيسى يطلب منه فوراً القيام باغتيال الإمام ﷺ لكن لما وصلت أوامر الرشيد لعيسى باغتياله الإمام ثقل عليه الأمر ، وجمع خواصه وثقته فرض عليهم الأمر فأشاروا عليه بالتحذير من ارتكاب الجريمة فاستصوب رأيهم ، وكتب الى الرشيد رسالة يطلب فيها اعفائه عن ذلك. اعلام الهداية ٩ / ١٦٣ .

سجنُ الفضل في بغداد

وبعد عامٍ كاملٍ في السجنِ	سار لبغداد بكل حزنٍ
وسجن الامام عند الفضل	ينوء في الحبس بكل ثقل
لكنه يلهج بالقرآن	تلاوةً قدسية الاحسان
ويكثر الصلاة والصياما	ويعشق السجود والقياما
قد عجب السجان من عبادته	واهتزت الجدران من تلاوته
بجسمه المعذب النحيل	وصبره المحرب الطويل ^(١)



(١) استجاب الرشيد لطلب عيسى وخاف من عدم تنفيذه لطلبه أن يساهم في إطلاق سراح الإمام عليه السلام ويخلي سبيله ، فأمره بحمله الى بغداد ، وفرح عيسى بذلك ، ولما وصل الإمام عليه السلام الى بغداد أمر الرشيد باعتقاله عند الفضل ، فأخذه وحبسه في بيته. وأشرف هارون على سجن الإمام إذ كان يتوجس في نفسه الخوف من الإمام فلم يثق بالعيون التي وضعها عليه في سجنه. اعلام الهداية ٩ / ١٦٣ . ١٦٤ .

رواية القزويني

فقد روى عن فضله القزويني	وهو لعمري رجل ذو دين
قال : دخلتُ مرةً للفضل	في داره جئت لبعض شغل
فقال لي يا صاحبي ادنُ مني	وانظر من الدار بعيداً عني
ماذا ترى في البيت يا صديقي	قلت كثوب أسودٍ رقيق
قال تأمل لتراه واضحاً	فقلت عبداً ساجداً مسبحاً
فقال : هل تعرفه فقلت : لا	فقال ذا مولاك قد تكبلاً
رايته في الليل والنهار	في سجدة تطول للأسحار
عبادة ما مثلها عبادة	وسيد ليس كباقي السادة
يعرفه الليل بطول السهر	والفجر مفتونٌ بطول السور ^(١)



(١) عن المولى التقى احمد بن عبد الله القزويني عن ابيه قال : دخلت على الفضل بن الربيع وهو على سطح فلما حاذيته قال لي : اشرف على الدار وانظر ! قلت : ارى ثوباً مطروحاً فلما تأملته فإذا هو رجلٌ ساجد فقال لي : اتعرفه ؟
فقلت : لا

قال : هذا مولاك ابو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام والله اني اتفقده في الليل والنهار فلم اجده الا ساجداً هكذا وهكذا دأبه في الليل والنهار منذ ان حوّل اليّ.
فقال القزويني فقلت له : اتق الله يا فضل فيه ولا تحدث له حديثاً يكون فيه زوال نعمتك.
فقال الفضل : قد ارسلوا لي غير مرة كل اقتله فلم احبهم الى ذلك ولو قتلوني ما احببتهم الى ما سألوني. المناقب ٢ / ٣١٨.



دعاء الامام بالفرج

حتى اذا قد ضاق صدره بما	كان يقاسي فدعا رب السماء
يا مخرج النار من الحديد	ومخرج الزرع برمل البید
ومخرج الحليب من فرث ودم	ومخرج الجنين من جوف الرحم
يا رب خلصني من « الرشيد »	والقييد والظلام والحديد
وقد أجيبت دعوة المكروب	ودعوة المعذب الغريب
فغادر السجن مع التكریم	في وجل الطاغية اللئيم
فكل اسبوع يراه مره	كي لا يجي عنه موسى سره ^(١)



(١) كان الإمام عليه السلام قد اتخذ من هذه السجون محارب للعبادة وقراءة القرآن ، وكان الجميع يسمعون منه دعاءه : الهي قبح الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك .

ولما طالبت مدة الحبس على الإمام عليه السلام وهو رهين السجون ، قام في غلس الليل بهيم فجدد ظهوره وصلى لربه أربع ركعات وأخذ يدعو بهذا الدعاء :

(يا سيدي نجني من حبس هارون ، وخلصني من يده ، يا مخلص الشجر من بين رمل وطين ،
ويا مخلص النار من بين الحديد والحجر ، ويا مخلص اللبن من بين فرث ودم ، ويا مخلص
الولد من بين مشيمة ورحم ، ويا مخلص الروح من بيت الاحشاء والامعاء ، خلصني من يد
هارون) .

واستجاب الله دعاء العبد الصالح عليه السلام فأنقذه من سجن الطاغية هارون وأطلقه في غلس
الليل . لقد مكث الإمام عليه السلام في سجن الفضل مدة طويلة من الزمن لم يعتن بها لنا التأريخ .

وبقي عليه السلام بعد إطلاق سراحه في بغداد لم يخرج منها الى يثرب ، وكان يدخل على الرشيد
في كل اسبوع مرة يوم الخميس . اعلام الهداية ٩ / ١٦٤ .



الاعتقال مرة اخرى

ورغب الامام بالزياره	ليشرب لكي يرى انصاره
واهلـه والصـحب والعـيالا	من سفر عند الرشيد طالا ^(١)
لكنـه أرجعه للـسجن	عند ابن يحيى في أذى وحزن
لكنـما الفضل بن يحيى اكرمه	وفك من قيوده ونعمه
فوصل الامر لسـمع الطاغية	فالت الفضل بن يحيى الداهية
اذ أمر الرشيد باعتقاله	لما انتهى اليه من فعاله



(١) ولما شاع ذكر الإمام وانتشرت فضائله ومآثره في بغداد ، ضاق الرشيد من ذلك ذرعاً ، وخاف منه فاعتقله ثانية فاودعه في بيت الفضل بن يحيى.

ولما رأى الفضل عبادة الإمام واقباله على الله انشغاله بذكره أكبر الإمام ، ولم يضيق عليه وكان في كل يوم يبعث اليه بمائدة فاخرة من الطعام ، وقد رأى من السعة في سجن الفضل ما لم يرها في بقية السجون.

ولما أوعز الرشيد للفضل باغتيال الإمام امتنع ولم يجبه الى ذلك وخاف من الله لأنه كان مّمن يذهب الى الإمامة ويدين بها ، وهذا هو الذي سبب تنكيل الرشيد بالفضل واتهام البرامكة بالتشيع. مقاتل الطالبين / ٥٠٣ . ٥٠٤ .



سجنُ السندي بن شاهك

وبعدُها أرجعه للقيود مضيقاً عليه بالقيود وهو برغم ذا من العباد قد حوّل الحبس الى محراب يُكاتبُ الامصار من زناناته ويعيثُ المقرّين الوكلا وطالت المدة في المظمورة وقد أبى ان يسأل الرشيدا في موقف كموقف الرسول فقد أبى ان ينحني للظالم

وكان حبسه بدار « السندي » ومثقالاً إيّاه بالحديد أهل التقى وخيرة الزهاد بالرغم من قساوة العذاب يوزع الاموال من خزانتة بأمره وعلمه الى الملا وهي لعمري قصة مشهورة فكاكه ويكسر القيود وغضبة كغضبة البتول فكان حقاً وصفه بالكاظم^(١)



(١) لما ضاقت السبلُ بهارون في كيفية التخلص من الإمام عليه السلام ولما استطاع الإمام عليه السلام بصبره وتقواه وإيمانه على تحطيم سلاسل سجون هارون من ضيقٍ وتشديد وارهاب ، واستطاع الإمام عليه السلام سواء بالعبادة او بتأثيره على سجانته كعيسى بن المنصور ، والفضل ابن يحيى ، والفضل بن الربيع ، أخيراً قرر هارون تسليمه الى مدير شرطته السندي ابن شاهك ، وكان رجلاً ، فظاً ، قاسياً ، خبيث الاصل ، حيث ضيق على الإمام كثيراً وأثقله بالقيود ، لكن الإمام عليه السلام استمر على دينه في العبادة ، والخشوع لله ، وقراءة القرآن ، حتى حول زناناته الى محراب كبير للعبادة وكان عليه السلام وهو في هذا المكان يبيث علومه ويوزع صدقاته عن طريق الثقات من وكلائه المقربين.



رسالة الامام ❦

واضح البيان بالوعيد	وفي رسالة الى الرشيد
عني الا ينقضي يوم هنا	يقول : ما ان ينقضي يوم عنا
لساعة لا تقبل الرجوعا	عنك الى ان نغدي جميعا
محملين ظلمهم والأثما ^(١)	يخسر فيها المبطلون رغما



(١) ولما احس الإمام ❦ ان هارون عازم على قتله لا محالة ولأثبتات الحجة عليه وبموقف قل نظيره كتب اليه ❦ وهو في سجنه ، وهو على يقين من استشهاده ورحيله قريباً.
عن محمد بن اسماعيل قال : بعث موسى بن جعفر الى الرشيد من الحبس رسالة كانت :
انه لي ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء ، حتى نقضي جميعاً الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون.
وبعد ما مكث الامام زمناً طويلاً في سجن هارون تكلم معه جماعة من خواص شيعته فطلبوا منه ان يتكلم مع بعض الشخصيات المقررة عند الرشيد ليتوسط في اطلاق سراحه ، فامتنع وترفع عن ذلك وقال لهم :
حدثني أبي عن آبائه أن الله عز وجل أوحى الى داود ، يا داود إنه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني ، وعرفت ذلك منه الا قطعت عنه أسباب السماء ، وأسخت الأرض من تحته. تاريخ يعقوبي ٢ / ٣٦١.



اغتيال الإمام

فقرر الرشيد أن يغتاله
فدس سُمّاً ناقعاً في الرطب
وكان امرؤ الله فيه قد مضى
فارتجت السماء والكون انتحب
بخطبة لئيمية محتالة
من أجل فتك آثم بابن النبي
وهو شهيد في السجون قد قضى
لخمسة بقين من شهر رجب^(١)

(١) هنا بلغت المؤامرة فصلها الأخير ، اذ قرر هارون التخلص من الإمام بعد ان يأس من يقوم بهذه المهمة ، وبعد فشل محاولاته للتخلص منه اثناء سجنه.

فبعدها عصى الفضل بن يحيى الرشيد في قتله الإمام ، امر الرشيد بتسليم الإمام إلى السندي بن شاهك ، ثم جلس مجلساً حافلاً ثم قال : ايها الناس ان الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف طاعتي فالعنوه ، فلعنه الناس من كل ناحية ، فلما بلغ يحيى بن خالد والد الفضل الخبر ركب إلى الرشيد ودخل عليه وقال له : يا امير المؤمنين ان الفضل حدثت وانا اكفيك ما تريد ، فلانطلق وجه هارون سروراً ثم خرج يحيى حتى بلغ بغداد ، ثم دعا السندي وامره بقتل الإمام ، فأتمثل السندي لامره وسم الإمام في طعام قدمه اليه ، وقيل انه جعله في رطب اكل منه الإمام ، فأحس بالسم ولبث بعده موعوكاً ثلاثة ايام ومات في اليوم الثالث. اعلام الوری ٢ / ٣٣ . ٣٤.

كانت وفاة الإمام سنة ١٤٣ هـ لخمس بقين من شهر رجب. الطبري ١٠ / ٧٠.

وحيث ان الامامة خط موصول فلم ينقطع بموت الامام موسى بن جعفر فقد اكدت المصادر التاريخية بان الامام الكاظم أوصى بالامامة إلى ولده الامام أبي الحسن علي الرضا ومن هذه المصادر : عن سليمان بن المروزي قال : دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر وأنا اريد أن أسأله عن الحجة عن الناس بعده فلمّا نظر إلي ابتدأني وقال : يا سليمان إن علياً ابني وصيي والحجة على الناس بعدي ، وهذا افضل ولدي فإن بقيت بعدي فأشهد له بذلك عند شيعتي وأهل ولايتي المستخبرين عن خليفتي من بعدي.

وعن داود الرقي قال : قلت لأبي لموسى : أي قد كبرت سني ودقّ عظمي واني سألت أباك فأخبرني بك ، فأخبرني من بعدك ؟ فقال : هذا ابو الحسن الرضا. الكافي ١ / ٣١٢ . ٣١٣

وهذا غيظ من فيض في النصوص الدالة على امامة الرضا بعد أبيه الامام الكاظم



على الجسر ببغداد

وحمل الامام نحو الجسر
يحملة أربعة رجالة
قد رفعوا اصواتهم بصيحة
قد صرخوا في الناس في بغداد
قد مات حتف أنفه في الحبس
سراً ببغداد بُعيدَ الفجرِ
وهو الذي ناءت به الجبالُ
لم تخل من شفاهم بفرحة
هذا ابو الرافضة المعادي
هارون باقٍ وهو ميت يُسمي^(١)



(١) وحسب الأوامر المعدّة سلفاً من قبل هارون كما تدل عليها القرائن ، لاجل أن يتصل عن قتله للإمام ، ليس أمام الشيعة فحسب وإنما أمام الأمة الإسلامية كلّها ، وأن تكون طريقة التخلي من مسؤولية الحادث بأن يستبطن أن المقتول ما هو إلا رجل عادي لا وزن له ، فعلام هذا التضخيم والتهويل والتشكيك ؟

فتخطى السندي بن شاهك بالاسلوب التالي : حيث وضع الإمام على جسر الرصافة وهو ميت ينظر إليه القريب والبعيد وتتفرّج عليه المارة قد أحاطت بجثمانه المقدّسة شرطة الطاغية القاتل وكشفت وجهه للناس قاصدين بذلك انتهاك حرمة والحط من كرامته والتشهير به.

وقد أمر السندي جلاوزته أن ينادوا على جثمان الإمام بذلك النداء المؤلم الذي تذهب النفوس لهولة أسي وحسرة : هذا إمام الرافضة فاعرفوه.

هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه ميتاً.

متى قالت الشيعة إن الإمام موسى لا يموت ؟

نعم قالت الواقفية بذلك والشيعة منهم براء وهارون وجلاوزته أعلم من غيرهم بهذه الحقيقة. لكنه وسيلة من وسائل التشهير والصاق التهم بالشيعة بسبب أن الواقفية تذهب الى أن الإمام موسى حي لم يموت وأنه رفع الى السماء كما رفع المسيح عيسى بن مريم.

اعلام الهداية ٩ / ١٧٩ .



موقفُ سليمان

فهرعت شيعته اليه	حتى سليمان بكى عليه
وارسل الغلمان للجموع	ليأخذوا التابوت في خشوع
ففرقوا الخراس في شجاعة	ولم تخفهم تلكم الجماعة
ورفعوا قبل أذان المغرب	جنازةً للطيب ابن الطيب
فخرجت بغداد بالاحزان	تبكي على الاسلام والقرآن
نادبةً إمامها العظيم	لتستعيد حزنها القديم
فيا له من موكب فجيع	سار وراء ذلك التشيع ^(١)



(١) نقل الطبري : ان سليمان بن ابي جعفر المنصور عم هارون اخذه مع اتباعه بالقوة من شرطة هارون ثم تولى تغسيله ﷺ وتكفينه ومشى في جنازته حافياً الى مقابر قریش فدفنه هناك.

كان سليمان بن ابي جعفر المنصور رجلاً محتكاً وذا عقل متزن. وقد رأى أن الأعمال التي قام بها هارون ما هي إلا لطخة سوداء في جبين العباسيين ؛ فإن هارون لم يكتف باغتيال الإمام ودم السّم إليه بل ارتكب جملة من الأعمال الوحشية التي تدل على أنه لا عهد له بالشرف والنبل والمعروف والانسانية من هنا بادر سليمان حين سمع نبأ اخراج جنازة الإمام الى الجسر والنداء الفظيع على جثمانه الطاهر ، وحاول ان يتلاقى الموقف بالتّي هي احسن. وانطلق أبناء سليمان وغلماؤه الى الشرطة فأخذوا جثمان الإمام ﷺ منهم ، ولم تبد الشرطة معهم أية معارضة ، فسليمان عم الخليفة وأهم شخصية لامعة في الاسر العباسية وأمره مطاع عند الجميع ، وحمل الغلمان نعش الإمام ﷺ فجاءوا به الى سليمان فأمر في الوقت ان ينادى في شوارع بغداد : ألا من أراد ان يحضر جنازة الطيب بن الطيب موسى بن جعفر فاليحضر. عيون الاخبار ١ / ٩٩.



في ذمة الخلود

ودفن الامام في مرقده
وارتفع الضياء من مشهده
وصار معلماً مدى الايام
يروى صمود الكاظم الامام
ألف سلام عابقٍ معطرٍ
يغدو على الكاظم حتى المحشر
سلام عاشقٍ حزينٍ دام
على ضياع امة الاسلام^(١)



(١) وقام سليمان بتجهيز الإمام فغسله ، وكفنه ، ولقنه بحبرة قد كتب عليها القرآن الكريم بأسره كلفته الفين وخمسمائة دينار. كمال الدين / ٣٦.

وهكذا جرى القضاء على الإمام عليه السلام وفق العلم الالهي ليمضي عليه الى ربه شهيداً ، مظلوماً ، صابراً ، مسموماً ، ليصبح فيما بعد رمزاً لتوحيده الطغاة والمصاعب والسجون ، وليصبح معلماً يعرفه اهل الشرق والغرب ، يمثل حلقةً من سلسلة طويلة لرجال من اهل هذا البيت العظيم مضوا سراعاً الى ربهم بعد ان قارعوا الظلم والظالمين ، وفي نهاية المطاف ليكون بقعة مقدسة تُرفع عندها الصلوات وتقضى عندها الحاجات.

قال ابن خلكان في وفيات الاعيان : وقبر الإمام موسى بن جعفر هناك مشهور معروف يُزار وعليه مشهدٌ عظيم تعلوه قناديل الذهب والفضة وفيه انواع الفرش ما لا تُحصى. وقال ابن بطوطة الاندلسي في رحلته الى بغداد عام ٧٢٧ هـ :

وفي الجانب الغربي من بغداد قبر موسى الكاظم عليه السلام والى جانبه قبر الجواد ابن ابنه وعلى مرقده نرى الخشب الملبس بالذهب والفضة .

فسلام عليك يا بن رسول الله يوم ولدت ، ويوم استشهدت ، ويوم تبعث حياً

وسلام عليك في الاولين والآخرين

ورحمة الله وبركاته.



الجزء العاشر

الامام علي بن موسى
الرضا ؑ





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الإهداء

إليك سيدي أيها الرضا
يا من واصلت طريق الحق والهدى
رغم عذابات الغربة ومعاناتها
ويا من فتحت نوافذ النور لمحبيك
رغم سطوة الظلام من حولك
ويا من وهبت الصبر معاني أخرى
لم تكن في مفردات المعاجم
إليك أهدي هذا الجزء من (قوافل النور)
علّها تكشف بعض خطى مسيرتك الوثيقة ..
وتتوشح بشيء من عطائك الذي لا ينضب ..
ونورك الذي لا ينطفئ ..





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

اضاءة

واذ تواصل ملحمة قوافل النور مسيرتها المتألأة بانوار الائمة الاطهار عليه السلام وتسلب الضوء على معاناتهم ، وصبرهم ، وبطولاتهم ، وتفوقهم على الجهل والتخلف والانحراف ، تتوقف في محطة اخرى من محطات الامامة وهي فترة امامة الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام. تلك الفترة التي ما زالت مستعصية على تحليل المؤرخين ، وتقدير الباحثين بالرغم من توفر الوثائق والمستندات التاريخية عنها ، لانها تنطوي على احداث خفية ومؤامرات شائكة ، وتلون في المواقف ، والمتبنيات.

والشعر الذي يرى ان من مهامه ان يوصل سامعيه الى الحقيقة ، يأخذ بيد قارئيه الى الواقع كما هو ، وهذه مهمة ليست باليسيرة ، اذ تحتاج الى عيين صادقتين وأذنين صاغيتين وفهم لا ينطق إلا بالحق بعيدا عن الافتراء والظنون والمبالغة.

وهكذا ترتسم صورة ذلك العصر بجميع شخوصه واحداثه وابعاده الخفية من خلال ملحمة « قوافل النور » المعطرة بانفاس علي بن موسى الرضا عليه السلام وهو يدرج في المدينة المنورة صبياً ، قرب قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله ثم وهو شاب ينهل من منابع الرسالة والنبوة ، وبعدها الحديث عن قصة رحلته من المدينة الى طوس ، وهو يطوي الصحارى المتعطشة الى ظلاله وصوت تراتيله الملهم ، ثم وهو مطوق بالمؤامرات في احد قصور المأمون العباسي ، وما اكتنف ذلك من غموض في بيعته ، وضبابية في شهادته ، ويالها من حياة مليئة بالعطاء والحركة من اجل الاضئيع مفاهيم الاصاله التي صنعتها دماء آبائه الشهداء الطاهرين ، ومن اجل حماية الامة من حمأة المسخ والقمع والتشويه.

أسأل الله سبحانه وتعالى ان يجعله في ذخيرة اعماله يوم القاه انه ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

المولد المبارك

رواية جاءت رواها الكاظم
وغير مرة يقول الصادق
فهو سمّي جدنا الفخر علي
« بأنه يولدُ مني عالمٌ »
يا ليتني الى الرضا أعانقُ
وهو وريث الطاهرين الأول ^(١)



(١) تضافرت الروايات على عظمة قدر الامام الرضا عليه السلام وأنه كان محل عناية آبائه واجداده المعصومين عليهم السلام وانهم كانوا ييشرون بولادته.

وقد ذكر الطبرسي بسند متصل الى الامام الكاظم عليه السلام انه كان يقول لبنيه :
هذا اخوكم علي الرضا عالم آل محمد عليه السلام فأسألوه عن اديانكم ، واحفظوا ما يقول لكم
فاني سمعت ابي يقول لي غير مرة : ان عالم آل محمد لفي صلبك ، وليتني ادركته سمّي
جدنا امير المؤمنين علي عليه السلام. اعلام الوری ٢ / ٦٥.

وذكر القمي كذلك بسند متصل الى علي بن عبد الله الهاشمي قال :
كنّا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله نحو من سبعين رجلاً من موالينا اذ اقبل ابو ابراهيم موسى بن
جعفر عليه السلام ويد علي الرضا ابنه في يده فوقف وقال : اشهدوا انه وكيلي في حياتي ، ووصي
بعد مماتي. كفاية الأثر / ٢٦٧.



الوالدة الطاهرة

وجاء ان ام موسى البيرة
جارية من خير اهل العجم
من أفضل النساء دينا وهدي
قد وهبتها مرة لموسى
فحملت حملاً خفيفاً طيباً
ووضعتهُ بالعلی والیمن
فهو عليّ ذو الندى والفضل
بخرقة بيضاء قد لفته
جاءت به تحملهُ لموسى
فضمهُ بالحب والحنان
حنكه بجرعة الفرات
طوبى لمن صدقه وأيده

قد اشترت يوماً فتاة حرة
كانت تسمى عندهم « بتكتم »
كرامة وكفها كف الندى
فاصبحت لابن التقى عروسا
وشرفت بابن النبیّ نسبا
يخجلُ حسنه جنان عدن
شبلٌ حوى مفاخرًا من شبل
وبجلب طاهرٍ سقته
غرساً باحضان التقى مغروسا
وجال في أذنيه بالأذان
وقال ذا بقية الهداة
وألف ويل للذي قد جحد^(١)

(١) ذكر المؤرخون ان السيدة « حميدة » والدة امامنا الكاظم عليه السلام اشترت جارية اختلفت المصادر التاريخية في تحديد اسمها ، وكانت الجواري في ذلك العصر تُعرف بكثرة الاسماء والطفها ، ف قيل انها « تكتم » وقيل « نجمة » وقيل « سوسن » وقيل « صقيل » والمشهور « تكتم » وهي عريضة مغربية ، وقد اطبقت المصادر على طهرها ، وعفتها ، وسلامة دينها ، وسعة كرمها وسرعان ما رأت السيدة حميدة رؤيا يأمرها رسول الله ﷺ ان تهديها زوجة لولده موسى بن جعفر عليه السلام لكي تنجب منه عالم آل محمد ﷺ وسرعان ما وهبتها للكاظم عليه السلام فانجب منها ولده الرضا عليه السلام فسماه بـ « علي » سمي جده امير المؤمنين عليه السلام علي بن ابي طالب





طالب ، وسرعان ما حملته امه « تكتم » الى والده الكاظم عليه السلام ليجري عليه سنة جده عليه السلام مما يحتاج اليه المولود الجديد.

وعن مراسيم هذا المولد المبارك قال الشيخ الصدوق : واخذ الكاظم عليه السلام وليده المبارك وقد لُفَّ في خرقة بيضاء واجرى عليه المراسم الشرعية فأذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى وحنكه بماء الفرات ثم رده الى امه قائلاً لها : تخذيه فأنه بقیة الله في ارضه ، ثم سماه بأسم جده امير المؤمنين علي عليه السلام تبركاً بهذا الاسم العظيم. عيون اخبار الرضا ١ / ١٨.

وقد ذكر كذلك الطبرسي بسند متصل الى علي بن ميثم قال : اشترت « حميدة المصفاة » جارية اسمها « تكتم » وكانت من افضل النساء في عقلها ، ودينها ، ثم قالت حميدة لابنها موسى عليه السلام : يا بني ان تكتم جارية ما رأيت قط افضل منها ، ولسْتُ اشك ان الله سبحانه سيظهر نسلها وقد وهبتها لك فاستوص بها خيراً. اعلام الوری ٢ / ٤٠.

وهنا نود الاشارة الى الاختلاف في تحديد ميلاد الامام الرضا عليه السلام فقد حصل بين المؤرخين تضارب في تحديد ولادته ، ولكن المشهور انه ولد في المدينة في الحادي عشر من ذي القعدة عام ١٤٨ هـ.



كنيته وألقابه

كنيته قد عرفت « ابو الحسن »	جاءته فخراً عن ابيه المؤمن
ألقابه الصابر والرضي	والضامن الفاضل والوفي
وهو سراج الله بل غيظ العدى	وقرة الأعين بل نور الهدى
واجمل الألقاب عنده الرضا	وهو رضى منه بما جاء القضا
قد رضى المخالف الحقود	بنهجه والمؤمن الودود ^(١)



(١) من المؤكد ان الامام الكاظم ؑ قد كنى ولده علي الرضا ؑ بـ « ابي الحسن » وهي ايضاً كنية ابيه الكاظم ؑ وجده امير المؤمنين علي ؑ وكنية الامام علي الهادي ؑ. وقد ذكر العلامة المجلسي عن الامام الكاظم ؑ قال : قال الامام الكاظم ؑ لعلي بن يقطين : هذا ابني و اشار الى الرضا ؑ سيد ولدي وقد نخلته كنيته. بحار الانوار ١٢ / ٣.

ولما كان الامام الكاظم ؑ يُكنى بـ « ابي الحسن » وهذه ايضاً كنية ولده « علي الرضا » فقد قيل للامام الكاظم بـ « ابي الحسن الماضي ، او الاول » وقيل للرضا بـ « ابي الحسن الثاني » للتمايز بين الاثنين ، ومن المفيد ذكره هنا ان الامام علي الهادي ؑ يُكنى بـ « ابي الحسن الثالث ».

والقابه كثيرة منها : سراج الله ، نور الهدى ، قرة عين المؤمنين ، الفاضل ، الصابر ، الوفي ، الصديق ، الرضا ؛ وهو اشهرها.

وبالاجمال فقد اتفق المؤرخون على الألقاب التالية :

الرضا : لأنه كان رضى الله عز وجل في أرضه ورضى لرسوله والائمة من بعده ، قيل سُمي بذلك لأنه رضى به المخالفون من أعدائه كما رضى به الموافقون من اوليائه ، ولم يكن ذلك لأحد من آبائه ، وقيل لأنه رضى بما جاء به القدر.

الصابر : وذلك لشدة صبره على المحن. والزكي : لأنه من اركياء البشر. والولي : لعموم ولايته. والوفي : لوفائه لربه وللناس. والسراج : لأنه يُهتدى به. الفاضل : لأشتهاره بالفضل. والصديق : لأنه كالصديق نبي الله يوسف ؑ لحصول الولاية له من قبل حاكم عصره.



إمامته

نصّبه الكاظم للامامه	بنصّه معظماً مقامه
فقد روى نصّ الامام فيه	جماعةً تنقل عن أبيه
منهم حسين وهو ابن المختار	ومنهم « محمد بن عمار »
ومنهم « زياد بن مروان »	وثمّ داود فـتـي سليمان
قالوا : فمن بعدك فينا يهدي ؟	فقال : ذا صاحبكم من بعدي
فهو أحب أهل بيتي عندي	وهو وصيي وكبير ولدي ^(١)

(١) تعتقد الامامية ، مدرسة اهل البيت عليهم السلام : ان الامامة منصب آلهي ، وقيادة عامة للمجتمع ، وفق احكام الشرع لا يتسنى لأحد ان ينالها بأختيار شخصي ، وهي نص واصطفاء ونصب من الله سبحانه ، وعلى هذا الاساس كان تنصيب الامام للذي يلي بعده من الائمة ضرورياً للكشف عن مصاديق هذا الاصطفاء الآلهي والاختيار الرباني .

وقد تضافرت الروايات على تنصيب الامام الرضا عليه السلام قبل ولادته وبعدها بحيث ورد بعضها عن الرسول الاعظم عليه السلام بواسطة بعض الصحابة ، وبعضها ورد عن طريق آبائه الكرام عليهم السلام ولا سيما جده الامام الصادق عليه السلام وابيه الكاظم عليه السلام .

ومن روى النص على الامام الرضا عليه السلام من ابيه الكاظم عليه السلام جماعة من خاصته واهل ثقافته محمد بن اسحاق بن عمار ، والحسين بن المختار ، وزياد بن مروان النقدي الواقفي ، وداود بن سليمان ، ومحمد بن سنان ، وعلي بن يقطين ، واتماماً للفائدة ننقل هنا اربعة من هذه النصوص الدالة على الوصية بإمامته عليه السلام :

ذكر الطبرسي بسند متصل الى داود بن سليمان قال : قلت لأبي ابراهيم . يقصد الكاظم عليه السلام : اني اخاف ان يحدث حدث ولا القاك فأخبرني من الامام بعدك ؟

فقال عليه السلام : ابني علي الرضا عليه السلام . اعلام الوری ٢ / ٤٦ .





وذكر الطبرسي ثانية بسند متصل الى الحسين بن المختار قال : خرجت اليها الواح من ابي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وهو في حبس هارون يقول فيها : عهدي الى اكبر ولدي ان يفعل كذا وكذا.

وذكر الطبرسي ايضاً بسند متصل الى محمد بن اسحاق بن عمار قال : قلت لأبي الحسن الاول . يقصد الكاظم عليه السلام . الا تدلني على مَنْ اخذ عنه ديني من بعدك ؟ فقال عليه السلام : هذا ابني علي الرضا.

وذكر الطبرسي كذلك بسند متصل الى زياد بن مروان القندي ، وكان من الواقفة قال : دخلت على ابي ابراهيم الكاظم عليه السلام وعنده ابو الحسن علي ابنه عليه السلام فقال : يا زياد هذا ابني كتابه كتابي وكلامه كلامي ورسوله رسولي وما قال فالقول فيه.



أخلاقه وعبادته وعلومه

وهو الذي ينشر علم الدين	ويبذل الاموال للمسكين
ييكى لدى المحراب حتى الفجر	وصبره ما مثله من صبر
وزهدته تعرفه الزهد	وذكره تعرفه العباد
وكفه أندى من الغمام	تمطر بالحب على الانام
« الجفر » من علومه الخفيه	والطب من أسرار المطوية
دانته له الأمة بالولاء	والحب والتبجيل والثناء ^(١)

(١) إطبق أهل التراجم والسير على عظمة الامام الرضا ؑ وسموه ، وعلو اخلاقه ، وكمال صفاته ، وشهرة فضائله ، فقد عُرف بالزهد ، وسعة الصبر ، وطول العبادة ، وكثرة العطاء.

وفي هذا المجال تواترت الروايات في اثبات جملة من فضائل اخلاقه ، ونشر إضمامة طيبة من عطر سلوكه واخلاقياته ، ومن هذا القبيل ما نقله الشيخ باقر شريف القرشي ، عن ابراهيم بن العباس الصولي قوله عن شخصية الامام الرضا ؑ : ما رأيت ولا سمعت بأحد افضل من ابي الحسن الرضا ؑ ما جفا أحدا قط ولا قطع على أحد كلامه ولا رد أحداً عن حاجة وكان يحي أكثر لياليه بالمعروف والصدقة والعبادة. حياة الامام الرضا ؑ ١ / ٧١.

قد تضافرت الاخبار بأن النبي ؑ املى على الامام علي ؑ كتابي الجفر والجامعة وان فيهما علم ما كان وما يكون الى يوم القيامة ، ونقل الكليني ان هذين الكتابين وصلا الى الامام الصادق ؑ ثم اورثهما الى ولده يتوارثهما واحداً بعد واحد. سفينة البحار ١ / ٤١٠.

وقال المحقق الشريف في كتابه شرح المواقف : الجفر والجامعة كتابان لعلي ؑ ذكر فيهما على طريق علم الحروف الحوادث التي تحدث حتى انقراض الدنيا وكان الائمة من ولده يعرفونهما ويحكمون بهما.





وقد نقل المفيد بسند متصل الى نعيم القابوسي قال : سمعت ابا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول : ان ابني علي اكبر ولدي ، واثروهم عندي ، وهو ينظر معي في الجفر ، ولم ينظر فيه الا نبي او وصي . الارشاد / ٣٠٥

اما بخصوص علم الامام الرضا عليه السلام بالطب فقد اقر الجمهور له بذلك ، فقد املى الامام الرضا عليه السلام للخليفة العباسي المأمون رسالته الشهيرة في الطب « الرسالة الذهبية » والتي منحها المأمون وساماً عظيماً تداولها بين الاطباء ، ومنحه عليها لقب « الطبيب » بل صارت محل اعتناء القدامى والمحدثين ، والذين تداولوها بالتقدير والتبجيل والثناء والشرح والاطراء.



الواقفة

الا قليلاً منهم توقفا
فشاع أنهم رجال « الواقفة »
فمنهم القندي وابن مروان
وممنهم « علي البطائي »
وابن أبي بشر هو السراج
قد نازعتهم أنفس طمّاعه
لكنما الرضا بما قد وهبا
لم يتزلزل منهجا وموقفا
فقال عنهم قوله موافقه
قد انكروا أمامة الرضي
ومن له كل المعالي تشهد
مكارم الاخلاق من عاداته

بالجهل في أمر الرضا ما اعترفا
وهم لعمري قلّة مخالفه
ثم الرواسي ابن عيسى عثمان
حيث غدا في ماله كالحائين
ومن له عن الهدي إعوجاج
ان يخرجوا عن منهج الجماعه
من عصمة نيطت على اهل العبا
ولم يعر بالاً لمن قد وقفوا
« عاشوا حيارى ومضوا زنادقه »
وهو ابن موسى المبتلى علي
ونحوه خير السجايا تقصّد
حتى غدا الزمان من رواته^(١)

(١) انتقلت الامامة بعد استشهاد الامام الكاظم عليه السلام لولده الكبير علي الرضا عليه السلام وقد دانت له عموم الشيعة بالولاء والطاعة والقبول ، لكنه عليه السلام واجه مشكلة خطيرة ، وهي توقف جماعة من شيعته في امامته طمعاً واحلاداً الى الدنيا وابتزازاً لما في ايديهم من اموال ابيه الكاظم عليه السلام .

ومن الاحداث التي جرت في عصر الامام الرضا عليه السلام وازعجته الى حد بعيد هي انتشار مذهب « الواقفة » بين صفوف الشيعة ، فقد ذهب هؤلاء الى ان الامام الكاظم عليه السلام حي لم يموت والسبب في ذلك ان الامام الكاظم عليه السلام عندما كان في سجن هارون العباسي قد

↩





نصب وكلاء له لجمع الاموال من الحقوق الشرعية ، وقد اجتمعت عند هؤلاء اموال طائفة ، فلما استشهد الامام عليه السلام جحدوا موتهم واشتروا بتلك الاموال ضياعاً ، ودوراً ، ورفضوا تسليمها الى الامام من بعده ولده الرضا عليه السلام وقام هؤلاء ببث الدعايات ، وشراء الضمائر ، واضلال الناس .. لكن الامام الرضا عليه السلام تصدى هؤلاء بمختلف الوسائل حتى انقطع زيفهم وظهر بطلان دعواهم ، بل ورجع بعضهم الى الاقرار بأمامته ، وفي هذا المجال كتب الامام الرضا عليه السلام عنهم : الواقف حائد عن الحق ، مُقيم على السيئة ، وان مات كانت جهنم مأواه وبئس المصير . وقال عنهم ايضاً : انهم زنادقة وكفار مشركون ومن ابرزهم الحسن بن مهران ، وزيد بن مروان القندي ، وغيرهم.



موقف المأمون

ميراثه من احمد هداة	ومن علي المرتضى علاه
فعن « أبي الصلت » أتت رواية	وياسر الخادم ذي الدراية
إنَّ له المأمون قال مرة	وقد بدت في وجهه المسرة
فضلك والعلم مع العباده	والورع الخالص والزهاده
اراك أنت الكفاء للخلافة	بروحك الرقيقة الشفافة
قال الرضا أفخر بالتعبد	واكتسبي بالزهد والتجرد
عن المحارم إرتديت الورع	للفوز في دنياي والاخرى معا ^(١)



(١) أن اخلاق الامام الرضا عليه السلام وكمالاته قد اعترف بها البعيد والقريب والعدو والصديق ولعل في هذا الاعتراف الصادر من المأمون العباسي ما يدل على عظمة الامام عليه السلام وهذا الاعتراف جاء ضمن مجلس عقده المأمون حيث اكره الامام عليه السلام على القبول بولاية العهد. وقد اشار الى ذلك الشيخ الصدوق حيث نقل لنا بسند متصل الى ابي الصلت الهروي قال : قال المأمون العباسي للرضا عليه السلام : يا ابن رسول الله ﷺ قد عرفتك فضلك ، وعلمك ، وزهدك ، وورعك ، وعبادتك ، وارك احق مني بالخلافة ، فقال الرضا عليه السلام : بالعبودية لله عز وجل افتخر ، وبالزهد بالدنيا ارجو النجاة من شرها ، وبالورع عن المحارم ارجو الفوز بالمغائم ، وبالتواضع في الدنيا ارجو الرفعة عند الله عز وجل. عيون اخبار الرضا ١ / ١٥١.



صفاته وسجاياه

والتواضع ارتفعتُ شأنًا	وزدتُ بالقربى ندى وحسنى
ما ردّ يوماً أحداً عن حاجه	ولم يعاند قَطُّ في لجاجه
ولم يخاصم أحداً أو يعتدي	وبالسلام في الطريق يتيدي ^(١)
وعلمه أعظم من أن يخفى	قد بلغ الرواة عنه ألفا



(١) كان الامام الرضا عليه السلام على درجة عالية من الادب ، والتواضع ، ومكارم ، الاخلاق ، وكيف لا يكون كذلك وهو سليل النبوة وخلاصة الامامة ، ولهذا اقرّ الجميع بفضله وتواضعه وسعة علمه وعظم عبادته وشهرته في الجود والعطاء ، وقد اورد المؤرخون في كتبهم المزيد من محاسن اخلاقه ، وجلائل فضائله ، في جميع مكارم الاخلاق مما يجعل الاعناق خاضعة لعلو مقامه وجميل صفاته.

إحتجاجاته

حاججه الجالوت والروميّ	والهريد الاكبر والصّبيّ
لكنه أفحمهم بالحجج	وخاض بالعلوم خوض اللجج
وهو ابن تيّفٍ وعشرين سنة	يروى أحاديث النبي المتقنه
وبعدها يركن للعباده	فهو بعنق المتقي قلالده
يُطيل في صلاته السجودا	ويكثر القيام والقعودا ^(١)



(١) فمن الاحتجاجات ما رواه المؤرخون : من ان المأمون امر الفضل بن سهل أن يجمع له علماء الادبيان والفرق والمتكلمين ، فجمعهم وأدخلهم على المأمون بأمره ، ثم قال لهم المأمون : إنما جمعتمكم لخير واحببت ان تناظروا ابن عمّي هذا المدني ، القادم عليّ ، فإذا كان بكرة فاغدوا عليّ ولا يتخلف منكم احد.

قام الإمام عليه السلام بالرد على جميع ألوان الانحراف الفكري من أجل اضعاف جبهة الانحراف والمنحرفين ، وكان يستهدف الافكار ، والاقوال تارة ، كما يستهدف الواضعين لها ، والمتأثرين بها تارة أخرى.

ففي ردّه على المشبّهة قال عليه السلام : الهى بدت قدرك ، ولم تبدِ واهية فجعلوك ، وقدروك والتقدير على غير ما به ، وصفوك وإني بريء يا الهى من الذين بالتشبيه طلبوك ليس كمثلك شيء.

وفي رده على الجحيرة والمفوضة قال عليه السلام : من زعم ان الله يفعل افعالنا ثم يعذبنا عليها ، فقد قال بالجبر ، ومن زعم ان الله عز وجل فوض أمر الخلق والرزق الى حججه عليهم السلام ، فقد قال بالتفويض ، والقائل بالجبر كافر ، والقائل بالتفويض مشرك.

وله ردود عديدة على الغلاة والمجسّمة واصحاب التفسير بالرأي والقياس ، كما ان له رداً على الفرق غير الاسلامية كالزنادقة واليهود والنصارى والصابئة وغيرهم.



كرمه وسخاؤه

ويكثر الأذكار والتلاوة	ويكرم الاضياف في حفاوة
مقدم بالجلود والسخاء	والعطف والاكرام والعطاء
فقد أجاز « دعبل الخزاعي »	بستمائة كمال الشجاع
اعطى « أبانؤاس » ما اعطاه	ما انقطعت من الندى يده
ومعتقاً الفأ من الرقيق	في زمن العسرة أو في الضيق
يدعو مواليه الى الطعام	بالحب والرحمة والاكرام
وعندهم مجلس في تواضع	يتلو من الآيات والشرائع ^(١)

(١) ان الشعر العقائدي يُعطى للعقيدة زخماً وطاقمة للثبات والتحدي والانتشار ومن هذا المنطلق سعى الامام الرضا عليه السلام لأكرام الشعراء ذوي العقيدة الخالصة والمبادئ الحققة ولعل من ابرزهم دعبل الخزاعي ، صاحب القصائد الفاخرة في حضرة الامام عليه السلام ولا سيما « تائيته » ذائعة الصيت وكذلك ابو نؤاس صاحب المقطوعات الفاخرة في مدح الامام الرضا عليه السلام وكذلك الصولي وغيرهم ، وقد وذكر المؤرخون صوراً رائعة لموقف هؤلاء الشعراء في حضرة الامام عليه السلام ولا سيما دعبل الخزاعي ، حيث انشد تائيته العصماء في حضرة الامام عليه السلام وابكاه مما ادى بالامام الى اكرامه بـ ٦٠٠ درهم وجبة من الخبز ، وكذلك اكرام ابي نؤاس صاحب المقطوعة الهائية الشهيرة ، وسنشير الى المزيد من ذلك لاحقاً.

ومن المفيد ذكره هنا هو الخلط والاشتباه في الشاعر ابي نؤاس الذي نقصده في اكرام الرضا عليه السلام له ، فقد يتوهم البعض انه هو ابو نؤاس المشهور صاحب الديوان وممن مدح هارون العباسي وعُرف بالخمور والفجور والخلاعة والذي يُعرف عند الائمة عليه السلام بأسم « ابو نؤاس الباطل ».

↩





فالشاعر ابو نؤاس المقصود أولاً والذي اكرمه الامام الرضا ؑ وهو صاحب الهائية المشهورة هو سهل بن يعقوب بن اسحاق الامامي الشيعي ، وهو ممن اختص بالامام الصادق والكاظم ، والرضا ، والهادي ؑ وكان يتشيع ، وقد اشار اليه الشيخ الطوسي في كتابه الرجال وكان الامام الرضا ؑ وقيل الامام الهادي ؑ قد قال له : انت نؤاس الحق ومن تقدمك الباطل.

وهو صاحب هذه الابيات الطائرة في الآفاق في حق الرضا ؑ :

قيل لي انت اوحدُ الناس طُراً	في فنونٍ من الكلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديع	يثمر الدرّ في يدي مجتنيه
فعلام تركت مدح ابن موسى	والخصال التي تجمعنّ فيه
قلت لا اهتدي لمدح امام	كان جبريل خادماً لأبيه

وقد اورد هذه الابيات الشيخ الصدوق في عيون اخبار الرضا ، وكان الشيخ المحقق عباس القمي هو اول من نبّه على هذا الخلط والاشتباه في كتابه الكنى واللقاب ، و اشار الى وجود اثنين من الشعراء بأسم « ابو نؤاس » وان « ابو نؤاس الباطل » هو المشهور في عهد هارون وكان معروفاً بالفجور ، والخمر ، وان صاحبنا شاعر الرضا ؑ هو « ابو نؤاس الحق » وهو صاحب الهائية انفة الذكر.

ونود هنا ان نشير الى اننا سنشير في هذه التعليقات في غير هذا المكان لما يقع فيه الخلط والاشتباه مما له علاقة بالامام الرضا ؑ وخاصة عندما نتطرق لما يُعرف بـ « سليمان المروزي » وكذلك معروف الكرخي.



زهدُ الواعي

يزادُهُ قَرصٌ من الشَّعيرِ	يجلسُ في الصَّيفِ على حَصِيرِ
بذاك كان الزاهدَ الممدوحا	يلبس تحت ثوبه المسوحا
معترضين نُهجه في الزهدِ	وحين حاجته أهلُ النقدِ
منعمًا غدا بكل لونٍ	قال : انظروا يوسفَ من فرعونِ
يخاف بالحكم سوى ربِّ السما	لكنه يحكم بالعدل وما
والطيّبات من لذيذ الزاد	من حرم الزينة للعباد
وهو الذي أُستحب في الشرائعِ	فالطيبُ لا يَخْدشُ بالتواضعِ
لا الرث في « الزي » ولا في اللبسِ ^(١)	والاصلُ في الزهد عفافُ النفسِ



(١) ومن صفات الامام الرضا عليه السلام الزهد في الدنيا ، والاعراض عن مباحها وزينتها ، وقد تحدث عن زهده محمد بن عباد حيث قال : كان جلوس الرضا عليه السلام على حصيرة في الصيف ، وعلى مسح في الشتاء ، ولباسه الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تريا .
والمسح : هو الكساء من الشعر .

والتقى به سفيان الثوري ، وكان الإمام عليه السلام قد لبس من خبز ، فأنكر عليه ذلك وقال له : لو لبست ثوباً أدنى من هذا . فآخذ الإمام عليه السلام بيده يرفق ، وأدخلها في كُمه فإذا تحت ذلك الثوب مسح ، ثم قال له : يا سفيان ! الخبز للخلق ، والمسح للحق ...

وحينما تقلّد ولاية العهد لم يحفل بأي مظهر من مظاهر السلطنة ، ولم يقيم لها أي وزن ، ولم يرغب في أي موكب رسمي ، حتى لقد كره مظاهر العظمة التي كان يقيمها الناس للملوكهم ولم يكن شيء في الدنيا أحب الى الإمام الرضا من الإحسان الى الناس ، والبر بالفقراء والمساكين . وقد ذكرت بوادر كثيرة من جوده وإحسانه . اعلام الهداية ١٠ / ٢٧ . ٢٨ .



مناظراته العلمية

وكان في مناظرات العلمـا	قويـةً حجتـه مقـدما
فذا سليمان المـروزي وقد	أهاله الـذي رأى وما شهد
فقال قد عـجبت من علي	وانـه أعلم هـاشمي
يفنـدُ الخصـوم والمخالفـا	وينصـرُ المـؤمن والمؤالفـا
ينشـرُ نـهج الحـق في حكمتـه	وينقـذ الملهـوف في دعوتـه
ويقرـأ الانجـيل والزبورـا	ويعرف الخفـي والمستورا
يحاجـج اليهـود والنصارى	حتى غدا عنـادهم حوارا
ثم غدا حوارهم ايمانـا	مذ عرفوا الايات والقرآنـا
قد استـطال رأيـه وحجتـه	وكان إن دعـا أستجيبـت دعوتـه (١)

(١) نقلت المصادر المعتبرة ان المأمون العباسي قد جمع الامام الرضا عليه السلام مع كبار اهل العلم والفن لغرض تعجيزه واظهار فشله امامهم ، وقطع حجته في العلم ولكن الامام عليه السلام تصدى لهؤلاء جميعاً ، حتى اظهر الحق ، ودحض حججهم وافشل مسعى المأمون في ذلك.

ونقل المؤرخون : ان سليمان المروزي ، هذا هو من كبار علماء خراسان في الفلسفة والمباحث الكلامية ، وقد استقدمه المأمون لقطع حجة الامام الرضا عليه السلام وسرعان ما اقر سليمان بالعجز والخذلان امام ادلة الامام عليه السلام وقوة علمه ، وصواب اجوبته ، مما جعله يعترف بأعلمية الامام عليه السلام والاشارة به حين التفنت الى المأمون قائلاً له : والله ما رأيت عالماً في بني هاشم مثله.

وقد ايده المأمون على ذلك بقوله : يا سليمان هذا اعلم هاشمي.





وكما اشرنا من قبل بخصوص دفع الخلط والاشتباه مما نبهنا عليه ، نوّد الاشارة هنا الى ان سليمان المروزي ، هذا الذي ناظر الامام عليه السلام هو سليمان بن صالح المروزي المتكلم الخراساني ، الذي روى عنه البخاري ، والنسائي في صحيحهما ، كما قال بذلك الشيخ النمازي في مستدرك سفينة البحار ، والدليل على ذلك ما نقله الذهبي في كتابه سير اعلام النبلاء حيث جاء قال :

سليمان بن صالح الليثي المروزي ، الحافظ ، المعمر ، عاش مائة سنة ، وكذلك ما نقله ابن حجر ، في كتابه تهذيب التهذيب انه قال : سليمان بن صالح الليثي المروزي ، وجاوز عمره مائة سنة.

وقد اشرنا الى ذلك للتمييز بينه وبين « سليمان بن حفص المروزي » الشيعي الذي ورد في بعض كتب المؤرخين والفقهاء ، مثل كامل الزيارات لابن قولويه ، وكتاب الكافي للكليني ، وكتاب عيون اخبار الرضا للصدوق وغيرها ..

كما ويوجد هناك صاحبان شيعيان بهذا الاسم ، وكانا معاصرين للكاظم ، والرضا ، والهادي عليهم السلام وهما سليمان بن جعفر المروزي ، وسليمان بن داود المروزي. لذا ذكرنا من ذكرنا هنا ، لغرض التوضيح ودفع الخلط والاشتباه.



صلاة الاستسقاء

وذات يوم شحّت السماءُ
وجفّت الضروع والانهارُ
ففزع الناسُ الى ابن موسى
يدعون يا ابن المصطفى وابن علي
جئنا وفينا حاجةً للمطرِ
وما سواك شافع مشقّع
صلّ بنا صلاة الاستسقاء
فالיום يوم الجمعة المباركة
فقال : في الاثنين سوف تخرجُ
فانتظر الجمعُ لذاك اليوم
وخرج الناس الى الصلاةِ
مدّ يديه للدعا وقالوا
وانت عظّمت لنا الحقوقَ
وهؤلاء أمةٌ عطاشى
توقّعوا نعمتك الوفيّة
يا رب فاسقهم بغيثٍ هاطلٍ

بقطرها وانقطع الرجاءُ
وعطش الصغار والكبارُ
تخطع عند بابهِ الرؤوسا
وابن الهدى وابن الكرام الأول
جئنا الى الاطهر وابن الاطهرِ
وما سواك ملجأ ومفرج
واخرج بنا اليوم الى الصحراء
لأمةٍ كادت تضيق هالكه
وبالدعا والذكر سوف نلهجُ
ما بين صبرٍ صادقٍ ولومٍ
وقام فيهم سيد الهداةِ
يا ربّ انت تسمع المقالا
وانت أوضحت لنا الطريقا
قد فقدوا يا ربّي المعاشا
والخير من سمائك المطيره
فأنت من اعطيت كل سائلٍ



وامتلئت خداهُ بالدموع
حتى بدت في الأفقِ التماعه
وما رميت انما الله رمى
تخطل بالماء على البراري
وفاضت الانهارُ في الوديان
هذا ابن موسى الطاهرُ المقدمُ
الا الذي قام به الرسول^(١)

وراح يدعو الله في خشوع
فلم تمرَّ غيرُ بضعِ ساعه
واجتمع الغيمُ وطبق السما
وانفتحت سحائبُ الامطارِ
وامتلئت شواطئُ الغدران
حتى تنادى الناس هذا الكرمُ
كرامة ليس لها مثيلُ



(١) ان قضية حبس السماء مطرها لذنوب اجتاحتها العباد ، انما وقعت مرات عديدة في تاريخ الاسلام الطويل ، فقد حصلت ايام الخليفة الثاني فاستسقى العباس عم النبي ﷺ فجادت السماء بمطرها ، وحصلت ايضاً ايام رسول الله ﷺ عندما كان واقفاً بعرفات وهو يهيم السير نحو مزدلفة ، وهنالك دعا رسول الله ﷺ بدعاء الاستسقاء حتى انفرجت السماء بماء منهمر ، وحصلت ايضاً ايام الامام الرضا ﷺ حيث ورد في المصادر التاريخية ان السماء حبست مطرها ايام تولية الرضا ﷺ لولاية العهد ، مما جعل بعض ضعاف النفوس يرجعون ذلك الى تولية الرضا ﷺ وانه السبب في ذلك ، فأشار عليه المؤمن ان يخرج يوم الجمعة للاستسقاء ، لكن الامام الرضا ﷺ اصر على يوم الاثنين مؤكداً للمؤمن انها سنة عمل بها جده رسول الله ﷺ وامير المؤمنين علي ﷺ وفعلاً خرج ﷺ وهناك دعا بدعاء عظيم استهل به السماء وابل مطرها ، وانفرجت ابواب السماء بماءٍ منهمر حتى غدت هذه من كرامات الامام المشهورة.



دعاؤه في عرفات

وكان يوماً واقفياً في عرفه
فقام يدعو والدموع تخطل
طأطأ رأسه حياءً وبكى
ثم دعا بدعوة النبي
مردداً أضحت وربي هالكه
قد استجاب الله في دعائي
قال : الرواة ثم لم نلبث سوى
وهكذا كان دعاء البرره
ينوي بأن يسير للمزدلفه
يُجَدُّ الله ومنه يسأل
ومدّ كفاً للسماء واشتكى
وبدعاء المرتضى علي
ف قيل مَنْ فتمتم « البرامكة »
فاصبحوا في الحبس والبلاء
يومين حتى مجدهم قد انطوى
إذا دعوا على الطغاة الفجرة^(١)

(١) أشرنا في القسم التاسع من حياة الامام الكاظم عليه السلام ضمن هذه الملحمة المباركة الى دور البرامكة السليبي تجاه الامام الكاظم عليه السلام سابقاً ، وتجاه ولده الرضا عليه السلام فيما بعد ، وقد عُرف هؤلاء بالحقد ، والعداوة لأهل البيت عليه السلام وكان الامام الرضا عليه السلام كثيراً ما يدعو عليهم حتى استجاب الله سبحانه دعائهم ، فطوي مجدهم ، ومسحت آثارهم ، ومزقهم كل ممزق بين قتل ، وسجن ، وبلاء ، وتعذيب ، وهذا يشير الى الحكمة القرآنية في قوله تعالى (**وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**) إضافة الى اللطف الالهي في استجابته تعالى لدعاء الامام الرضا عليه السلام ، حيث ذكر الشيخ الصدوق : بسند متصل الى مسافر قال : كنت مع أبي الحسن الرضا عليه السلام بمنى ، فمرّ يحيى بن خالد البرمكي ، مع جماعة من قومه ، فقال الرضا عليه السلام مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحل بهم هذه السنة ، ثم قال : واعجب من هذا انا وهارون كهاتين ، وضّم اصبعيه . قال مسافر : فو الله ما عرفت معنى حديثه حتى دُفن هو وهارون سوية .

ونقل كذلك الشيخ الصدوق بسند متصل الى محمد بن الفضيل قال : كان ابو الحسن الرضا عليه السلام واقفاً بعرفة ثم طأطأ رأسه فلما سُئل عن السبب قال : كنت ادعو الله تعالى على البرامكة بما فعلوا بأبي الكاظم عليه السلام فاستجاب الله لي اليوم فيهم فما انصرف الا قليلا حتى بطش هارون بآل برمك مبتدأ بجعفر بن يحيى وحبس اياه ونزل بهم ما نزل .

عيون اخبار الرضا ٢ / ٢٤٠ .



حكام عصره

وحيثُ عاصر الرضا هارونا	وعاصر الأميين والمأمونا
وكان عانى منهم ما عانى	وكابد الهموم والاحزاننا
وتابعته أعين الطغاة	بالظن والتهمّة والسُّعاة
فقد شكاه الحاقد « الزيري »	وهو الذي ليس به من خير
قد كاتب الرشيد يشتكه	ان الرضا على خطى أبيه
قد فتح الابواب للثوار	ثم ادعى لنفسه بالثار
وقد شكته زمرة البرامكة	وهي التي درب الضلال سالكه
أفضعهم يحيى هو ابن خالد	وكان فيه خلق المعاند
وكان مبغضاً لأهل البيت	يمزج نار حقه بالزيت
يسعّر الحرب على ابن موسى	وبالشكوك يُوغر النفوسا ^(١)

(١) عاصر الامام الرضا عليه السلام بقية حكم هارون ، وحكم الامين ، وحكم المأمون ، وقد لاقى الامام عليه السلام ما لاقى من العنت ، والاذى ، والمراقبة الشديدة الكثيرة من هؤلاء الحكام ، وقد جعلوا عليه ، ولا سيما من هارون السعاة ، والعيون ، لمراقبة تحركاته وافعاله ، وقد نقل أهل السير والتاريخ الافعال الشنيعة لجماعة من هؤلاء السعاة ، ومنهم يحيى البرمكي ، وبكار الزيري ، وغيرهم . وفي هذا المجال ينقل الصدوق : ان بكار الزيري قد ظلم الامام الرضا عليه السلام في شيء ، فدعا عليه الامام عليه السلام فسقط عليه حجر من القصر فقتله ، وكذلك حصل لابيّه عبد الله بن مصعب الزيري ، حينما قال لهارون ان الرضا عليه السلام يريد الخروج عليك لكن الله سبحانه عاجله بالعقوبة فحم من وقته ، ومات بعد ثلاثة ايام ، وخسف قبره مرات كثيرة . عيون اخبار الرضا ٢ / ٢٤٣ .





كما ذكر ايضاً الشيخ الصدوق بسند متصل الى جعفر بن يحيى البرمكي قال : سمعتُ يحيى بن جعفر يقول لهارون حينما توجه من الرقة الى مكة : اذكر يمينك التي حلفت بها في آل ابي طالب فأنتك حلفت ان ادعى احدٌ بعد موسى بن جعفر ؑ الامامة ضرت عنقه وهذا علي الرضا ابنه يدعي هذا الامر ، فنظر اليه هارون مغضباً وقال له : وما ترى اتريد ان اقتلهم جميعاً ؟ قال موسى بن مهران : فلما سمعت ذلك صرْتُ الى الرضا ؑ واخبرتهُ بذلك فقال ؑ : ما لي وما لهم لا يقدرّون على ذلك ابداً. عيون اخبار الرضا ٢ / ٢٤٦



نبوءة الرضا ؑ

فأقسم الرشيد أن يقتله	وفي حياض حتفه يُنزلـه
ووصل التهديد للامام	فأبتسم الطاهر للكلام
وقال : ليس ذاك يـكون	تدركه من قبلي المنون
وجنبه الله سوف أدفن	وذاك والله لسرر معلـن ^(١)



(١) وكان الامام الرضا ؑ يعلن مراراً ان هارون سيموت قبله وسيُدفن معه وهذا ما حصل بالفعل ، وهذا من كراماته الظاهرة ، وفي هذا المجال اورد الصدوق بسند الى موسى بن مهران قال : رأيت علي بن موسى الرضا ؑ في مسجد المدينة وهارون يخطب فقال ؑ اتروني واياه سُدفن في بيت واحد ؟. عيون اخبار الرضا ؑ ٢ / ٢٤٧.

وفي ذات مرة ، خرج هارون من المسجد الحرام من باب ، وخرج الإمام ؑ من باب آخر فقال ؑ : يا بعد الدار وقرب الملتقى ان طوس ستجمعني واياه. عيون اخبار الرضا ؑ ٢ / ٢١٦.

وقال ابن حجر : اخبر بأنه يموت قبل المأمون ، وأنه يدفن قرب الرشيد فكان كما أخبر.

عيون اخبار الرضا ؑ ٢ / ٢١٦.



ثورة محمد بن جعفر الصادق عليه السلام

وحين قامت ثورة ابن جعفر
فأرسل الرشيد جيشا ظالما
وقُتل الثائر فيها صبورا
ونُهبَت دورٌ لآلِ هاشم
ووصل النهبُ الى دار الرضا
فوقف الامام عند الباب
وقال : هيهات تُمدُّ كفُّ
فدون ذاك مهجَّةٌ لا تأبى
ثم مضى يجمعُ الخليفا
ثمَّ وأعطى كل ما في الدار
سوى ثيابٍ خلقت عده
عاني بها الامام كل هول

محمد ابن الطاهر المطهر
ليحصل الرقاب والجماعا
وراح لله شهيدا حرا
والسادة الاطياب الأعظام
وذاك أنكى ما جرى فيه القضا
يذودُ عن حرائر الاطياب
الى بناتِ أحمدٍ أو سيفُ
بأن تراق بالسيف ضربا
يُشبهه صبورا جده عليا
ولم يدع شيئا على الجواري
وياله من محنةٍ وشده
بعزةٍ تفوق كل قول^(١)

(١) شهدت اواخر ايام خلافة هارون ، واوائل خلافة المأمون ؛ قيام عدة ثورات علوية ضد الظلم والفساد في ذلك الزمان ، فقد ذكرت المصادر التاريخية : ان محمد بن الامام الصادق عليه السلام كان رجلاً ، فاضلاً ، سخيّاً ، عابداً ، عالماً ، راوياً للحديث ، اضافة الى شجاعته ، وقد بايعه اثناء ثورته جماعة من آل ابي طالب بالمدينة على امانة المؤمنين ، وكان يُلقب « بالدياج » لحسنه ، وجماله ، وقد توجه ايام ثورته الى مكة ، ومعه جماعة من العلويين ، واشتبكوا بقتال مع واليها هارون بن المسيب ، وقيل بل مع عيسى بن يزيد الجلودي ، وكبدوا جيشه الكثير من القتلى ، وسرعان ما طلب الجلودي من الامام الرضا عليه السلام وهو في



المدينة ان يكتب بكتاب الى محمد بن الصادق عليه السلام يعرض عليه الصلح ، لكن محمد رفض ذلك ، وسرعان ما ارسل مدد جديد للجلودي ، حيث حوضر الثائر محمد ، وانصاره في جبل كان هناك ، ودام الحصار ثلاثة ايام سرعان ما نفذ ما معهم من المؤن ، وبدأ اصحابه يذهبون هنا وهناك مما حدى به الى عقد صلح امان مع الجلودي ، وقد قام هذا الاخير بأخذهم اسارى الى المأمون ، وكان والياً في خراسان ، وهناك مات هذا الثائر صبيراً ، وهو حر ، وقد شيعه المأمون اثناء دفنه ، وكان هارون العباسي قد ابلغ الجلودي ان يهاجم دور آل ابي طالب بالمدينة ، وان يسلب نسائهم ، ففعل الجلودي ذلك.

وحين توجه الى دار ابي الحسن الرضا عليه السلام وهجم على البيت فتصدى له الامام عليه السلام وامره بالبقاء خارج البيت على ان يعطيه ما يريد ، وفعلاً سلمه الامام عليه السلام كل الخلي والثياب التي بحوزة العلويات ، ولم يترك سوى شيئاً يسيراً ، وهو يتجلد صبراً بما فعل الظالمون ، وكم عانى الامام الرضا عليه السلام من هذه الحادثة ، واصابته الآلام على اثرها ، لكن الله سبحانه كان بالمرصاد للظالمين ، اذ سرعان ما وصلت ولاية العهد للامام الرضا عليه السلام وكان المأمون آنذاك غاضباً على الجلودي لأمر ما ، فأدخل الجلودي على المأمون ، وكان الرضا عليه السلام جالساً ، ولما كان اهل البيت عليهم السلام اهل عفو وتسامح ، وهذا هو دينهم ، فقد همس الامام بأذن المأمون بالعفو عنه ، فظن الجلودي ان الامام يُشير على المأمون بقتله ، فقال الجلودي للمأمون : بالله عليك لا تسمع كلامه ، وهنا قال المأمون : والله سوف لا اسمع كلامه اذ امرني بالعفو عنك ، وسرعان ما قتله (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) .

مقاتل الطالبين / ٣٥٣ ، تاريخ البعقوبي ٢ / ٤٤٨ .



نهاية هارون وصراع الأخوة

وحين هارون طوى أسيافه
في الشام والعراق حتى المغرب
ثم إلى المأمون بعد النـزق
فأشـتعلت بالفتنة النفوس
فجهزت بغداد جيشاً غاضبا
وجّهزت فارس جيشاً ثان
فأنهزم الامين في بغدادا
وشاهدت بغداد يوماً أسودا
فالقتل والسب غدا شعارا
ثم إنتهى الحصار بالقبض على
وُج في السجن بغير رحمه
وبعدها ذات مساء قتلا

أوصى إلى الامين بالخلافه
فأرتجفت خوفاً وجوه العرب
من همدان الفرس حتى المشرق
وأوقدت العُرب والمجوس
تطمح ان ترى الامين غالبا
لعلها تغلب بالطعان
مُحاصراً قد ترك الجلادا
وهامت الناس على غير هدى
لألف سيف ينشر الدمارا
خليفة ما طاب يوماً عملا
من فتنة ضيع فيها الامه
ورأسه إلى أخيه حملا^(١)

(١) نقل اهل السير والتاريخ ان هارون العباسي ، وقد عهد بولاية العهد لأبنيه محمد الامين ، وكان آنذاك في بغداد ، ثم للمأمون ، وكان آنذاك والياً على خراسان ، وكان الامين ثاني خليفة هاشمي من الهاشمين بعد الامام علي ؑ اذ كانت امه « زبيدة » علوية ، وقد وصفه السيوطي بأنه كان شاباً قوي الساعد ، وكان سيء التدبير في امور الخلافة ، كثير التبذير ، ارعن ، ضعيف الرأي في امور السياسة ، اذ سرعان ما قام بعزل اخيه القاسم



عما كان ولّاه أبوه من قبل ، ثم خلع أخاه المأمون من ولاية العهد ، وعين ولده موسى بدلاً عنه عملاً باغراءات جماعة من العرب والمجوس ، ثم أقدم بجيش يقوده طاهر بن الحسين ، فكانت الغلبة لجيش المأمون الذي دخل بعد ذلك الى بغداد ، واعمل فيها القتل ، والفساد ، وحوصرت خمسة عشر شهراً ، وبعد ان علم الامين بأخبار جيشه ، وهروب اعوانه ركب قارباً مع جماعة ، وهرب ولكن قُبض عليه فيما بعد ، وحُبس عند جماعة من الملاحين ليلتين ، ثم دخل عليه جماعة من الاعاجم فضربوه بالسيف ، ثم ذبحوه ، واخذ رأسه الى أخيه المأمون ، ثم جُرت جثته بجبل ، وكانت نهاية الامر ان يبيع للمأمون بالخلافة.

وكانت مدة خلافة الامين حسب رواية اليعقوبي في تاريخه اربع سنين وسبعة اشهر وعدة ايام ، وكان عمره يوم مقتله ٢٧ سنة ، لكن الشيخ عباس القمي يقول في كتابه تنمة تواريخ الخلفاء : وكانت مدة حكمه حتى يوم مقتله ما يقرب من خمس سنوات وكان سنّه ٣٣ سنة قضاها باللهو واللعب والطرب.

ونقل السيوطي قول هارون في ولده الامين : اني لأعلم انه . اي الامين . منقاد الى هواه مبذر لما حواه ويشاركه في رأيه النساء والاماء. تاريخ الخلفاء / ٣٠٧.



بيعة المأمون

وبايع الناس الى المأمون بالخوف والاغراء والظنون^(١)



(١) استلم المأمون زمام الحكم بعد حرب دامية استمرت خمس سنين قتل فيها آلاف القادة والجنود ، وحدث تفتت في التحالف العباسي وانقسم الى قسمين ، مؤيدين ، ومعارضين لحكم المأمون الذي قد حدث فيه انفراج سياسي للإمام الرضا ؑ ولاهل بيته بعد اربع سنين ، فكان الإمام ؑ يتحدث بحرية تامة ، ويتحرك في دائرة أوسع من قبل ، وهي دائرة البلاط الحاكم لاتصاله بالوزراء ، والقادة مباشرة.

والمأمون كوارث لأبيه وأجداده لم يستطع ان يخرج عن النهج السياسي السابق إلا في حدود ضيقة ، وكان كسابقيه يؤطر حكمه باطار شرعي مقدس ، وهذا يظهر من الكتب والمخاطبات التي وجهت اليه ، ومنها ما كتبه اليه طاهر ابن الحسين ، قاد الجيش الذي قتل أخاه الأمين حيث جاء فيه :

قد قتل الله المخلوع ، واسلمه بغدره ونكثه ، واحصد لأمر المؤمنين أمره ، وانجز له ما كان ينتظره من سابق وعده ، والحمد لله الراجع الى امير المؤمنين حقه ، الكائد له فيمن خان عهده ، ونقض عقده ، حتى ردّ به الالفه بعد فرقتها ، وجمع له الامة بعد شتاتها ، فأحيا به اعلام الدين بعد دثور سرائرها. اعلام الهداية ١٠ / ١١٨ .



انتفاضات الاقاليم

وانتفض الثّـوّار في الأفـاق
نصر بن سيارٍ بأرض الشام
وفي الحجاز ثار ابراهيم
وزيدُ النار بأرض البصرة
فارتعدت قوائم الخلافه
أن يذهب السطانُ من يديه
فراح يقضي الليل بالتفكير
وحولـه جمعُ من الرجالِ
فشيعه العراق في وثوبِ
وثورة الاطرافِ ليست تنطفي
وصار في غم بنو العباسِ

في الشام والحجاز والعراق
وأبن طباطبا من الاعلام
وهو ابن موسى والفقي الحكيم
وخلفهم من الرجال كثره
واصبح المأمونُ في مخافه
وأن يعودَ حسرةً عليه
خوفاً على نهاية المصيرِ
يقلبون الأمرَ بالاقوالِ
وشيعه الحجاز في حروبِ
والضعف صار ليس بالامر الخفي
وأبتعدت عنهم وجوه الناس^(١)

(١) ذكر اهل التراجم والسير ورواة التاريخ سمات عصر المأمون العباسي الايجابية ، لكنهم تغاضوا ، او تكتموا نوعاً ما عن افعاله السلبية سواء على الصعيد السياسي ، او الاقتصادي ، او الاخلاقي ، وربما كانت هذه الافعال هي الدافع الاساسي لقيام جملة من الثورات في جميع نواحي العالم الاسلامي آنذاك ضد سلطته الجائرة ، واجمالاً يمكن تسجيل عدة سمات صبغت حكم المأمون ، وأدت الى قيام هذه الثورات :

أولاً : عُرف المأمون بالغد ، ولا سيما مع الامام الرضا ؑ وجميع خصومه السياسيين كأخيه الامين ، وعبد الله بن موسى الهادي ، واسحاق بن موسى ، وحميد الطوسي ووزيره الفضل بن سهل.





ثانياً : ميله الى الدنيا ، واللهو ، والولع بالشطرنج ، وبالموسيقى ، وشرب الخمر ، وكان يقيم في قصره مجالس الغناء ، والطرب ، وهو القائل : « الذ الغناء ما اطرب السامع » اضافة الى منادمته للسُّقُل ، والساقطين ، كما فعل لما اتخذ القاضي يحيى بن اكثم قاضي الخلافة العباسي نديماً له بعد عزله عن قضاء البصرة ، وكان هذا معروفاً بالفجور .

ثالثاً : تظاهره أمام العلويين بالتشيع ، حتى انطلق هذا الامر على بعض من المؤرخين .

رابعاً : استعمله القسوة المفرطة ضد خصومه ، ومنهم أخوه الامين ، وجماعة من آل ابي طالب المعارضين لسلطانه .

خامساً : الفساد الاقتصادي الذي كان سائداً آنذاك حيث قال السيوطي في تاريخه ، انه بذر كثيراً من اموال الخلافة على اللهو ، ومتع الدنيا .

سادساً : انتشار الفقر والعوز بين الناس في عهد خلافته ، واندمار الشريحة في المجتمع لاهمال مقصود ، وشيوع الجور والظلم في بعض مناطق العلويين ، كما حصل في الكوفة وجور واليهما .

سابعاً : غلبة الدهاء والحيلة على سلوكه وتصرفاته مما جعله غير مأمون الجانب ، خاصة من الذين يعرفونه ، ولعل هذا الامر يبدو ايضا عندما بدأ بتصفية خصومه ، ومنهم الامام الرضا ؑ والفضل بن سهل وزيره .

كل هذه الامور وغيرها ادت الى ان تتعرض سلطته لهزات عنيفة هنا وهناك قام بها ثوار وبالاخص العلويين ، ولعل منهم ابو السرايا ، وكان رجلاً شجاعاً خرج في الكوفة سنة ١٩٩ هـ ودعا الناس الى بيعه محمد بن ابراهيم بن اسماعيل طباطبا ، وواكب ثورته تلك ثورة محمد بن الامام جعفر الصادق ؑ بالمدينة ، وفي الحجاز ثار ابراهيم بن الامام موسى الكاظم ؑ في حين ثار بالبصرة زيد بن الامام موسى الكاظم ؑ وقام بأحراق دور بني العباس ، لذا لُقّب بد « زيد النار » ويكنى بأبي الفضل ، وله مرقد ومزار كبير في محافظة الديوانية ، وقد عفا عنه المأمون بشفاعة الامام الرضا ؑ الذي أنبئه كثيراً على افعاله ، كل هذه الثورات وغيرها جعلت المأمون في غمّ وتفكير خوفاً من انهيض سلطانه .



بيعة الرضا ؑ

ولم تكن من حيلةٍ مخيفه
وقُطع الامرُ بأشخاص الرضا
فكتب المأمون يستدعيه
فاعتذر الامام أي عذرٍ
حتى اذا أيقن لن يكفاه
فحمل الأمام بالنفائسِ
مودعاً قبر النبي المصطفى
وجاد في اهليه بالاموال
غير اختيارٍ للرضا خليفه
الى خراسان بأمر قد قضى
وبأرتقاء عرشه يُغريه
كي يتقي منه وجوه الشرِ
أجاب به لما يريدُ عسفاً
على طريق بصرة وفارس
وأهله المستكملين الشرفا
يقول لن أعود للعِمال^(١)

(١) لقد حصل في عهد خلافة المنصور اضطراب في الوضع السياسي ، حيث انه عاش صراعاً مبرراً للقضاء على اخيه الامين ، وما نتج عن ذلك من استياء بقية انصار الامين من العباسيين ، لكنه سرعان ما فوجئ بعدة ثورات وحركات مسلحة علوية في جميع الامصار الاسلامية ، مما جعل المأمون يفكر في مشروع سياسي ينطوي على دهاء بعيد يستهدف اولاً حركة الامام الرضا ؑ وتطويقه ، وثانياً كسب ود العلويين ، ولا سيما الثائرين منهم وتبسيط عزائمهم ، وامتصاص نفمة الكثريرين منهم ، اضافة الى التشبّه بالعدل واشاعة السلام ، فعمد الى فكرة ولاية العهد ، او اشراك الامام الرضا ؑ بالسلطة العباسية عكس ما فعل اجداده من قبل.

وعلى العموم يمكن اجمال اهم الاسباب التي ينطوي عليها هذا الفعل السياسي .

أولاً : الايحاء لجماعات الشيعة ولا سيما الثائرة منها ان الخلافة قد رجعت اليهم عن طريق اشراك كبيرهم الامام الرضا ؑ بعد سنوات من الغضب ، والقتل ، والابعاد ، وبالتالي فلا حاجة للثورة ضده ، وفي نهاية المطاف يكون قد انهى اقوى معارضة سياسية لسلطانه.

⇐





ثانياً : محاصرة الامام الرضا ؑ في البلاط ، وبالتالي تحجيم دوره العلمي ، والديني ، والسياسي ، ومعرفة قواعده ، وانصاره ، وتحركاته.

ثالثاً : التمويه على الناس ان المامون العباسي شيعي المهوى والتوجه ، ومحباً لأهل البيت ؑ إضافة الى ما رافق هذا من اعلام مضلل عملت سلطته آنذاك على نشره بين الناس.

رابعاً : اعادة السيطرة والقوة لسلطته المهتزة وبالتالي اخاء خصومه من غير العلويين.

خامساً : تشويه سمعة الامام الرضا ؑ من اشراكه بالسلطة ، وانه رجل دنيوي راغب فيها ، بدليل قبولها على حساب ما اشيع عنه وعن اهل البيت ؑ كونهم زاهدين بالدنيا ، إضافة الى ان تواجد الامام ؑ تحت نظر السلطة مما يعطيه فرصة في اي لحظة للقضاء عليه متى شاء.

كل هذه العوامل هي التي اوجت للمأمون اسناد ولاية العهد للامام ؑ لا ما يقوله الآخرون ، ومنهم السيوطي حيث يقول :

وفي سنة ٢٠١ هـ خلع المأمون اخاه من ولاية العهد وجعلها لعلي الرضا ، وقد حملته على ذلك افراطه في التشيع وميله لأهل البيت. تاريخ الخلفاء / ٣٠٧.

او كما قال ابن الاثير في الكامل : وكان المأمون شديد الميل للعلويين ، والاحسان اليهم ، ومنها اسناد ولاية العهد لكبيرهم الامام الرضا ؑ وكان قد فعل ذلك طبعاً لا تكلفاً.

وقد ذكر المستشرق النمساوي دوننا لدسون ، حول غاية استمالة الخليفة المأمون من الامام ؑ حيث يقول : كان الخليفة العباسي غير واثق من ميل الناس له في العراق ، وخاصة العلويين ، ففكر في ان يتقرب من الفئات الشيعية الكثيرة ، ولا سيما الثائرة منها بتعيين الامام علي الرضا ؑ خلفاً له في الخلافة.

وقال ايضاً : « جاهد الامام الرضا في تفهيم الناس بان ولاية العهد لم تكن تتفق مع رغبته وانما كان يفعل ذلك بموجب ما دعي اليه وأكره عليه ». عقيدة الشيعة / ١٦١

ومما يؤكد ذلك أن المتأمل في سلوك المأمون باسناد ولاية العهد للامام الرضا ؑ فهل من العقل ما يستوجب التصديق ان المامون المحب لديناه الذي قتل اخاه الامين أشد قتلة ، والمنغمر هو في طلب الرئاسة ، وحب الدنيا والجاه ، ان يدعو مثل هذا المأمون من خلع نفسه وابنه من الخلافة ، واسنادها الى الامام الرضا ؑ.

فالمسألة اذاً مسألة سياسية ، والمأزق الذي كان يعانيه المأمون مأزق فكري سياسي ، وكان لا بد له من معالجته بأدوات فكرية سياسية ، وهذا الذي حدث.



الرحيل الى خراسان

في مأتين مضتتا للهجره
لم يدخل الكوفة في مسيره
سار الى الاهواز غير شاك
حتى اذا ما بلغوا « لأريق »
والنوفلي جعفر مذرآه
وقال ان الناس يزعمونا
ولم يزل حياً فأضحى غائباً
ردّ الرضا قد كذبوا علينا
وقسمت أمواله لأهلـه
ثم مضى الى طريق الصحرا
توجه الامام نحو البصره
كأنه يمشي الى مصيره
مع « الرجاء بن ابي الضحاك »
أوقف في الشاطي ركب الأنيق
بلهفة وعبرة حياهُ
ان أبـاك عـبر المنونا
يُجمّع الجيوش والكتائبـا
فأنه قد مات في يدينا
والارث بين زوجته ونجلـه
يُوصل في ليل المسير الفجرا^(١)

(١) تشير المصادر التاريخية الى أن المأمون قد أكره الامام الرضا عليه السلام للقدوم الى خراسان لتولي ولاية العهد ، وقد دامت بينهم الرسائل ، والمكاتبات قرابة شهرين ، حيث اشارت الى ذلك وفصلت رحلته من المدينة الى خراسان ، وهذا مجمل ما ذكره المؤرخون :

لما اراد الامام الرضا عليه السلام الخروج من المدينة الى خراسان جمع عياله وبكوا جميعاً وبكى معهم ، ثم فرق بينهم اثني عشر الف دينار ، واعلمهم انه غير راجع اليهم ، ثم عدل الى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه ولده ابو جعفر الجواد عليه السلام واستودعه عند جده رسول الله صلى الله عليه وآله اياه في المدينة ، ثم توجه من هناك عام ٢٠٠ هـ الى خراسان سالكاً طريق البصرة ، ولم يدخل الكوفة متوجهاً الى بغداد ، ومن ثم الى قم ، برفقة المتولي على شؤون رحلته رجاء ابن ابي

➔





الضحاك ؛ عم الفضل بن سهل ، وقيل المتولي شؤون الرحلة هو الجلودي.

الارشاد / ٣٠٩ ، مقاتل الطالبين / ٣٦٩.

وقد ذكرت المصادر التاريخية ان الامام الرضا اثناء مسيره نحو خراسان اخذ الطريق الصحراوي مبتعداً عن الكوفة بأمر المأمون خوفاً من اجتماع شيعة الكوفة معه ، وان المأمون كتب الى الرضا عليه السلام ان لا تأخذ طريق الجبل وخذ طريق الاهواز وفارس. وان المأمون اشخصه من المدينة الى البصرة الى الاهواز الى فارس الى نيسابور الى مرو ، حيث عاصمة الخلافة هناك.



حديث السلسلة

حتى أتوا صباحا « لنيسابور »
 فيهم ابو زرععة الرازي
 ومعه محمد بن أسلم
 ومعهم كانت وجوه الشيعة
 وطلبوا ان يسامعوا روايته
 فاستوقف البغلة ثم قالوا
 يروي عن الصادق عن ابيه
 عن الحسين السبط عن علي
 عن جبرائيل الملك الامين
 قال : الذي قد احسن المقالا
 من قال : لا اله الا الله
 ومن اتى حصني فلن أعذبا
 وانني والله من شرونها
 فياله من سئد قد شقي
 قال ابن حنبل اذا ما قرءا

فاستوقفوا بغلته في السور
 الثقله المحدث القوي
 راوية في الناس مثل العلم
 وكلهم مصغية سمعته
 صحيحة أوثق من درايه
 سمعت من موسى أبي مقالا
 وعن علي الساجد الفقيه
 عن النبي الطاهر الأمي
 عن خالق السماء والتكوين
 رب السما سبحانه تعالى
 صار بحصني حافظاً إياه
 لكن شرونها ولأئ النجبا
 فاستمسكوا بالحق من خيوطها
 كأنه من ذهب مصقى
 هذا على المجنون إلا برءاً^(١)

(١) عند رحلة الامام الرضا عليه السلام مرّ اثناء مسيره بمدينة نيسابور ، فلبث فيها يسيراً ، وعندما همّ بالمسير الى خراسان اجتمع عنده العلماء واصحاب الحديث ، وطلبوا منه حديثاً عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وكان الامام آنذاك في هودج على ناقه له فأخرج عليه رأسه وقال لهم :





سمعت ابي موسى بن جعفر الكاظم يقول ؛ سمعت ابي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول ؛ سمعت ابي محمد بن علي الباقر يقول ؛ سمعت أبي علي بن الحسين السجاد يقول ؛ سمعت ابي الحسين بن علي الشهيد يقول ؛ سمعت ابي امير المؤمنين علي بن ابي طالب يقول ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ؛ سمعت جبرائيل يقول ؛ سمعت الله عز وجل يقول : كلمة لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني آمن عذابي ، ثم سار عليه السلام بضع خطوات وأخرج رأسه ثانية وقال : بشرطها وشروطها وانما من شروطها ، فدوّنت العلماء اهل الحديث هذا الخبر العظيم وسمي فيما بعد بـ « الحديث ذي السلسلة الذهبية » وهذه القضية ذات الحديث الذهبي اشار اليها العلماء واثنوا عليها. المنتظم لابن الجوزي ١٠ / ٦٧ ، الصواعق لابن حجر / ٣١٠.

وسمي هذا الحديث بـ « سلسلة الذهب » لان سلسلة روايته كلهم معصومون ، ومن المفيد ذكره هنا ان لهذا الحديث عدة شروح ، وعليه عدة تعليقات ، وقد اخرج له الشيخ الصدوق عدة طرق في روايتها ، وكذلك من المفيد ذكره ان هذا الحديث الذهبي قد تضمن جملة حقائق من الممكن الاشارة الى بعض منها :

١ . سند الحديث الضبط والاثبات والقدسية والوضوح بحيث اشتهر بحديث السلسلة الذهبية.

٢ . مضمونه المشتمل على ادق قضايا الايمان الا وهو التوحيد الذي وجب على كل انسان بحكم العقل الاعتقاد به فضلاً عن النطق به.

٣ . الاشارة الى ان الاعتقاد بالنبوة ومكملاتها من الامامة باهل البيت عليهم السلام الواجب على اهل التوحيد شرط اساسي من شروط قبول عقيدة التوحيد ، بل أشار الامام الرضا عليه السلام ان الاعتقاد بالامامة المعصومة شرط من شروط هذا التوحيد ، وهذا امر في غاية الاهمية ، حتى ان البعض ومنهم الصدوق في « عيون اخبار الرضا » ذكر نصاً آخر للحديث بطريق آخر مفاده : « ولاية علي بن ابي طالب حصني فمن دخل حصني آمن عذابي » ولا منافاة بين الحديثين كون ان احدهما يؤدي الى الآخر.

٤ . الدخول في حصن التوحيد الذي من شروطه النبوة والامامة دليل على النجاة والحفظ سواء كان دنيوياً او اخروياً.



الوصول الى طوس

ثم أتى للقريّة الحمراء
ثم أتى أرض « سانا باد » الجبل
ثم أتى طوساً مع العناء
ثم دنّا لقبر هارون وقد
وقال : هذي تربتي سأُدفنُ
وهي مزارُ شيعتي البعيدُ
تنال تحت قبتي الشفاعة
وسار ركب المجد حتى « سرخس »
و « مرو » كانت مركز الخلافه
صلى لرب الأرض والسماء
فطبخوا له قليلاً وأكل
حلّ على دار حميد الطائي
خطّ الى جانبه خطاً ييد
فيها وقد مرّ عليّ الزمّ
يقصده الموفق السديدُ
إن قرنت ولايتي بالطاعه
ثم الى « مرو » أتي في الغلس
حلّ بها باكرم الضيافه^(١)



(١) حين وصل الامام الرضا عليه السلام وبعد ذلك وصل عليه السلام مدينة « طوس » بعد جهد جهيد ، ثم دخل دار « حميد بن قحطبة الطائي » التي فيها قبر « هارون العباسي » فنزل عليه السلام وخط الى جانبه وقال لمن حوله :

« هذه تربتي ومحل دفني ، وسيجعل الله هذا المكان مختلفاً لشيعتي ، واهل محبتي ، والله ما زارني هنا زائر الا غفر الله له ».

ثم صلى عليه السلام هناك عدة ركعات وسجد سجدة طويلة.



لقاء المأمون

عظّمه المأمون بأحترام
وصار ما بين يديه خاضعا
أفردَ للامام داراً عامره
وأوقد الشموع والضياء
وأمر العبيد ان تطيعا
لكنما الامام ظل صامتا
لما دعاه عنده المأمون
فقال : اني قد نويت أمرا
ان اخلع الامر الذي في عنقي
فأنت أهلّ أنت للخلافة
خذها فأنت صاحب الامر الرضا
فأطرق الامام ثم قال
هذا كلام لم أجد لأسمعه
فعارض المأمون ثم ردا
وكن وليّ عهدي المنتجبا
فامتنع الامام باعتذار
فأنني أطلب ان تعفيني
فانتفض المأمون ثم هدا
فلم ير الامام منه بدا

وذاك ما يليق بالامام
وراح يبحثو عنده مواعدا
زيّنها بالغرفات الباهرة
وعطر الابهاء والارجاء
وان ثلبي أمره جميعا
يئن في السر أنينا خافتا
وباح سره بما يكون
طويث اضلاعي عليه سرا
اليك يا ابن المصطفى البر التقى
من دونما ريب ولا مخافة
خذها فأنت وارث ممن مضى
عدتك بالله بأن تُطالا
فلسئت ممن يتغنون مطعمه
ان كان لا بد تولّ العهدا
فأنت من أهل الوفاء والأبا
وقال ما يليق بالحوار
واسستعيز الله ان تغريني
لا بد أن ترضى وان تقتصدا
حين أجابه لما قد ردا



شروط البيعة

مشترطاً عليه أن لا يأمر	أمراً ولا ينهى وليس يُنكر
وليس ان يفتي ولا ان يقضي	ولا مُغَيِّراً لشيء يمضي
ولا يُؤويّ والياً أو يعزّل	ولا يحلّ عقدة أو يفتل
فقبل المأمون ما أراد	وصار ليل همه أعياد
وأوقدت بذلك الشموغ	واصبح العطر بها يضوغ
ووزع المأمون من أمواله	على الجوّاري أو على رجاله
ثم على كل الولاة فرضاً	ان يُضربَ النقْدُ غداً باسم الرضا
وكانت البيعة لما فرضت	لخمسة من رمضانٍ قد مضت
ولبس الجميع ثوباً أخضرا	واسبشرت « هاشم » بالذي جرى ^(١)



(١) إثارة مسألة ولاية العهد في حينها الجدل والخلاف بين الشيعة ، وكان الامام الرضا عليه السلام يريد بها حقن دماء العلويين وحماية الاسلام من التحريف ، والتشويه ، وتثيبت دعائم مدرسة أهل البيت عليه السلام فكان حاله كحال نبي الله يوسف عليه السلام لما حمله طاغية عصره على السلطة.

في حين لم تعِ الامّة تلك الدواعي والغايات وانما فهمت خطأ ان ذلك كان تأييداً لسياسة المأمون ، ومن الواضح في التاريخ ان المأمون كنا يفهم موقع الامام عليه السلام بالامّة ويتحسس من وجوده ، وقد أراد من ولاية العهد تحسين صورته والتفرد فيما بعد بالسلطة ، الا ان الامام عليه السلام كان على حقيقة تامة انه مقتول منذ لحظة خروجه من المدينة الى طوس ، وقد امن بهذا القدر ، وانه محتوم لا محالة ، فما كان عليه سوى قبولها من اجل اجبار المأمون على الاعتراف بأحقية أهل البيت عليه السلام وفضلهم ، وحقن دماء اتباعهم ، وحماية ونشر الاحكام والمبادئ الاسلامية بين الناس على نطاق واسع.



الشعراء والقصيدة التاريخية

وقام من بين يديه الشعراء
يروون عن أبائهم ما آثرا
سنة أباء شمس الناس
وكان شعراً دعبيل الخزاعي
ينشد شعراً محكم الأبيات
قصيدة من أروع القصائد
ينشد فيها دعبيل ويكي
ويندب الزهراء والهواشم
يقول يا فاطم لو شهدته
يحمله النبي في يديه
فارتفع النسيج للنساء
أما الرضا فقد علا بكاه
حتى اذا من شعره قد انتهى
أعطاه ستمائة صفر
فقال : دعبيل له مقالا
لكنما حباكم حداني
فيها من جبة موصوفه

مرددین شـعرهم مُحـبراً
ويذكرون مجدهم مفاخر
أين ترى هم بنو العباس
قلئداً تلوح بالتماع
مطلعه « مدارس الآيات »
تسمو بأبيات العلوي الخوالد
قفر بعرضات بيت الشك
ويندب السبط الذي عانى الظمى
مجدلاً من بعد ما عهدته
مقبلاً من حبه عنيه
وعمت البيوت بالبكاء
ودعبيل ينشده أساه
قام الرضا لصرة ففلها
وجبة فاحرة خضراء
والله لست ابتغي الاموالا
بأن اصوغ هذه المعاني
جرت عليها قصة معروفه^(١)

(١) ومن اجل نشر فضائل اهل البيت (ع) ودورهم الريادي في الامة ، وتبيان مظلوميتهم على مر التاريخ ؛ شجع الإمام (ع) الشعراء على نظم الشعر في هذا الخصوص ، لانه خير



وسيلة اعلامية في ذلك العصر ، لسرعة انتشاره وسهولة حفظه وانشاده ، فقد دخل عليه الشاعر دعبل الخزاعي وانشده قصيدته التي جاء فيها :

مدارس آيات خلّت من تلاوة	ومنزلٌ وحى مقفّر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى	وبالبيات والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر	وحمة السجاد ذي الثفنيات
منازل جبريل الأمين يجلها	من الله بالتسليم والرحمات
ائمته عدل يقتدى بفعالهم	ويؤمّن فيهم زلّة العثرات
ارى فيهم في غيرهم متقسماً	وايديهم عن فيهم صفرات

ثم بدأ بابرار مظلوميتهم وما جرى عليهم من قبل الحكّام المتعاقبين على الحكم ، ثم ختم القصيدة بخروج الإمام العادل الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً ، وهو الإمام المهدي عليه السلام الذي تنتظره الامم الشعوب.

ولما فرغ من انشادها ، قام الإمام عليه السلام وانفذ اليه صرة فيها مائة دينار ، وقيل ستمائة دينار فردها دعبل وقال : والله ما لهذا جئت وانما جئت للسلام عليه والتبريك بالنظر الى وجهه الميمون ، وإني لفي غنى فإن رأى أن يعطيني شيئاً من ثيابه للترك فهو احب اليّ ، فاعطاه الإمام عليه السلام جبة خز وردّ عليه الصرة. اعلام الهداية ١٠ / ١٥٥ . ١٥٦ .



صلاة العيد

وَأَصْبَحَ الْقَادَةُ وَالْجَنُودُ
صَلَاتُهُ فِي بَهْجَةٍ وَسَعْدٍ
يَدْعُوهُ لِلصَّلَاةِ بِالْأَنَامِ
مَشْتَرِطًا لَهُ صَلَاةَ الْمُصْطَفَى
مَنْ كُلِّ قَائِدٍ بِأَنْ يُكْغَرَا
يَنْتَظِرُونَ طَلْعَةَ الْإِطْيَابِ
يَذْكُرُ النَّاسَ بِأَهْلِ بَيْتِهِ
فِي وَجْهِهِ الْخُشُوعُ لَيْسَ خَافٍ
وَالنَّاسُ خَلْفَهُ غَدَتِ حِيَارَى
لَمَّا رَأَوْهُ أَيْلَةَ السَّمَاءِ
قَدْ قُتِّبَتْ بِأَبْنِ النَّبِيِّ النَّاسُ
وَاللِّدْيَارُ خَشْيَةً يُرْجَعُهُ
وَاضْطَرَّتْ بِمَا تَرَاهُ الْأُمَمُ^(١)

وَذَاتَ صَبْحٍ حِينَ حُلِّ الْعِيدِ
يَنْتَظِرُونَ مَنْ وَلِيَ الْعَهْدِ
إِذْ بَعَثَ الْمَأْمُونُ لِلْإِمَامِ
فَاعْتَذَرَ الْإِمَامُ مَا قَدْ كُفِّفَا
فَوَافَقَ الْمَأْمُونُ ثُمَّ أَمَرَا
فَقَعَدَ النَّاسُ عَلَى الْإِبْوَابِ
فَخَرَجَ الْإِمَامُ فِي هَيْئَتِهِ
مُكَبَّرًا يَسِيرُ وَهُوَ حَافِي
ثُمَّ رَعْنُ ثِيَابِهِ وَسَارَا
وَضَجَّ ذَاكَ الْجَمْعُ بِالْبِكَاءِ
وَأَخْبَرَ الْخَلِيفَةَ الْحَرَّاسُ
فَبَعَثَ الْمَأْمُونُ مَنْ يَمْنَعُهُ
فَرَجَعَ الْإِمَامُ يَخْفِي هَمَّهُ

(١) أورد قصة « صلاة العيد » جمع من المؤرخين وأصحاب التراجم والسير ، والتي انفضح بها أمر المأمون وانكشف للناس مكان يضمه للإمام .

فلما حضر العيد وكانت ولاية العهد ثم عهدت للرضا عليه السلام طلب المأمون من الإمام بالتوجه لصلاة العيد بالناس والخطبة بهم ، لكن الإمام اعتذر عن ذلك بما اشترطه على المأمون ، فألح عليه المأمون بأن ذلك يدعو إلى اطمئنان الناس بالامر ، اضافة إلى أنهم

➡





يعرفون فضلك ، وبعد الحاح شديد اشترط الرضا ﷺ للخروج ان يخرج كهيئة جده رسول الله ﷺ وجده امير المؤمنين ﷺ وفعلا امر المأمون بأخراج القادة والاعيان والناس مبكرين للصلاة ، وبدأت الجموع تتوافد على الطرق ، والوقوف على السطوح لرؤية الامام وطلعته البهية ، وسرعان ما خرج الامام كأنه جده رسول الله ﷺ وعلى راسه عمامة بيضاء من القطن ، وهو حافي القدمين ، واثناء مسيره ﷺ كان يكبر والناس تكبر كل ذلك ادى بالوزير « الفضل بن سهل » ان يسرع باخبار المامون بان الامام ﷺ لو وصل الى مكان الصلاة لفتن به الناس وانقلب سلطان المامون وحكمه فاسرع المامون بارجاع الامام فوراً محتجاً بانه قد اتعب الامام ﷺ في هذا الامر ، وانه قد اناب عنه من يصلي بدله ، وهنا طلب الامام ﷺ خفأ فلبسه ورجع من حيث اتي . الارشاد / ٣١٢ ، كشف الغمة ٢ / ٢٧٨ .



الزواج السياسي

وقد روى الصدوق في العيون	روايةً جاءت عن المأمون
من أنه قد زوّج الأماما	ام حبيب اخته احتراماً
وتمّ سَمّى للجواد ابنته	لكي يمدّ للرضا حُمتَه
ثم مضى الرضا وليّ عهدٍ	يُخفي غداً من سره ويُدي
محتسباً لما به وصابرا	لكل مظلوم غداً مناصرا
مدافعاً عن الهدى والدين	وعن كتاب الحق واليقين ^(١)



(١) ذكر المؤرخون تزويج المأمون اخته ام حبيب الى الامام الرضا ؑ وسمى ابنته الاخرى « ام الفضل » لولده الامام محمد الجواد ؑ.

وقد ذكر القندوزي الحنفي : لما اراد المأمون ان يتقرب الى الله سبحانه والى الرسول ﷺ عهد بالبيعة لعلي الرضا ؑ وزوجه اخته ام حبيب . ينابيع المودة ٢ / ٦٧ .

وذكر الشيخ الصدوق : وزّج المأمون الامام ؑ اخته ام حبيب وسمى ابنته « ام الفضل » لولده محمد الجواد ؑ وتزوج . المأمون . بوران بنت الحسن بن سهل ، في يوم واحد .

ومن المفيد ذكره هنا ما ذكره الشيخ باقر شريف القرشي حيث قال :

ذكر بعض اهل التحليل ان المأمون انما زوج ام حبيب للرضا ؑ ليجعلها عيناً . اي جاسوسة . له على جميع تصرفات الامام ؑ وتحركاته :

وقد علق الشيخ حيث قال : ليس هذا ببعيد عن سياسة المأمون ودهائه . حياة الرضا ٢ / ٢٨٠



الغلاة والزنادقة

وكثر الغلاة والمناطقه	في عصره تجرأ الزنادقه
وان تضيع أمة الاسلام	يغنون محو النور بالظلام
مجدداً بعزمه اسلامه	لكنما الرضا إنتضى حسامه
بين الرضا وبين أهل الرده	فعدت مناظرات عده
ومن نووا نصره أهل الطاغوت	كالجاثليق أو كـرأس الجالوت
والصابئي بعده « عمران »	أو ابن قرة الفتى النصراني
والفد في مضمارها كان « علي »	محالس قد حفلت بالجدل
والجنـد والحجـاب والعيـون	محالس يحضرها المأمون
علماء بما يعجز عنه الأول	فيها الرضا يجيب عما يسأل
ومحكم القرآن والانجيل	بالفقه والتفسير والتأويل
والعدل والتوحيد والمعاد	وعن أحاديث النبي الهادي
إلا مضى وهو الفتى الموحد ^(١)	وكان لا يخرج منها أحد

(١) تشير المصادر ان الامام الرضا ؑ استغل فرصة ولاية العهد في بث العلوم ، والمعارف ، والدفاع عن عقيدة الاسلام ، وذلك عن طريق عقد المحاورات ، والمنظرات خصوصاً في القضايا المهمة كعصمة الانبياء ، ومعرفه قدر الامامة ، وحقية جده امير المؤمنين ؑ بالخلافة ، اضافة الى اظهار مظلومية جده الحسين ؑ وكان يعقد المجالس لهذا الغرض ، اضافة الى المناقشة عن بعض العقائد الحققة ، واقحام الخصوم في قضايا الجدل من اهل الاديان الاخرى والملل ، واهل المقالات والمناطق ، واهل الفلك والتنجيم.





وبين ايدينا نصوص كثيرة تؤكد انه ﷺ ناظر الجاثليق وهو كبير علماء النصارى ، وكذلك رأس الجالوت وهو كبير علماء اليهود ، وكذلك كبير علماء الصابئة ، وكبير علماء المجوس الذين يسمونه الهريذ ، اضافة الى اهل الجدل من الزرادشتيين ، وعلماء الطب ، واهل المعرفة في مختلف الاختصاصات.

كما نقلت لنا المصادر عدة محاورات رائعة مع اهل الاسلام ممن عرفوا بأعوجاج العقيدة والزنادقة كالغلاة ، والمفوضة ، واهل البدع والضلالات.

وله عدة مجالس مع كبار اهل الفلسفة كسليمان المروزي ، كبير الفلاسفة في خراسان ، وله مجالس مع اهل التوحيد وغيرهم من كل مؤالف ومخالف.

كما نقلت المصادر عدة اجوبة اجاب بها المأمون العباسي ، وفي كل هذا نجد له ﷺ علوماً ومعارف مهمة كالتيقية ، والعصمة ، والامامة ، والبداء ، وصفات الله.

كما نجد له اجوبة في شؤون العقيدة كالمسائل التي طرحها عليه بعض تلاميذه واصحابه كأبي الصلت الهروي.

وفي كل هذه المناظرات ، والمحاورات ، والمجالس كانت الغلبة للامام ﷺ واذعان الجميع له ، واعترافيهم بالعجز امامه ، بل نقلت المصادر التاريخية اسلام غير المسلمين على يديه كعمران الصابغي ، واسلام المتصوف العارف معروف الكرخي الذي كان نصرانيا واسم على يديه ، اضافة الى توبة بعض من ناظره ورجوعه بعد زيغة مسلماً موحداً كما حصل لعلي بن محمد بن الجهم الذي كان يشك في عصمة الانبياء فتاب على يديه وقال : يا ابن رسول الله انا تائب الى الله عز وجل من ان اقول في انبياء الله بعد يومي هذا. وكذلك توبة عمرو بن عبيد البصري. عيون اخبار الرضا ١ / ٢٥٩.



علمه ﷺ

علم النبي عنده مستودعٌ	وعنده علم الكتاب أجمعُ
وعنده كلُّ حديث المصطفى	من الهداة الطيبين الشرفا
والطب من علومه المعروفه	فيه يداوي العلة المخوفه
فعنه ما قد اخذته الحكماء	وعنه ما تروي فحول العلماء
فاوغرت قلوبها الحسَّاءُ	واشتعلت بنارها الاحقَّاءُ
وكان من حساده المأمونُ	فقد رأى بالعين ما يكونُ
فاضمرت ضلوعه ما أضمرت	أمرأ له الجبال قد تفتطرت ^(١)

(١) كان الامام ﷺ وبأعتراف الجميع عالماً بكل العلوم ، ومطلعاً على الاديان وكتبها ، وكان بحراً دافقاً لكل المعارف ، حتى الغريبة منها كالتنجيم ، والفلك ، اضافة لما اشتهر عنه ببحره بعلم الطب من خلال رسالته الشهيرة الرسالة الذهبية في الطب .

وقد اثبت كتب سيرته المباركة له ﷺ هذه المؤلفات :

الرسالة الذهبية في الطب . وكتاب « فقه الرضا » . وصحيفة الرضا « مسند الامام الرضا » . وما كتبه حول الاجوبة مثل جوابه للمأمون حيث جاءت على شكل رسالة تسمى بـ « رسالة جوامع الشريعة » . ومجموعة من الحكم ، والمواظ منثورة في كتب متفرقة . وجملة من الاحكام والعلل كتبها لتلميذه « محمد بن سنان » . وجملة من علل الاحكام ذكرها « الفضل بن شاذان » . وقطع شعرية متفرقة في كتب التراجم والنوادر . ومجموعة من الادعية والعلوم الغريبة متفرقة في مضانها مثل « مهج الدعوات » لأبن طاووس الحلي .

شعر المأمون وهو الداهية الذكي ان الامام الرضا ﷺ بدأ يزاحم سلطانه بسلاح العلم عن طريق المناظرات ، وافشاء العقائد الحققة ، ومنها احقية الائمة ﷺ من أجداده بالخلافة وغيرهم من توعية الناس ونشر صورة الامام العادل ، كل هذا اشعر المأمون بان الرضا ﷺ





بدأ يهدد سلطانه بسلاح العلم ، ومن هنا امتلأ صدره حسداً للامام ، وخاصة عندما كان يجلس معه في مجالس العلم والمخاورات والجدل ، ويرى تفوق الامام على محاوريه وبراعته في اقحامهم ، اضافة الى كون المامون كان يبطن كراهية الامام والخوف منه وعدم الاطمئنان اليه ، وبهذا الصدد ينقل الشيخ المفيد : وكان الرضا ؑ يُكثر وعظ المأمون اذا خلا به ويخوفه بالله عز وجل ، ويقبح ما يرتكبه المامون من خلاف مراد الله عز وجل ، فكان المأمون يظهر قبول ذلك ظاهراً ويبطن كراهيته لذلك.

وأضاف الشيخ المفيد لذلك : ان الفضل والحسن ولدا سهل كانا من الحساد للامام وكانا يحرضان المأمون عليه ؑ. الارشاد / ٣١٥.

وربما يظهر هذا جلياً من عدم اطمئنان المامون للامام الرضا ؑ والخوف منه عندما إفتتن الناس بالامام عند ذهابه لصلاة العيد . كما مر . مما أخاف المأمون ، وهيج حسده وغضبه مما ادى الى ارجاع الامام دون صلاة.

وأخيراً ما ذكره الشيخ فاضل القرائي في هذا الصدد قال :

ان مثل هذه المخاورات التي تجري في البلاط الملكي وامام جمهور العلماء مما يؤدي الى انتشارها في صفوف الناس وبالتالي تصحيح مسار عقائدها كل ذلك مما يوغر صدر المأمون ويثير حسده بل حقه على الامام . حياة الرضا / ٩.



الاضطرابات السياسية

وكان في عصر الرضا اضطرابٌ
وثار بعض الهاشميين لما
فأبن طباطبأ له لواءٌ
جيوشه من الحجاز انطلقت
ثم الى كل قرى العراق
اذ أخذت بسطوة المأمون
وثار ابراهيم في أرض اليمن
وفي الصفار ثار الحسين الأفطس
وثار زيد النار عند البصرة
احرق أبيات بني العباس
فأرسل المأمون جيشاً ضاري
كان علي بن سعيد قائداً
ودارت المعارك المضطربة
فانكسر الجيش بأسر القائد
وأوصلوه بعد سجن للرضا
ففككه الامام من قيوده
وقال يا أخي كفاناً فخراً
لكننا عند قيام الساعه

اذ هاجت الاطراف والأعرابُ
رأوه في عهد الرشيد من دما
وخلفه « السري » والأبناء
ثم الى الكوفة قد تدفقت
لكنها لم يبق منها باقٍ
وانهدمت شوامخ الحصون
وهو اخ الرضا الامام المؤمن
يعطي الدم الغالي وليس يأسُ
فياله من ثائرٍ وثوره
معاقباً بالنار بعض الناس
يفتك بك بالثورة والثوار
فيه وللرايات كان رائداً
واستعرت ملحمة بلحمه
زيد بن موسى الهاشمي العابد
مكبلاً مقيداً منقبضاً
محتسباً ذاك الى حدوده
ان لنا أمماً غدت كالزهر
لم تنفع الانساب دون طاعه



وهكذا ظل يعيش الضنكا وهو يرى أيامه معتركا^(١)



(١) ذكرنا فيما سبق الفساد الذي عم حكم المأمون مما أدى الى قيام عدة حركات ثورية سواء من العلويين ، او غيرهم استشعاراً لما نالهم من ظلم بني العباس ، وقد اوضحنا هناك بعض هذه الثورات ، وقد فصّل كل هذه الثورات اليعقوبية في تاريخه والاصفهاني في مقاتله ، وفيما يلي جدول اجمالي ببعض هذه الثورات ونتائجها كما نقلتها الكتب التاريخية المعتبرة :

١ . ثورة العلوي ؛ محمد بن ابراهيم الطباطبائي ، وقد استمال اليه في ثورته وجوه الناس ومن ابرزهم الزعيم العسكري ؛ نصر بن شيث الذي ساعده ، كما انضم اليها القائد المخنك ؛ ابو السرايا ، واسمه ؛ السري بن منصور الشيباني ، وقد سيطرت هذه الثورة على جملة من الامصار الاسلامية ، ومنها الحجاز ، ومجموعة من مدن العراق مثل ؛ الكوفة ، والانبار ، ونيوى ، وكربلاء ، وقد استطاعت هذه الثورة من ابادة جيش العباسيين ، وقتل كبار القادة.

٢ . ثورة ابراهيم بن موسى بن جعفر ؑ وقامت في ارض اليمن ، وقد تغلب قائدها على اليمن ، ثم توجه الى مكة.

٣ . ثورة محمد بن جعفر الصادق ؑ وقد مر ذكرها في هذا القسم.

٤ . ثورة ابي الفضل زيد بن موسى بن جعفر ؑ وقد تغلب هذا الثائر على البصرة ، واحرق دور بني العباس ، ولذلك سُمي بـ « زيد النار » ثم اسرّ فيما بعد ، وحمل الى المأمون فتشفع فيه الامام الرضا ؑ واطلق سراحه.

٥ . ثورة ابن الاطس ، وقد تغلب على « الصفا » ايام ثورة ابي السرايا.



رواته وتلامذته ❦

ورغم ذلك ينشر الاحكاما
يروى عن الهادي النبي أحمدا
وقد روى عنه ثقاته الناس
فمنهم ابن هاشم القمي
ثم ابو الفضل الخراساني
وأحمد بن عامر الشهيد
وأحمد بن عمر الخلال
وأحمد بن يوسف التيمي
ثم ابو يعقوب السكوني
والحسن السراذ والوشاء
والحسن الخشاب وابن الجهمي
ثم ابن يقطين الحسين بن علي
وابن المعافى وابن يعلى الاشعري
وشاعر القصيدة التائية
وكرماء بن عبد الصمد
ثم سعيد بن جناح الأزدي
وعنه يروي الثقة العباس
وابن المبارك النهاوندي

يوضح الحلال والحراما
من سنة ومن أحاديث الهدى
رغم إباطيل بني العباس
وابن أبي بلاد الكوفي
ثم أبو جريّر القمي
في كربلاء في الموقف العنيد
ثم ابن شاذان الفتي المفضال
ويونس بن قيس الدهني
ثم ابن مهران فتي المتون
والتميمي الزاهد البكاء
ثم ابن عثمان الكثير العلم
ثم ابن عيسى ذاك حماد الولي
ثم ابو هاشم وهو الجعفري
دعبل ذو الكرامة المروية
ثم ابن يقطين الفقيه الأسدي
وهاشم وسعد بن سعد
وهو ابن موسى العارف النحاس
وابن هلال الثقة الشبلي



وابن سنانٍ وهو نيسابوري
وابن رباط وابن اسباط علي
والهروي الخادم الموسوم
واخرون قد رووا بكثرة
فانتشر العلم على يديه
اقسامهم قد أصبح المأمون
فاصبح الرضا عليه خطرا
قد سأمت منه بنو العباس
وانتفضت أوامر الخلافة
مفكراً بالامر ليس يهدأ
ثم إستقر رأيهُ لأمر
فدس للامام سُماً في عنب

والجلّي بائع السابوري
وابن المغيرة الامام البجلي
وقد روت عن الرضا كلثوم
عن الرضا وآله والعتره
وكترت حساده عليه
ومن لعنه غدا يخون
واصبح العرش عليه مُنكرا
واختلفت عنه وجوه الناس
واصبح المأمون في مخافة
وبالذي عاهد ليس يعبأ
أهون ما فيه ارتكاب الشر
يا ويله يا ويله لما ارتكب^(١)

(١) يُعد الامام الرضا عليه السلام في زمانه اعلم اهل عصره ، وقد اقرّ بفضلّه جمهور المسلمين ، وعلى مختلف مستويات العلم وفنونه ، وكان عليه السلام قد اتخذ مسجده رسوله الله صلى الله عليه وآله نقطة انطلاق ، واشتاع لعلومه الزاخرة ، وقد ذكرنا في حديث السلسلة الذهبية انه عليه السلام عند قدومه نيسابور التفّ حوله اكثر من عشرين الفاً من اهل العلم ليأخذوا عنه الحديث ، وكان عليه السلام يبيّن في المجتمع احاديث اجداً ، وكذلك علوم القرآن كل ذلك تحت عين السلطة وقودها عليه ، ومن المفيد ذكره انه عليه السلام قد ورث من ابيه الكاظم عليه السلام وحده الصادق عليه السلام نخبه صالحة من اهل العلم ممن عُرفوا بالفضل والتقوى وصدق العقيدة ، فزادهم الامام الرضا عليه السلام نوراً على نور ، وقد افاضت كتب التراجم والسير وكتب الجرح والتعديل بذكر المئات من هؤلاء ، وقد ذكر الشيخ باقر شريف القرشي في كتابه حياة الامام الرضا عليه السلام ٣٦٦ عالم وراوي.

وقد اوضحنا سابقاً ان الرضا عليه السلام واصحابه قد اتخذوا من سلاح العلم ونشره وسيلة

➡





لمواجهة تحديات الواقع الثقافي والسياسي في عصر المأمون ، مما حدى به الى التفكير في كيفية التخلص من الامام ، لأن وجوده بدأ يضايقه ، اضافة الى وشاية الواشين وخبث وسعي العباسيين للتخلص منه ، كل هذه العوامل قد خلقت عند المأمون هاجس الخوف من الامام ، وبدأ في هذه اللحظات بوضع خطة ذكية للتخلص من الامام وخطره على الخلافة والعباسيين بشكل عام ، وفي هذا يقول الشيخ باقر شريف القرشي : لم يمض وقت طويل على تقلد الامام لولاية العهد حتى تنكر له المأمون واضمر له السوء والغدر ، واخذ يبغي له الغوائل ففرض عليه الرقابة الشديدة ، وحبسه في بيته ومنع العلماء من الاتصال به بل ، وتميّز عليه غيظاً لما يتمتع به الامام من مكانة عظيمة في نفوس المسلمين ، اضافة لما يتمتع به الامام من سعة العلم ومعالي الاخلاق وسمو التقوى. حياة الرضا ٢ / ٣٦٧.

نص الامام الرضا عليه السلام على امامة ابنه محمد الجواد عليه السلام قبل ان يولد واستمر بالتنصيب عليه رغم السنوات القليلة التي عاشها الجواد عليه السلام مع ابيه الرضا عليه السلام وإليك صورة من تسلسل هذه النصوص وتدرجها بحسب مراحلها الزمنية.

. هذا المولود لم يولد مولود أعظم بركة على شيعتنا منه. الكافي ١ / ٣٢١.

— عن معمر بن خلاد قال : سمعت الرضا عليه السلام وذكر شيئاً ، فقال : ما حاجتكم الى ذلك هذا ابو جعفر قد اجلسته مجلسي وصيرته مكاني إنا أهل بيت يتوارث اصاغرها عن أكابرنا القذة بالقذة. الكافي ١ / ٣٢٠.

— وعلى الرغم من ابتعاد الامام الرضا عليه السلام عن المدينة الا انه كان دائم الاتصال بابنه الجواد عليه السلام وكان يخاطبه في رسائله بالتعظيم والتوقير ، وما كان يذكر محمد ابنه الا بكنيته فيقول : « كتب اليّ ابو جعفر ، وكنيت اكتب الى ابي جعفر .. » فيخاطبه بالتعظيم ، وكانت ترد كتب ابي جعفر في نهاية البلاغة والحسن ، ويضيف الراوي ؛ ابو الحسن محمد بن ابي عباد انه سمع الرضا عليه السلام يقول : ابو جعفر وصيّ وخليفتي في اهلي من بعدي. الصراط المستقيم ٢ / ١٦٦.

وكانت النصوص على امام الجواد عليه السلام عديدة ومتظافرة ، اختلفت في ظاهرها بسبب اختلاف الظروف السياسية والاجتماعية التي تحيط بالامام الرضا عليه السلام وبابنه الجواد عليه السلام واتباعه وانصاره ، وبسبب اختلاف اصحابه في الوعي ودرجة التلقي ، وكتمان السر ، وقربهم وبعدهم عن الامام عليه السلام من حيث الولاء السياسي والعاطفي.



شهادة الرضا ؑ

تتاول الامام منه حبه	وبعدا لبي بشوق ربه
فزّلزل الكون وركن الدين	وقد هوت دعائم اليقين
هذا الرضا في بيته مسجى	ليس له أي دواء يرجى
السّم في احشائه يقطع	لكنه محوّل مسّترجع
وأظهر المأمون كل الجزع	ثم دعى لدفنه في موضع
جنب أبيه الهالك المدفون	قاتل موسى الصبر في السجون
لا ينفع الرجس اقتراب الطهر	منه ولا يضّرّه بشّر
فالكل في اعماله مقرون	ما يبغي من رب الرضا هارون
وهكذا ضجّت بلاد طوس	تضرب بالوجوه والبرؤوس
ثلاثة ظلّ الحداد قائما	والكل ظلّ باكيا وناقما ^(١)

(١) ذكر السيد العاملي في اعيان الشيعة قال : والذي يقتضيه ظاهر الاخبار ان المأمون لما رأى اختلال امر السلطنة ببيعة العباسيين ابراهيم بن المهدي . وكان عمه . بسبب تولية الامام الرضا ؑ وكان العباسيون ينسبون ذلك الفعل لأغراءات الفضل بن سهل الممهد لهذه التولية حينئذ خاف المأمون من ذهاب ملكه على يد العباسيين فبعث من يقتل الفضل في حمام سرخس ودس السم للامام الرضا ؑ وقد ايد هذا الرأي العلامة المجلسي في بحاره ، وفي نهاية الكلام نود الاشارة الى قضية السم بالتخلص من الخصوم السياسيين ليست جديدة فقد فعلها الطغاة السابقون مع اجداد الرضا ؑ وبعد ذلك مع ابنائه اللاحقين لأنّهم من احسن واسهل الاسلحة ووسائل القتل وكان معاوية الاموي قد فعل ذلك مع اغلب خصومه ومنهم الامام الحسن ؑ.

من الاسباب التي دعت المأمون الى سم الامام ؑ انه لم يحصل على ما أراد من توليته للعهد ، فقد حدثت له فتنة جديدة وهي تمرد العباسيين عليه ، ومحاولتهم القضاء عليه.



قال ابو الصلت رايتُ طفلاً
فقلت مَنْ؟ قال : أنا الجوادُ
وباتت الشيعة في عناءٍ
ولم تنزل تربتُهُ منيفه
تقصدها الزوار للعداءِ
قال ابن بطوطة حين مرّاً
ولم تنزل للعالم ولأدبٍ
غسله كفنُهُ وصلى
قد جئت حين قد هوى العمادُ
مذ غاب عنها قمرُ السماءِ
بقبة سامية شريفه
وكشف ما بها من الضراءِ
رايتُ فيها كم مريضٍ يبرا
منابعاً تجودُ للطلابِ



اضافة الى ذلك ان بعض وزراء المأمون وقواده كانوا يغيضون الإمام ﷺ ويحسدونه ، فكثرت وشاياتهم على الامام ، فأقدم المأمون على سمه .

وبدأت علامات الموت تظهر على الإمام ﷺ بعد ان اكل الرمان او العنب الذي اطعمه المأمون ، وبعد خروج المأمون ازدادت حالته الصحية تدهوران وكان آخر ما تكلم به :
(**قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ**) آل عمران / ١٥٤ .

(**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا**) الاحزاب / ٣٨ .

ودخل عليه المأمون باكياً ، ثم مشى خلف جنازته حافياً ، حاسراً يقول : يا اخي لقد ثلم الاسلام بموتك وغلب القدر تقديري فيك . ثم شق لحد هارون ودفنه بجانبه .
وقد رثاه دعبل الخزاعي قائلاً :

ارى امية معذورين ان قتلوا
اربع بطوس على قبر الزكي به
قبران في طوس خير الناس كلهم
ما ينفع الرجس من قرب الزكي وما
ولا لبني العباس من عذر
ان كنت تربع من دين على خطر
وقبر شرهم هذا من العبر
على الزكي بقرب الرجس من ضرر

وكانت شهادة الامام الرضا ﷺ في آخر صفر سنة ٢٠٣ هـ كما ذكر على ذلك اغلب الرواة والمؤرخين . اعلام الهداية ١٠ / ١٧١ .



(١) لما اطعم الامام الرضا ؑ العنب المسموم خرج من المأمون ودخل داره مغطى الرأس ، قال ابو الصلت : خرج الامام ؑ من المأمون مغطى الرأس ، وكنت آنذاك في صحن الدار اذ دخل علي شاب حسن الوجه اشبه الناس بالرضا فقلت له من انت ؟ فقال : انا حجة الله عليك يا ابا الصلت ، انا محمد بن علي « الجواد » ثم مضى نحو ابيه ، ثم روى مسألة تغسيله وتكفينه والصلاة عليه . عيون اخبار الرضا ٢ / ٢٧٢ .

لكن الشبلنجي في نور الابصار ينقلها بشكل اخر حيث يقول : قال ابو الصلت : لما امرنا بتجهيز جنازة الامام الرضا ؑ وخرجنا بها الى المصلى أخرجنا الصلاة عليه قليلاً فاذا برجل عربي وقد اقبل على بعير من جهة الصحراء فنزل ، ولم يكلم احداً فصلى عليه فصلى الناس معه ، ثم اختفى فسرعان ما أمر المأمون بطلبه ، فلم يروا له أثراً ، ويقصد الامام الجواد ؑ .

وخلاصة القول وايما كان الامر فأن الامام المعصوم اذا مات ، او استشهد ، او قتل ، فغالباً يصلي عليه امام معصوم يخلفه ، وهذا ما جرت عليه العادة عند الائمة المعصومين ، وأشارت الى ذلك المصادر .

وقد افاضت المصادر كثيراً في وصف استشهاد الامام الرضا ؑ وغسله وتكفينه ، وما اظهره المأمون تمويهاً من جزع وبكاء على فقده ، فقد ذكر الطبرسي في اعلام الورى : لما توفي الرضا ؑ انفذ المأمون الى محمد بن جعفر الصادق ؑ وجماعة من آل ابي طالب ، فلما حضروا نعاه ؑ اليهم ، واظهر حزناً شديداً ، وتوجعاً لفقدانه ، ثم قال وهو يخاطب الجثمان الشريف بحضورهم : يعز علي يا اخي ان اراك بهذه الحال وقد كنت آمل ان اقدم قبلك ولكن ابي الله الا ماراد .

ومن المفيد ان نذكره هنا ان الامام الرضا ؑ كان كثيراً ما يصرح انه سيُدفن جنب هارون العباسي كما اشرنا سابقاً .

وتموت الرضا ؑ ضجت مدينة طوس وضربت رؤوسها وصدورها عليه ، واقام المأمون تمويهاً الحداد عليه ثلاثة ايام ، وبعد دفنه في مكانه في مدينة مشهد المقدسة صار قبره مأوى للمحبين وعشاق اهل البيت ؑ ومهوى القلوب المنكسرة ، ومقصداً لأصحاب الآفات والعاهات لغرض الاستشفاء ببركته ، وصار المسلمون وغير المسلمين يرتادونه من مشارق

➡





الارض ومغاربها ، وقد اجريت على مكان قبره على طوال السنين عدة مشاريع توسعة واعمار ، حتى صار تحفة زاهية من تحف العالم الاسلامي ، ولو راجعت كتاب موسوعة العتبات المقدسة . قسم خراسان للاستاذ جعفر الخليلي ، لوجدت الكثير من هذه الاشارات لتاريخ الاعمار والصيانة والتوسعة ، ومن الجميل ان نذكر كذلك عند هذه النقطة ابيات للشاعر العراقي المبدع جواد جميل بمناسبة تبديل الشباك . الضريح . القديم بآخر جديد ، وذلك في عام ١٤١٥ هـ مع ملاحظة ان مادة التاريخ في الاصل لأحد العلماء الادباء في ايران .

هذا عليّ وابن موسى والرضا	ودليل آيات الكتاب المحكم
ورث الفخار عن النبي فحيدر	فعن البتول فإكرام عن أكرم
طافت ملائكة السماء بقبره	ما بين معتمراً لديه ومُحرم
هو باب حطة الذي تهفو له	كل القلوب وفي حماه تحتمي
يا زائراً هذا الثرى طاطاً على	عتباته واسكب دموعك والشم
واذا سألت عن الخلود فهنا	أرخ : (وصل على الضريح وسلم)

وهكذا رحل هذا الامام العظيم شهيداً مسموماً بسم المأمون العباسي اسوة باجداده الذين مضوا قبله بنفس المصير ، واسوة بابناءه عليه السلام الذين سيحل بهم نفس المصير ، رحل هذا الامام العظيم بعد ان قدّم للاسلام والمسلمين بعلمه وفكره واخلاقه ، وبما خلفه من تراث ضخم ، ثم انتقلت الامامة من بعده لولده محمد بن علي الجواد عليه السلام .

فسلام عليه يوم ولد ويوم أُستشهد ويوم يبعث حياً .



الجزء الحادي عشر

الامام محمد بن علي

الجواد *





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الأهداء

الى سيدي الأمام محمد بن علي الجواد ؑ
الذي تحمّل ثقل الامامة ، وهو فتى لم يبلغ الحلم بعد !!
فكان طوداً شامخاً ، وعلماً متحدياً
في زمنٍ اختلطت فيه المفاهيم ، وتشوهت فيه القيم والافكار ،
وفقد فيه الانسان بعض معانيه.
أقدم هذا الجزء من (قوافل النور)
راجياً ان يكون وثيقة حب ، وولاء ، ومودة ..
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

اضاءة

بعد صدور الاجزاء العشرة من ملحمة « قوافل النور » الشعرية ما كنت احسب اني استطيع مواصلة نظم القوافي ، والمضي قدما في طريق القوافل المباركة بسبب القلق الامني والاضاع المعقدة التي يعيشها بلدنا الحبيب العراق ، اضافة الى انشغالي بكثرة الاعمال وعدم الاستقرار .. والشعر لا يولد الا في الاجواء الهادئة ، ولكن علاقتي بقوافل النور تعمقت عبر الزمن واصبحت تشكل في خاطري هاجساً يوقظ في مشاعري حركة النظم ، والاهتمام بالشعر والتاريخ كلما حاولت الاسترخاء.

وهكذا رغم زحمة الاعمال ، وبحبوة الحزن ، والسهرة ، واللقاءات ، والسفر الدائم وسط الالغام المتفجرة في طريقنا الصعب الملتوي ، واصلت بتوفيق الله اكمال هذا المشروع فصدر الجزء الخاص بالامام الصادق عليه السلام وهو اول جزء يطبع في العراق بعد سقوط النظام البائد ، وبعده صدر الجزء المتعلق بالامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وهو من اكثر الاجزاء مادة شعرية وتعليقات ادبية وتاريخية نافعة والجزء الخاص بالامام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

وهذا الجزء الخاص بالامام التاسع من ائمة أهل البيت عليه السلام محمد بن علي الجواد عليه السلام الذي عاش الظروف الصعبة بعد رحلة ابيه عليه السلام من الحجاز الى خراسان ثم توليه الامامة من بعده في مرحلة معقدة خطيرة على مستوى الفكر وكثرة الصراعات السياسية والاجتماعية.



ولكن الامام الجواد ؛ وبما اوتي من عصمة وحكمة وكرامات ، استطاع ان يوجه اتباع مدرسته بالاتجاه الصحيح ، وان يرسم لهم خطوات الطريق نحو بناء قواعد المدرسة الفكرية والسياسية لأهل البيت .

وقد استعرض هذا الجزء ملامح حياة الامام الجواد ، وفضائله ، ومناقبه ، واهم الاحداث والمخططات التاريخية في حياته الشريفة بالاستعانة بأهم المصادر التاريخية والادبية التي كتبت عن حياته سواء ما كان منها قديماً او حديثاً.

كما جاءت التعليقات في الهامش وافية تعكس الحياة الحافلة بالبطولة ، والبراعة ، والمعطيات الفذة للامام الجواد .

وهكذا تبقى ملحمة « قوافل النور » المشروع الادبي والتاريخي الذي افتخر بانتسابي اليه وانسابه لي ، وحسبي ان قلبي لامس السطور العطرة التي تعبق بشذا الائمة الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

والحمد لله رب العالمين



المولد المبارك

في رمضان كانت المدينة هادئةً تلفها السكينة
إذ اشرق النور على الأكوان
فإنها قد ولدت عظيماً
يلوح من جبهته الضياء
فذا عليّ الرضا يتسم
وفي سجايا فضله يتم^(١)



(١) اتفق بعض المؤرخين على ولادة الامام الجواد عليه السلام أنها كانت في شهر رمضان عام ١٩٥ هـ لكنهم اختلفوا في تحديد يوم الولادة وقد تراوحت اقوالهم بين الخامس او خمسة عشر او سبعة عشر او تسعة عشر من رمضان.
بينما اشار البعض الاخر من المؤرخين على انه ولادته كانت في العاشر من شهر رجب بناءً على التوقيع الصادر من الناحية المقدسة في الزيارة المشهورة في رجب وهي :
« اللهم اني اسالك بالمولودين في رجب : محمد بن علي الثاني وابنه علي بن محمد المنتجب واتقرب بهما اليك خير القرب »

ولعل العاشر من رجب سنة ١٩٥ هـ هو التاريخ المشهور بين الشيعة.
وأما أم ولد أشترها الامام الرضا عليه السلام في مكة ، وقد أشارت المصادر الى تعدد اسمائها من سبيكة ، الى سكيئة ، الى دزة ، الى سكن ، الى ريجانه ، وقد سماها الامام الرضا عليه السلام فيما بعد الخيزران ، وكانت نوبة من شمال افريقيا اما من مصر او من المغرب ، وقيل هي من نسل مارية القبطية ، جارية وزوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وأم ولد ابراهيم ، وكانت كنيته « ام الحسن » وكانت من الجلالة ، والشرف ، والطهارة أن وردت في حقها عدة نصوص تُشير الى فضلها.

جاء في كتاب عيون المعجزات للحسين بن عبد الوهاب : لما بُشِّر الامام الرضا عليه السلام بولادة ولده الجواد عليه السلام قال : قُدرت أم ولدته قد خُقلت طاهرة مطهرة.



صفاته والقباه

يقول إنه شبيه موسى	وهو بهديه شبيه عيسى
ألقابه الجواد والتقوي	والمرتضى القانع والرضي
يعرف بالرفق وبالسخاء	والبر والرحمة والعطاء
وطالما أطراه جل العلماء	مكارم تبلغ في الجحد السما
فحبسه فريضة مكتوبه	وفي اتباع نهجه مشوبه ^(١)

(١) إن قضية تشبيه الأئمة في أخلاقهم وبعض صفاتهم بنخبة معينة من الأنبياء ليست بالامر الجديد في حياة الامام الجواد .

وتذكر المصادر التاريخية ان رسول الله قال : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ وَإِلَى نُوحٍ فِي تَقْوَاهُ وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي حِلْمِهِ وَإِلَى مُوسَى فِي هَيْبَتِهِ وَإِلَى عِيسَى فِي عِبَادَتِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ».

وهكذا بعض الأئمة في أحوالهم كالامام الحسين وشبهه بنبي الله يحيى وكنا قد تطرقنا الى ذلك في حياة الامام الصادق والامام الكاظم وشرحنا الشبه بل الخصال التي تجمعهم مع بعض الأنبياء .

وهكذا هو الحال مع الامام الجواد الذي وردت فيه نصوص تفيد ان له شبه بأثنين من انبياء أولي العزم وهم : موسى ، وعيسى إضافة الى نبي الله يحيى وهذا الشبه نابع من خصلة ، او خصال لازمت حياة هؤلاء الأنبياء واتسم بها الامام الجواد ومن هنا حصلت الملازمة.

وينقل لنا الطبرسي بسند متصل الى صفوان بن يحيى قال : قلت للامام الرضا : إن كان كون فالي من ؟ . يقصد الى من نرجع بعدك . فأشار الامام الرضا الى ولده ابي جعفر الجواد وهو قائم بين يديه ، فقلت له : جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين فقال : ما يضرك من ذلك ، وقد قام عيسى بن مريم بالحجة ، وهو ابن أقل من ثلاث سنين . واعلام الوري ٢ / ٩٣ .





كما نقل الكليني أيضاً بسند متصل الى علي بن اسباط قال :

خرج عليّ ابو جعفر الجواد عليه السلام بعد موت ابيه الرضا عليه السلام فنظرت الى صغر قامته فقال لي : يا علي ان الله تعالى احتج في الإمامة بمثل ما احتج يحيى في النبوة فقال : (**وَأَتَيْنَاهُ** **النُّحْمَ صَبِيًّا**) مريم / ١٢ ، الكافي / ١ / ٤١٣ .

وقد تواترت كتب التراجم والسير إن القاب الامام الجواد عليه السلام كانت تنبثق من افعاله واخلاقه ومن عمق معارفه ، وعلومه ، حيث يستشف منها عظم شخصيته المباركة ومنها :

الجواد : وهو من اشهر القابه التي عرف بها لانه اكثر اهل زمانه جودا ، وسخاء ، وعطاء ، حتى غلب هذا اللقب على جده الامام موسى بن جعفر عليه السلام المدفون معه ف قيل « الجوادين » من باب التغليب المعروف في اللغة : المنتخب ، المنتخب ، المختار : كون ان الله سبحانه قد انتخبه ، وانتخبه ، واختاره للإمامة الحقّة رغم صغر سنه .

الزكي : وذلك لطهارته عن كل رذيلة او رجس .

العالم : وذلك لعظم علومه واتساعها .

التقي : وذلك لانه اتقى اهل زمانه واشدهم خوفاً من الله سبحانه .

باب المراد : وهو من القابه السارية التي لهج بها القريب والبعيد لانه مقصد حاجات الطالبين .

كل هذه الالقاب والصفات تدل على شرف المسمى ، وفيما يلي مقاطع من الارجوزة الشيخ محمد حسين الاصفهاني . قدس . المتوفي سنة ١٣٦١ هـ قالها في حق الائمة عليهم السلام ومنهم الامام الجواد عليه السلام والقابه وصفاته ولا سيما لقبه الجواد :

هو الجواد لا الى نهايه	وجوده غاية كـل غاية
وجوده مصباح انوار الهدى	وجوده مفتاح ابواب الندى
له يدُ المعروف بالمعارف	فأتمها قرة عين المعارف
وباب ابواب المراد بابـه	والحرز من كل البلا حجابـه
كهف الورى وغوث كل ملتحي	في الضيق والشدة باب الفرج
هو الجواد لا جواد غيره	لا خير في الوجود الا خـيره
وجاء بالكوين والتشريع	بمقتضى مقامه الرفيع





جــاد بـانفس النـفـوس الـراقـيـه	حـتى اذا لم تـبـق مـنـه باقـيـه
نـال مـن الجـود مـقامـا سـامـيا	جـاد بـنـفـسـه سـمـيـمـا ظـامـيـا
تـقـطـعـت ظـلـمـاً بـسـمـ المـعـتـصـم	والـعـروـة الـوـثـقـى الـتي لا تـنـفـصـم
دسّ الـيـهـه السـمـ في شـرـابـه	قـضـى شـهـيـدا وـهـو في شـبـابـه
مـن غـدـرـها وحقـدـها المـكـنـون	تـعـسـا وبؤـسـا لـابـنـة المـأـمـون
والـحـقـد داء هـو يُـعـمـي ويـصـم	سـمـتـه غـيـلـة بـامـر المـعـتـصـم
كأنـنـه بـنـفـسـه يـجـود	قـضـى شـهـيـداً وبـكـاه الجـود

ومن المفيد ذكره هنا ان للجواد ؑ كنتين احدهما المشهورة وهي : ابو جعفر الثاني ،
تمييزاً له عن جده الباقر ؑ الذي كنيته ابو جعفر الاول ، وله كنية ثانية وهي : ابو علي ،
وذلك لما ولد له ولده الامام علي الهادي ؑ . اعيان الشيعة ٤ / ١٦١ .



حياته مع ابيه

عاش بأكنافِ الرضا مكرّما	ولم ينل علومه من علما
لقى الرضا اليه من اسراره	فصار في ذا موضع افتخاره
يقصده من يطلب الكمالا	ومن يريد أن يرى الجمالا
يُشبهه في حديثه النبيّا	يحمل رايات الهدى صبيّا
يُفسّر الكتاب في تدبّر	يرقى به من منبرٍ لمنبر
وخلفه تمشي كبار العلماء	لأن في منهاجه نهج السما
يروى الحديث الصدق عن آبائه	فيرتوي الضمأن من روائه ^(١)

(١) تشير المصادر الى ان الامام الجواد عليه السلام قد عاش قليلاً في ظل رعاية ابيه الرضا عليه السلام فكان من الطبيعي ان يخفه الوالد الكريم بعواطفه يغمره بالطافه ، وفي هذا المجال تشير المصادر الى ان الامام الرضا عليه السلام كان يعامله بكل تعظيم وتسجيل ، فلا يخاطبه بأسمه بل بكنيته ابي جعفر امام شيعته ومواليه ، وكان الرضا عليه السلام قد حمله معه من المدينة الى مكة ومنها الى خراسان زيادة في اشهر فضله والتهيأة لأمته ، وكان والده عليه السلام يعمل بكل جهدٍ لتثبيت قواعد إمامته فكان يقول دائماً : هذا ابو جعفر قد أجلسه مجلسي ، وصيرته مكاني ، ونحن اهل بيت يتوارث اصاغرنا عن اكابرنا.

وكان الرضا عليه السلام يفيض عليه في هذه المدة القصيرة بغوامض العلوم وأدقها ، ويرفع له من أخلاق الانبياء عليهم السلام إعلماً يقتدي بها ، فترتّب آنذاك تربية الهدى والصلاح ، ونهل من علومه وعلوم آبائه واجداده ما نهل حتى استقام عوده ، واشتدت عريكته ، فصار مرجعاً لأهل زمانه ، وقطباً للامامة والبرهان.

وتشير المصادر الى ان الامام الرضا عليه السلام كان يشيد بفضله في كل حلبة وميدان فقد ورد في اثبات الوصية حيث انه عليه السلام قال مرة لصفوان بن يحيى : كان ولدي ابو جعفر محدثاً.

اثبات الوصية ، للمسعودي / ٢١٢





ويشير المسعودي كذلك في اثبات الوصية ما يدل على انه عليه السلام قد نخله من العلوم والمعارف الشيء الكثير ، فيسند متصل الى كلثم بن عمران قال : لما ولد الجواد عليه السلام كان الرضا طول لياته يناغيه في مهده ، فلما طال ذلك الى عدة ليالي قلت للرضا عليه السلام : جعلت فداك الى متى تعوّذه ؟ فقال عليه السلام : ليس هذا عوذة وانما اغره العلم غرا.

وقد رويت اخبار تشير الى انه عليه السلام قد ارتقى المنابر وهو صغير ، وظهر فضله وفضل ابائه ، وفي هذا الصدد ذكر البحراي عن حركة الامام الجواد عليه السلام العلمية حيث قال : جيء بأبي جعفر الجواد عليه السلام الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد شهادة ابيه الرضا عليه السلام وهو طفل ، وسرعان ما رقى المنبر ثم نطق فقال : انا محمد بن علي الرضا ، انا الجواد ، انا والله لولا تظاهر اهل الباطل ، ودولة اهل الضلال ، ووثوب اهل الشك لقلت قولا تعجب منه الاولون والآخرين. مستدرک عوالم العلوم ٢٣ / ١٥٩.

ونقل الطبري الامامي بسند متصل الى زكريا بن ادم قال : اني لعند الرضا عليه السلام اذ جيء بابي جعفر عليه السلام وله من العمر اربع سنين ، فضرب بيده الى الارض ورفع رأسه الى السماء وهو يفكر ، فقال له الرضا عليه السلام : بنفسك انت لم طال فكرك ؟ فقال ابو جعفر عليه السلام : فيما صُنع بامي الزمراء ، فقبله الرضا عليه السلام بين عينيه ثم قال : بأبي انت وأمي انت لها . يعني الامامة من بعده. دلائل امامة / ٢١٢.

وهكذا عاش الامام الجواد عليه السلام عزيزاً كريماً في ظل ابيه الرضا عليه السلام ونهل من علومه واخلاقه الشيء الكثير .



شهادة الامام الرضا ؑ

وحين حانت للرضا الشهادة	جاء الى « مرو » بغير العادة
في قصة مؤلفة حزينة	مغادراً أهليه في المدينه
ليحضر التغسيل والتشييعا	وكي يعيش الحادث المريع
حيث قضى أبوه في غربته	يصارع السوموم في أنته
عانقه وضمه طويلا	يفضي اليه قوله الثقيل
مودعاً إياه بالدموع	ورهبه الفراق والحشوع ^(١)

(١) ذكرنا ذلك فيما سبق في حياة الامام الرضا ؑ وشهادته ، وذكرنا ان الامام الجواد ؑ قد حضر اباه الرضا ؑ قبل وفاته ، ثم اشرف بعد ذلك على تغسيه وتكفينه والصلاة عليه ، كما عليه الرواية المشهورة ، وبهذا الصدد ورد في عيون اخبار الرضا للصدوق بسند متصل الى ابي الصلت الهروي قال :

« لما سم الامام الرضا ؑ ودخل داره وهو مغطي الرأس مكثت واقفاً في صحن الدار مهموماً محزوناً ، فبينما انا كذلك اذ دخل عليّ شاب حسن الوجه ققط الشعر أشبه الناس بالرضا ؑ فبادرت اليه وقلت له : من اين دخلت والباب مغلق ؟ فقال : الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق ، فقلت له : من أنت ؟ فقال لي : انا حجة الله عليك يا ابا الصلت ، انا محمد بن علي ، ثم مضى نحو ابيه الرضا ؑ فدخل وامرني بالدخول معه ، فلما نظر اليه الرضا ؑ وثب اليه وعانقه وضمه الى صدره وقبله ما بين عينيه ثم سحبه الى فراشه واخذ يساره بشيء لم افهمه ، ثم قال ابو الصلت : فلما مضى الرضا . اي توفي . قال ابو جعفر : قم يا ابا الصلت واتني بالمغتسل والماء من الخزانة ، فقلت له : ما في الخزانة مغتسل وماء ، فقال ؑ : انته الى ما امرك به ؟

فدخلت الخزانة فاذا فيه مغتسل وماء فاخرجته وشمرت لاغسله معه فقال لي : تنح يا ابا الصلت فان لي من يعني غيرك ، فغسله فقال ؑ : قم فان في الخزانة تابوتاً ، فدخلت ووجدت تابوتاً لم اره قط ، فأتيته به فأخذه ؑ ووضع اباه ثم صلى عليه وصرعان ما

اختفى ؑ. عيون اخبار الرضا ٢ / ٢٥٣.

امامة الامام الجواد ؑ

من بعد أن أوصى الى الجواد	ليصبح الامام للعباد
وهو ابنُ تسعٍ لم يصل للعشر	مشيئة الله كانت تجري
كان ابن داود صبيّاً مثله	وقد غدى « يحيى » نبياً قبله
ذريّة توارثت علومها	والكل كان بالهدى موسوما
توارثوها من علوم طه	ومن سجايا حيدر هداها
ملهمه أسراها خفيه	كدوحة طيبة قدسيه
كان الجواد غصنها الطهورا	في ظلمة الدرب يشع نورا ^(١)

(١) لقد رسخ الإمام علي بن موسى الرضا ؑ إمامة ابنه الجواد كما قام بذلك الاثمة الذين سبقوه حيث نوهوا باسم من يأتي من بعدهم من أئمة وفي هذا الجال سنعرض المواقف التي تبث بها الإمام الرضا ؑ إمامة الجواد ودعا شيعته للاعتصام بها ومن ذلك.

— قال الراوي : سمعت الرضا وذكر شيئاً فقال : ما حاجتكم الى ذلك ؟ هذا ابو جعفر قد اجلسته مجلسي وصيرته مكاني ، وقال : إنا أهل بيت يتوارث اصاغرنا عن اكابرنا القذة بالقذة. اصول الكافي ١ / ٢٥٦.

— قال الراوي : قلت للرضا ؑ قد كنا نسألك قبل ان يهب الله لك ابا جعفر فكنت تقول : يهب الله لي غلاماً ، فقد وهبه الله لك ، فأقر عيوننا ، فلا أرانا الله يومك ، فأن كان كوناً فإلى من ؟ فأشار بيده الى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه ، فقلت له : جعلت فداك هذا بن ثلاث سنين ؟! قال ؑ : وما يضره من ذلك ، قد قام عيسى بالحجة وهو ابن اقل من ثلاث سنين. اعلام الوری ٢ / ٩٢.

— قال الراوي ، سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول : انشدت مولاي علي ابن موسى الرضا ؑ قصيدتي . الى ان قال . يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني وبعد محمد ابنه علي وبعد علي ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر.

مستدرک عوالم العلوم : ٢٣ / ٧٣.



العلاقة مع المأمون

قَتَرَهُ المَأمُونُ فِي إِكْرَامٍ وَأَظْهَرَ الْإِيْمَانَ بِالْإِمَامِ هـ
فَزَوَّجَ الْجَوَادَ « أُمَّ الْفَضْلِ » هـ
وَضَجَّ إِذْ ذَاكَ بَنُو الْعَبَّاسِ هـ
قَالُوا نَخَافُ أَنْ يَضَعِ الْأَمْرُ هـ
أَلَّ عَلِيٍّ وَبَنُو الْعَبَّاسِ هـ
لَكِنَّمَا الْمَأمُونُ قَالَ قَوْلًا هـ
قَدْ قَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ وَسَلُّوا هـ
فَلَمْ يَكُونُوا لِي يَوْمًا قَدَوَهُ هـ
هَذَا أَبُو جَعْفَرٍ الْجَوَادُ هـ
وَهُوَ وَإِنْ بَدَأَ لَهُمْ أُعْجِبَهُ هـ
رَغِمًا عَلَى الْحُسَّادِ وَالطُّغَامِ هـ
سِيَاسَةً أَبْقَى بِهَا نِظَامَهُ هـ
مُخَالَفًا فِي ذَاكَ جَلَّ الْأَهْلُ هـ
حَيْثُ بَدَتْ حِمِيَّةُ الْأَرْجَاسِ هـ
وَهُمْ قَلِيلُونَ وَنَحْنُ كَثُرُ هـ
خَصُومَةً مَعْرُوفَةً لِلنَّاسِ هـ
لَسْتُ كَمَنْ قَدْ كَانَ مِثْلِي قَبْلًا هـ
سَيِّفًا بِهِ لَبَغِيهِمْ مُحَلُّ هـ
وَلَيْسَ لِي فِي الظَّالِمِينَ اسْمُهُ هـ
مَنْ شَهِدَتْ بِفَضْلِهِ الْعِبَادُ هـ
لَكِنِ فِي أَكْرَامِهِ مَثُوبُهُ (١) هـ

(١) لعل في تقمص المأمون العباسي لباس التشيع ومولاة أهل البيت ﷺ والذي أشرنا إليه من قبل إنما جاء نتيجة الدهاء الذي عرف به خلاف ما قيل عنه كون ذلك الأمر كان طبعاً لا تطبعاً.

فهذا السلوك إنما يصير إليه الطغام من الناس عسى أن يقيهم تقلبات الدهر ، ولا سيما ذوي السلطان منهم ، وهكذا فعل المأمون فيما سبق مع الإمام الرضا ﷺ وفيما بعد مع ولده الجواد ﷺ والذي سرعان ما زوجه ابنته أم الفضل ، رغم أن ذلك له ما يبرره كون ما ظهر من الإمام الجواد ﷺ من الفضائل والمناقب هي التي حملت المأمون على فعله.

➡





وفي هذا الصدد ينقل الشيخ المفيد انه : كان المامون قد شغف بابي جعفر ؑ لما رأى من فضله مع صغر سنه ، وبلوغه في العلم ، والحكمة ، والأدب ، وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان ، فزوجه ابنته ام الفضل ، وكان مُقبلاً على إكرامه وتفضيله واجلال قدره ، اضافةً الى ان فعله هذا مع الجواد ؑ قد يُخفي وراءه جملة من الأمور منها دفع تهمة اغتيال ابيه الرضا ؑ عنه ، والأبقاء على كسب ود العلويين ، والسيطرة على تمردهم إضافةً الى وضع الإمام ؑ تحت عينيه خوفاً منه . الارشاد / ٣١٩ .

وتشير المصادر ؛ أن المامون قد لاقى من تقريب الجواد ؑ وتزويجه اعتراض العباسيين من أقاربه ، وخوفهم من قوة شوكة خصومهم العلويين الذين أبعدوا طويلاً عن سدة الحكم ، لكن المامون برّر فعله هذا لهم بأنه يزيد صلة رحمه ، اضافةً الى رجاحة عقل المأمون وكونه خلاف مَنْ سبقه من الخلفاء في قطع أرحامهم ، والذين اخذوا السلطة بالقهر والأغتصاب وهذا الإمام الجواد ؑ اعجوبة عصره في العقل ، والكمال من انباء عمومته ، فَمَنْ هو أوى بالأكرام والتقدم غيره !!! .



المناظرة المشهورة

من شاك في علومه فليات	مناظراً أقواله في بياتي
فاجتمعوا وفيهم « ابن اكثم »	وهو لدى المأمون أقوى عالم
لكنه الجاهل والحقود	والفاسق الخبيث والحسود
قد سأل الامام أي مسأله	غدت على من سمعوها معضله
فقال : ما تقول فيمن قتلا	صيداً وكان محرماً مبتهلاً ؟
وبعد ان ساءله الامام :	أضمه الحل أم الأحرام ؟
أجاهلاً كان به أم عالماً ؟	غدا مصرراً طائشاً أم نادماً ؟
هل صاده في الليل أم نهار ؟	كان صغيراً أم من الكبار ؟
ثم مضى الإمام في سؤاله	مستفسراً عن فعله وحاله !!
فبهت ابن اكثم وظللا	بصمته لا يستطيع قولاً !!
ففرح المأمون للمناظرة	حيث بنو العباس ظلت حائرة ^(١)

(١) قال الراوي ؛ بسند متصل الى الريان بن شبيب . خال المعتصم . قال : لما أراد المأمون أن يزوجه ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد الجواد ؑ بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم الأمر وأستنكروا منه ، وخافوا أن ينتهي الأمر معه الى ما انتهى مع ابيه الرضا ؑ فخاضوا في ذلك ، فقال لهم المأمون : لقد اخترت لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم ، والفضل مع سنّه والأعجوبة فيه ، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه . فان شئتم فأمثحوا أبا جعفر ، فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على دعوة « يحيى ابن اكثم » وهو يومئذ قاضي الزمان على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها ، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك ، واجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه وحضر معهم يحيى بن اكثم ، ثم أمر المأمون إن يفرش لأبي جعفر دسّ فجاء ابو جعفر ؑ وهو

↩





يومئذ ابن تسع سنين وأشهر ، فقال يحيى بن اكثم : أتأذن لي . جعلت فداك . في مسألة ؟

فقال الجواد عليه السلام : سل ما شئت ؟

فقال يحيى : ما تقول . جعلت فداك . في محرم قتل صيداً ؟

فقال ابو جعفر الجواد عليه السلام : قتله في حلٍ أو حرم عالمأ كان بالمحرم أم جهلاً ، قتله عمداً أو خطأ ، حرماً كان المحرم أو عبداً ، صغيراً كان أو كبيراً ، مبتدأ بالقتل أو معيداً ، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها ، من صغار الصيد أم من كبارها ، مُصرّاً على ما فعل أو نادماً ، في الليل كان قتله للصيد أم بالنهار ، محرماً كان بعمرة إذ قتله أو محرماً بحج ؟!

فتحير ابن اكثم وبان في وجهه العجز والأنقطاع وتلجلج ، حتى عرف عاقبة المجلس عجزه ، فلمّا تفرّق الناس وبقي الخاصّة ، قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك إن رأيت أن تذكر وجوه الفقه فيما فضّلت من وجوه قتل المحرم لنعلمه ونستفيده ؟

فقال ابو جعفر عليه السلام : نعم إن المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة ، وإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مُضاعفاً ، وإذا قتل فرضاً في الحل فعليه حمل قد فُطم من اللبن ، فأذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ . فأذا كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة ، وإن كان نعامه فعليه بُدنه ، وإن كان ظيباً فعليه شاة ، فأذا كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مُضاعفاً هدياً بالغ الكعبة ، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي وكان إحرامه للحج نحره بمئى ، وإن كان إحرام بعمرة نحره بمكة ، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء وفي العمدة عليه المأثم ، وهو موضوع عنه في الخطأ والكفارة على الحر في نفسه وعلى السيد في عبده والصغير لا كفارة عليه ، وعلى الكبير واجبة ، والنادم يسقط ندمه عقاب الأخرى والمصرّ يجب عليه العقاب في الأخرى .

فقال المأمون : أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك .

ثم طلب المأمون : من الامام ان يسأل يحيى بن اكثم مسألة كما سأله ، فقال ابو جعفر عليه السلام : إخباري عن رجل نظر الى امرأة في أول النهار فكان نظره اليها حراماً عليه ، فلما ارتفع النهار حلت له ، فلما زالت الشمس حرمت عليه ، فلما كان وقت العصر حلت له ، فلما غربت الشمس حرّمت عليه فلما طلع الفجر حُلّت له ،





أخبرني ما حال هذه المرأة وبماذا حُلَّتْ له وحُرِّمَتْ عليه ؟

فقال يحيى بن أكثم : والله لا اهتدي الى جواب هذا السؤال ، ولا اعرف الوجه فيه فأن رايث ان تفيدنا ؟

فقال ابو جعفر عليه السلام : هذه أمة لرجل من الناس نظراً إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له ، فلما كان عند الظهر اعتقها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له ، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظاهر فحلت له ، فلما كان نصف الليل طلقها طلقاً واحدة فحرمت عليه ، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له .

فقال المأمون لمن حضر من أهل بيته من العباسيين : هل فيكم من يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب ، أو يعرف فيما تقدم من السؤال ؟

ومن الجدير بالذكر هنا ان يحيى بن أكثم عدة مسائل اخرى اجاب عنها الامام الجواد عليه السلام في قضايا حديثة . الاحتجاج ٢ / ٢٤ .



علمه وعطاؤه

يشرق في الظلمة كالشمس	ظل الجواد بعدها في طوس
خصومه العيـدة العتيـه	مجادلاً بالحجج القويـه
راح يسوق أعظم البرهان	بججة السنة والقرآن
تسمع من طوس لأرض الكوفه	حتى غدت اخباره معروفه
محمد المرتضى على	كيف لا وجلده النبي
يؤم في طوس جموع الاتقيا ^(١)	عشرة أعوام وخمس بقيا



(١) تشير المصادر ان الامام الجواد عليه السلام بقي بعد وفاة ابيه الرضا عليه السلام ١٧ سنة وانه عاش اطول فترة من حياته خلال حكم المأمون العباسي ، وانه لم يكن في ضيق من أمره بحيث استغل هذه الفترة لأداء رسالته ، ولا سيما في الجوانب الفكرية والاجتماعية ، وفي خلال تلك الفترة اجتمع علماء شيعته على امامته ، واخذوا منه ، وريت عنه الكثير من الاحاديث في مختلف العلوم والمعارف ، وصارت له جمهرة كبيرة من الطلاب الذين نهلوا من علمه ، حتى نقلت المصادر شيوخ علومه واخباره من طوس الى بغداد الى الكوفة ، وحتى المدينة ، حيث كان هناك بل اغلب امصار العالم الاسلامي آنذاك ، وقد وصلت اليها من علومه شذرات ذميمة في مجال علوم القرآن ، والحديث ، والفقه ، والكثير من علوم الكلام ، والنحو .. وغيرها. إضافة الى ما ورد عنه من المحاججات الفاخرة ، وقصار الحكم والمواعظ ، ومراجعة دقيقة لما تضمنه حلقاته المباركة من افذاذ الرجال ممن نقل تراجمهم الشيخ الطوسي في « الفهرس » بأسماء تلاميذه تتضح عمق هذه الحلقة وسعة علومها.



اصحاب الامام الجواد ؑ

ثمَّ اَبُو طَالِب الْقَمِيّ	مَنْ صَحْبُهُ أَحْمَدُ الْبَرْقِيّ
وَالثَّقَلُ الْمَرْعُوفُ بِالصَّفْوَانِ	وَبَعْدَهُ صَالِحُ الْهَمْدَانِي
أَلَّفَ فِي عُلُومِهِ مِنْ كُلِّ فَنٍ	ثُمَّ عَلِيٌّ بْنُ اسْبَاطٍ وَمَنْ
إِلَى الْوَجِيهِ حَمَزَةُ بْنُ يَعْلَى	وَالذَّكْرُ مِنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ يُتْلَى
وَالْعُمَرِيُّ صَاحِبُ الْأَسْرَارِ	ثُمَّ اَبُو يُوْسُفٍ الْأَنْبَارِي
وَمَنْ رَوَى فَقْهَهُ عَنِ الْجَوَادِ	وَابْنُ شَعِيبٍ ذَلِكَ الْبَغْدَادِي
وَالْبَجَلِيُّ بِإِثْنِ السَّابُورِي	وَالْفَضْلُ بْنُ يُوْصُفَ نَيْسَابُورِي
الْفَقْهَاءُ الْعَارِفِينَ الْعُلَمَاءُ (١)	وْغَيْرُهُمْ مِنَ الرِّوَاةِ الْكَرَمَاءِ

(١) احمد البرقي : أبو جعفر بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي. وقد عدّه الشيخ الطوسي في كتاب رجاله تارةً من اصحاب الجواد ؑ واخرى من أصحاب الهادي ؑ ويُعتبر البرقي من أعظم علماء الشيعة ، وثقة الامامين الجواد والهادي ؑ وللبرقي أثر خالد ذلك هو كتابه « المحاسن » الذي كان مرجعاً لعلماء التاريخ والجغرافيا والتراجم ، كما كان مرجعاً لعلماء الحديث.

ابو طالب القمي : عبد الله بن الصلت مولى بني تميم السلات ابن تغلبة ثقة ، مسكون الى روايته ، له كتاب روى عن الرضا ؑ ، يعرف له كتاب « التفسير » وهو من اصحاب الجواد ؑ الا ان الشيخ الطوسي ذكره في اصحابه الرضا ؑ.

صالح الهمداني : صالح بن محمد الهمداني من اصحاب الجواد ؑ ثقة إلا ان الشيخ الطوسي ذكره في اصحاب الهادي ؑ.



الصهبان : محمد بن عبد الجبار ، وهو ابن أبي الصهبان ، ثقة قمي من اصحاب الجواد ؑ وولده وحفيده العسكري ؑ.

علي بن أسباط : هو علي بن أسباط بن سالم الكندي ، يباع الزطي ، كوفي ، قال الكشي : انه كان فطحياً ، وقال النجاشي : ان كان فطحياً جرى بينه وبين علي بن مهزيار رسائل في ذلك ، فرجعوا الى أبي جعفر الثاني الجواد ؑ فرجع علي بن أسباط عن ذلك القول والرأي ، وقد روى عن الرضا ؑ من قبل ذلك ، وكان ثقة ، أوثق الناس وأصدقهم لهجة ، وله أصل وروايات من كتبه : كتاب الدلائل ، وكتاب التفسير ، وكتاب المزار ، وكتاب نواذر مشهور . رجال النجاشي / ١٩٠ .

عبد العظيم : بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ؑ يكنى بابي القاسم ، كان عابداً ورعاً من خواص الامام الجواد ، وصاحب الامام الهادي ، وحفيده العسكري ؑ ، وقد عدّ الامام الهادي زيارة قبره كفضل زيارة قبره الحسين ؑ وقبره في الري جنوب طهران ويقصده الناس للزيارة .

حمزة بن يعلی : الاشعري القمي ، من اصحاب الامام الجواد ؑ روى عن الرضا ؑ وابي جعفر الثاني ، وهو ثقة ، ومن وجوه العلماء الرواة . النجاشي / ١٤١ .

ابو يوسف الانباري : يعقوب بن يزيد بن حماد الكاتب ثقة ، صدوق ، روى عن الامام الجواد ؑ وهو من اصحابه ، وكان من اصحاب أبيه قبله .

العمري : عثمان بن سعيد ، يكنى أبا عمرو والسمان ، ويقال له : الزيات الأسدي ، ثقة جليل القدر من اصحاب الجواد ؑ عاصر الامام العسكري ؑ وصار له وكيلاً .

ابن شعيب : نوح بن شعيب البغدادي ، كان فقيهاً ، عالماً ، صالحاً ، مرضياً ، وقد وثقه الطوسي وهو من اصحاب الجواد ؑ .

الفضل النيسابوري : هو ابو محمد الفضل بن شاذان بن الخليل الازدي النيسابوري ، كان ثقة جليلاً فقيهاً ، متكلماً ، ترحم عليه الامام العسكري ؑ هو من اصحاب الجواد ؑ وقد روى عنه كما روى عن أبيه الرضا ؑ من قبل .

البجلي : ابو محمد صفوان بن يحيى ، يباع السابدي ، كوفي ، ثقة ثقة عين ، روى أبوه عن أبي عبد الله ؑ وروى هو عن الرضا ؑ وكانت له عنده منزلة شريفة ذكره الكشي في رجال أبي الحسن موسى ؑ وقد توكل للرضا وأبي جعفر ، وكانت له منزلة من الزهد



والعبادة ، وكان شريكاً لعبد الله بن جنبد ، وعلي بن النعمان ، وروى أنهم تعاقبوا في بيت الله الحرام : انه من مات منهم صلى من بقي صلاته ، وصام عنه صومه ، وزكى عنه زكاته ، فماتوا وبقي صفوان ، فكان يصلي في يوم مائة وخمسين ركعة ، ويصوم في السنة ثلاثة أشهر ، ويؤتي ثلاث دفعات ، وكل ما يتبرع به نفسه ما عدا ما ذكرناه تبرع عنهما ما مثله .

وقد صنف ثلاثين كتاباً كما ذكر اصحابنا منها : كتاب الوضوء ، كتاب الصلاة ، كتاب الحج ، كتاب الزكاة ، كتاب النكاح ، كتاب الطلاق ، كتاب الفرائض ، كتاب الوصايا ، كتاب الشري والبيع ، كتاب العتق والتدبير ، كتاب النيارات والنوادر ، مات صفوان بن يحيى رحمه الله سنة عشرة ومائتين ، وترجم عليه الامام الجواد ؑ وشهد له بأنه كان من حزب آبائه الكرام وهو حزب الله المفلحون . الحاوي ١ / ٤٤٠ .

هؤلاء وبعض الفقهاء والرواة من اصحاب الامام الجواد ؑ الذين حملوا تراث مدرسة اهل البيت ؑ وأوصلوه الى الاجيال بأمانه وصدق رغم المعاناة والمحن . ونضيف اليهم آخرين بعض الرواة الثقات معتمدين في ذلك على كتاب أعلام الهداية الجزء الخاص بالامام الجواد ؑ وهم :

الحسين بن سعيد الاهوازي : ابن حماد الاهوازي ثقة ، روى عن الامام الرضا ؑ وأبي جعفر الجواد ؑ وأبي الحسن الثالث وهو الامام الهادي ؑ .

أخوه الحسين بن سعيد الاهوازي : من اصحاب الامام الرضا ؑ والامام الجواد ؑ يقول الشيخ الطوسي عن الحسين الاهوازي : ثقة ، أصله من الكوفة ، وانتقل مع أخيه الحسن رحمه الله الى الاهواز ، ثم تحول الى قم ، وتوفي بقم ، له ثلاثون كتاباً .

محمد بن اسماعيل : ابن بزيع ، عدّه الشيخ الطوسي من اصحاب الامام الرضا والامام الجواد ؑ ، وكان من خيار اصحاب الائمة في ورعه وتقواه حتى قال عنه الامام الرضا ؑ عندما ذكر عنده : « وددت أن فيكم مثله » ولمحمد بن اسماعيل علاقة خاصة ومتميزة بالامام الجواد ؑ وقد روى عنه بعض الاحاديث المتعلقة باحكام الشريعة ، ومن الظريف انه سأل الامام يوماً ان يأمر له بقميص من قمصه ليحمله كفناً ، فبعث اليه الامام ؑ بذلك وهذا يدل على اتصاله الوثيق بالامام وعمق صلته الروحية به .

علي بن مهزيار : كان مسيحياً فهداه الله الى الايمان بالاسلام فأسلم ، واخلص وهو من





ابرز أصحاب الامام الجواد عليه السلام ومن مشاهير علماء عصره فضلاً وتقوى ، وقد أجمع المترجمون له بالوثاقة في الرواية ، فقد قال النجاشي : كان ثقة في روايته لا يطعن عليه كما له مجموعة من المؤلفات تدل على سعة علمه ومصارفه ومن بينها ؛ كتاب الوضوء ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والطلاق ، والحدود ، والتفسير ، وكتاب البشارات ، ورسائل علي بن أسباط .

وهذه المؤلفات المتنوعة في مجالات الفقه ، والعقيدة والتفسير ، والاخلاق ، تشهد على انه من كبار الفقهاء في الاسلام .

ابراهيم بن آبي محمود الخراساني : من ثقة الرواة عن الامام الجواد عليه السلام كما ذكر الكشي في رجاله ، وقد روى عن الامام موسى الكاظم عليه السلام وعلي بن أبي موسى الرضا عليه السلام .

ابراهيم بن محمد الهمداني : من الرجال الاجلاء والتقاة ، وقد روى عن الامام الجواد ، وأبيه الرضا ، وولده الهادي عليه السلام .

احمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي الكوفي : كان جليل القدر عظيم المنزلة عند الامام الجواد عليه السلام وأبيه الرضا عليه السلام .

أحمد بن معاني : من أصحاب الامام الجواد عليه السلام .

جعفر بن محمد بن يونس الآحول : من اصحاب الجواد وأبيه وجده عليه السلام .

الحسين بن بشار الديلمي : من اصحاب الجواد وأبيه وجده عليه السلام .

الحكم بن علي الاسدي : من اصحاب الجواد عليه السلام .

داود بن القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام : يكنى أبا هاشم الجعفري ، من أهل بغداد ، جليل القدر ، عظيم المنزلة عند الائمة عليه السلام صاحب الامام الجواد عليه السلام روى عنه كما روى عن ولده الهادي وحفيده العسكري .

عبد الجبار بن مبارك النهاوندي : من اصحاب الجواد وأبيه عليه السلام .

علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام : كان شديد الورع ، كثير الفضل ، جليل ، القدر روى كثيراً عن الائمة عليه السلام كان صاحب للامام الجواد عليه السلام ، ومن قبله للامام الصادق والكاظم والرضا عليه السلام .

علي بن بلال البغدادي : من أصحاب الجواد عليه السلام فحسب .

ابو علي محمد بن عيسى بن عبد الله بن سعد بن مالك الاشعري : شيخ المقيمين روى عن





الامام الجواد ؑ وسمع من الامام الرضا ؑ.

ابو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت : كان عالماً باللغة ، من خواص اصحاب الامام الجواد ؑ ومقرباً لديه ، وكان مقدماً عند الامام الهادي ؑ قتلته المتوكل العباسي لصلاية ايمانه وتشيعه لأهل البيت ؑ.

ابو الحصين بن الحضيبي : من اصحاب الجواد ؑ وولده الهادي ؑ.

نكتفي بهذه الثلة الصادقة من تقاة الامام الجواد ؑ وقد أحصى الشيخ العطاردي صاحب مسند الامام الجواد مائة وواحد وعشرين رواية من رواية أحاديث الامام الجواد ؑ بمن فيهم أصحابه ووكلاؤه وخواصه الذين يمثلون جماعة سالحة من كبار الفقهاء ووجهاء العلماء والادباء.

بينما أحصى السيد محمد كاظم القزويني في كتابه الامام الجواد من المهدي الى اللحد ، مائة وخمسة وسبعين شخصاً من الرجال والنساء من اصحاب الامام الجواد ؑ.

راجع أعلام الهدى قسم / الامام الجواد ؑ.



خلافة المعتصم

حتى قضى المأمون في هموم	عند « البدندون » باقضى الروم
ودفنه قد تم في طرطوسي	يحمل أياماً على الرؤوس
فقام بعده أخوه المعتصم	وهو لعمري مستبداً منتقم
ليس له علم ولا شجاعه	ولا خفيات القائد المطاعه
كان شغوفاً همه الغلمان	والعزف والغناء والقيان
يثيرُ فتنه وراء فتنه	فأدخل الأمة أي محنه ^(١)

(١) ذكر السيوطي : فقد مرض المأمون بالروم ، فلما أشد مرضه طلب ابنه العباس ليقدم عليه وهو يظن انه لا يدركه ، فأتاه وهو مجهد ، ولكن نفذت الكتب الى البلدان بتولية أخيه « ابو اسحاق المعتصم » بالخلافة من بعده ، وقيل ان ذلك وقع بامر ، وقيل بل كتبوا ذلك وقت غشيانه ، ثم مات المأمون يوم الخميس ١٨ رجب سنة ٢١٨ هـ بمنطقة بدنندون في اقصى الروم ونقل الى « طرطوس » ودفن بها . تاريخ الخلفاء / ٣١٢ . ٣١٣ .

ونقل المسعودي : نزل المأمون على عين ماء في « بدنندون » بأقصى الروم ، وسرعان ما اخذته رعدة بسبب نضوح الماء عليه ، ولما علم دنو اجله اخذ يصيح : يا من لا يزول ملكه أرحم من زال ملكه . مزوج الذهب ٤ / ٣٣ .

وفي ذلك قال الثعالبى : لا يعرف اب وابن من الخلفاء ابعد قرراً من هارون والمأمون ، حيث دفن هارون في طوس ، ودفن المأمون في طرطوس . لطائف المعارف / ١٤٥ .

وفي ذلك أنشد ابو سعيد الخزومي :

هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون	او عن ملكه المأسوس
خلفوه بعرضتي طرطوس	مثل ما خلفوا اباه بطوس



بعد وفاة المأمون نال الخلافة اخوه ابو اسحاق المعتصم محمد بن هارون الذي ولد سنة ١٨٠ هـ وأمّه أم ولد ، تركية ، اسمها ماردة ، وكانت حظية عند هارون.

وقد عرف المعتصم بالجهل ، وسوء الاخلاق ، وبسمات اخرى نذكر منها ما ورد في كتب التاريخ كما في السطور التالية :

— كان عرياً عن العلم والمعرفة ، وكانت كتابته ضعيفة ، بل قيل كان أمياً ، ولكنه كان ذا همّة وشجاعة. وقد عرف بالقسوة وشدة الغضب ، وكان أشد الناس بطشاً ، وعرف بالتبذير والاسراف في الطعام. السيوطي / ٣٣٤.

. كان معروفاً بالدلع في حب الغلمان ، وكان له غلام تركي اسمه « عجيب ».

— شهد عصره فتنه « خلق القرآن » جرياً على عادة أبيه المأمون أنه قتل لأجل ذلك خلقاً كثيراً من العلماء ، وضرب الامام أحمد بن حنبل لأجل ذلك. المصدر السابق . أول من أدخل الاتراك في بلاط الخلافة لأنهم أخواله.

. اتخذ سامراء عاصمة له بدل بغداد ونقل الاتراك إليها.

— أخرج أحمد بن حنبل الذي سجنه أبو المأمون من قبل بخصوص قضية « خلق القرآن » وأعادة عليه القضية ، لكنه لم يقل فضريه ٣٨ سوطاً. كان له مجلس إنس وطرب وشرب. تنمة تاريخ الخلفاء / ٣٠٨.

— تلطخت يده بالكثير من دماء العلويين وغيرهم ، كما فعل في دلف اندي كان معروفاً بالتصلب في مولاة علي ابن ابي طالب ؑ وكذلك قتل « محمد بن القاسم » الثائر العلوي ، وكذلك إقدامه على سَمِّ الامام الجواد ؑ كما فعل ابو المأمون من قبل من سَمِّ الامام الرضا ؑ وكما فعل جده هارون من سَمِّ جده الامام الكاظم ؑ.

— شهد عصره الكثير من الثورات والاضطرابات ، ولا سيما من العلويين ، وذلك لكثرة الفساد والظلم والاستبداد ، إضافة الى التمايز الطبقي بين الرعية.

وتشير المصادر التاريخية انه قد هلك في نهاية الامر في سامراء بعد ان احتجم ، فأصابته الحمى ، فمات بعد ان حكم ٨ سنين و ٨ أشهر ، ومن الظريف المناسب ذكره هنا هو أكدت المصادر التاريخية على ان المعتصم كان ثامن خلفاء بني العباس ، وثامن أولاد العباس ، وقد انجب ثمانية أولاد ، وثمان بنات ، ولهذا يعرف بصاحب الثمانية.

الثورات على المعتصم

قد كثرت في عهده الثورات
فالتالقان ثار فيها العلوي
وثورة الزط بارض البصره
وبابك قد ثار وهو الخزمي
وجاءت الروم الى « زبطره »
واضطرب الاقليم والاقليم
ونسيت في بيته الآيات
محمد بن القاسم الفذ القوي
عارمة ويالها من ثوره
وثورة « المبرقع » المكرم
وغيرها من البلاد كثره
وليس من خليفة يقوم^(١)

(١) تطرقنا فيما سبق الى جملة من سمات عصر المعتصم العباسي ، وأشرنا الى جملة من المفاصد التي عمت المجتمع آنذاك ، كل تلك العوامل وغيرها ادخلت خلافة المعتصم في الكثير من المشاكل الداخلية والخارجية ، حيث قامت الثورات ، وشاع التمرد على السلطة ، وكثر الطامعون في غزو الخلافة الاسلامية ، وهذه ابرز الثورات التي وقعت آنذاك :

ثورة محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين عليه السلام : وأمه صفية بنت موسى بن عمر بن علي بن الحسين عليه السلام وقد خرج أولاً في الكوفة ، ثم تنقل بين خراسان ومرو ، ثم انتقل الى الطالقان وقد عرض الخلافة آنذاك الى حروب ووقائع كثيرة حتى أُسر بخديعة ، وقد اختلف في قتله فمن يقول انه قتل سماً في حبسه ، ومنهم من يقول انه هرب من حبسه واختفت اخباره ، ومنهم من يقول انه امتدت ايامه حتى خلافة المتوكل العباسي حيث مات في حبسه.

وقد وصفه المؤرخون بانه من اهل العبادة ، والزهد ، والورع ، ومن اهل العلم والفقه ، وكان ملازماً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسن السيرة ، وللطائفة الزيدية فيه اعتقاد في إمامته.

مقاتل الطائيين / ٣٧٦.

ثورة الزط في البصرة : وهم جماعة غلبوا على طريق البصرة وعاتوا فساداً واخلفوا السبيل ، وكان يقودهم رجل اسمه محمد بن عثمان ، ولهم مع المعتصم وقائده عجيف وقائع طويلة حتى سقطوا في الاسر ، ثم نقلوا الى خانقين ، فأغار عليهم الروم ولم يفلت.

↩





ووثب الزط بالبطائح بين البصرة وواسط فقطعوا الطريق فوجه اليهم المعتصم قائده احمد بن سعيد لكنه هزم ثم أرسل اليهم قائده عفيف سنة ٢١٩ هـ فطلبوا الامان وساروا على حكم المعتصم ، ثم ادخلهم بغداد وبعد ذلك اسكنهم خانقي . تاريخ يعقوبي ٢ / ٤٧٢ .

ثورة بابك الخرمي : وفي سنة ٢٢١ هـ خرج بابك الخرمي بعد ان جمع جيشاً كبيراً ، وكان طامعاً في انتزاع الخلافة من المعتصم ، فأرسل إليه المعتصم جيشاً بقيادة الافشين « حيدر بن كاوس » لمحاربتة ، وجرت بينهما معارك شديدة انتهت بهزيمة بابك بعد ان امسكوه في بلاد ارمينية ، ثم حمله الافشين الى سامراء مع اخيه عبد الله وهما يركبان فيلين ويرتديان زينة مذهبية ، ثم غدر به المعتصم وقطع اعضائه وقتله شر قتلة ، وإما اخوه عبد الله فبعثوا به الى بغداد ليفعل به ما فعل بابك من قبل ، وكان بابك إسمه الحسين ، وللشعراء فيه اقوال حسنة . تمتة اخبار الخلفاء للقي / ٣٠٦ .

ثورة المبرقع في فلسطين : وفي سنة ٢٢٧ هـ خالف على المعتصم ابو حرب المبرقع اليماني في فلسطين ، والمبرقع صفة وليس لقباً له لانه البس وجهه برقعاً ، وكان سبب خروجه أن بعض جنود المعتصم اراد دخول داره في غيابته فمنعته احدي نسائه فضربها الجندي بسوط ولما رجع ابو حرب المبرقع أخبرته زوجته بذلك ، فامتشق سيفه وقتل الجندي ثم هرب بعد ان تبرقع وتحصّن في بعض جبال الاردن ، حتى استجاب للثورة معه جماعة من الفلاحين في تلك المنطقة ، وسرعان ما توسع جيشه ليشمل رؤساء من اهل اليمن ودمشق حتى وصلت اخباره الى المعتصم ، وهو مريض فارسل اليه جيشاً بقيادة رجاء بن ايوب في زهاء الف رجل وقيل مائة الف رجل ، فلما رأى كثرة جيش المبرقع رجع ولم يحاربه حتى تركه الى انصراف غالبية من كان معه من الفلاحين للحصاد ولأموار الزراعة ، وبقي المبرقع في زهاء الف رجل حينئذ هلك المعتصم وتولى الواثق أمره فيما بعد ، ثم أُسر في زمن الواثق .

سيطرة الروم على زبطرة : لما ضيق الافشين قائد جيش المعتصم على بابك الخرمي المذكور سابقاً كتب بابك الى ملك الروم « توفيل » يستحثه على المسلمين ، ويؤكد له ان جيش المعتصم قليل ، حينئذ تحرك ملك الروم سنة ٢٢٣ هـ واحتل مدينة زبطرة ، وقتل وأسّر وسبي النساء وفعل الافاعيل ، وسرعان ما غضب المعتصم ووجه له جيشاً حتى احتل اعظم مدن الروم وهي عمورية بعد حصار شديد ، ثم اسّر حتى احتل مدينة عظيمة ايضاً في الروم هي باطس ، وحدث هناك مجازر من قتل وحرق وسي .



دور الاتراك

قد حازت المعتصم الاتراك
أخواله ومن بهم تقوى
قد أغدق الأموال والضياعا
مما آثار من خفيضة العرب
فجيشهم وجمعهم فتاك
بغير رحمةٍ وغير تقوى
عليهم وأرخص المتاعا
وكثر في أرض بغداد الكُرب^(١)

(١) لعلّ من أحسن أعمال المعتصم العباسي هو الميل الى أخواله الاتراك وحبهم الى بغداد وتسليطهم على العرب والفرس ، حتى عاثوا هناك فساداً ، وقد بلغ عدد الاتراك في زمانه سبعين الف ، وتؤكد مصادر التاريخ انه قد صرف عليهم من الاموال الضياع وان تكوين جيش منهم أضاع الشيء الكثير من خزانة الدولة ، ممّا أثر آنذاك على الوضع الاقتصادي للدولة نتيجة هذا التبذير.

في سنة ٢٢٠ هـ تحول المعتصم من بغداد حيث بنى سامراء ، وذلك لانه إعتنى بأقتناء الاتراك ، حيث بعث الى سمرقند وبعض النواحي في شرائهم ، وبذل فيهم الاموال وألبسهم مناطق الذهب ، فكانوا يطردون خيلهم في بغداد ويؤذون الناس الى ان ضاقت بهم البلد ، وشكى الناس ذلك الى المعتصم وهددوه باللجوء الى الله سبحانه بالدعاء عليه فكان ذلك سبب بنائه سامراء وتحوله اليها. تاريخ الخلفاء / ٣٣٥.

وبلغت غلمانه من الاتراك بضعة عشر الف ، وكان يتشبه بهم في مشيه. نفس المصدر.

وكان شاعر اهل البيت ؑ دعبل الخزاعي قد هجاه لاجل ذلك ولما خاف بطشه هرب الى مصر اولاً ثم الى المغرب ، ومما هجاه به :

ملوك بني العباس في الكتب سبعة
كذلك اهل الكهف في الكهف سبعة
ولم تأتني في ثامن منهم الكتب
غداة ثوروا فيها وثامنهم كلب

↩





وإني لأرفع كلـبهم عنك رغبةً لأنك ذو ذنبٍ وليس له ذنبُ
قد ضاع امر الناس حيث يسوسهم وصيف واشناس وقد عظم الخطبُ
وهمك تركي عليه مهانة فأنت له أم وانت له أبُ

وهنا يشير دعبل في « وصيف واشناس » الى اثنين من الاتراك جلبهم المعتصم وقد استبدا بأمر الخلافة دونه ، كذلك يشير في البيت الاخير الى غلام تركي اسمه « عجيب » ولع به المعتصم كثيرا.

ومن الجدير ذكره هنا ان الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب ؑ قد ذكر في مغيباته المعتصم العباسي فيمن يتولى الخلافة في بغداد بقوله ؑ : وثامنهم كلبهم.

تمة أخبار الخلفاء / ٣٠١.



محنة الجواد ❁

فوجه الاضغان والاحقادا	وخشي المعتصم الجوادا
مبيتاً للحقد والنفاق	واسـتـتـقـدم الامام للعراق
وكي يئـثـ خلفه عقاربـه	اسكنه بغداد كي يراقبه
بهمـه وصـبره الكبـير	فحـط في بغداد كالأسـير
قاسى بها فضائع الامور ^(١)	وظل تسعة من الشهور



(١) تشير المصادر التاريخية ان الامام الجواد ❁ عاد من خراسان الى المدينة مع زوجته بنت المأمون ، وهناك عمل الامام على بث الوعي الديني والافكار العلوية وكوّن قاعدة شعبية واسعة له ، حينئذ شعر المعتصم العباسي ان نشاط الامام الجواد ❁ يهدد ملكه لذا قرر استدعائه الى بغداد ليكون على مقربة منه لكي يحصي عليه انفاسه ويراقب حركاته. وبهذا الصدد يقول الطبرسي : لما انصرف ابو جعفر الجواد ❁ من عند المأمون ومعه بنت المأمون زوجته الى المدينة ، فلم يزل بها حتى اشخصه المعتصم الى بغداد أواخر محرم سنة ٢٢٠ هـ فأقام بها حتى استشهاده. اعلام الوری ٢ / ١٠٥ . وهكذا بقي الامام ❁ يعاني الضيق وشدة المراقبة قرابة تسعة أشهر من أوائل صفر حتى استشهاده في أواخر ذي القعدة عام ٢٢٠ هـ.



شهادته ﷺ

حتى قضى بالسّم في بغداد	من بعد ان أوصى الامام الهادي
وصيةً بالعهد والامامه	وبعد أن عرفه مقامه
فكفّوه عند دار الوثائق	وهو لعمرى الصادق بن الصادق
وحمل الجثمان للمقابر	ما بين محزون وبين حائر
فكان يوماً لم تكن بغداد	تشهد مثله ولا البلاد
تزاحم الآلاف في التشييع	واصطحبت مواكب الدموع ^(١)

(١) أشرنا فيما سبق الى ان السّم هو الوسيلة الناجحة التي يلجأ إليها الطغاة وولاة السوء للتخلص من خصومهم ، وهذا هو ديدن الأئمة المعصومين ﷺ ابتداءً من الامام الحسن المجتبي ﷺ من طغاة أزمنتهم ، وهكذا حال امامنا الجواد ﷺ الذي لاقى ربه شهيداً مسموماً على يد المعتصم العباسي وقد أقر بذلك جمهور ارباب السير والتاريخ.

وهذا ملخص الامر كما أكدته المصادر التي دونت سيرته ﷺ :

لمّا أشخص الامام الجواد ﷺ الى العراق أخذ المعتصم العباسي وجعفر بن المأمون يدبّرون ويعملون الحيلة في قتله ، فقال جعفر لأخته أم الفضل زوجة الامام الجواد ﷺ وكانت أخته لأمه وأبيه في ذلك لأنه . جعفر . عرف انحرافها عن الجواد وغيّرتها عليه لتفضيله — أم ابي الحسن الهادي . عليها ، ولأنها لم ترزق منه بولد فأجابت أخاها على المؤامرة وجعلوا للإمام ﷺ سمّاً في شيء من العنب الرازقي وكان ﷺ يعجبه فلما أكل منه ندمت

➡





زوجته أم الفضل على فعلها وجعلت تبكي ، فلما سألها عن السبب أخبرته بالامر فقال لها
الامام عليه السلام : سألت الله تعالى أن يبتليك بفقر لا ينجر وبلاء لا ينستر .

وسرعان ما بليت بعلّة في جسمها بحيث انفقت جميع ما تملك لزوال تلك العلة حتى
احتاجت لمعونة الناس ، وأما أخوها جعفر الذي اشترك معها في هذا الامر فقد ذكر
الرواة انه سقط في بئر وهو سكران ولما اخرجوه وجدوه ميتاً ، وهكذا صدقت نبوءة
الامام عليه السلام واستجاب الله سبحانه دعائه فيما أراد .

ولما سرى السم في جسد الامام عليه السلام وشعر بدنق أجله نصّ امام أعيان شيعته على إمامة
ولده الامام أبي الحسن علي الهادي عليه السلام وأوصى إليه بالمواريث والسلاح ومضى الى ربه
شهيداً مسموماً في سنة ٢٢٠ هـ وعمره آنذاك ٢٥ سنة ودفن في بغداد في تربة جده
موسى بن جعفر عليه السلام .

منتهى الآمال / ٢ / ٥٦٤ ، أثبات الوصية للمسعودي / ٢١٩ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ / ٤٣٥ ، تاريخ العلويين / ١٧٤ .

إن خروج السلاسل من شيعه أهل البيت عليه السلام الذين خرجوا في تشييع الامام الجواد عليه السلام
يدلّ على اتساع مدرسة أهل البيت عليه السلام في زمان الامام الجواد عليه السلام والجهد الذي بذله في
إتشاء هذه المدرسة وكثرة إتباعها .

رحل الامام الجواد عليه السلام وقد ترك من الاولاد اربعة ، وهؤلاء الاولاد هم :

- ١ . الامام علي الهادي عليه السلام ٢ . ابو احمد موسى المبرقع ، ولأثنين عقب ٣ . ابو احمد الحسين
٤ . ابو موسى عمران . وكذلك له اربعة بنات هنّ :
١ . فاطمة ٢ . خديجة ٣ . ام كلثوم ٤ . حكيمة .

وقيل له كذلك : زينب ، ام محمد ، ميمونة لكن الشيخ المفيد يقول :

وخلف من بعده من الولد : علياً ابنه الامام ، وموسى المبرقع ، ومن البنات : فاطمة ، امامة ،
ولم يخلف ذكراً غير ما سميناه ، وأيد ذلك الطبرسي في « إعلام الوری » والعاملي في
« اعيان الشيعة » . الارشاد / ٣٢٧ .



مرقدُهُ ومشهدُهُ

وصار قبره بجانب الكاظم	علامة تضيء بالمكانم
وقبلة مصوغة بالذهب	شبيهة لقبلة بيثرب
بالطهر والرهبة والخشوع	صارت محط الخير للجموع
فيها تجاب دعوة المضطر	إذا دعا في علن وسر
ترهوا بها بغداد في الأزمان	مفعمة باكمل المعاني
راح عليها يُقرأ السلام	ما مرت الايام والاعوام ^(١)

(١) وهكذا هوى من سماء الامامة كوكب ساطع ليحل مدفوناً الى جوار جدّه موسى بن جعفر عليه السلام حيث تسطع أنوار الذهب في قبتين لامعتين صارت فيما بعد محطاً لبكاء الضارعين ، حيث تجاب الدعوات ، وتنزل البركات ، وتكاد أرض بغداد تشمخ بها فخراً وعزّاً أبداً الدهور ، وهذه الملايين من مسلمي الشرق والغرب تتقاطر عليها ، حيث تقام الصلوات وتسمع الدعوات ، وهكذا انطوت صفحة نيّة من صفحات الامامة الخالدة برحيل ابي جعفر الجواد عليه السلام الى ربه شهيداً مسموماً مظلوماً ، وهو صغير العمر ، بل اصغر الائمة المعصومين سنّاً ليتولى الامامة من بعده ولده النقي ، التقي الامام علي الهادي عليه السلام وللشعراء العقائديين باع طويل في رثاء الامام الجواد عليه السلام والثناء عليه وبيان فضائله وفضل مرقدته المقدس وما ظهرت هناك من كرامات ومفاخر على مرّ الدهور ، وسنورد هنا بعض ما قالوه :

١ . قال علي بن عيسى الاربلي صاحب « كشف الغمّة » :

إمام هدى له شرف ومجد	أقرّ به الموالي والمعادي
تصوب يده بالجدوى فتغني	عن الانواء في السنة الجماد
بني في ذروة العلياء مجداً	بعيد الصيت مرتفع العماد

⇐





٢ . وقال العلامة الشيخ « قاسم محي الدين » :

إذا رمت الشفاعة في المعاد
شفيعاً للأنام وخير غوث
به الاملاك قد شرفت وفيه
إمام لو دعى المقذور وافي
مناقبه الثواقب ليس تحصي
بأخصه رقي أوج المعالي
جواداً ما دعى للجود إلا
فلا عجب إذا نعشو إليه
ومن غير الجواد ابن علي
له فضل يفوق الناس فيه

٣ . وقال الاستاذ محمد جواد قسام النجفي :

وإن أنس لا أنسى الجواد محمداً
معاجزه كالنجم لاحت منيرة
أقر بها الحساد بالرغم منهم
لقد أشخصوه عن مدينة جده
ودسّوا له سماً على يد زوجة
فظلّ يعاني السّم في الدار وحده

٤ . قال آخر :

لنذ إن دهمت الرزاي
بكناظم الغيظ موسى

فلنذ بحمى محمد الجواد
مغيثاً للورى يوم التناد
سمت شأواً على السبع الشداد
لنا فذ حكمه سلس القياد
بها أعترف الموالى والمعادي
وطاول عرشها سامي العماد
غدت كفاه تهمي كالغوادي
فساطع نوره للخلق هادي
شفيع الخلق في يوم المعاد
وهل فضل حكى فضل الجوادي

أبا جعفر من فيض أنمله بحر
فليس لها فكر وليس لها حصر
فسل عنها يحيى حين حلّ به الحصر
لبغداد قهراً عندما دُبر الامر
بها من أبيها كامن ذلك الغدر
ثلاثة أيام أما علمت فهـر

والدهر عيشك نكد
وبالجواد محمد





٥ . وقال آخر :

يا أبا جعفر يا رمز التقى فيك ارجو الفوز يوم المحشر
أنتم حصني وأنتم عدتي وبكم نيل المني للمهدي

٦ . وقال آخر :

ما خاب من أم جواداً فهل يخيب من أم جوادين
فسلام الله على أبي جعفر الجواد وعلى آبائه وأجداده وأبنائه يوم ولد ويوم استشهد ويوم
يبعث حياً.

والحمد لله رب العالمين.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الجزء الثاني عشر

الامام علي بن محمد
الهادي ؑ





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الأهداء

الى الامام أبي الحسن
علي بن محمد الهادي عليه السلام
الذي لم يزل يعاني .. وحشة الغربة ، والحصار
أقدم هذا الجزء من (قوافل النور)
موشحاً بالحب ، والدمع ، والوفاء.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

اضاءة

هذا هو الجزء الثاني عشر في حياة الامام العاشر من ائمة اهل البيت ؑ الا وهو الامام علي بن محمد الهادي ؑ الذي عاش محنة المراقبة والحصار الشديد في سامراء. وواجه حكام عصره بصبرٍ ، وحلمٍ ، وعناء.

فقد عاش الامام الهادي فترة ضعف الدولة العباسية وتفككها ، وسيطرة القادة الاتراك على مقاليد الامور فيها ، كما عاش مرحلة الصراعات السياسية والفكرية ، وظهور الفرق والاتجاهات المنحرفة التي حاولت تشويه الاسلام من داخله ، وتحريف المفاهيم والاحكام ، وتأويل آيات القرآن الكريم على غير وجهها الصحيح.

فكان للامام الهادي ؑ الدور الامثل في مواجهة البدع والاتجاهات الضالة ، من خلال اعداده للجماعة الصالحة التي حملت فكره وتراثه وهدايه ، وكان دوره جزءاً مكماً لادوار آباءه الطاهرين الذين أرسوا قواعد مدرسة فكرية راسخة تمثل أصالة الاسلام في عقيدته ، وشريعته ، وتعاليمه.

إن حياة الامام ابي الحسن الهادي ؑ حافلة بالحركة ، زاخرة بالعطاء على مختلف الاتجاهات والاصعدة.

وهذا الجزء من ملحمة قوافل النور ، يستعرض ضمن سياقه الادبي أهم المخططات في حياته الشريفة ، ويرسم الملامح العامة لدوره وحركته على مستوى الفكر والسياسة ، والاجتماع الانساني.

كما يقف هذا الجزء من الملحمة عند أهم الاحداث السياسية والاجتماعية التي عاصرها الامام الهادي ؑ وكانت لها انعكاسات ايجابية أو سلبية على



حركته ومشاريعه ، ولم تغفل « قوافل النور » استعراض أهم تلامذته والرواة عنه ، فقد توقفت عند ثلة مباركة من خيرة الفقهاء والمحدثين الذين حملوا تراث الامامة وعبروا به الى الاجيال زاداً طيباً وقبسات من ضياء.

وأخيراً توقفت الملحمة بألم وحسرة عند الحادثة المفجعة التي جرحت قلوب المسلمين عمومياً ، وقلوب شيعة اهل البيت عليه السلام على وجه الخصوص ، ألا وهي حادثة الاعتداء الآثم بتفجير مرقده الشريف وقبته الذهبية المباركة من قبل شذاذ الآفاق ، من التكفيريين ، وبقايا فلول حزب البعث الكافر.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لخدمة مدرسة أهل البيت عليه السلام ويجعلنا من المتمسكين بهدى الامام الهادي والمدافعين عن خطه ونهجه انه سميع مجيب.

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.



المولد المبارك

بشر داعي الخير بالولادة	في ليلة عظيمة السعادة
نجل الامام الطاهر الجواد	يوم ولادة الامام الهادي
مشرقة من وجهه البهي	شعت به مدينة النبي
محجة لأمة الاسلام	في النصف من ذي الحجة الحرام
قد ملئت نوراً به وهديا	في قرية كانت تسمى « صريا »
وعمت الصغار والكبارا	يا فرحة قد عمت الاقطارا
والخير في مواطن الفتوة	فالنور في مراتب النبوة
ويطلق ابتسامة بحسب	يملا بالبهجة كل قلب
بالطهر والعفة والامانة ^(١)	تحمله في حضنها « ثمانية »

(١) لا يخفى على المتتبع الخلاف المألوف في تحديد ولادة ووفاة رسول الله ﷺ والائمة المعصومين من ذريته ﷺ وقد رأينا ذلك واضحاً فيما سبق ، ويظهر أن هذا الاختلاف قد وقع هنا في حياة ووفاة إمامنا الهادي ﷺ وقد استفاد الشيخ عباس القمي بيان الاقوال بشأن ولادة الامام الهادي ﷺ واخيراً رجح ولادته في النصف من ذي الحجة سنة ٢١٢ هـ في المدينة المنورة في قرية يُقال لها « صريا » أو « صربا » أو « صرباء » أسسها جده الامام الكاظم ﷺ على بعد ثلاثة أميال من المدينة المنورة. انتهى الآمال ٢ / ٥٩١.

كذلك اختلف الرواة وأهل التاريخ في تحديد اسم أمه ، وأصلها رغم اتفاقهم على جلاله قدرهم وعظم شأنها ، فمنهم من يقول أن اسمها « سمانة » وهي مغربية الاصل ، بينما يقول النوبختي في فرق الشيعة ان اسمها « سوسن » في حين جمال الدين الشافعي يقول في الدر النظيم أنها « سمانة » وتُعرف بالسيدة ، وهي مغربية الاصل ، كنيها « أم الفضل ».

➞





ويطلع علينا جماعة كالشيخ محمد أمين الطويل ، والشيخ عبد الرزاق البصري في سيرة الهادي ، وربما غيرهم من يقول أنها « أم الفضل » بنت المأمون العباسي ، بينما تُشير جلّ المصادر القديمة أن هذه المرأة لم تنجب أي ولد للإمام الجواد عليه السلام وأن الامام الهادي عليه السلام ليس منها على الاطلاق.

وقد أتفق كثير من الرواة على جلالة شأن أمه « سمانة » ونقاء ثوبها وإتصافها بالعفة والطهارة ، فقد نقل الشيخ القمي بسند معتبر عن الامام الهادي قوله عليه السلام : أتني من أهل الجنة لا يقر بها ولا يناكدها جبار عنيد وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام ولا تختلف عن أمهات الصديقين والصالحين. مستدرک السفينة ٣ / ٦٠٥.

ونقل القمي أنها كانت دائمة الصوم ، ولا مثيل لها في الزهد والتقوى. منتهى الآمال ٢ / ٥٩١.



ألقابه وصفاته

قد فرح الجواد في لُقياه	فما له خليفة سواه
منوهاً عن فضله ومعلنا	فهو سليل الأوصيا الامنا
قد عُرفت كنيته ابو الحسن	ألقابه الهادي النقيب المؤمن
وهو النقي والتقّي المرتضى	والعالم الفقيه راضٍ بالقضا
وقد يُسمى الطيّب الامين	والكل في صفاته مفتون
عبادة مقرونة بالعلم	وسيرة مشفوعة بالحلم ^(١)

(١) تلقى إمامنا الجواد عليه السلام ولده علي الهادي عليه السلام من يد أمه الفاضلة «سمانة» حيث شاعت اجواء الفرح، والسرور، والبهجة بهذا المولود الكريم، وتشير الروايات الى أن الامام الجواد عليه السلام ضمه الى صدره وأجرى المراسم النبوية المترتبة للمولود الجديد، لا سيما وهو وصيه من بعده، ومبشراً شيعته أنه خليفته من بعده في سلسلة الامامة، ومعلنًا أمام المأجالات جلالة فضله، وكونه سليل الاولياء السابقين من أهل البيت عليه السلام وقد حرص والده عليه السلام على تغذيته بمكارم الاخلاق والعلم والحكمة، كما وحرص منذ الوهلة الاولى على التركيز على أنه الوصي من بعده، وأخذ يكرز ذلك في مجالسه الخاصة والعامة وكونه الامام من بعده.

عُرف عليه السلام في عصره بكنيته «ابي الحسن» تيمناً بجده أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وجده الرضا عليه السلام حيث كانا يكتبان بهذه الكنية، وللتفريق بينهم يكتيان الامام الهادي عليه السلام بـ «ابي الحسن الثالث».

اما القابه عليه السلام فكثيرة لتعدد صفاته واتساع محاسن أخلاقه قال الشيخ القمي: اشهر القابه النقي، والهادي، وربما قيل له النقيب، والمرتضى، والعالم، والفقيه، والناصح، والمؤمن، والطيّب، والمتوكل. انتهى الآمال ٢ / ٥٩١.

وكان عليه السلام يعرف بـ «المتوكل» لشدة توكله على الله سبحانه، لكنه كان يخفي هذا اللقب





ويأمر أصحابه بذلك لكونه لقب الخليفة « جعفر » في ذلك الزمان ، كما لأنه لكونه ﷺ سكن محله « عسكر » هو وولده ابا محمد « الحسن » كانا يعرفان به « العسكريين » وقد أستفاضت بين الرواة صفاته ، وكان ﷺ معروفاً آنذاك بمجلائل الاخلاق ، ومحاسن الصفات . قال ابن شهر آشوب : كان أطيّب الناس لهجةً ، وأصدقهم قولاً ، بحيث إذا صمت علتة هيبة الوقار ، وإذا تكلم سمى البهاء . المناقب ٣ / ٥٠٥ .
ووصفه الاربلي قال : واما مناقبه فمنها ما حلّ في الأذان محلّ حلاها بأشنانها ، وتشهد له أن نفسه موصوفة بنفائس أوصافها ، وانما نازلة من الدوحة النبوية من ذرى أشرافها .

كشف الغمة ٢ / ٨٨٤ .

وقال ابن حجر : لقد ورث علي النقي من ابيه علماً وكمالاً وسخاءً . الصواعق المحرقة / ٢٠٦ .
وهكذا ذكر كل من كتب في سيرته ﷺ على كمال صفاته ، وعلوّ شأنه ، من وقار ، وهيبة ، وعبادة ، وسخاء ، وحسن كلام ، وفصاحة منطق ، وجميل تواضع ، وهذا ينمّ عما أخذه هذا الامام من ابيه وأجداده ﷺ وما توارثه من معالي الصفات ، لا سيما وهو وريث الدوحة النبوية التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً .



مع أبيه ﷺ

لم يحِظْ مَنْ وَالِدُهُ الْجَوَادِ	الابن الأمين على العدادِ
حيث مضى الجوادُ نحو « مرو »	وركبهُ يطوي الفلا ما يطوي
وتترك الوليد في المدينه	برفقة الوالدة الحزينه
غذته من طهارة الانساب	ومن صفاء الروح واللباب
ويالهها من برة وفيه	لدوحة طاهرة قدسيه
وقد نما الامام في يديها	يشعُ من أنوارِ عليها ^(١)

(١) تُشير المصادر الى عدم تمكن الامام الهادي ﷺ بالتمتع طويلاً في كنف والده الامام الجواد ﷺ بسبب الظروف السياسية التي لم تدع الامام الجواد للبقاء في مدينة جده رسول الله ﷺ وأن المأمون العباسي عندما عزم على تزويج ابنته « أم الفضل » للامام الجواد كان عمر الامام الجواد ٩ سنوات ، وبعد إعتراض بني العباس على هذا الزواج دعاه المأمون الى بغداد لغرض المناظرة ، وإظهار فضله لكن يبدو من التحقيق أن المأمون عقد للامام الجواد ﷺ على ابنته بمرور سنة ٢٠٣ هـ وكان عمر الامام ٨ سنوات ، ومن خلال التقصي يبدو أن المأمون عندما عزم على التوجه من مرو الى بغداد بصحبة الامام الرضا ﷺ أستشهد الرضا في قرية من قرى خراسان ، ودفن هناك وحين عودة المأمون الى بغداد إعترضه بنو العباس على عقد الزواج هذا « للإمام الجواد » ممّا دعا المأمون الى استقدمه لغرض المناظرة ، وكان ذلك سنة ٢٠٤ هـ وعمر الامام الجواد آنذاك ٩ سنوات ، وبعد زواجه هذا طلب الامام من المأمون العودة الى مدينة جده ﷺ وعند عودته تزوج « سمانة المغربية » وكان عمره ١٦ سنة ، وذلك في عام ٢١١ هـ فولد منها الامام الهادي ﷺ عام ٢١٢ هـ.

أشرنا فيما سبق الى جملة من مواصفات والده الامام الهادي ﷺ حيث أفاضت شيئاً من روحها الطاهرة ، وصفاء نفسها على ولدها الهادي ﷺ طالما هي برفقته ، وتشير بعض المصادر أن والدته « سمانة » من سلالة « مارية القبطية » إحدى زوجات الرسول ﷺ وكانت مصرُ آنذاك تُعدُّ من منطقة المغرب ، وقد عرفنا أن « مارية القبطية » مصرية المرجع وأن « سمانة » مغربية الاصل ، ولا غرابة في ذلك.



عودة الامام الجواد ؑ

حتى غدا في سادس الاعوام	مبرزاً في خيرة الاعمام
جاء بشير الخير بالبشاره	ان جواد العلم حل داره
فعمت الافراح كل دار	لا سيما بدار المختار
وفزع الهادي الى اللقاء	بالشوق والدموع والنداء
معتقاً اباءه باشتياق	ومطفئاً لحرقة الفراق
وضمّه الجواد في حنان	وحيث منه تدمع العينان
ويحمد الله على نعمائه	لما رأى وريث اوصيائه ^(١)



(١) تُشير المصادر التاريخية الى أن الامام الجواد ؑ بعد زواجه من « أم الفضل » ابنة المأمون العباسي لم يسمح له المأمون بالخروج من بغداد حتى جاءت سنة ٢١٨ هـ حيث قرّر المأمون أن يغزو الروم في هذه السنة ، حينئذ استأذنه الامام الجواد ؑ بالتوجه مع « أم الفضل » الى المدينة ، حيث ترك هناك ولده الهادي ؑ مع والدته « سمانة » ولما وصلها كان عمر الهادي ؑ حوالي ست سنوات.

وكان للإمام الجواد من أبيه الرضا ؑ جملة من الاخوان هم أعمام الامام الهادي ؑ وكانوا معروفين بالتقوى ، والوقار ، وشرف النسب ، وكانوا مع ابن اخيه الهادي ؑ يجلبونه ويعرفون فضله.

وعلى كل حال فبعودة الامام الجواد ؑ الى المدينة عمّت الافراح هناك برجوعه ثانية ، حيث عانق ولده الهادي ؑ بعد غيبة طويلة ، لكن سرعان ما يستدعيه طاغية العصر الجديد « المعتصم » الى بغداد ، وذلك في أوائل سنة ٢٢٠ هـ وهناك أوصى بالامامة من بعده لولده الهادي ، وما أن حلّ آخر ذي القعدة عام ٢٢٠ هـ استشهد الامام الجواد ؑ مسموماً على يد المعتصم ، وكان الامام الهادي ؑ لا يتجاوز العاشرة من عمره الشريف ليتولى منصب الامامة بعد رحيل والده الجواد ؑ.



دور الامام الهادي ؑ

وبالهدى من كل علم هادفٍ	يغذوه بالفقه وبالمعارفِ
وسيداً فاق على الاقرانِ	حتى غدا أعجوبة الزمانِ
وراقب « الجواد » حيثُ خافه	وإذ رقى المعتصمُ الخلافه
يسومه بالظلم والبلاءِ	مستقداً إياه « للزوراءِ »
في ارض طيبةٍ بلا عمادٍ	فظل وحده الامامُ الهادي
رغم الذي عانى به ما عانى	لكنه مـالان واسـتـكانا
وظلم سلطانٍ لئيمٍ جائرٍ ^(١)	من وحشةٍ وقلّةٍ من ناصرٍ



(١) رغم قصر المدة التي قضاها الامام الجواد ؑ مع ولده الهادي ؑ والتي إمتدت ستينين بعد ولادته ، وستين بعد رجوعه ثانيّةً الى المدينة ، كان الامام الجواد ؑ يحرص خلال هذه المدة على إعداد ولده الهادي للامامة العامة ، فأخذ يرقّيه من العلوم والمعارف ، وما ورثه من آبائه وأجداده من مكارم الاخلاق ، إضافة الى حرصه الشديد على التنويه بالنص عليه من بعده بين أوساط شيعته وجماهير الامة.

ذكرنا فيما سبق خوف الطغاة من وجود الائمة ؑ على طول العصور ، وما يشكله هذا الوجود من تهديد لسلطتهم ، وذكرنا كذلك كيف كان يخشى طاغية بني العباس « المعتصم » من وجود الامام الجواد ؑ في المدينة ، وما يشكله من تهديد لسلطته هناك ممّا دعاه الى استقدامه الى بغداد ، حيث سامه بأنواع الظلم والبلاء من تهوين ومراقبة ، حتى دسّ إليه السمّ كعادة من سبقه من طغاة بني العباس ، وذلك في أواخر ذي القعدة من عام ٢٢٠ هـ ودفن جنب جده موسى الكاظم ؑ في مقابر قريش ، تاركاً ولده الهادي ؑ في المدينة ليعاني هو الآخر من ظلم هؤلاء الطغاة ومن يأتي بعدهم.



إمامة الهادي ؑ

واصبحت « يثرب » في حداد	حتى قضى الجواد في بغداد
وهم يُعزّونَ فتى الجواد	وفزع الناس لبيت الهادي
وقيل تسعة بقول راويه	وقيل أن عمره ثمانيه
متبعاً أباه بأسـتقامه	لكنه قد قام بالامامه
وينشر الاحكام في سداد	يُجيبُ عن اسئلة العباد
واحتشدت في بيته الثقات	قد عجت من علمه الرواه
عن النبي وهو في عليائه ^(١)	تروي الحديث عنه عن ابائه



(١) نقل الشيخ المفيد « رحمه الله » في الارشاد أن الامام الجواد ؑ كثيراً ما يقول : الامر من بعدي لولدي علي.

وفي ذلك ايضاً يقول الشيخ المفيد : والاحبار بشأن إثبات الوصية بإمامته كثيرة جداً ، وإن عملنا على إثباتها طال بها الكتاب ، ولعل في اجتماع المسلمين على إمامته وعدم مَنْ يدعيها سواه في وقته ما يكفي لأثبات إمامته. الارشاد / ٣٢٩.

وهكذا لم توضح المصادر الى أن الامام الجواد ؑ قد خرج مرتين من المدينة الى بغداد ، فقد ورد في « البحار » عن اسماعيل بن مهران أنه قال : لما خرج ابو جعفر « يعني الجواد » من المدينة الى بغداد من المرة الاولى قلت له عند خروجه : جعلت فداك إني أخاف عليك فالى مَنْ الامر بعدك ؟ فتبسّم الامام وقال : ليس حيث ظننت في هذه السنة ، فلما أستدعي من قبل المعتصم ثانية صرت إليه وقلت له : جعلت فداك هذه المرة لمن الامر بعدك ؟ فبكى ؑ حتى أخضلت لحيته ثم قال : عند هذه يُخاف عليّ ، الامر من بعدي لولدي عليّ.

وهكذا يتبين أن الامام الجواد ؑ قد ترك ولده الهادي ؑ وهو لم يتجاوز الثامنة من عمره برفقة والدته الفاضلة « سمانة ».



اصحابه ورواته

رواته من اصدق الرواة
أولائي كانوا ينقلون الخبرا
كانوا يعانون من الطغاة
بصبره يرعاهم الامام
منهم ابوشعيب الخياط
والشاعر الفذ ابو الغوث وقد
واحمد بن حمزة القمي
واحمد بن الكاتب السيارى
وابن عبيد جعفر بن عيسى
والحسن الصيقل والصنعاني
ثم الحسين بن عبيد القمي
ثم ابن اسحاق الفتي حمدان
ثم ابن قاسم الجليل الجعفري
والاشعري سعد بن الاحوص
وبعده عبد العظيم الحسيني
وما رواه ابن ابي عتاب
والنوفلي ناقل الاخبار
وبعده قارون ذو الجهالة

يحدث الماضي به لآتي
بصدقهم ويكتبون الأثر
وقسوة الحكام والعتاة
وباسمه يرتفع الاسلام
وابن رجاء الثقة الخياط
تلاه احمد بن عيسى المعتمد
ثم ابن اسحاق الفتي الرازي
واحمد بن الكاتب الانباري
والثقة المبرقع بن موسى
وجعفر بن نوح الهمداني
ثم ابن جمهور كبير القوم
وخادم أم الوثائق « الخيران »
ثم ابو العباس وهو الحميري
وعروة النخاس غير المخلص
ومن روى حديثه في السنن
يملا في الحديث الف باب
ثم علي بن مهزيار
والاشتر الذي جهلنا حاله



وبعدهُ محمدُ بن الفضل
ثم ابن اسحاق الفتي يعقوبُ
قد أدب « المعتز » و « المؤيد »
ومرّةً بالمتوكل إلّ التقى
فقال من للمجد يُسبّان
فقال نعلا قمير خادهم
فراح في طريقه شهيدا
يروى عن الهادي بأحلى قول
الشاعرُ الكاتبُ والاديبُ
لكنهُ فضل عليّ اعتقدا
يسأله عن هاشم اهل التقى
نجلاي هذان ام السبطان ؟
افضل من ذين ومن والدهم
وبات في جنته سعيّدا (١)

(١) بعد استشهاد الامام الجواد عليه السلام عن عمر قصير حيث كان عمره الشريف ٢٥ سنة مسموماً على يد المعتصم العباسي ، عمّ الأمة الاسلامية آنذاك الحزن والأسى على فقدانه ، وكان عمر الامام الهادي عليه السلام ثمان سنوات حينما قام بأعباء الامامة ، وكان آنذاك في المدينة حيث سار بسيرة والده الجواد من التصدي لشؤونها ما يترتب على الامام من الاضطلاع بمسؤوليتها ، ومنها نشر الاحكام الاسلامية ، والدفاع عن بيضة الدين والمذهب ، ورواية الحديث ، وبناء الجماعة الصالحة وغير ذلك.

وتُشير المصادر الى أن الامام الهادي عليه السلام بدأ ينمّي حركة الوعي السياسي والايماني ، ويستقطب الناس من حوله ، ويمارس دور التربية والتوجيه عن طريق نشر الوعي الاسلامي والمعرفة الصحيحة ، والتعريف بمبادئ الاسلام في الحكم والاجتماع والسياسة ، ومن هذا المنطلق أخذ يربي جيلاً من العلماء والرواة على أسس متينة من العلم ، والتقوى ، والورع ، والثبات على الحق.

وهكذا أصبح الامام الهادي عليه السلام مرجعاً لأهل العلم ، والفقهاء ، والتشريع في عصره ، بحيث أحصى الشيخ الطوسي في كتابه « الرجال » أكثر من ١٨٥ تلميذاً ورواية روى عن الامام الهادي عليه السلام .

سأكتفي بترجمة موجزة لأشهر اثنين ممن ورد ذكرهم ضمن هذه الملحة المباركة.

١ . السيد عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام وهو من أكابر محدّثي والعلماء والزهاد ، صاحب ورع وتقوى ، ومن

➡





أصحاب الاماميين الجواد والمهدي عليه السلام وكان في غاية الانقطاع اليهما ، قد روى عنهما أحاديث كثيرة ، وقد ترجمت له كتب الرجال ونقلت اخباره ، ومنها خبر دخوله على الامام المهدي عليه السلام عارضاً عليه دينه طالباً منه الدعاء بالثبات على المبدأ فقال له المهدي عليه السلام : يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي أرتضاه لعباده ، فأثبتت عليه ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

وكان الامام المهدي عليه السلام قد شهد له بالعلم ، والتقوى ، والورع ، وتزوج عبد العظيم الحسيني من بنت عم أبيه « خديجة » بنت القاسم الزاهد بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط عليه السلام ويعرف بـ « شاه عبد العظيم » ويُقل عنه أنه طُور من قبل سلطات بني العباس ، وخصوصاً من المعتز العباسي ، وأخذ يتنقل من بلد إلى آخر فاراً بدينه ، حتى وصل إلى « الري » جنوب طهران فوفاه الأجل هناك بين سنة ٢٥٢ هـ و ٢٥٥ هـ وله هناك مقام مشهور تزوره الناس للتبرك به.

٢ . ابن السكيت : هو ابو يوسف يعقوب بن اسحاق والسكيت لقب أبيه « اسحاق » لأنه كان كثير السكوت طويل الصمت ، كان اسحاق « والده » من أصحاب الكسائي عالماً بالعربية ، واللغة ، والشعر ، وكان ولده « يعقوب » معه يعلم الصبيان في مدينة السلام ، تتلمذ « يعقوب ابن السكيت » في صغره على يد والده ، وكذلك على أبي عمرو الشيباني ، والفراء ، وابن الاعرابي ، وغيرهم حتى برع في علوم القرآن ، والنحو ، واللغة ، ووصفه رجال الحديث بكونه ثقة.

قال عنه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : ابن السكيت يعقوب صاحب كتاب « اصلاح المنطق » كان من أهل الفضل والدين موثقاً بروايته.

وقد حصل خلاف كثير في تحديد ولادته ووفاته ، ولعل الأرجح بين اقوال المؤرخين : أنه ولد سنة ١٨٦ هـ وعاش ٥٨ سنة وبذلك يكون استشهاده سنة ٢٤٤ هـ.

وُلد في مدينة « دورق » إحدى مدن « خوزستان » ، ثم إنتقل مع أبيه إلى بغداد ، وكان إمامي المذهب ، ويعدّ ابن السكيت من أعظم الذين واجهوا الموت ببطولة نادرة.

واجتمع المؤرخون بقولهم : كان ابن السكيت إمامي المذهب ، يميل إلى تقديم الامام علي على غيره في العلم والفضل والبطولة ، وقد استقدمه المتوكل العباسي لتأديب ولديه « المعتز ، والمؤيد » وفي إحدى المرات كان ابن السكيت مع المتوكل إذ جاءه ولده فقال له المتوكل :





يا يعقوب أيهما أحب إليك انا وولداي هذان ، أم علي ابن أبي طالب وولداه الحسن والحسين ؟

فقال له ابن السكيت حالا : إن شسع نعل قنبر « خادم علي » خير منك ومن ولديك ، فأمر المتوكل الأتراك أن يسلبوا لسانه من قفاه فمات شهيداً.

وهذا لعمري موقف الاحرار الذين ضربوا بموقفهم ضد الطغاة أروع المواقف وأسمهاها ، ويُعبر هذا عن صدق الولاء لأهل البيت عليه السلام وصلابة الموقف ، وقد خلّف من بعده جملة من خيرة المصنّفات في اللغة والنحو ، ومعاني الشعر وشرح لدواوين العرب ، وأشهرها على الإطلاق كتابه « إصلاح المنطق » الذي مدحه الكثير وعنى بشرحه جماعة شرحاً واختصاراً وقد طبعت من كتبه : إصلاح المنطق ، الاضداد في اللغة ، القلب والابدال ، الالفاظ.

ومن الطريف مما ينقل عنه أنه سقط فيما حذر فيه غيره من زلات اللسان حينما أنشد بيتين من الشعر :

يُصاب الفتي من عثرة بلسانه وليس يُصاب المرء من عثرة الرجل

فعرّثه في القول تذهب رأسه وعرّثه في الرجل تبرأ على مهل

جزاه الله عن الدين والمذهب والائمة خيراً كثيراً لصلاية موقفه ضد الطغاة وحشره الله مع الشهداء وحسن أولئك رفيقا.



الوضع السياسي والاجتماعي

واضطربت في عهد الافاق
وقطعوا الطريق والسيبلا
وقُتل « الحجاج » عند الموسم
ووثبت « سُليم » بالمدينه
ونهب السراق بيت المال
وخرجت بالجبل الفساق
واكثروا الارعاب والتقتيلا
ولم تفداهم نخوة المعتصم
واصبحت أسواقها حزينة
واقترفوا مساوئ الافعال^(١)



(١) كنا قد أشرنا فيما سبق ضمن سرد حياة إمامنا الجواد عليه السلام وفي حلقات هذه الملحمة المباركة شيئاً من صفات المعتصم العباسي ، وما يتلوه فيما بعد ، وإرتكابه الموبقات وما رافق عصره من حوادث نتيجة إنشغاله باللهو وشدة تعسفه ، وقد أشارت جملة من كتب التاريخ الى أبرز هذه الحوادث ومنها :

— خروج جماعة من الفساق يلبسون ملابس حمراء في منطقة الجبل ، حيث قتلوا الناس ، وقطعوا الطريق ، وتعرضوا لحجاج خراسان ، وقتلوا منهم جماعة ، وقد أرسل إليهم المعتصم قائده « هاشم بن بائيجور » لكنه لم يفلح في القضاء عليهم ، ثم أرسل إليهم بعد ذلك « إسحاق بن ابراهيم » فقاتلهم حتى أبادهم.

— خروج جماعة تُعرف بـ « الرُط » بين البصرة وواسط حيث قطعوا الطريق ونهبوا الناس فتوجه إليهم القائد « أحمد بن سعيد الباهلي » حيث هزمهم وحملهم الى بغداد ، ثم أسكنهم خانقين تخلصاً من شرهم.

— فساد جماعة من قبيلة « بني سليم » في المدينة المنورة ، حيث عاثوا هنالك فساداً حتى استنفحل امرهم ووصل الى الحجاز ، حيث عاثوا في الاسواق فساداً وقتلوا القبائل ثم قطعوا طريق الناس ، وقد حصل هذا ايام حكم الواثق العباسي سنة ٢٣٠ هـ.

— هجوم جماعة من السراق على بيت المال الموجود في قصر الخلافة ، وسرقوا مبلغاً كبيراً من المال وقد حصل هذا ايام الواثق سنة ٢٣١ هـ.



فتنة خلق القرآن

واحتدمت في تلكم الزمان
وعصفت بالعلماء المحنّه
وبعضهم قد ادعى النبوه
لأنه لم يخش أيّ قوه^(١)
فتنة خلق الله للقرآن
ونسيت في المسلمين السُنّه

(١) من أشدّ الفتن التي عصفت بالامة الاسلامية هي فتنة خلق القرآن ، حيث ظهرت في منتصف العصر العباسي الاول اشاعة ، ومفادها أن القرآن بما أنه كلام الله ، فهل هو يقدم الله تعالى ام انه مخلوق وليس قسّم !؟.

ذكر الدميري : وفي أيام المأمون العباسي ظهر القول بخلق القرآن ، بل قيل أن هذا القول ظهر في أيام هارون العباسي ، وكان الناس فيه بين أخذ وترك ، حتى زمن المأمون ، فحمل الناس والعلماء على القول به ، وكل من لم يقل بذلك عاقبه أشد عقوبة. حياة الحيوان ١ / ٩٨ .
وينقل احد المؤرخين : للمأمون محاسن لولا ما أتاه من محنة الناس في القول بخلق القرآن.

ويبدو من خلال إستقراء الاحداث أن ظهور مثل هذه الافكار الهدامة ، وشيوعها في الاوساط الاسلامية إنما هي بدع إبتدعها النظام الفاسد لأغراض سياسية ، كتصفية العلماء المعارضين للنظام ، وإشاعة أفكار فاسدة لضعف الوعي الديني ، وإلهاء الناس عن التصدي لنفساد الحكم ، وإنشغال الحكّام آنذاك في شهواتهم ، كما يبدو من خلال السرد التاريخي أن أول من قال بها وأظهرها هو الخليفة هارون الرشيد العباسي ، ثم أظهرها بقوة وعمل بها ، وحمل الناس والعلماء عليها هو المأمون ، وهكذا حتى أشتدت أيام المعتصم والواثق ، ثم استمرت بين أخذ وترك الى فترة طويلة ، وفيها حمل الناس ، والعلماء قسراً على الاعتقاد ، والقول بأن القرآن شيء مخلوق ، وليس هو ذات الله لأن كلامه سبحانه من صفاته ، وصفاته عين ذاته.

وقد حُمل كبار العلماء على القول بذلك من أيام الرشيد ، وفيما بعد حتى قُتل الكثير منهم ، أو عُذّب ، أو سُجن ، أو نفى ، ولعل أبرزهم إمام المذهب الحنبلي « أحمد بن حنبل »

➡





الذي عُذّب طويلاً لعدم قوله بذلك في أيام المعتصم العباسي ، وكذلك قُتل « أحمد بن نصر الخزاعي » أيام الواثق العباسي لعدم قوله بذلك ، إضافة الى حبس العالم « أبي يعقوب بن يوسف البويطي » من أصحاب الامام الشافعي ، حتى مات في حبسه أيام الواثق ، ويبدو أن هذه الفتنة الكبرى قد أستفحلت أيام إمامة الهادي ؑ ولقد كان للإمام الهادي دور كبير في التصدي لها ، وكشف زيفها بين شيعته وأصحابه ، وربطهم بالقرآن والعقيدة ، وأن هذه لعبة سياسية إبتدعتها السلطة ، حيث نقل الشيخ الصدوق أن الامام ؑ كتب الى أحد أصحابه بشأن هذه الفتنة :

بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا الله وإياك من الفتنة ، نحن نرى أن الجدل في القرآن بدعة إشتبك فيها السائل والمجيب وليس الخالق إلا الله وما سواه مخلوق والقرآن الكريم كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين. منتهى ١ / ٤٨٩.

وهكذا تصدّى الامام الهادي ؑ لهذه الفتنة ليتعاهد بذلك شيعته وأصحابه من التأثر بها وتحصينهم عنها وعن غيرها من البدع والدعوات الضالة.

كما لا بد من الاشارة هنا أن هناك الكثير من البدع والضلالات التي حفلت بها تلك العصور ، لا سيما عصر المعتصم والمتوكل ، ومنها إدعاء النبوة وجواز رؤية الله بل وإدعاءه.

فقد ذكر الطبري في تاريخه أنه في سنة ٢٣٥ هـ ظهر بسامراء رجل يدعي أنه « ذو القرنين » وأنه نبي يوحى إليه ، وقد تبعه على ذلك خلق كثير في بغداد.



الغلاة

وظهر الغلاة في البلاد
منهم علي وهو ابن الحسكة
وفارس بن حاتم القزويني
خلال ذلك الامام ينشر
يُطل ما يسمع من مزاعم
يوصل الشيعة بالاموال
ولا يرى الجدل في القرآن
وذاك منه موقف مسدد
وانتسبوا بزعمهم « للهادي »
والحسن بن الباب خاض المعركة
وهو لعمرى خطر في الدين
علومه في خلق ويعمر
ومن غلو بالامام القائم
ويمنع الفقير عن سؤال
الاموال بدعة الشيطان
كأنه يفرغه « محمد »^(١)

(١) إن فكرة « الغلو » فكرة قديمة ظهرت ربما في العصر الاول للإسلام ، ولعل عصر الامام علي عليه السلام كان من ابرز العصور التي ظهرت وترعرعت فيها هذه الفكرة المنحرفة مما دعا الامام علي عليه السلام للتصدي لها والقضاء عليها ، بل وحرق جماعة ممن يقول بها ويعتقدها ومرار الزمن بدأت هذه الفكرة بين آونة واخرى للظهور أو السبات حسب ضعف الوعي الديني وإنشغال السلطة عنها ، بل ربما دعمها في إحايين كثيرة لتشويه المذهب الحق وإحراج الائمة عليه السلام وإشغال الناس بها.

وتتلخص حيثيات هذه الفكرة بالغلاة في الامام ورفعته الى مستوى الإله ، وإسناد صفات الله وإفعاله إليه ، بل وأحياناً إشاعة المحرمات ، واستحلال المنكرات ، وقد اتخذ الائمة عليه السلام جميعهم وشيعتهم موقفاً صلباً وصريحاً تجاه هذه الفكرة ، ودعائها والتنديد بها والتبرؤ منها

➞





بل الاعلان أنها كفر ، وخروج عن الدين ، وأعلنوا عن قطع أي صلة لهم وشيعتهم بها وبالمنحرفين من دعايتها ومحاربتهم ، وبهذا الصدد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : بُني الكفر على أربع دعائم : الفسق ، والغلو ، والشك ، والشبهة.

ونقل الكشي في رجاله أن الامام الصادق عليه السلام قال لأصحابه : قولوا للغلاة توبوا الى الله فأنكم فساق كفار مشركون.

وتشير المصادر الى أن هذه الفكرة ودعايتها قد أستفحلت أيام إمامة الهادي عليه السلام وقد تمكّن الامام من التصدي لها مرة بالاستخفاف بها ، وأخرى في توهينها ، وثالثة بالتبرؤ منها وضرب من يدعونها وقتلهم ، وفي هذا المجال ينقل الكشي في رجاله عن أحمد بن محمد بن عيسى قال : كتبْتُ الى الامام الهادي في قوم يقولون بالغلو فيه وفي آباءه فماذا تقول فيهم ؟ فأجابه الامام : ليس هذا من ديننا فأعزّلهم.

وفي روايات أخرى أمر بلعنهم ، وفي أخرى بقتل رجل من دعاة هذه الفكرة كان خطراً يُقال له « فارس بن حاتم القزويني » كما وسعى الامام من خلال ابطال هذه الفكرة عن طريق التأكيد على وحدانية الله سبحانه ، وأنه هو وحده الخالق المطاع المعبود ، إضافة الى كون الائمة عليه السلام عباد مخلوقين مرزوقين.

وتشير المصادر التاريخية الى ظهور عدة شخصيات وأسماء قالت ، وآمنت ، ودعت الى الغلو في أيام الامام الهادي عليه السلام ومنهم :

علي بن حسكة [لعنه الامام وتبرأ منه] ، القاسم بن يقطين [لعنه الامام وتبرأ منه] ، الحسن بن الباب ، محمد بن نصير النميري ، فارس بن حاتم القزويني [أمر الامام عليه السلام بقتله فقتل] ، هاشم بن أبي هاشم ، ابن أبي الزرقاء ، وغيرهم ..

لكن للأسف لا يزال الكثير من بعض المذاهب الاسلامية ، ومعهم جماعة من المستشرقين ممن يرمون مذهب أهل البيت عليه السلام بهذه البدعة وغيرها ، ويلصقونها ظلماً وبهتاناً به رغم براءة المذهب منها.

وكان الامام الهادي عليه السلام قد تصدّى لهذه البدعة ، وغيرها أمثال الجدل في القرآن ، وجواز رؤية الله وغيرها ، وسعى الى دحضها وإبطالها بكل قوة وحزم ، وأعتبرها من بدع الشيطان وتسويلاته لهذه الجماعات الضالة.



حقد المتوكل

وفي زمان « جعفر بن المعتصم »
صَبَّ عَلَى آلِ النَّبِيِّ أَحْمَدٍ
قَدْ قَطَعَ الْأَرْزَاقَ وَالْأَمْوَالَ
أَجْرَى عَلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ الْمَاءَ
وَضَمَّعَ الْمَعَالِمَ الْقُدْسِيَّةَ
وَمَنَعَ الشَّيْعَةَ مِنْ زِيَارَتِهِ
وَوَصَلَ الْحَقْدُ لِقَطْعِ الْإِيْدِي
وَيَا لَهَا مِنْ وَثْبَةٍ شَجَاعَةٍ
أَعْطَوْا بِهَا الرِّقَابَ وَالْدِّمَاءَ
كَانَ عَلَى آلِ عَلِيٍّ مَنْتَقِمٌ
مَصَائِباً فِي الْحَقْدِ لَمْ تَعْدِدِ
وَأَرْعَبَ الرِّجَالَ وَالْأَطْفَالَ
مِنْ حَقْدِهِ وَأَطْفَأَ الضِّيَاءَ
فِي قَبْرِ نَجْلِ الْبُضْعَةِ الزَّكِيَّةِ
فَكَانَتْ الْأَثَامُ مِنْ تِجَارَتِهِ
مِنْ شَيْعَةٍ تُعْرِفُ بِالتَّحْدِي
مَفْخَرَةٍ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ
وَارْخَصُوا الْأَنْفُسَ وَالْأَبْنَاءَ^(١)

(١) يبدو من خلال السرد التاريخي الموثق أن الامام الهادي عايش بقية حكم المعتصم وخمس سنوات وتسعة أشهر من عصر الوثائق ، و ١٤ سنة وعشرة أشهر من ملك المتوكل ، وستة أشهر من حكم ولده المنتصر ، وأربعة سنوات من حكم المستعين ، وأربعة سنوات وأربعة أشهر من حكم المعتز ، وفي أواخر حكمه توفي الامام مسموماً.

ويذكر التاريخ الى أن جعفر بن محمد بن هارون ، الملقب بـ « المتوكل » قد بويع له بالخلافة في ذي الحجة سنة ٢٣٢ هـ ويذكر المؤرخون جملة من أفعال وحوادث فعلها المتوكل ، أو حصلت في أيامه ، والتي هي جملة من موبقاته ومساوئ حكمه ومنها :





١ . إستقدام العلماء وأهل الحديث من الامصار الى بغداد وأباح لهم التحدّث الى الناس في صفات الله ، وجواز اسنادهم الى العباد ، وجواز رؤية الله.

٢ . كان منهمكاً في اللذات والشراب وكان في قصره اربعة آلاف امرأة وطأها جميعاً ، وهو أقرب الى الخيال.

٣ . قتل أو سبّب الاذى ، والتعذيب ، والاهانة لجملة من كبار علماء وشخصيات عصره ، كما فعل مع الامام الهادي عليه السلام وقتله لابن السكيت ، وحلقه لحية قاضي القضاة بمصر ابو بكر محمد بن ابي الليث ، وإهانته وترويعه لذي النون المصري أحد رجال الطريقة العارفين الزهاد وغيرهم.

٤ . اشتهاؤه بالنصب وبغض الامام علي عليه السلام وكثرة الوقعة به والانتقاص من قدره بين الناس ، بل والاستخفاف به وبذريته ، حتى عرف بالغلو والتمادي في ذلك.

٥ . ولعل من أشد منكراته وموبقاته ما قام به من إنتهاك قبر الامام الحسين عليه السلام وهدمه ، وإجراء الماء عليه ، ومنع الناس قصده ، وزيارته ، ومعاقبتهم بقطع الايدي والارجل ، حيث نشر الجواسيس والعيون لأجل ذلك ، وبهذا الصدد نقل الشيخ القمّي في « تتمه تاريخ الخلفاء » أن المتوكل نبش وهدم قبر الحسين عليه السلام أكثر من ١٧ مرة بين تدمير وتهدم وإجراء الماء عليه.

ونقل السيوطي : وفي سنة ٢٣٦ هـ أمر المتوكل بدم قبر الحسين وهدم ما حوله من الدور ، ان تُعمل مزاراً ، ثم منع الناس من زيارته ، وكان معروفاً بالتعصب ضد آل ابي طالب. تاريخ الخلفاء / ٣٤٧.

ورغم هذه الاجراءات التعسفية فلقد أبدى شيعة آل علي ومواليهم صموداً عجيباً ، وأرخصوا الانفس والاموال لغرض زيارة الحسين عليه السلام لا لشيء الا لأن الزيارة تعني عندهم الحب ، والولاء ، والعهد ، والتضحية ، والوفاء للحسين وأهل بيته ، وللمبادئ الحقّة التي استشهدوا بها من أجلها.

٦ . محاربه لرجال الشيعة وقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وعلى كل شبهة كما فعل اسلافه من قبل ، ونرى هذا واضحاً مع الامام الهادي عليه السلام والعالم ابن السكيت وغيرهم ، حتى خافت الشيعة من بطشه ، حيث قطع أرزاقهم ، وهدم دورهم ، وأشاع بينهم الخوف والرعب ، وبهذا الصدد ينقل الشيخ القمّي : ان المتوكل كان رجلاً





خبثاً ، سيء السيرة ، يكنّ لآل أبي طالب وشيعتهم أشدّ العدا ، ويأخذهم على الظن والشبهة ، وينزل بهم الاذى والعذاب ، وكذلك كان وزيره التركي الفتح بن خاقان وقد نزل بالعلويين ، وآل أبي طالب في عهده من الاذى ما لم ينزل بهم في أي عهد من عهود بني العباس .

٧ . مرقباته على الامام الهادي ؑ ، حيث استقدمه الى سامراء وسامه أشد العذاب ، وحطّ من مقامه ، وضيقّ عليه في حلّة وترحاله .

٨ . تقريبه للأتراك وتسليطهم على الناس ، واستهتارهم بمقدورات الامّة ، إضافة الى اضعافه لنفوذ العرب والمسلمين بهذا العمل .

٩ . ولعه الشديد بالترف ، والبذخ ، والمجون ، وصرف أموال الدولة في بناء القصور الفخمة وأماكن اللهو على حساب آلام الناس وفقريهم .

١٠ . شيوع وانتشار الافكار الهدامة ، والفرق الضالّة ، والعقائد الفاسدة ، كفكرة الجبر الغلو ، والقول بخلق القرآن ، وشيوع أفكار بعيدة عن مرتكزات الفكر والمجتمع الاسلامي ، كالقول بجواز رؤية الله وإسناد الجوارح إليه .

١١ . إنتشار ظاهرة الفساد الخلقي ، والتحليل ، والتفسيخ ، وشيوع المجنون من لبس الذهب للرجال ، وانتشار الكذابين من القصاصيين ، إضافة الى ظهور من يدّعي النبوة ، والألوهية ، وإستفحال المومرات ، والمكائيد ، والتصفيات السياسية في البلاط والتنافس على الحكم مما أضعف الدولة ، وأذهب هيبتها .

ولكنه هذه الموبقات وشيوع معاصيه ، ولشدة تضيقه على الناس عامةً والشيعه خاصةً ، ولسوء عاقبته ، ولأنشغاله باللهو هجم عليه ابنه المنتصر مع جماعة من الاتراك وهو في ساعة هو ، وقتلوه مع وزيره الفتح بن خاقان شر قتله .



الهادي ؑ في سامراء

وعندها استدعى الطغاة الهادي
ووضع الامام في سامرا
مراقباً من اعين خفيه
مفتشاً في بيته المطهر
وظل في محنته يعاني
من قسوة الطغاة والطغيان^(١)
من يشرب الى ذرى بغداد
وسيم من اقصى العذاب المرّاً
ومن رجال شرطة غيبه
عما اختفى من مصحف أو اثر
من قسوة الطغاة والطغيان^(١)

(١) بعد إغتيال الامام الجواد ؑ سَمّاً بأمر المعتصم العباسي بقي الامام الهادي ؑ في المدينة المنورة ، وقد حاول المعتصم آنذاك بمراقبته عن طريق واليه هناك ، حتى هلك المعتصم وطيلة حكم الواثق بعده ، كان الامام الهادي ؑ ينشر مبادئه هناك ويربّي شيعته وأصحابه حتى ولي المتوكل ، حينئذ بدات رسائل ولاته ، ومرتزقه ، تتوالى بخطورة وجود الامام الهادي ؑ بالمدينة والتفاف الناس حوله ، ممّا دعاه الى استقدامه الى بغداد ، ثم الى سامراء لغرض وضعه تحت الرقابة الشديدة ، وقد فعل ذلك عن طريق رسالة خادعة يستميل فيها الامام بالقدوم الى سامراء ليوفيه حقه من التقدير والاجلال ، وقد أوكل هذه المهمة الى قائده يحيى بن هرثة ، مستخدماً الرفق واللين خوفاً من غضب الناس ، ورفض أهل المدينة لعظم شأن الامام هناك ، وقد عمد هذا القائد أولاً الى تفتيش بيت الامام مباغتةً ، وكبس داره ، لكن مساعيه خابت بالفشل بعد أن وجد في داره بالمدينة كتباً في الادعية والقرآن الكريم ، وعند وصول الامام الى سامراء أستخفّ المتوكل بمقامه بأن جعل مبيتة في خان الصعاليك ومن ثم وضعه تحت الإقامة الجبرية ، وممارسة العذاب والتضييق عليه ، من إستدعاء يومي له ، أو كثرة تفتيش بيته وإرهاب أهله.

➔





وقد ذكر ابن كثير : أن المتوكل أرسل جماعة من الأتراك ليلاً إلى دار الإمام ﷺ لتفتيشها بحجة وجود سلاح وأموال تصله ، فخاب سعيه ، حيث وجدوا الإمام يُصلي وعليه مدرعة صوف ، وهو يترنم بالقرآن الكريم فحُمِل إلى المتوكل ، وهو بهذه الهيئة ممّا جعل المتوكل يعتذر منه ويندم. البداية والنهاية ١١ / ٥ .

ويبدو ممّا تقدم أن أسباب إشخاص الإمام إلى سامراء عدة أمور أهمها :

- ١ . كثرة الوشايات بالإمام من قبل جلاوزة المتوكل وجواسيسه ، ومنهم صاحب الصلاة « بريجة العباسي » ومَنْ هو على شاكلته ، حيث شاهدوا كثرة إتفاف الناس حوله ، ممّا يسبّب خطراً على السلطة ومصالحهم معها.
- ٢ . عزل الإمام عن شيعته وأصحابه ووضع في سامراء تحت رقابة السلطة ، ولعلّ جماعة من المؤرخين أشاروا إلى ذلك.

حيث كتب « يزدان » طبيب القصر العباسي آنذاك إلى الكاتب « إسماعيل القهقلي » ما يلي : « بلغني أن الخليفة « المتوكل » إستقدم الهادي من الحجاز إلى سامراء فرقاً منه لئلا ينصرف إليه وجوه الناس فيخرج هذا الأمر من بني العباس ». بحار الأنوار ٥٠ / ١٦١ .



هلاك المتوكل

حتى مضى الطاغية الجبان
وَقَتْلُوا « الفتح بن خاقان » معه
بقتل دبرها الغلمان
والمستعين بعده قد قاما
وهو لعمري تابع وأمعه
وبعده المعتز قد تعامى^(١)

(١) ولما إستمرت محنة الامام الهادي عليه السلام مع المتوكل وصراعه المبرر مع التضيق والمراقبة والاستخفاف به مما حقّز الامام عليه السلام للدعاء عليه والتضرع الى الله سبحانه بإهلاكه وسرعان ما أستجاب الله سبحانه لدعاء وليه الهادي عليه السلام فقصم ظهره وأراح البلاد من ظلمه فلم يلبث سوى ثلاثة أيام حتى هجم عليه ابنه المنتصر مع جماعة من الأتراك يتقدمهم غلام تركي مملوك اسمه « باغر » وكان المتوكل سكراناً مشغولاً بلهوه مع وزيره « الفتح بن خاقان » فقتلوهما شر قتلة تقطيعاً بالسيف ، بحيث أختلط لحمهما وبذلك أنطوت صفحة هذا الطاغية المجرم الى الابد. تاريخ السيوطي / ٣٥٠.

وبعد هلاك المتوكل العباسي ووزيره « الفتح بن خاقان » على يد ابنه المنتصر ، وجماعة من الأتراك تولى الحكم المنتصر ، وإسمه « محمد » وكنيته « ابو جعفر » وهو من أم رومية ، وقد نقلت كتب التاريخ انه كان مهاباً ، وافر العقل ، راغباً في الخير ، قليل الظلم مُحسناً الى العلويين ، حيث أوصل لهم الخيرات ، وأزال عنهم الظلم ، ورفع عنهم الخوف ، وأباح لهم زيارة الحسين عليه السلام ورد عليهم حقهم في فدك ، وتُشير المصادر التاريخية أنه تولى الحكم في شوال عام ٢٤٧ هـ بعد أن خلع أخويه المؤيد ، والمعتز من ولاية العهد التي عقدها لهما أبوهما المتوكل ، وحينما تولى الحكم أظهر العدل والانصاف في الرعية ، وكان كريماً ، وحال توليه الحكم تغيّر على الأتراك بسبب كثرة شغبهم عليه ، وعلى الخلفاء من قبله وأخيراً تآمروا عليه وقتلوه بأن دسّوا له السم ، فمات عن عمر ٢٦ سنة ، ولم يتمتع بالخلافة إلا أقل من ستة أشهر ، ثم ولي الخلافة أخو المتوكل احمد بن المعتصم ، الملقب بـ « المستعين بالله » لأن الأتراك خافوا من تولية أحد من أولاد المتوكل ، وكان عمر المستعين حين ولايته

⇐





٢٨ سنة ، فأستمرّ في حكمه حتى عام ٢٥١ هـ حيث قام بقتل جماعة من الاتراك مثل « وصيفا » و « بغا » ونفى قاتل أخيه المتوكل « باغر » ممّا حقّز الاتراك على عداوته ، فشعر بذلك فترك سامراء ذاهباً الى بغداد ، ورفض الرجوع الى هناك حينئذ عمد الاتراك الى خلعه واخرجوا المعتز بالله العباسي من سجنه وباعوه خليفةً ، وحالاً جهّز المعتز بالله جيشاً لمحاربة المستعين في بغداد ودام القتال عدة شهور ، حيث حلّ البلاء في بغداد من قتل وقحط وغلاء.

وأخيراً تمّ الصلح بأن خلع المستعين نفسه من الخلافة ، ثم إنحدر الى واسط ، وحُبس هناك لمدة تسعة أشهر ، ثم جلب قسراً الى سامراء ، حتى انبرى له رجل اسمه سعيد الحاجب فقتله بأمر المعتز ذبحاً وله من العمر ٣١ سنة.

وقد عُرف المستعين بالبلاغة ، والادب ، وغرامه بالنساء ، وكثرة النكاح ، والاسراف في المال ، وفي ايامه كثرت ثورات وانتفاضات العلويين عليه في كل مكان ، بحيث قتل منهم جماعة كثيرة ، كما كثر في عصره الشغب والتمرد.

وبعد تولّي المعتز العباسي ، وقد بويع له فور خلع المستعين سنة ٢٥٢ هـ وله من العمر ١٩ سنة ، وقد عُرف بلبس الذهب حال خروجه مع جيشه ، وفوراً خلع أخاه المؤيد ثم ضربه حتى مات ، وعُرف عنه بسوء السيرة مع العلويين ومع الامام الهادي خاصةً ، كما كان ابوه المتوكل ، وتشير المصادر أنه قد عمد في أوائل حكمه الى قتل كبار رؤسا الاتراك وقطع رواتب آخرين منهم ، ممّا دعاهم الى خلعه ومبايعة محمد بن الواثق بن المعتصم الذي أبعده المعتز الى بغداد ، ثم قاموا بعد ذلك بقتل المعتز بالله عطشاً فمات سنة ٢٥٥ هـ بعد حكم دام ثلاثة سنوات وسبعة أشهر.

وفي عهده قتل جماعة من ثوار العلويين الذين ثاروا عليه ، وفي آخر حكمه وبتاريخ ٢٦ جمادي الثاني عام ٢٥٤ هـ عمد المعتز بالله الى قتل الامام الهادي عليه السلام سماً ودفن في داره في سامراء.



سيطرة الاتراك

وكانت الاتراك قد تمادت
فاضطربت بغداد والاقطار
ولم يعد فيها لشخص مأمّن
وقد بغت في اهلها الاتراك
ففي بيوت الخلفاء نصارى
خلافه مشغولة بلهوها
« الكرخ » قد عاثت به السراق
وعسكر كان بسامرا
قصر به عاث « وصيف » و « بغا »
و « واجن » و « باغر » و « يرد »
بغداد أضحت مسرحاً للعب
ظل يعاني حسرة خفيه

في سلطنة على البلاد سادت
واحتكر الباعة والتجار
ليس بها الا ضعيف مؤهّن
والكل منهم طائش سفك
تدير أمر الامّة اختاراً
وثلاثة مغرورة بزوها
وفي الرصافة الدما تراق
يعبث في سطوته ما شاء
فيه خليفة كمثل البيغا
وخلفهم « سعلفة » يعرّد
لكنها سجن على نجل النبي
واجهها بروحه القدس^(١)

(١) لما ولي المعتصم الخلافة جلب الاتراك أولاً الى بغداد ، ثم نقلهم الى سامراء وسلطهم على الناس وساروا على هذا الامر فيما بعد ، وتشنير المصادر الى قوة نفوذهم وتسلطهم على أمور الخلافة ، بحيث ذهبت هيبة العرب والمسلمين ، وتشوهت سمعة الخلافة الاسلامية ، بحيث أخذوا يتدخلون في شؤون الدولة ويديرونها داخلياً وخارجياً ، وعمدوا بين فترة واخرى الى قتل هذا الخليفة ، وتعيين غيره ، او خلع ذلك ، وجلب غيره.

وتشنير المصادر أن بسبب تسلطهم وطول نفوذهم عمّت الفوضى واضطربت الخلافة ، حيث كثر القتل ، واحتكرت الاموال ، وانتشر القحط والغلاء ، بينما كان الخلفاء ومن سار في ركبهم مشغولين باللهو والترف وبناء القصور ، وتركوا هؤلاء الاتراك يعيشون بأمر الرعية من سرقة أموالهم وقتلهم ، وقد شاع آنذاك في الكرخ والرصافة من بغداد لكثرة





السرقه وشيوع أراقة الدماء.

ولعلّ المصادر القديمة قد كفتنا مؤونة البحث بحيث ذكرت تسلّط جماعة من الاتراك على المتوكل في ايام حكمه ، ومن ثم قتلوه ومنهم « بغا الصغير » و « وصيف » و « باغر » و « كنداش » بينما الغالب على المعتصم في ايام حكمه « الافشين » و « سيما الدمشقي » وهكذا المستعين العباسي حيث يبرز إسم « أوتامش » وإستمرت هذه الحالة مدة حكمهم وبعدهم بقليل ، إما بخصوص موقف الامام الهادي عليه السلام اتجاه الاتراك فيتضح من خلال السرد التاريخي للعصور التي تسلّط فيها الاتراك ايام إمامته عليه السلام أن هؤلاء الاتراك لم يكونوا من مواليه ولا من شيعته ، والاتراك هؤلاء إقاموا من القادة والامراء وأصحاب النفوذ ممّن قهروا الناس وأستباحوا أموالهم ، فقد كان الامام الهادي عليه السلام يرفض تصرفاتهم ويستخدم الاسلوب الحكيم الواعي في تحاشي شرهم وأحياناً تقريبتهم للتأثير بهم.

وكان بغا الكبير التركي من المتسلطين في حكم المتوكل ، كان كثير التعطف والاحسان على العلويين بفضل سياسة الامام الهادي عليه السلام معه ، إما بقية القوم والبسطاء من الاتراك فقد كان موقف الامام منهم هو إسباغ العطف والترحّم عليهم ، بل وهدايتهم كما حصل لأحد الاتراك الذي قُتل حافر دابة الامام عليه السلام لما عرف فضله. المناقب ٣ / ٥١٢.

في فترات انغماس السلطات العباسية طيلة العصور في حياة اللهو والجمون ، وابعادة العبث لأتباعها والمغفلين من عوام الناس للعيش بحرية ودون قيود. كان الائمة عليه السلام وأتباعهم وشيعتهم يعانون أصناف البلاء والعذاب ، والتشريد والقتل ، والسجون.

وتُشير المصادر الى أن حياة الامام الهادي عليه السلام قد حفلت بالمعاناة كونه قد عايش خمسة من حكام بني العباس ، وقاسى منهم العنت والضيق والاضطهاد ، وراى مخنة العلويين وشيعة أهل البيت عليه السلام على أيديهم ، حيث عملت تلك السلطات المتعاقبة على سجن الامام عليه السلام أو فرض الإقامة الجبرية عليه ، ومطاردته ، وسجن كبار رجالات الشيعة ، بل وتجهيرهم ممّا أضطر الامام عليه السلام الى أن يجعل لنفسه وكلاء للاتصال به ، أو عبر المراسلة أو اللقاءات السريّة ، وفي هذا المجال عملت هذه السلطات على وضع الامام عليه السلام تحت الرقابة المستمرة ، ومن ثم عزله عن قاعدته الشعبية الشيعية من خلال مطارقتهم والتنكيل بهم.

ولو أردنا إلتقاط جملة نقاط مختصرة ممّا ورد في المصادر التاريخية لما مرّ به الامام الهادي عليه السلام وشيعته خلال فترة إمامته لرأينا ما يلي :





— من يدرس حياة الامام الهادي عليه السلام منذ وفاة ابيه الجواد عليه السلام وتحملته مهام الامامة ، الى وفاته يجدها حياة مليئة بالتحديات والصبر والثبات ، لأنه أبتلي بحكام نواصب حاقدين على آل ابي طالب وشيعتهم ، حيث إبتدأ هذه الحياة في أواخر حكم المعتصم العباسي الذي أستخدم كل وسائل العنف ضده ، وضد أبيه الجواد عليه السلام ومن شايعهم ، ومنها إقدامه على قتل الامام الجواد عليه السلام سماً ومن ثم هلك هذا الطاغية ليتولى من بعده الواثق الذي سار على نهج ابيه في تلك السياسة الظالمة رغم قلة شدتها وخفة وطأتها.

— وبحلول سنة ٢٣٢ هـ وصعود المتوكل على سدة الحكم حتى لقي الامام عليه السلام وشيعته منه العنت والظلم والاضطهاد ، حيث سيره مكرهاً الى سامراء ، ووضعه تحت رقابة السلطة ، وحاول مراراً إهانته ، بل وقتله في إحدى المرات ، وفي حالات أخرى النيل من شخصه بالاهانة ، واخرى بالسجن ، لكن الله سبحانه دفع عن وليه هذه المؤامرات. وبهذا الصدد قال الراوي : وكان المتوكل يجهد في الايقاع به ويعمل على الوضع من قدره في عيون الناس ، فلا يتمكن من ذلك وهكذا إستمرت محنة الامام مع المتوكل حتى أهلكه الله مقتولاً عام ٢٤٧ هـ. إعلام الوري ٢ / ١٢٦.

— وفي عصر المنتصر بن المتوكل عاش الامام بين ترقب وخوف أقل وطأة من السابق ، لأن المنتصر كان ليناً معه ومع شيعته ، وبعد خلع المنتصر وقتله عام ٢٤٨ هـ جاء المستعين العباسي ليعيد الامور الى سابقها من الضيق والاضطهاد ، حتى آلت الامور الى المعتز العباسي بعد مقتل المستعين عام ٢٥٢ هـ حيث دخل الامام في مرحلة جديدة من المراقبة والاضطهاد ، تنتهي حياته الكريمة بعد هذه المعاناة مسموماً على يد المعتز العباسي الذي كان كأسلافه في القسوة والبطش ، بينما الاعاجم والأتراك ، والمغفلين من أوباش الناس يمرحون ويسرحون في مجوحة اللذات والشهوات ، كانت الدنيا تضيق بالامام الهادي عليه السلام وشيعته طيلة حكم بني العباس.

ولا بد هنا من الاشارة الى ان الامام الهادي عليه السلام رغم المضايقة والرقابة والسجن ، فقد كان يؤدي دوره الرسالي في رعاية الشيعة ، وتربيته ، والاشراف على أمورها ، إقناعاً عن طريق وكلائه ، أو بالمراسلة وأحياناً عند خروجه عندما يطلبه الخليفة ، وأحياناً يرد على المسائل الشرعية ، ويعقد المجالس العلمية ، ويحارب البدع والمقولات الباطلة ، وأحياناً إرشاد الضال ومساعدة المحتاجين ولا سيما من شيعته الفقراء.



الخطبة المشؤومة

لهيبة الامام عند الناس	وزاد حقاً الحاكم العباسي
وخطبة مشؤومة سوداء	فقد نوى جريمة نكراء
لكي تضع امه الاسلام	بأن يفسد السم للإمام
وطافت الاملاك في جنازته	ففجع الشيعة في شهادته
وصار للامة دوماً مقصداً ^(١)	فبيته صار اليه مرقداً

(١) حاول المتوكل العباسي مرةً قتل الامام الهادي عليه السلام ولكن الله دفع شره فقد أورد الشيخ المجلسي أن المتوكل قال مرةً :

والله لأقتل هذا الزنديق الذي يطعن في دولتي. بحار الانوار ٥٠ / ٢٠٤.

ويبدو أن تحفظ الامام وبراءة حكمته خلال تعاقب سلطنة هؤلاء الخلفاء جعلته في مأمن من بطشهم به ، حتى مجيء المعتز العباسي الذي ضاق ذرعاً بما شاهده من مكانته الدينية والاجتماعية في وسط الناس ، فحسده على ذلك وضافت نفسه بما يسمع من مكارم أخلاقه مما دفعه على ارتكاب جريمة قتل الامام عليه السلام بأن دس له السم في طعامه عن طريق جلاوزته ، مما جعل الامام يرقد في فراشه وهو يعاني أثر السم وبحضور ولده ووصيه الحسن العسكري عليه السلام والخلفاء من شيعته.

ونودّ هنا الإشارة الى أنه لا اعتبار للأقوال التي شككت في سميته أو فيمن سميته من الخلفاء ، بعدما إتفق أكثر المؤرخين ولا سيما المعروفين منهم على أن المعتز العباسي قد قتله سماً في أواخر حكمه.

فقد نقل المؤرخون ولا سيما ممن أرخ لسيرته على رحيله شهيداً مسموماً في ٢٧ جمادي الثاني عام ٢٥٤ هـ عن عمر أمدّه ٤١ سنة وستة أشهر على يد المعتز العباسي ، وقد دفن في

➡





بيته بسامراء بعد أن صَلَّى عليه وصيه من بعده ، ولده ابو محمد الحسن العسكري ؑ ومعه وجوه بني هاشم ، وجماعة من خلص الشيعة ، بل حتى كبار رجال بني العباس.

رحل الامام العظيم بعد أن ترك للبشرية تراثاً فكرياً وعلمياً في مجالات الحديث ، والتفسير ، والفقه ، ومكارم الاخلاق ، والرواية ، والادعية ، بل في مختلف العلوم والمعارف ، ومن المفيد هنا أن نشير الى أنه ؑ رحل وقد ترك ؑ على رواية المشهور أربعة أولاد ، وبنت واحدة هم : ولده ابو محمد الحسن العسكري ؑ الامام من بعده ، ومحمد المعروف بـ « سبع الدجيل » والمدفون في بلد وله مزار مشهور ، وجعفر المعروف بالكذاب وتروى عنه احاديث ويقال أنه تاب في آخر عمره ، والحسين كان سيداً جليلاً.

أما البنت فقيل إن إسمها عائشة ، كما قال المفيد في الارشاد ، والشبلنجي في نور الابصار ، ومن قال أنها عليّة أو عالية ، الطبرسي في إعلام الوري ، والقمي في منتهى الآمال.

وهكذا يقف الأربلي على مرقن الامام الهادي ؑ ليسطره بهذه القصيدة الرائعة مادحاً بما الامام ؑ حيث يقول :

يا أيها الرايح الغادي	عرج على سيدنا الهادي
وأخلع إذا شارفت ذاك الثرى	فعل كلليم الله في الوادي
وقبل الأرض وسف ترية	فيها الغلى والشرف البادي
وقبل سلام الله وقف على	مستخرج من صلب أجواد
في البأس يروي شأفة المعتدي	بصوله كالأسد العادي
وفي الندى يجري الى غايية	بنفس مولى العرف معتاد
يعفو عن الجاني ويُعطى المني	في حالي وعلي وإيعاد
كأن ما يحويه من ماله	دراهم في كف نقاد
مبارك الطلعة ميمونها	وماجد من نسل أجداد
من معشر شادوا بناء الغلى	كبيرهم والناشيء الشادي
كأنما جودهم واقف	لمبتغي الجود برصاد
عمت عطائهم وإحسانهم	طلاغ أغوار وإنجاد
ولاءهم من خير ما نلت	وخير ما قدم من زاد
إليهم سعي وفي حبههم	ومدحهم نصي وإسناد



تعلوا عليه قبة من الذهب	مردداً من روائحٍ وغادي
عدت عليها زمرة التكفير	ودمرتها قبطة الاجير
لكنها وسط القلوب عامره	ميمونة سامية وطاهره
منها القلوب اصبحت تفديها	وتبذل الغلي لكي تبنيها
لانها رمز الظلمات التي	مرت على انباء تلك البضعة
منها سلامٌ للإمام الهادي	مردداً من رائحٍ وغادي ^(١)



(١) رحل الامام الهادي عليه السلام وقد اصبح مرقده فيما بعد محجة لكل قاصد ، وموئلاً لكل طريد ، وثبت له ولولده عليه السلام منارة كبرى تعلوها قبة ذهبية من اكبر القباب في العالم الاسلامي ، ويحيط بها بناء شامخ يرتاده الناس إجلالاً وتعظيماً يتبركون به ، ويبدو أن الحق المتوارث والنصب المألوف الذي ورثه الاوباش من التكفيريين والنصاب ممن سبقهم قد فعل فعله في إيماننا هذه ، كما كان معروفاً فيما مضى من الزمان ، حيث رأينا تخريب قبر الامام علي عليه السلام وهدم قبر الحسين عليه السلام ونهب قبر زيد بن السجاد وما تلا ذلك من الاعتداء المتواصل على مراقدة الائمة عليهم السلام والاولياء والصالحين في كل مكان ، ولا سيما ممن يرجع الى ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله ومن هو سائر على خطهم.

لقد انبعثت هذه السموم الحاقدة من جديد ، بل لتحسد مدى حقدها ووحشيتها تجاه رموز أهل البيت عليهم السلام ومراقدهم المقدسة ، إذ قامت فئة ضالة من أهل الكفر والنصب والعداء المتوارث بتفجير قبة الامامين العسكريين في سامراء ، وتهديمهم المرقد من الاساس ، ونسف قبة الذهبية الكبيرة ، وذلك في شهر شباط من عام ٢٠٠٦ م ظلماً وعدواناً وحقداً ، وما سبق ذلك وما تلاه من تهديم وحرق للكثير من مراقدة الاولياء والصالحين من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله أحزاهم الله ولعنهم ، وفور وقوع هذه الكارثة تداعت دول ، ومنظمات ، وجماعات خيرية اسلامية وعالمية لغرض أعادت بناء هذا الصرح الخالد ، وإعادة زاهياً خالداً من جديد.

إننا لله وإننا إليه راجعون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.



الجزء الثالث عشر

الامام الحسن بن علي
العسكري ؑ





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الإهداء

الى ابي محمد الحسن العسكري رحمه الله
الامام الذي تكفل برعاية .. وحماية .. أمل المستضعفين
وبشر العالم بولادة المصلح العالمي ..
المنتظر .. الموعود
أقدم هذا الجزء من قوافل النور.





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

اضاءة

عند محطة الامام ابي محمد الحسن العسكري ؑ تكون ملحمة (قوافل النور) تكون قد شارفت على النهاية ، حيث بدأت بالنبي المصطفى ؑ وعلي وفاطمة ؑ والحسن والحسين ؑ مروراً بالائمة الطاهرين من ذرية الحسين ؑ وهما هي تتوقف عند الحلقة ما قبل الأخيرة من هذه السلسلة الذهبية الربانية المباركة ، التي اذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً ، وهي حلقة الامام العسكري ؑ الذي قال فيه ابن الصباغ المالكي في فصوله المهمة :

(أنه سيد أهل عصره ، وإمام أهل دهره ، أقواله سديدة ، وأفعاله حميدة ، وإذا كانت أفاضل زمانه قصيدة فهو في بيت القصيدة ، وإن انتظموا عقداً كان مكان الواسطة الفريدة ، فارس العلوم لا يجارى ...)

الى آخر كلامه في تقييم شخصية الامام العسكري ؑ التي لها الدور الفكري والثقافي والاجتماعي المتميز رغم المحنة التي عاشها وسط الظروف السياسية الصعبة ، والصراعات الفتوية الحادة في تلك المرحلة في سامراء.

الا ان الامام العسكري ؑ استطاع ان يشق الطريق واضحاً وسط الفتن التي عصفت بالامة في تلك الفترة من تاريخها.

وهذا الجزء من (قوافل النور) قد تناول حياة الامام العسكري وحركته الحذرة ، مستعرضاً عبر ابياته وهوامشه أهم النقاط والمحطات التي تمثل معالم شاخصة في سيرته الشريفة ؑ وتوقف هذا الجزء من الملحمة بشكل دقيق



وحساس للتعريف بطبيعة المنهج الحكيم الذي اعتمده الامام العسكري في حماية ورعاية ولده الامام المهدي المنتظر الموعود (عج) باعتباره المنقذ والمخلص العالمي لكل المستضعفين في الأرض.

فقد تعامل الامام العسكري مع هذه القضية بدقة وحساسية متناهية ، فمن ناحية يجب ان يوصل نبأ الولادة المباركة الى كل شيعته ومحبيه ، من اجل ان يكونوا شهوداً ثقة على هذا المولد الميمون ، ومن ناحية اخرى يجب ان يخفي نبأ القضية عن عيون السلطة التي كانت تترصد بحذر وخوف شديدين من الفكرة المهدوية فضلاً وجود المهدي نفسه. ورغم هذه الموازنة الحساسة في هذا الموضوع استطاع الامام عليه السلام بحكمة ان يحقق الهدفين معاً.

كما اشار هذا الجزء من الملحمة لاهم الاحداث ، والاتجاهات ، والشخصيات السياسية ، والثقافية ، والاجتماعية ، وذكر أهم تلامذته والرواة عنه.

نسأل الله تعالى ان يجعلنا من السائرين على هدى امامنا العسكري ومن المدافعين عن مدرسته ونهجه. انه سميع مجيب.



المولد المبارك

اطل بالرحمة والحنان
 بدر حوى علائق التقاة
 مذكظيت مدينة الرسول
 اعني به نجل الامام الهادي
 وصيه الذي يسمى العسكري
 وأمه « حديث » الكريمة
 وقيل انها تسمى « سوسن »
 قد أرضعته الطهر والاباء
 حتى نما وصار صلب العود
 ينهل من معارف الرسالة
 ويحمل الأسرار عن أبيه

كالنور في شهر ربيع الثاني
 آبائه الائمة الدعاة
 بطلعة ابن فاطم البتول
 وسيد الزهاد والعباد
 بنقل يحيى بن يسار العنبري
 طاهرة نقيصة حليلة
 دارت مع الهادي عليها المحن
 والفخر والعزة والوفاء
 ترعاه عين الخالق المعبود
 ويقتفي محمداً وآله
 وقد تجسدت جميعاً فيه^(١)

(١) تضاربت الاقوال في مكان وتاريخ ميلاد إمامنا الحسن العسكري عليه السلام وتراوحته هذه الاقوال في اغلب الروايات بين شهر رمضان أو ربيع الاول أو ربيع الثاني من عام ٢٣٠ هـ أو ٢٣١ هـ أو ٢٣٢ هـ في المدينة المنورة ، ولكن المرجح والمشهور أن ولادته في شهر ربيع الثاني في المدينة المنورة من عام ٢٣٢ هـ. الارشاد / ٣٣٥ ، اعلام الوري ٢ / ١٣١ ، المناقب ٣ / ٥٢٣ .

وقد أجمل هذا الاختلاف الحر العاملي في أرجوزته عن أهل البيت عليه السلام :

مولده شهر ربيع الآخر
 في يوم الاثنين وقيل الرابع
 ووردت عدة نصوص عن الامام الهادي عليه السلام بالوصية بالامامة من بعده لولده الحسن العسكري عليه السلام إضافة لما ورد بهذا الشأن عن طريق آبائه وأجداده عليه السلام .

وذاك في اليوم الشريف العاشر
 وقيل في الثامن وهو شائع





قال الراوي : أوصى ابو الحسن الهادي عليه السلام الى ابنه الحسن قبل مضيّه بأربعة أشهر وأشهدهني على ذلك وجماعة من الموالين. الكافي ١ / ١٣٤ ، الارشاد / ٢٣٥ .

ويعتبر تعدّد أسماء أمهات الائمة على طول التاريخ أمر طبيعي ، لما ينطوي ذلك على أسباب ومصالح يعرفها الائمة عليه السلام منها حراجة الظروف السياسية ، ومنها المصالح الاجتماعية التي تشهدها تلك الازمنة ، إضافة الى ما يقوله المؤرخون من ان أكثر أمهات الائمة عليه السلام من الجوّاري ، وكانت الجوّاري آنذاك لها عدة أسماء ، علاوة على ذلك أن كثرة الاسماء دالّ على شرف المسمى ، كما نُقل عن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليه السلام فقد ذكر لها الرواة وأهل السير عشرات الاسماء لمصالح ومقامات تنطوي على ذلك.

امام بخصوص والده الامام الحسن العسكري فقد ورد في المصادر التاريخية انما ام ولد واسمها حديثه ، وقد اشادت جل هذه المصادر بفضلها وجلالة قدرها ، وكانت من العارفات الصالحات ، وكانت في غاية الصلاح والورع والتقوى ، حتى ان احد الرواة قال : لما أدخلت سليل أم أبي محمد الحسن العسكري على الامام الهادي قال عليه السلام : سليل مسلولة من الآفات والعاهات والارجاس والانجاس. ثم قال عليه السلام : سيُخرج لها منها حجّته على أرضه ليملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. اثبات الوصية / ١٣٦ .

وتشير المصادر أنّها حملت بالامام الحسن العسكري عليه السلام في المدينة وأرضعته هناك ، وغذته وأسبغت عليه من جلائل الاخلاق ، وازرع الصفات من طهر ، وإباء ، وعزة ، ووفاء. ولا بدّ من الاشارة هنا أنّها كانت تُعرف بـ « الجدة » أي جدة الامام المهدي الحجة . ولما توفيت دُفنت في الروضة العسكرية المشرفة في سامراء جوار الامام الهادي عليه السلام وولدها الحسن العسكري خارج بيت الهادي عليه السلام.

نهل الامام الحسن العسكري عليه السلام من أبيه الهادي عليه السلام علوماً ومعارف كثيرة رغم قصر المدة التي قضاه معها كما أشرنا سابقاً في حياة الهادي عليه السلام ، وتشير المصادر التاريخية الى أن أخلاق وصفات الامام الهادي عليه السلام بل وصفات أجداده السابقين عليه السلام قد ترسخت في الامام الحسن العسكري عليه السلام.

وفي هذا الصدد قال الرواة : كانت أخلاق الامام الحسن العسكري كاخلاق جده رسول الله صلى الله عليه وآله في هديه ، وسكونه ، وعفافه ، ونبله ، وكرمه ، وكان على صغر سنّه مقدماً على العلماء ، والرؤساء ، بل أن ما جرى للائمة من سبقه في الفضائل ، والاسرار ، وصفات الكمال تجري فيه ولمن بعده ، وانهم في ذلك سواء. الشيعة في الميزان / ١٥٤ للشّيخ محمد جواد مغنية.



القابهُ وصفاته

القابهُ الرفيـقُ والامـيـنُ	والفاضـلُ الخـالصُ والميـمـونُ
المرشـدُ النقيُّ ثم النـاطقُ	الرجـلُ العـالمُ ثم الصـادقُ
قـد وصفـوه أسمى رَأً وأعـيـنـا	جـمـيـلٌ وجـهٌ وقويـاً بـدنا
ذو قامـةٍ وهـيـبـةٍ وقـوـرةٍ	وذو جلالـةٍ بـابـهـي صـورة ^(١)



(١) ألقاب الانسان وأسماءه إنما تشقت من سلوكه ، ومدى تجسّد أخلاقه في حياته وفي وسط مجتمعه ، وبناءً على ذلك تعدّدت ألقاب وصفات الامام الحسن العسكري ؑ لما كان يتمتع به من سلوكيات أخلاقية سامية ، وكان ذلك بإعتراف الصديق والعدو ، وقد تضافرت كتب الاقدمين من أهل التاريخ والسير بنقل ألقاب وصفات كثيرة لإمامنا الحسن العسكري ؑ إضافة لما نقلوه من صفاته البدنية وما يتفرع منها من شؤون أخرى ، فقد نقل ابن شهر آشوب قطعة تصوّر بعضاً من صفاته ، حيث قال :

هو الحسن ابو محمد ، نقيّ الجيب ، بعيد الريب ، بريء من العيب ، أمين على الغيب ، معدن الوقار ، خافض الطرف ، واسع الكف ، كثير الحياء ، شديد الوفاء ، عظيم الرجاء ، قليل الافتاء ، كثير التيسر ، سريع التحكّم ومن ألقابه : الصامت ، الهادي ، الرّكبي ، السراج ، المضىء ، الشافي ، المرضي ، العسكري ، وكان هو وأبوه وجده يُعرفون في زمانهم بـ « ابن الرضا ». المناقب ٣ / ٥٢٣

وقال الشبلنجي : وإسمه الحسن ، وكنيته ابو محمد ، وألقابه الخالص ، السراج ، العسكري ، وصفته بين السُمة والبياض . نور الابصار / ١٨٣ .



معاناة العسكري

ظل ثلاثاً بعد عشرين سنة
وبعد أن تسنم الامامة
يُنقلُ من سجنٍ الى مطمورة
لم يُثنِهِ ذاك عن العبادة
يطيلُ من سجوده في سجنه
يَأْسُ بالوحدة والسجان
حتى غدا سجانهُ مرتعدا
فسجنهُ مدرسة للتقوى
مواصلاً للشريعة الكرام
ولم تكن تُرهِّبُهُ الجدران
معلقٌ فؤادُهُ بالغييب

يشارك الهادي الليالي المحزنة
قاسى الذي قاساه باستقامه
مكبلاً يُرى بأقصى صورة
ولا عن الصلاة والوفادة
كأنهُ جنانه في عدنه
والصوم والصلاة والقُرآن
وقد رأى الخشوع والتعبدا
وكفه بالقيد ليس يُلوى
بالنصح والتوجيه والاقدام
ولا يُخيف قلبه السجان
فهو إمام الحق دون ريب^(١)

(١) ولد الامام الحسن العسكري في المدينة سنة ٢٣٢ هـ وذهب مع ابيه الهادي عليه السلام سنة ٢٣٤ هـ قسراً الى سامراء ، فكان مدة بقاءه بالمدينة سنتين فقط ، ثم عاش بعد ذلك مع ابيه في سامراء قرابة ٢٢ سنة أو أكثر بشهور ، حيث تسلّم منصب الامامة بعد إستشهاد ابيه سنة ٢٥٤ هـ ، ومكث في الامامة ، ست سنين قضاه في ظل ثلاث خلفاء قساة معه ، وانتهت حياته المباركة بإغتياله مسموماً على يد المعتمد العباسي سنة ٢٦٠ هـ وبذلك تعتبر مدة إمامته أقصر مدة في تاريخ إمامة أئمة أهل البيت عليه السلام .



كما وأتّسّمت مواقفه بالحذر الشديد من طغاة زمانه إزاء الاحداث والوقائع التي حدثت آنذاك ، حيث فرضت عليه الاقامة الجبرية ، بل وأجبرته السلطة العباسية أحياناً على الحضور يومين من كل إسبوع لدار الخلافة ، وعاصر طيلة إمامته كلاً من المعتز ، والمهتدي ، والمعتمد ، وقد لاقى منهم أشدّ العنت ، والضيق ، والارهاب ، والسجن ، مرات عديدة. إتّسّمت حياته بالغموض وقلة المعلومات بسبب الظروف السياسية التي أحاطت بابيه الامام الهادي عليه السلام افا بعد وفاة أبيه وتسلمه مهام الامامة فقد جاءت مواقفه إمتداداً لمواقف أبيه من قبل بوصفه إماماً للمسلمين الشيعة وراعياً لمصالحهم.



علمه وعصره

لديه من علم النبي أجز
فصيره كصبر أيوب غدا
ولم يزل في قلبه الابلأ
فعصره قد كان عصر فتنه
لكنه واجهها بالصبر
جنود ابليس ومن تابعه
قد قل عنه الأهل والأصحاب
سوى الوفي من رجال الشيعة
وَأَلْفَ كَنْزٍ قَدْ نَمَاهُ حَيْدُرُ
يُعْرِفُ عِنْدَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْعَدَا
بِرْغَمَ مَا تَبَثُّهُ الْبَغْضَاءُ
وَقَدْ تَوَالَتِ الْفُفُ مَحْنَةٌ
وَبِالتَّحْدِي لْجَنُودِ الْغَدْرِ
وَمَنْ مَشَى فِيهِ وَمَنْ شَابَعَهُ
وَابْتَعَدَ الْخِلَالُ وَالْأَحْبَابُ
وَثَلَاثَةٌ سَمِيعَةٌ مَطِيعَةٌ^(١)

(١) عن أبي حمزة نصر الخادم قال : سمعت ابا محمد عليه السلام يقول : غير مرة يكلم الناس بلغاتهم ، وفيهم ترك ، وروم ، وصقلية ، فتعجبت من ذلك وقلت : هذا ولد بالمدينة ولم يظهر لأحد حتى مضى أبو الحسن . اي الامام الهادي عليه السلام . ولا رآه احد فكيف هذا ؟! احدث نفسي بذلك فأقبل علي وقال : ان الله جل اسمه بين حجه من ساير خلقه وأعطاه معرفة بكل شيء ويعطيه اللغات ومعرفة الأسباب والآجال والحوادث : ولولا ذلك لم يكن بين الحجة والمجروح فرق . اصول الكافي ١ / ٥٠٩ . ح ١١ .

عاصر الامام الهادي مدة امامته ستة من خلفاء بني العباس ، المعتصم منذ سنة ٢٢٠ . ٢٣٢ . والمتوكل ٢٣٢ . ٢٤٧ هـ حيث قتل على يد الاثراك ، ثم جاءت أيام المنتصر وكانت مدة خلافة ستة أشهر ويومين ، ثم المستعين ٢٤٨ . ٢٥٢ هـ كما عاصر الشطر الأكبر من خلافة المعتز ٢٥٢ . ٢٥٥ هـ حيث كان استشهاد الامام الهادي سنة ٢٥٤ هـ . وفي هذا العام تولى مهام الامامة ابنه الحسن العسكري عليه السلام .





وكانت الظروف التي تمر بها الدولة العباسية بعد تولي المتوكل ظروفاً صعبة جداً ، إذ أنها كانت تعد مؤشراً على ضعفها ، وتشكل بداية لانحلالها ، فالحروب الداخلية والخارجية من جهة ، والقتال بين أبناء الخلفاء من جهة أخرى ، كالذي حصل بين المستعين والمعتز والذي أدى الى تولي المعتز وخلع الاول عام ٢٥٢ هـ كل واحد من هذه الصراعات كان له تأثيره المباشر في إيجاد الضعف والانحلال.

وفي ايام المتوكل قام المتوكل بهدم قبر الامام الحسين (ع) ومنع القاصدين لزيارته ، لان المتوكل كان يتجاهر بعذائه لآل ابي طالب ومطاردتهم ، ولم يرد تجاه تلك الاحداث اي تعليق من قبل الامام الهادي (ع) . ويمكن ان يقال انه : لم يرد النبا عن موقف الامام مع الخلفاء شيء ، سوى ما جاء عن موقفه من المتوكل وهو اقل القليل . . اعلام الهداية ١٣ / ٥١ .

وكانت للامام الهادي (ع) منزلة سامية ومكانة رفيعة القدر لدى اهل المدينة لاحسانه اليهم وعلاقته القوية معهم ، فلما أشخصه المتوكل ارسل يحيى ابن هرثمة لجلب الامام من المدينة الى سامراء عام ٢٣٤ هـ اضطرب الناس وضجوا كما يروي يحيى بن هرثمة نفسه حيث قال : فذهبت الى المدينة فلما دخلتها ضج اهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي . اي الامام علي الهادي (ع) . وقامت الدنيا على ساق ، لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للمسجد لم يكن عنده ميل الى الدنيا ، فجعلت اسكنهم ، وأحلف لهم اني لم أؤمر فيه بمكره ، وأنه لا بأس عليه ، ثم فتشت منزله فلم أجد إلا مصاحف وأدعية وكتب علم فعظم في عيني . اعلام الهداية ١٣ / ٥٢ .



ثورة الزنج

في عصره ثارت جموع الزنج
فبدأت ثورتهم في البصرة
كمثل أهل هواز وعبادان
وعظمت شوكتهم وانتصروا
وافسدوا في الارض دون رحمة
واحرقوا الديدار والمزارعا
ثم ادعى صاحبهم بالنسب
لكنما الامام قد كذبته
بأن رأس الزنج ليس منا
ثم قضى « المعتمد العباسي »
والحكم والسلطة ما ترجي
ثم سمرت الى بلاد كثيرة
وغير ذاك من قرى ايران
وقتلوا ما قتلوا أو اسروا
وعبثوا بجهلهم في الاممة
حربوا الضياع والمشارع
الى عليّ والى بنت النبي
وبعداها قال وقد أنبئه
ولا يؤدي ما يؤدي عنا
على رجال الغي والادناس^(١)



(١) كانت ثورة الزنج حدثاً مهماً لما نتج عنها من آثار سيئة ، فقد سحب حركة الزنج هذه قتل ، ونهب ، وسلب ، وإحراق ، مما أدى الى اضطراب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في عدة من الامصار التي سيطر عليها صاحب الزنج ، فبدأت ثورتهم في البصرة ، وامتدت الى عبادان ، والاهواز وغيرها.

والقضاء على هذه الحركة قد كلف الدولة كثيراً من الأموال والجند الذين همزهم صاحب الزنج في أكثر من واقعة ، وأخيراً تمكنت الدولة من القضاء عليهم.

وقد ادعى صاحب الزنج علي بن محمد انه ينتسب الى الامام علي ؑ ولكن الامام الحسن العسكري ؑ كذب هذا الادعاء ، فعن محمد بن صالح الخثعمي قال : كتبت الى ابي محمد الحسن العسكري ؑ . أسأله .. وكنت أريد ان أسأله عن صاحب الزنج الذي خرج بالبصرة .. فوقع ؑ : صاحب الزنج ليس منا أهل البيت . اعلام الهداية ١٣ / ١١٥ . ١١٦ .



ثورة العلوي الصوفي

وتم قام العلوي الصوفي	بمصر يذكي الحرب بالصفوف
محرراً بعض بقاع « أشنا »	وناشرأ عدالة وأمنا
فاجأه فيها ابن طولون وقد	طارده زحفاً لأخر البلد ^(١)



(١) ظهر في صعيد مصر ابراهيم بن محمد ، وكان يعرف بإبن الصوفي وملك مدينة أشنا ، وكانت معارك بينه وبين جيش الدولة بقيادة ابن طولون اقتتلوا فيها قتالاً شديداً ، فقتل من رجال ابن الصوفي الكثير وانهمزم ، ثم كانت وقعة اخرى مع جنده عام ٢٥٩ هـ وانهمزم ابن الصوفي ايضاً الى المدينة ، والقي القبض عليه وأرسل الى ابن طولون في مصر.

اعلام الهداية ١٣ / ١١٦ .



ثورة علي بن زيد

وكناد للطغاة أي كيد	وثار بعده علي الزيدي
واصبحت في خطر محفوفة	واندلعت ثورته في الكوفة
الفراس المقاتل الكمي	قاتله كيجور التركي
واسرع البعض الى الفرار ^(١)	فقتلت جماعة الثوار



(١) كانت حركة علي بن زيد في الكوفة سنة ٢٥٦ هـ واستولى عليها ، وأزال عنها نائب الخليفة واستقر بها ، وسير إليه المعتمد الشاه بن مكيال في جيش كثيف فالتقوا واقتتلوا وانهمز الشاه وقتل جماعة كثيرة من اصحابه ونجا الشاه ، ثم وجه المعتمد كيجور التركي لمحاربتة ، وقد ارسل كيجور الى علي بن زيد يدعوه الى الطاعة وبذل له الامان ، وطلب علي بن زيد اموراً لم يجبه كيجور اليها ، فخرج علي بن زيد من الكوفة وعسكر في القادسية ، فبلغ خبره كيجور فواقعه فانهمز علي بن زيد وقتل جماعة من اصحابه.

اعلام الهداية ١٣ / ١١٧.



ثورة الحسن بن زيد

والحسن الزيدي في جرجان أقام دولة على الأيمان
وقاتل العساكر الكثيرة وانتصرت جموعه الصغيرة^(١)



(١) الحسن بن زيد العلوي : حيث بدأت ثورته عام ٢٥٠ هـ بمدينة « طبرستان » فتغلب عليها ثم زحف نحو جرجان بعد حروب طويلة كذلك تغلب على مدينة « آمل » ومدينة « الري » حتى توفي عام ٢٧٠ هـ بعد معارك وحروب طويلة مع كبار قادة السلطة العباسية آنذاك ، ومنهم مفلح ، موسى بن بغا ، محمد بن طاهر ، يعقوب بن الليث الصقار .

مساویر الخارجی

وبعدھا ثار الفتی مساویر	الخارجی الفاتک المغامر
فانحسرت ثورتہ بساعة	برغم ما قد کان من شجاعة
وجاهد الامام فی لسانه	ونصر الاسلام فی بیانہ
فردّ کل شبهة وبدعة	مؤكداً علی کمال الشرع ^(۱)

(۱) خرج مسار الخارجي ، وطوق بني زهير ، وهو من الخوارج ايضاً وقاتلهم الحسن بن ايوب بن احمد العدوي وهزمهم وقطع رأس مسار وانفذه الى سامراء. اعلام الهداية ۱۳ / ۱۱۷.

لقد ظهرت في العصر العباسي الثاني وبالاخص ايام إمامة الحسن العسكري ؑ الكثير من الانحرافات الفكرية والبدع الفاسدة والافكار الضالة التي نشأت في أوساط الأمة الاسلامية آنذاك ، ونستطيع أن نتلمس ذلك من خلال الكتاب الذي أصدره الامام ؑ الى أهل قم وهو يصوّر ظروف تلك المرحلة الفاسدة حيث قال ؑ : اللهم وقد شملنا زيغ الفتن وستولت علينا غشوة الخيرة وعظمت أحكامك وسعي في إتلاف وإفساد بلادك.

منهج الدعوات / ۸۶.

ورغم ان الامام ؑ كان مُراقباً من السلطة ، مُشدّداً عليه في أقواله وتصرفاته إلا أنه استطاع أن يؤدي دوره الفكري والعقائدي في التصدي لهذه البدع ، والافكار ، والانحرافات الفاسدة في الفكر والعقيدة ، ويمكن تلخيص دوره بما يلي :

موقفه ؑ من قضية خلق القرآن :

قال ابو هاشم الجعفري : خطر بيالي أن أسأل أبا محمد العسكري هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق فقال ابو محمد : يا أبا هاشم : الله خالق كل شيء وما سواه مخلوق. المناقب ۳ / ۵۳۵.

موقفه ؑ من الاشراك بالله والشك في وحدانيته :

قال سهل بن زياد الرازي : كتبت الى ابي محمد العسكري سنة ۲۵۵ هـ : قد اختلف أصحابنا في التوحيد ، فمنهم من يقول هو جسم ، ومنهم يقول هو صورة ؟ فوقّع ؑ بخطه :

✍





سألتهموني عن التوحيد وهذا معزول ، الله واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، خالق وليس بمخلوق ، يخلق ما يشاء من الاجسام وهو ليس بجسم ، ويصور وهو ليس بصورة. أصول الكافي : ١ / ١٠٣ .

موقفه ﷺ من القلقين في إمامته من ضعاف شيعته :

عن أحمد بن محمد بن مطهر قال : .. كتب يسأله بعض اصحابه عمّن وقف على إمامة جده موسى بن جعفر ﷺ هل أتولاهم أم أتبرأ منهم ؟ فكتب ﷺ له : لا تتولهم ، ولا تعد مرضاهم ، ولا تشهد جنائزهم ، ولا تصل على أحدٍ منهم أبداً ، فأَنْ مَنْ جحد إماماً من الله أو ازاد إماماً ليست إمامته من الله كان كَمَنْ قال : إِنَّ الله ثالث ثلاثة ، ان الجاحد أمر آخرنا جاحد أمر أولنا والزائد فينا كالناقص. كشف الغمة ٢ / ٩٣٣ .

وكتب إليه بعض شيعته يعرفه اختلاف شيعته ، ويريد رأيه فكتب ﷺ إليه : الناس على طبقات : المستبصر على سبيل نجاة ، مستمسك بالحق ، متعلق بفرع الاصل ، غير شاك ولا مرتاب ، لا يجد عيٍّ ملجأ ، وطبقة لم تأخذ الحق من أهله فهم كراكب البحر يمج عند موجه ، ويسكن عند سكونه ، وطبقة إستحوذ عليهم الشيطان شأنهم الردّ على أهل الحق ، ودفع بالباطل حسداً من عند أنفسهم ، فدَعَ مَنْ ذهب يميناً وشمالاً ، فأَنْ الراعي إذا أراد أن يجمع غنمه جمعها بأهون سعي . تحف العقول / ٣٦١ .



موقفه من الكندي

وذاث يوم قيل ان الكندي
على كتاب الله بالتناقض
جُمعاً بعض نصوص تبدو
فأرسل الامام يوماً سائلاً
من بعد ان أوصاه بالتلطف
وقال لو ان الذي قد كتبنا
وقال لو ان مرادي منه
أليس هذا جائزاً في النظر
نعم وهذا غير خافٍ عندي
وقال من سرَّ اليك هذا
فقال : شي بفؤادي عرضا
فقال : لا : مثلك ليس يهتدي
فقال قد علمنيه العسكري
فأطرق الكندي ثم قال
ثم دعا كتابه ومزقه

يردُّ في كتابه عن عمدٍ
وباختلاف الآي والتعارض
كأنها يُشتمُّ فيها الضدُّ
ألقى على مسمعه مسائل
وان يكون في سؤاله حفي
هذا الكتاب جاء يبغي سببا
غير الذي فهمت أنت عنه
فقال : في جوابه المختصر
وحرار فيما سيقول الكندي
وصار في تعليمك الاستاذ
لكنه فيك أصاب الغرض
الى سؤال معجزٍ معقدٍ
ابو محمد بعيذ النظر
أولائي بيت صدقوا المقالا
واشعل النار به وأحرقه^(١)

(١) إن إسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه أخذ في تأليف تناقض القرآن الكريم ، وشغل نفسه بذلك ، وتفرد في منزله ، وإن بعض تلامذته دخل يوماً على الامام الحسن العسكري ؑ فقال له ابو محمد ؑ : أما فيكم رجلٌ رشيدٌ يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن ؟! فقال التلميذ : نحن من تلامذته فكيف يجوز منا
⇐





الاعتراض عليه في هذا أو في غيره ؟! ، فقال له الامام : أتؤدي إليه ما ألقىه إليك ؟ قال : نعم فقال ﷺ : صرّ إليه وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله ، فإذا وقعت الأنسة بعد ذلك قل له : قد حضرتني مسأله أسألك عنها ، فأنها يستدعي ذلك ، ثم قل له : إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن . يقصد إثم الله ، أو جبرائيل ، أو محمد ﷺ . وقال لك : هل يجوز أن يكون مرادي منه غير المعاني التي قد ظننت أنك ذهبت إليها ؟ فأنه . أي الكندي . سيقول لك : إنه من الجائر لأنه . الكندي . رجل يفهم إذا سمع ، فإذا قال لك ذلك فقل له : فما يُدريك لعله . أي المتكلم بالقرآن . أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فيكون لغير معانيه الصحيحة. فلما صار الرجل الى الكندي والقي إليه هذه المسألة قال له الكندي : أعدّ عليّ ، ثم تفكر في نفسه وراى ذلك محتملاً في اللغة ، وسائغاً في النظر ، ثم قال له : أقسمت عليك إلا أخبرني من أين لك هذا ، فقال التلميذ : إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك ، فقال له الكندي : كلا ما مثلك من اهتدى الى هذا ، ولا من بلغ هذه المنزلة فعرفني من اين لك هذا ؟ ، فقال التلميذ : أمرني به أبو محمد الحسن العسكري ، فقال الكندي : الآن جئت به وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت ، ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألّفه. المناقب ٣ / ٥٢٥ ، منتهى الآمال ٢ / ٦٥٣ .

التناقض في القرآن يظهر واضحاً ، إذا نظرنا الى ظاهر بعض الآيات ، حيث يشمّ منها التناقض إلا بعد أن يشرحها أهل الذكر ومثال ذلك قوله تعالى : (**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**) وقوله تعالى : (**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ**) النساء / ١٢٩ .

حيث نلاحظ في ظاهر الآيتين التناقض ، لكن الامام الصادق ﷺ يُزيل هذا الاشكال عندما يقول ﷺ : في الآية الاولى أمر الله الرجال بالعدل بين الزوجتين ، أو أكثر في المأكل ، والملبس ، والمسكن وغيرها. أما في الآية الثانية تنفي أن يكون هناك عدل في الحب ، والمودة بين الزوجتين بأن يحبهما الرجل بصورة متساوية لأن هذا خارج عن اختيار الانسان وإرادته.

وللفائدة يوجد هناك عدة أسماء تشبه إسم هذا الفيلسوف الكندي وهؤلاء من أصحاب الامام الحسن العسكري ﷺ ومنهم : ابو يعقوب إسحاق بن محمد ، ويعقوب بن إسحاق.



في مواجهة البدع

وواجهه الامام اهل الفرق	تلك التي انحرافها كالغرق
قد بعدت عن منهج الاسلام	فجرت السوراء للإمام
وخالفت شريعة السما	وابتدعت طريقة الاغواء
ففرقة تعرف « بالثنوية »	وهم مجوس أنجس البريه
وفرقة صوفية حمقاء	وقد طغت في نهجها الاهواء
قد ادعت طريقة في الدين	غريبة مشكوكة اليقين
وانهمكت بالدف والاغاني	ونسيت طريقة الرحمن ^(١)

(١) لقد أنبأنا رسول الله ﷺ في حديث متواتر مشهور أن أمته ستفترق من بعده الى عدة فرق على شاكلة الامم والديانات السابقة ، وهذا إنما يحصل بسبب إتباع الهوى ورفض العقل وعدم إتباع الانبياء والاقتداء برسالتهم ، وعدم التقيد بما أوصوا به أممهم من بعدهم ، ويشير تاريخ الاسلام الى أن الامة الاسلامية إفتقرت بعد وفاة رسول الله ﷺ الى جبهتين : جبهة تقيت بما ورد عن رسول الله ﷺ وسارت على نهجه وموالاة من أوصى بهم من بعده ، وجبهة إبتعدت عن النص وأستعملت الرأي والهوى ، وقد ضمنت الجبهة عدة فرق ضالة عملت على تقويض الاسلام من داخله ، وأشاعت فيه أفكاراً مبتدعة ضالة بحيث ضللت جمهوراً كبيراً من المسلمين ، ومن هنا ظهرت أفكار الثنوية ، والصوفية ، والمرجئة ، والمفوضة ، والقدرية ، وما يتصل بها من تشعبات خطيرة وأطروحات فاسدة ، كان للأئمة دور كبير في التصدي لها على طول فترات إمامتهم ، وقاموا بدحض هذه الآراء وبيان فسادها وتحذير الامة من آثارها الخطيرة ، ولا سيما البسطاء من الناس ، ومن جانب آخر عمل الأئمة ﷺ على إبعاد شيعتهم من التلبس بما أو تسرب أي منها الى صفوفهم.

⇐





ولعلّ الامام أبامحمد الحسن العسكري عليه السلام هو أكثر الأئمة إبتلاءً بمثل هذه الافكار والفرق الضالة طيلة ايام إمامته ، وذلك لقوة انتشارها في زمانه ، ولكون السلطة العباسية قد انشغلت بلهوها وفسادها عن متابعة هذه الفرق إن لم تكن هي السبب المباشر لظهورها وانتشارها.

موقفه من الثنوية : وهؤلاء من جملة الفرق المشركة التي تدّعي قدم غير الله معه ، بل وتُشرك غيره معه ، والثنوية : فرقة تزعم أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف الجحوس الذين قالوا بقدم الظلام. والثنوية : هي فرقة تثبت مع القديم قديماً غيره ، وهم من فرق الجحوس حيث يقولون بأن للشر اصلاً وللخير إصلاً وهما النور والظلمة.

ويبدو أن أفكار هذه الفرقة تسربت الى الاسلام بسبب الاختلاط مع الامم الاخرى ، وانتشار الحضارة في عهد الامام العسكري عليه السلام.

وفي هذا المجال ينقل الحر العاملي : كتب الى الامام رجل يسأله الدعاء لوالديه وكانت الام مؤمنة ، والاب ثنوي ، فوقع له الامام : رحم الله والدك. وهذا يعني أن والدك كافر وغير مشمول برحمة الله سبحانه. إثبات الهداة ٣ / ٤٢٧.

موقفه من الصوفية : الصوفية فرقة فاسدة نشأت تحت ستار الاسلام وقد ابتدعها رجل اسمه ابو هاشم الكوفي في القرن الثاني الهجري ، وقد قامت بخداع الناس وبالذات العوام منهم تحت شعارات الزهد والتخلّي عن الدنيا ، حيث قامت هذه الفرقة فألغت كلمة مسلم ، ومؤمن ، وجاءت بمصطلح « متصوف » الذي لم يعرفه لا الشيعة ولا بقية المذاهب في عصر الاسلام الاول ، ثم تدرّج بهم الحال الى إستباحة الغناء ، والرقص ، والتصفيق باعتبارها شكلاً من أشكال العبادات المباحة ، وبعد ذلك تسالم مذهبهم مع بقية مذاهب الناصبة والزنادقة في محاربة الشريعة الصحيحة المتمثلة في خط أهل البيت عليه السلام ولهذا الفرقة جملة من القبائح تُعدّ عندهم أصول يؤمنون بها ويعتبرونها من طلب الدين ومنها :

. الاعتقاد بمبدأ الحلول والاتحاد ووحدّة الوجود.

. الاعتقاد بمذهب الكشف ومعرفة ما وراء الحجاب.

— الاعتقاد بصحة سقوط التكليف الشرعية للمسلم اذا وصل الى مرحلةٍ ما ، حيث يقولون أن قوله تعالى (**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**) يندرج في ذلك.

— الاعتقاد بنفع نوع من الرياضيات الباطلة وترك مباحاة الدنيا ومنها طول الجوع وشدة





السهر وعدم أكل اللحم.

. إظهار بدع وسلوكيات باطلة كالرقص والغناء والصياح والتصفيق والتغزل بالصبيان.

. موالاة أعداء الله ومعاداة أولياء الله .

. كثرة الابتداع في الدين ومنها الغلو في الكرامات.

ويبدو من خلال تقصّي التاريخ أن هذه الفرقة قد قويت شوكتها وأستشرى فسادها أيام امامة الحسن العسكري ؑ ويبدو أن للسلطة العباسية يد في ذلك ، إضافة الى كتمان انفس العلماء من التصدي لها بحيث بقيت الساحة الاسلامية فارغة لهؤلاء لبث سمومهم وضلالاتهم ، ومن هنا قال الامام العسكري لأبي هاشم الجعفري وهو من أصحابه : يا أبا هاشم سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة ، وقلوبهم مظلمة منكورة السنّة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنّة ، علماءهم شرار خلق الله على وجه الارض ، لأنهم يميلون الى الفلسفة والتصوّف ، وائم الله إنهم من أهل العدول والتحرّف .».

ويبدو من خلال إستجلاء هذا النص أنه ؑ يحذّر من فرقة الصوفية الذين يعبدون الدنيا ويعملون ضد السنّة المباركة ويبتدعون الرقص والغناء وغيره ويسرقون دين الناس الحقيقي عن طريق المخاريق والضلالات بإظهار التزهّد الكاذب والخداع المزيف.



وكلاء الامام ؑ واصحابه

لكنما الامام كان مثقلاً	بهمّ مشروع نظام الوكلاء
مهدداً لنجله المهديّ	وحافظاً لأمره السريّ
أولهم عروة ثم الثاني	علي بن جعفر الهَمَّانِ
وجعفر الصيقل وابن العُمري	وبعده محمد بن الجعفري
وأخرون غيرهم أكفأ	حَفَّ بهم في الخنةِ البلاءِ
أصحابه بن روح النوبختي	ومن غدا مستهزئاً بالموث
ثم ابو طالب بن جعفر	ثم ابو القاسم وابنُ العُمري
وغيرهم من خيرة الرواة	والبعض من أفاضل الدعاة ^(١)

(١) إنّ نظام الوكلاء إنّما هو جزء من خطة متكاملة وضعها الامام العسكري ؑ للتمهيد لغيبة ولده المهدي ؑ من قبل مشروع متكامل عمل به الأئمة المتأخرون للتمهيد لفكرة الغيبة الكبرى ، حيث قام الامام العسكري ؑ أولاً بالاحتجاب عن الناس إلّا لبعض خواصه المقربين ومن ثم عمل نظام الوكلاء حيث جعلهم طريقاً للإتصال بقواعده الشعبية ، وعن طريقهم قضاء حوائج الشيعة ، وكذلك استلام الاموال الواصلة إليه من الحقوق الشرعية ، وكانت رسائله وتوقيعاته الى قواعده وبالاخص الشيعة منها إنّما يتم عن طريق وكلائه ، وكان ؑ قد أصدر عدة كتب ورسائل عيّن أسماء هؤلاء الوكلاء ووثّقهم وعين مناطق خاصة بهم.

وهذا النظام الذي هو جزء من خطة متكاملة وصفها الأئمة ومنهم العسكري ؑ إنّما بدأت بعدّة خطوات منها التمهيد لقضية الغيبة إعلامياً وفكرياً يتلوها الاحتجاب عن الناس ، ومن ثم وضع الوكلاء ليكونوا حلقة إتصال بين الامام وشيعته ، وسيكون هذا





النظام لاحقاً مُمهّداً لفكرة السفراء في أيام الغيبة الصغرى لولده الامام المهدي عليه السلام وقد نقلت لنا المصادر الامامية جملةً من النصوص المتواترة عن وكلائه وأسمائهم ، وبعض مناطقهم ، والكتب الصادرة منه بخصوص توثيقهم ، وأنهم موضع أمانته وثقته ولعن والبراءة ممن انحرف منهم ، ولعل ابرز وكلائه عثمان بن سعيد العمري ، الذي وثقه الامام بنصٍ خارج منه ، كما نقل المسعودي ذلك في إثبات الوصية ، وتُشير المصادر الى أن الامام جعل هؤلاء الوكلاء في أكثر المناطق الشيعية لأخذ الحقوق من الناس ، ثم صرفها للمستحقين من الضعفاء ، إضافة الى مسؤولياتهم في حل مشاكل الناس ، وكان الامام يراقبهم ويؤيد أفعالهم ، كما فعل مع علي بن جعفر الهَمَّان ، الذي وكل إليه صرف الاموال في موسم الحج ... وتُشير المصادر أن وكيله المطلق في بغداد هو عثمان بن سعيد العمري. ونودّ الإشارة هنا أنه لا توجد ملازمة بين وكلائه وأصحابه وثقاته بل لكل منهم صفته ومسؤوليات عمله ومقامه عند الامام ، لذا لا يجب الخلط في هذا المجال ، ولعل ابرز وكلاء الامام هم :

. ابراهيم بن عبدة النيسابوري ، وكيله في مدينة نيسابور .

. جعفر بن سهيل الصقيل.

— عثمان بن سعيد العمري ، ويلقب بالزّيّات أو السّمان ، لعمله تمويهاً في تجارة الزيت. ولا بد من الإشارة هنا ان هناك خلط بين الرواة بين هذا الوكيل وآخر إسمه حفص بن عمرو العمري الملقب بالجمّال ، وهو من أصحابه ، أما الاول فهو من وكلائه. . علي بن جعفر الهَمَّاني ، وقد سبق وأن تعرّض للسجن أيام المتوكل العباسي . القاسم بن العلاء ، وهو وكيل الامام في أذربيجان.

— عروة بن يحيى ، ويلقب بالنخّاس ، وقد انحرف هذا الرجل بعد أن كان وكيلاً للإمام في بغداد فتبرأ منه الامام ولعنه ثم دعا عليه بالهلاك فهلك ، ويُحتمل أن الامام قد عين بعده في مكانه في بغداد العمري. ونودّ الإشارة هنا الى وجود ؛ عروة الوكيل القمّي وهو من اصحاب الامام ، وقد ذكره الطوسي في أصحاب الامام في كتابه الرجال. . محمد بن أحمد بن جعفر ، يُلقب بالعطار.

ويبدو أن كل وكيل له يُعدّ من ثقاته ، وأمّا اصحابه فهم كثير ومن المفيد هنا أن نشير الى ابرزهم :





. الحسين بن روح النوبختي ، وقد ذكره ابن شهرآشوب ضمن اصحابه في المناقب.

— إسماعيل بن علي النوبختي ، وكنيته ابو سهل ، وهو من كبار متكلمي الشيعة في بغداد ، وله كتاب « الانوار في تاريخ الائمة الاطهار » وقد ذكره ابن النديم في كتابه « الفهرست » وقال عنه أنه فيلسوف متكلم ، وهو خال ابي محمد الحسن بن موسى النوبختي صاحب كتاب « فرق الشيعة ».

— ابو طالب الحسن بن جعفر الفاقاي وقيل « الفأفأي » البغدادي ، وقد ذكره ابن شهرآشوب في المناقب.

. ابو القاسم سعد بن عبد الله الاشقري القمي وهو عالم فقيه ذكره الطوسي في رجاله.



الاعداد للغيبة

وكان من نهج الامام العسكري
بحيث أخفى عنهم الولادة
الا لبعض من رجال الشيعة
فقد روى الصدوق والكليني
عن الولادة التي قد أخفيت
بأنه أخر آل طه
وخاتم المطهرين الأصفياء
يملأ كل الارض منه عدلا
من بعد ان قد ملئت بالظلم
فقد رأه من رجال عصره
منهم محمد بن عثمان ومن
ثم ابن أيوب الفتي محمد
وابن حكيم واسمه معاوية
قالوا دخلنا منزل الامام
فقد دُهِشنا بفتى كالبدر
وقد دُهِلنا لجميل المنظر
فقال ذا خليفتي عليكم

يهيئ الاممة بالمنتظر
ولم يشاهد مرة كالعادة
بلمحة خاطفة سريعة
رواية تملأ كل عين
رواية صادقة قد رويت
والخلف الذي به تباهى
والصالحين من ذراري الانبياء
يظهر فيها عملا وقولا
وشريعة منهارة وهدم
بعض وقد تزودوا من بدرة
حافظ في حديثه على السنن
ومن غدا في كل نادٍ يُحمد
وياله من ثقة وراوي
ونحن اربعون في الظلام
بطلعة مليئة بالبشر
اذ كان يُشبه الامام العسكري
وهو الذي بحكمة يحتكم



فلا تفرّقوا عليه بعدي فتهلكوا نحساً بغير سعدٍ
ولا ترونه سواها أخرى لأنه سوف يغيبُ دهرًا^(١)

(١) لا شك ولا ريب أن الامام العسكري عليه السلام كان على علمٍ بتعلّق الارادة الالهية بغيبة ولده المهدي (عج) من بعده ، ثم ظهوره ليقسم دولة العدل في الارض ، وهذا الامر إنّما يُلقى على عاتقه مسؤولية التمهيد لهذه الغيبة والاعداد لها عملياً ، كون الامّة آنذاك لم تعرف هذا الامر من قبل رغم معرفتها له نظرياً عن طريق النبي صلى الله عليه وآله والائمة الطاهرة من خلال أقوالهم والتي روتها كتب جمهور المسلمين ، لذلك عمد الامام العسكري عليه السلام رغم قسوة الوضع السياسي آنذاك الى ربط الامّة بهذه الفكرة عملياً ، وذلك عن طريق إقناعهم أولاً بفكرة ولادته ، ثم مهد لذلك الامر بعد ذلك الى إقناعهم بغيبته ، وقد سلك لهذه الامر عن طريق جملة من الاجراءات يُمكن تلخيصها بما يلي :

— التمويه على السلطات الحاكمة وأجهزتها داخل المجتمع بشأن ولادته ، لا سيما وأن السلطات كانت عارفة بأن هناك من سيُنهي طغيانها ووجودها بظهور هذا المخلص الاعظم وهو من ذريته ، لذلك عمد الامام الى إخفاء ولادته والتكتم عليه بأقصى درجات الحيلة والحذر ، ولم يصدر أو يصرّح بأي شيء لهذه الولادة إلّا الخُلص شيعة ، وبهذا الصدد يقول الشيخ الطبرسي : وكان العسكري قد أخفى مولد ولده المهدي لشدة طلب السلطان له ، واجتهاده في البحث عن أمره ، فلم يره إلّا الخواص من شيعته . اعلام الوری ٢ / ١٥١ .

— اعلانه بعرضه عليه السلام على الخواص من شيعته ومَن يَأمن به حتى يكون الامر معلوماً وليس أسطورة كما يتبادر الى الازهان ، وفي هذا المجال كان العسكري عليه السلام يبيّن خواصه وشيعته صفات ولده المهدي ، وماذا سيفعل اذا خرج بعد غيبته الكبرى .

— مهّد الامام العسكري عليه السلام لغيبته ولده ، ثم قيامه بعدّة إجراءات ، ومنها مسألة الاحتجاب عن الناس ، وكذلك عمله بنظام الوكلاء . كما مر ذكره . وهذا الاجراء إنّما هو تمهيد مسبق كما سيمرّ به ولده من بعده من غيبة صغرى وعمله بنظام السفراء . قال الصدوق بسند متصل الى أبي غانم الخادم قال : لما ولد لأبي محمد عليه السلام ولدٌ سمّاه محمد ، ثم عرضه على أصحابه في اليوم الثالث وقال لهم : هذا صاحبكم من

↩





بعدي وخليفتي عليكم ، وهو القائم الذي تمتد إليه الاعناق بالانتظار فاذا أمثلأت الارض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً . اكمال الدين ٢ / ٤٣٤ .

إضافة الى ذلك الطبرسي بسد الى جعفر بن محمد بن مالك الفرازى البزاز ، عن جماعة عددهم اربعين نفرأ من شيعة الامام عليه السلام وخلص أصحابه منهم : علي بن بلال ، أحمد بن هلال ، معاوية بن حكيم ، وابنه محمد بن معاوية بن حكيم ، الحسن بن أيوب بن نوح ، وأخوه محمد بن أيوب بن نوح ، عثمان بن سعيد العمري ، وابنه محمد بن عثمان بن سعيد العمري وغيرهم قالوا : قدمنا الى سامراء وحضرنا في بيت ابي محمد العسكري عليه السلام لنسأله عن الحجة من بعده وكنا اربعين رجلاً فقام إليه عثمان بن سعيد العمري وقال له : يا ابن رسول الله أريد أن أسألك عن أمرٍ أنت اعلم به مئى ، فقال له الامام عليه السلام : إجلس يا عثمان ، فقام عثمان غاضباً ليخرج ، فقال الامام عليه السلام : لا يخرج أحد منكم ، حتى كان بعد ساعة صاح الامام عليه السلام : يا عثمان هل أخبركم بما جئتم به ؟ قالوا : نعم يا ابن رسول الله . قال : جئتم تسألونني عن الحجة من بعدي . قالوا : نعم .

فإذا بالامام كأنه قطعة قمر أشبه الناس بأبي محمد . فقال الامام عليه السلام : هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في اديانكم ، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر . اعلام الورى ٢ / ٢٥٠ .



شهادة العسكري

قالوا فما مضت سوى أيام	حتى فُجِعنا نحنُ بالامام
اذ سمَّ من طاغية الزمان	وغادر الدنيا الى الجنان
فعمت الأحزان في سامرا	مذ علمت شهادة ابن الزهرا
وضجت الجموع في البكاء	وناحت الشيعة بالعزيز
فيالها من حيرة خطيرة	ومحنة كـبـيرة عـسـيرة
فليس للشيعة من امام	يقودهم في محنة الاسلام
سوى الامام الغائب المنتظر	محمد المهدي وابن العسكري
ولم يزل مقامه مشهودا	فيه الحشودُ تتبع الحشودا
وقبلة سامية مذهبـة	لكل نفسٍ حرة محبـة
تشمخ بالعلياء في سامرا	وقد طوت تحت التراب سرا
مثابة للشيعة الثوار	علامة التاريخ للاحرار ^(١)

(١) لقد تعرّض الامام العسكري عليه السلام طيلة حياته القصيرة الى عدة محاولات للقتل قام بها ثلاثة من طواغيت عصره للتخلص منه جرياً على عادة من سبقهم ضد الائمة من اهل البيت عليه السلام ولعل سجنه المتكرر في عهودهم من هذه المحاولات التي عمدت لها السلطات آنذاك لغرض تصفيته ، إضافة الى الضغط الشديد والمراقبة. لكن الامام عليه السلام كان شديد الحذر في التعامل مع هؤلاء الطواغيت ، إضافة الى حذره الشديد في التعامل مع حوادث عصره من ثورات العلويين ضد هذه السلطات ، وأخيراً وبعد فشل كل هذه المحاولات عمد المعتمد العباسي الى سرعة التخلص من الامام لا سيما وهو يشكل بوجوده خطراً عظيماً على السلطة فقام بدس السم له.

➡





وهكذا رحل الامام عليه السلام شهيداً مسموماً على يد المعتمد العباسي في الثامن من ربيع الاول سنة ٢٦٠ هـ عن عمر أمده ٢٨ سنة ودُفن بجوار ابيه الهادي عليه السلام بداره بسامراء وكانت مدة إمامته ٦ سنوات ، وكان لرحيله وقع عظيم في زمانه بحيث حدثت ضجة كبيرة في سامراء.

وفي هذا الصدد ينقل ابن الصبّاح المالكي : لما رُفع خبر وفاة الامام عليه السلام حدثت ضجة كبيرة في سامراء ، وغُطّلت الاسواق ، وغُلّقت ابواب الدكاكين ، وركب بنو هاشم ، والكتاب ، والقواد ، والقضاة وسائر الناس الى أن حضروا جنازته فكانت سامراء يومئذ كأنها القيامة.

ويبدو من خلال المألوف ان الامام إذا مات يغسله ويصلي عليه إمام معصوم بعده يحلّ محله وهكذا صلى إمامنا المهدي « عج » على ابيه.

قال الراوي : وبعد وفاة العسكري أخذ أخوه جعفر الملقب بـ « الكذاب » تركته ، وسعى الى السلطان في حبس جواريه ، وشنّع على الشيعة في إنتظارهم لولده المهدي ، وأدعى أنه الامام وسبّب لورثة الامام وشيعته كل بلاء ومحنة من حبس واعتقال ، وإجتهاد الكذاب في القيام مقامه في الامامة فلم يقبله أحد من الطائفة ، بل تبرأوا منه ولقبوه بالكذاب.

وبعد رحيل الامام عليه السلام ترك للأمة الاسلامية تراثاً غزيراً في أغلب مجالات العلوم والمعارف وفي هذا المجال نُشير الى ما يلي :

. ترك تفسيراً للقرآن بإسم « تفسير العسكري ».

. مجموعة من الاحكام الفقهية تشبه رسالة المقنعة.

. أقواله ، وقصار حكمه ، وأدعيته ، ومواعظه.

. رسائله ، وتوقيعاته ، وإرشاداته الطبية.

ان الامام العسكري عليه السلام لم يترك بعده من الذرية سوى محمد ولده القائم « عج » الذي سيمأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد فسادها ، وعلى هذا الاساس فإنه لا عبرة ولا اهتمام بمن يقول بغير ذلك كمن زيادة أو نقصان أو تعدّد في ذريته ، وتُشير المصادر الى أن جعفر الكذاب أخو الامام الحسن العسكري عليه السلام قد أشاع بعد إستشهاد العسكري أنه لا خلف للعسكري من بعده لكي تنتقل الإمامة له ، ولكن خابت مساعيه كما ذكرنا ذلك من قبل ، وهناك آراء أخرى لا أساس لها من الصحة ويغلب عليها ضعف الدليل تقول بوجود ذرية له متعدّدة غير الامام المهدي « عج ».

وهكذا انتقلت الامامة من الحسن العسكري عليه السلام الى ولده الحجة القائم « عج » سنة ٢٦٠ هـ.



فاجعة سامراء

لكنّ طالتها يد الارهاب	حقداً على الائمة الاطياب
ففجرتها غيلة وإثمها	وارتكبت كفرأ بها وظلما
عصاةً يقودها « الزرقاوي »	يقود كل خارجي غاوي
يكفرون أمة الاسلام	بالجهل والتضليل والآثام
الف سلامٍ للامام العسكري	الهاشمي الطاهر المطهر ^(١)

(١) إن الحسد والحقد المتوارث من قبل النواصب والتكفيريين وبقايا فلول النظام البعثي المحرم أدى الى قيام فئة ضالة تكفيرية بتحريب قبرهما ظلماً وعدواناً وبغضاً لمدرسة اهل البيت عليه السلام في شباط عام ٢٠٠٦ ومرقدهما الآن طور التعمير والبناء الجديد ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم. وفي مرقدهما يقول الاربلي في كشف الغمّة هذه الايات الخالدة وهو يخلعها تحت أذيال هذا المكان المقدس.

عرج بسامراء والشم ثرى	أرض الامام الحسن العسكري
عرج على من جأه صاعداً	ومجأه عال على المشتري
على الامام الطاهر المجتبي	على الكريم الطيب الغصير
على ولي الله في عصره	وابن خيبر الله في الاعصر
على كريم صوب معروفه	يربي على صوب الحيا الماطر
على إمام عدل أحكامه	يسلط العرف على المنكر
وبلغا عن عبد الأئمه	تحية أركى من العنبر
وقل سلام الله أوقف على	ذاك الجناب المبرع الاخضر
دار بحمد الله قد أسست	على التقى والشرف الاظهر

➡





حلّ بها شخصان من دوحه
العسكران هما هما
غصنا علاّ قمر سُدفة
من مشعر فاقوا جميع الورى
يا سادتي إنّ ولاءي لكم
أرجو بكم نيل الاماني غداً

أغصائها طيّبته المكسر
فطوّل التفريض أو قصّر
شمسنا نهار فارسا منبر
جلالة ناهيك من معشر
من خير ما قدّمث للمحشر
في مبعثي والامن في مقبري

والحمد لله



القسم الرابع عشر

الامام محمد بن الحسن

المهدي المنتظر (عجل الله فرجه)





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الأهداء

الى الامام المهدي .. المنتظر .. الموعود
الى البقية الباقية من أئمة الهدى .. وأعلام الورى
الى الامل .. المشرق .. الغائب الذي لا بد ان يجيء
الى المصلح العالمي ، الذي يتطلع اليه المستضعفون بشغف وشوق
أختم هذه الملحمة من (قوافل النور)
وكل ما ارجوه ..
ان تكون محط رضاه .. وموضع عنايته
وذلك حسبي .





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

اضاءة

الحمد لله على توفيقه ، حيث وصلت « ملحمة قوافل النور » الى ما تريد تحقيقه محطتها الاخيرة ، الامام المهدي الموعود ، الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

الامام الغائب .. الأمل ، الذي بشرت به الديانات السماوية ، وأشارت الى قضيته كل الاتجاهات الفكرية ، والسياسية ذات النزعة الاصلاحية العامة.

فلم يعد الايمان بالمهدي المنتظر مقتصرأ على الشيعة الامامية ، أو المسلمين ، أو اصحاب الديانات ، بل تشكل قضية المصلح العالمي نزعة فطرية انسانية عامة يتطلع اليها بشغف وشوق ، كل المعذبين ، والمحرومين في الارض.

ولو توقفنا عند حديث واحد لرسول الله ﷺ وهو حديث يجمع التعبير كله في هذه القضية .. الأمل. حيث قال ﷺ :

« لو لم يبق من الدنيا الا يومٌ واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي اسمه اسمي يملأ الارض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً ».

ويدل هذا الحديث دلالة واضحة لا لبس فيها ولا غموض وعلى مستوى التحدي بان قضية المهدي هي من سنن الله في التاريخ ، ولا شك ان الله تعالى لا يغلب في سننه ولا في قوانينه التاريخية.

وهذا الجزء الاخير من « قوافل النور » يواكب هذه القضية عبر سياقه الادبي والتاريخي بكل انسياب وشفافية ، فيعرض الادلة والبراهين الشرعية والعقلية التي تثبت هذه القضية ، ثم يقف مع قصة الولادة المباركة ودور الامام العسكري ﷺ في اخفائها عن عيون السلطة ، وفي نفس الوقت يشرّ ﷺ بها الثقة من شيعته والمخلصين المقربين ، من اجل ان يكونوا شهوداً عدولاً على هذا الحدث التاريخي في حياة الانسانية.



وهكذا تمضي « قوافل النور » عبر نظم القوافي في تحديد الغيبة الصغرى والكبرى ومهمات الامام المهدي والحاجة اليه رغم الغيبة ، ثم تشير الملحمة الى علامات الظهور ، وملاحح المستقبل المشرق المنشود من خلال ما ترسمه من خيوط للفجر الذي لا بد ان يجيء.

ثم تتوقف الملحمة قليلاً على اعتاب دولة العدل الإلهي الموعودة ، بعد فصول المحنة الطويلة ، الرهيبة ، وبعد مسيرة جهادية لاحبة لكل المؤمنين المخلصين والمستضعفين في الارض ، الذين يواصلون طريقهم الصعب وسط الصخور والمعاناة.

فالحمد لله على ما أنعم ، وله الشكر على ما ألهم ، والحمد لله الذي وفقني على إكمال هذه الملحمة الطويلة المباركة ، التي بدأتها في خضم معاناة الهجرة في المنافي الثلجية ، وأكملتها بعد العودة الى العراق الحبيب ، وأنا الى جوار جدنا الامام موسى بن جعفر الكاظم ، وحفيده الامام محمد الجواد عليه السلام.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا ان هدانا الله.

(رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)

(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.



تاريخ الامام المهدي

في الفجر يوم النصف من شعبان
من بعد قرنين وخمسين سنة
حلّ لكي يُزيح عنها الظلما
فهو ابن هاديها الامام (العسكري)
وفي رواية اتتنا مسندة
قال صدوق القول في (الاكمال)
عن (بشر النحاس) مولى العسكري
بأن (نرجساً) من الله هبة
بنّت ملوك الروم والنصارى
كل تحمل الامام في كرامه
ليس له من الامام أخوه
أشرق نور صاحب الزمان
وخمسة في الامّة الممتحنه
وينشر الامن بها والسلم
وشبل (نرجس) التي كالذر
في كتب صحيحة معتمده
والشيخ في (الغيبة) في مقال
بسند مسلسل معتبر
للعسكري زوجة مهذبه
في شرف المختد لا تجارى
وتنجب الموعود للامامه
فهو فريد أهلّه والصفوه^(١)

(١) أتفق عدد كبير من العلماء المؤرخين على ولادة الامام المهدي ﷺ في فجر يوم النصف من شهر شعبان المبارك من عام ٢٥٥ هـ حيث أفاضت المصادر بولادته لينقذ الارض مما حلّ بها فساد وظلم على طول التاريخ.

وأن خبر ولادته ، وما أحاط بها من سرية كبيرة قد استفاد نقله في مصادر المسلمين ممن عاصر تلك المرحلة وما بعدها ، وقد أوردتها جملة من الاعلام والثقافات من المؤرخين.

وجاء في اعلام الهداية في الجزء الخاص بالامام المهدي المنتظر ﷺ : يستفاد من الروايات الواردة بشأن كيفية ولادته ﷺ ان والده الامام الحسن العسكري ﷺ احاط الولادة بكثير من السرية والحفاء ، فهي تذكر ان الامام الحسن العسكري قد طلب من عمته السيدة





حكيمه بنت الامام الجواد عليه السلام ان تبقى في داره ليلة الخامس عشر من شهر شعبان واخبرها بأنه سيولد فيها ابنه وحجة الله في أرضه ، فسألته عن امه فأخبرها أنها نرجس ، فذهبت اليها وفحصتها فلم تجد فيها أثراً للحمل ، فعادت للامام واخبرته بذلك ، فابتسم عليه السلام وبين لها ان مثلها مثل أم موسى التي لم يظهر حملها ولم يعلم به احد الى وقت ولادتها ، لان فرعون يتعقب اولاد بني اسرائيل خشية من ظهور موسى المبشر به فيذبح ابناءهم ويستحي نساءهم ، وهذا الامر جرى مع الامام المهدي عليه السلام ايضاً ، لان السلطات العباسية كانت ترصد ولادته إذ قد تنبأت بذلك طائفة من الاحاديث الشريفة. اعلام الهداية ١٤ / ١١٣ .

ان ولادة الامام المهدي عليه السلام كانت بعناية خاصة من الله تعالى ، مكنت نرجس من ولادته رضوان الله عليها من وضعه دون ان يظهر عليها اثر الحمل ، الا في آخر ساعة حتى لا يكتشف الجهاز العباسي امر هذه الولادة المنتظرة.

غير ان السرية التامة لم تنسجم مع طبيعة الدور الذي ينتظر الامام المهدي عليه السلام باعتباره الامام الثاني عشر كما نص الرسول صلى الله عليه وآله في احاديث عديدة ، فلا بدّ للامة الاسلامية عموماً ولشيعه اهل البيت عليه السلام ان يكونوا على علم بولادة الامام الثاني عشر وانه ابن الامام العسكري عليه السلام دون سواه.

إن هذه المسألة من المسائل الاساسية في عقائد المسلمين الشيعة ، ولا بد من ايضاحها بصورة ثابتة لا تقبل التشكيك ، وذلك منعاً لأي محاولة انحراف جديدة قد تطرأ في الوسط الشيعي نتيجة الاختلاف في شخصية الامام الذي يخلف سابقه بعد وفاته.

ولقد تعرض الوسط الشيعي نتيجة هذه المسألة الى انشقاقات عديدة ، ونشأت عدة فرق في فترات مختلفة ، مثل الكيسانية ، والزيدية ، والاسماعيلية ، والواقفية وغيرها.

لقد اعتمد الامام العسكري عليه السلام منهجية التعريف السري بولادة ابنه المنتظر وذلك في نطاق محدود جداً من اصحابه حتى يكونوا شهود عيان على ولادة المهدي عليه السلام فيتولون مهمة تعريف جماهير الشيعة بوجود امامهم الثاني عشر في الوقت المناسب ، كما يمارسون عملية التصدي لأي انحراف يطرأ في الوسط الشيعي حول شخصية الامام.

وفي هذا الخصوص اقدم الامام العسكري عليه السلام على خطوات متتالية اتسمت بالهدوء والمنهجية الدقيقة ، ففي اليوم الاول للولادة يأمر عليه السلام اخص اصحابه عثمان بن سعيد العمري ان يعق عن المولود وان يوزع الخبز واللحم بهذه المناسبة.





والامام المهدي عليه السلام هو الابن الوحيد ولا يوجد غيره للإمام الحسن العسكري عليه السلام وقد
أشرنا الى ذلك ممّا تقدم في حياة إمامنا العسكري عليه السلام ضمن اجزاء هذه الملحمة المباركة.

وأما والدته فقد نقلت بعض مصادر الاقدمين جملة من أسمائها مثل : صقيل ، ربحانة ،
سوسن ، مريم ، نرجس ، ولعل أشهر أسمائها هو « نرجس ».

وقد أشار الشيخ الصدوق في كتابه « إكمال الدين » والشيخ الطوسي في كتابه « الغيبة » الى
رواية النخاس ، وهذه الرواية طويلة متواترة معتبرة مسندة الى بشر بن سليمان النخاس
وهو من ولد ابي ايوب الانصاري الصحابي ، وفيها يشرح النخاس حال السيدة نرجس
والدة الامام المهدي عليه السلام وكيف وصلت الى أسرة الامام الحسن العسكري عليه السلام بعد ان
كانت رومية نصرانية ، وكيف إبتاعها من سوق الرقيق ببغداد لتصبح بعد ذلك وعاءاً
صالحاً للإمامة.

نكتفي بهذا التلميح عن هذه الرواية لشهرتها ولطولها وبقى ان نذكر ما ورد في كتب
السيرة والتاريخ من أن نرجس هي بنت يشوعا بن قيصر ؛ ملك الروم وأمها من ولد أحد
الحواريين المنتسب الى شمعون الصفا ، وصي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وقد عُرفت نرجس
بالفضل ، وجلالة القدر ، وطول العبادة ، وشدة الصبر ، وطول المجاهدة.



الولادة المباركة

وفي مساء المولد المنوّر
عمّته (حكيمة) النقية
لكي ترى ولادة المهدي
قالت : ومن ذا يا رعاك الله
قالت : فلم يظهر عليها حمل
فمكثت حتى حلول السحر
حيث أحست بالمخاض (نرجس)
فانتبهت ساعتها حكيمة
إذا به على الصعيد يسجد
وهو يقول ناويلني عمّة
مقبلاً إياها في عينيّه
مستبشراً به نفاذ الوعد
يحمل أعباء الرسالات العُزّ
امامة جاءت له في المهدي
حكمته وعلمه (كيجي)

أوصى الامام الهاشمي العسكري
بأن تبيت عنده العشيّة
شاهدة على الفتى السني
فقال : نجل نرجس أراه
فقال : لا يردّ مني قول
وهي تصلي بانتظار القمر
وخفت منها صوئها والنفس
للطلعة المضيفة الكريمة
والعسكري هاتفاً : محمد !!
فتاي في الاضلاع كي أضمه
ليقرأ الأذان في أذنيه
بأنه المصلح وهو المهدي
مكملاً سيرة سيد البشر
كمثل (عيسى) في الهدى والرشد
وهو صبي مفرد في الدنيا ^(١)

(١) قال الحسين بن حمدان : وحديثي من أئمة من المشايخ عن حكيمة بنت محمد بن علي الرضا ؑ قال : كانت تدخل على أبي محمد ؑ فتدعو له ان يرزقه الله ولداً وانها قالت : دخلت عليه فقلت له كما اقول ، ودعوت كما ادعو فقال : يا عمه اما ان الذي





تدعين الله ان يرزقنيه يولد في هذه الليلة وكانت ليلة الجمعة ، فاجعلي افطارك معنا ، فقلت : يا سيدي ممن يكون هذا الولد العظيم فقال لي ﷺ : من نرجس يا عمّة ، قالت فتأملتها فلم أر فيها اثر الحمل ، فقلت لسيدي ابي محمد ﷺ ما ارى بها حملاً فتبسم ﷺ .

قالت حكيمة : فأقمت فأفطرت ونمت بقرب من نرجس وبات ابو محمد ﷺ في غرفة في تلك الدار التي نحن فيها ، فلما ورد وقت صلاة الليل قمت ونرجس نائمة ما بها أثر ولادة فأخذت في صلاتي ثم أوترت فأنا في الوتر حتى وقع في نفسي أن الفجر قد طلع ودخل قلبي شي فصاح ابو محمد ﷺ من الغرفة : لم يطلع الفجر يا عمّة فاسرعت الصلاة ، وتحركت نرجس فدنوت منها وضممتها إليّ وسميت عليها ، ثم قلت لها : هل تحسّين بشيء قالت : فأخذتني فترة ، وأخذتني فترة ، فانتبهت بحس سيدي فكشف الثوب عنه فاذا انا به ﷺ ساجداً يلتقي الارض بمساجده فضمته الي فاذا انا به نظيف متنظف ، فصاح بي ابو محمد ﷺ : هلمي الي ابني يا عمّة ، فحئت به اليه

— أجرى عليه السنّة النبوية للمولود الجديد كما حدّتها الشريعة المقدسة ، حيث أذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ، وظهرت في ولادته كرامات تكشف عن عظمة شخصيته وانه بقية الله المدخر لليوم الموعود .

..... قالت حكيمة فلما اصبحت جئت لأسلم على ابي محمد ﷺ فكشفت الستر لانفقده سيدي ﷺ فلم اره. فقلت : جعلت فداك ما فعل سيدي ؟

فقال ﷺ : يا عمّة استودعناه الذي استودعته ام موسى ، موسى عليه السلام بحار الانوار ٥١ / ٢٥ .

تميز امر الامام المهدي ﷺ من انه أمرٌ اختاره الله سبحانه لا سيما وأن هذا الامر قد حصل سابقاً في نبوة يحيى ﷺ الذي اتاه الله سبحانه النبوة وهو ابن ثلاث سنين ، كما قال تعالى : (**وَأَتَيْنَاهُ الْهُدًى صَبِيًّا**) مريم / ١٢ . وكذلك حصل لنبي الله عيسى ﷺ حيث كلّم الناس في المهدي ونال مرتبة النبوة ، كما قال تعالى : (**قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا** قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) مريم / ٣٠ .

وهناك مؤثرات في التاريخ تؤكد على هذا المنهج في المسيرة الاسلامية منها :

— تأمير « أسامة بن زيد » وهو شاب لم يبلغ العشرين من عمره على جيشٍ ضخم وتمت إمرته على شيوخ المهاجرين والانصار رغم كبر أعمارهم ، وهذا حصل بأمر الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى فكيف بفعله وأمره وهو بالضرورة نافذ.





— إتخاذ رسول الله ﷺ الامام علي ؑ وزيراً وناصرًا له ، وأمر والده ابا طالب بالطاعة له بعدما أمر الله سبحانه بقوله (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) الشعراء / ٢١٤ .

وذلك في حديث الدار يوم الانذار المشهور عند المؤرخين.

— إستلام الامام الجواد ؑ منصب الامامة وهو ابن سبع سنين بعد أن أرغم المعترضين عليه بالاقرار له بحضور المأمون العباسي ، وكذلك حصل هذا الامر للإمام الهادي ؑ وهو ابن ثمان سنين.

أن مدار القيادة بكافة أشكالها ليس على كبر السن كما يعتقد البعض ، بل بالخزم الشجاعة والعلم والمقدرة وبغض النظر عن العمر وطوله.

ذكر السيد محمد حسين الرضوي في كتابه حول الامام المهدي ؑ حيث قال : إن السر في جعل الامامة لمن له سبع أو خمس سنوات هو إمتحان الخلق بضرورة الانقياد والطاعة لأمر الله سبحانه وترك التكبر والترفع ، وأن يُسلم بذلك لأنه من أمر الله وقضائه.

وبهذا الصدد ذكر الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر في دراسته بحث حول الولاية حيث قال : إن الامامة المبكرة ظاهرة واقعية في حياة أهل البيت ؑ وليست مجرد إفتراض ، كما أن هذه الظاهرة لها جذورها وحالاتها المماثلة في تراث السماء ، ويكفي مثلاً لهذه الظاهرة في التراث الرّباني لأهل البيت ؑ نبوة نبي الله يحيى ؑ ومثى ثبت ذلك كون الامامة المبكرة ظاهرة واقعية ومتواجدة عند أهل البيت ؑ كما عند الامام الجواد ؑ والامام الهادي ؑ أو عند الانبياء والرسل كما عند يحيى ؑ وعيسى ؑ لم يعد هناك أي إعتراض فيما يخص إمامة المهدي ؑ وهو صغير.



القابه وصفاته

كنيته ككنية الرسول	ونوره من طلعة البتول
وصبره صبر الحسين جده	وحد سيفه غدا كحده
ألقابه الحجة والمهدي	والقائم المنتظر التقي
والخلف الصالح والبقية	وهو إمام الحق في البرية
في خده الايمن أحلى حال	كأنه الكوكب في الليال
أجلى الجبين أفرق الشايا	ووجهه ينير كالمرايا
وشعره طال لمنكبيه	ونوره يُشرق من خديه ^(١)

(١) إن صفات ومميزات الامام المهدي عليه السلام مشابهة تماماً لصفات آبائه الائمة الطاهرة سواء كانت ذاتية أو سلوكية لأنهم منبع المثل العليا والصفات الرفيعة ، ولما كانت صفة الصبر من أبرز صفات الامام الحسين عليه السلام لما عُرف عنه من شدة تحمله وجلده لما يرى من تمزق في الامة الاسلامية في عهده وشدة تحكم الطغاة آنذاك ، مما جعله أمثلة في الصبر والتحمل وشجاعة في ميادين الوغى ، حاملاً سيفه وعزمه ضد اعدائه ، وهكذا حال ولده المهدي المنتظر عليه السلام في قوة صبره ، وعظم جلده في فترة غيبته الكبرى.

وجاء في حديث اللوح المشهور في وصف القائم عليه السلام : وعليه كمال موسى ، وبهاء عيسى ، وصبر أيوب ...

أن تعدد الاسماء واللقاب دال على شرف المسلمي ، ولما كان الامام المنتظر بالحل الاعلى من الشرف والسؤدد فقد تعددت ألقابه وكُنَاهُ ، واعترف بها رواة التاريخ والسير.





قال الشيخ باقر شريف القرشي : إنا إسمه الشريف فهو كإسم جده الرسول الاعظم ﷺ وقد إتفق المؤرخون والرواة أن الذي سمّاه بهذا الاسم هو جده رسول الله ﷺ وقد نقلت أغلب مصادر التاريخ والسير جملة من القابه المباركة ومنها : المهدي ، القائم ، المنتظر ، الحجة ، الخلف ، الصالح ، صاحب الزمان ، صاحب الأمر ، بقية الله . حياة المهدي / ٢٧ .

قال الطبرسي : الامام المهدي هو المسمّى بإسم رسول الله ﷺ والمكّنّى بكنتيه ولا يحلّ لأحد أن يجمع بين الاثنين الى أن يزيّن الله الارض بظهور دولة ولده القائم . إعلام الوري ٢ / ٢١٣ .

وقد نقلت كل مصادر الجمهور ما قاله رسول الله ﷺ في أوصافه بشكل متواتر مستفيض ، وهذه شذرات من الاحاديث التي تبين أوصافه الجسدية ، حيث ورد في المصادر ما يلي :

— نقل بسندٍ عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي . عقد الدرر / الحديث ٤٦ .

— قال الراوي : قال رسول الله ﷺ : ليعيثن الله من عترتي رجلاً أفرق الشايبا ، أجلي الجبين ، يملأ الارض قسطاً وعدلاً ... البيان في أخبار صاحب الزمان / ٢٣٢ .

— قال الراوي : قال رسول الله ﷺ : المهدي رجل من ولدي وجهه كالقمر الدرّي على خده الايمن خال كأنه كوكب درّي ... أرجح المطالب / ٣٧٨ . للشيخ عبيد الله الحنفي .

كان ﷺ أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وخلُقاً ، وكانت شمائله شمائل رسول الله ﷺ حسب ما جاء في أصدق الروايات ، ويمكن إجمال صفاته بما يلي :

« كان ابيض ، مشرباً حمرةً ، أجلي الجبين ، أكنى الانف ، له نور ساطع ، بخده الايمن خال ، أفرق الشايبا ، ووجهه كالقمر الدرّي » .



كتمان الامر

لكنه أخفى ظهور أمره وظل يسقيه الهدى من بحره
ولم يقل للناس عندي ولد فألف سهم خلفه مسدود
من الوشاة الحاقدين المردة ومن أناس مارقين حسدة^(١)



(١) أشرنا فيما سبق ضمن ترجمة حياة الامام العسكري عليه السلام كيف تكتم الامام العسكري عليه السلام على ولادة ولده المهدي عليه السلام وغيبته عن الأنظار والاسماع خوفاً من السلطة العباسية الجائرة التي تترصد به ، بل وأخفاه عن عيون السلطة ووشاتها من الحاقدين على أهل هذا البيت الطاهر ، وبهذا الصدد نقل الشيخ الصدوق بسند متواتر الى أحمد بن الحسن بن إسحاق القمي قال : لما ولد الخلف الصالح كتب مولانا ابو محمد العسكري عليه السلام الى جدي أحمد بن إسحاق كتاباً فيه : ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً ، فإننا لم نظهر عليه إلا الاقرب لقرابته والولي لولايته . إكمال الدين ٢ / ٤٣٤ .



شهادة الثقة الاربعين

لكنه أخبر من كان ثقته	من بعد أن اعطى لذاك الصدقة
أتوه أربعون من شيعته	والسادة الخالص من صحبته
أخبرهم بأنه الامام	من بعده والقائد الهمام
ثم بدت لهم كرامات الفتي	من سورة (طور) وآي (هل أتى)
بحيث صار الكل في يقين	بأنهم يرون حامي الدين
ذاك الذي يملأها بالعدل	والقسط والهدى وخير الفضل
خمس سنين ظل يُديه لهم	كي تطمئن للفتى عقولهم
مهدداً لغيبة المهدي	ومخبراً عن أمره الخفي
لأنه سوف يغيب فتره	تشكك النفوس فيها أمره
وبعض شيعتي به سيؤمن	وبعضهم بحيرة يمتحن
وبعضهم يقول لن يعودا	وبعضهم يقول لن يسودا ^(١)

(١) قال الشيخ الصدوق في كتابه : حدثنا محمد بن علي ماجيلويه ، ومحمد بن موسى بن المتوكل ، واحمد بن محمد بن يحيى العطار ، رضي الله عنهم. قالوا : حدثنا محمد بن يحيى العطار قال : حدثني اسحاق بن رباح البصري ، عن أبي جعفر العمري قال : لما ولد السيد ﷺ قال ابو محمد ﷺ : ابعثوا الى ابي عمرو ، فبعث اليه فصار اليه ، فقال له : اشتر عشرة الاف رطل خبز ، وعشرة الاف رطل لحم ، وفرقه ، احسبه ، قال : على بني هاشم وعق عنه بكذا وكذا شاة. كمال الدين ٢ / ٤٣١ .





كانت هذه الإشارة الأولى من الامام الحسن العسكري عليه السلام بولادة المهدي الموعود عليه السلام غير انها إشارة غير كافية للتعريف بشخصه وملاحقه ، لذلك يقدم الامام العسكري عليه السلام على الخطوات اللاحقة المتمثلة في فسح المجال لعدد من المقرئين اليه وكانوا اربعين راوياً ثقة بالتعرف على المهدي عليه السلام عن قرب ، والنظر اليه بصورة مباشرة ، والتحدث معه ، وهو خلال ذلك يراقب الاجواء بحذر شديد خوفاً من اكتشاف الجهاز العباسي شخصية المنتظر الموعود عليه السلام الذي يملأ الارض قسماً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وقد أشرنا فيما سبق ضمن ترجمة الامام العسكري عليه السلام الى هذه الروايات ، وذكرنا وجوهها ومصادرها ، ولكن سنكتفي هنا بذكر ما نقله الشيخ الصدوق في كتابه إكمال الدين عن جماعة من أصحاب الامام العسكري عليه السلام قالوا : عرض علينا ابو محمد بن علي عليه السلام ابنه المهدي ، ونحن في منزله وكنا أربعين رجلاً ، وقال لنا : هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ، ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا ، أما أنكم لا ترونه بعد يومكم هذا. قالوا : فخرجنا من عنده ، فما مضت إلا أيام قلائل حتى مضى ابو محمد العسكري عليه السلام ...



حديث النبي ﷺ

وفاتهم ان النبي قالا
لا تنقضني الايام والدهور
يسيطر عدله لكل الناس
ثم ولو ظلل من الدهور
لمدده الله لكلي يقومها
من ولده ومن بني الحسين
رواية جاءت عن الرسول
أثبتها الرواة في الصحيح
وغيرها جاء به كثير
وانه من خير نسل فاطمة
وهو الذي لا يكذب المقالا
حتى يعود الغائب المستور
وللضعاف منهم يؤاسي
يوم ولو سويعة النشور
وينشر الراية والعلوم
بنوره يملأ كل عين
سليمة المعقول والمنقول
منيرة تشع كالصباح
بأنه الخليفة الاخير
موضحاً في قوله علامه^(١)

(١) ذكرت كتب الجمهور ولا سيما كتب الصحيح منها على أن النبي ﷺ قد ذكر في مرات عديدة البشارة بظهور ولده المهدي ﷺ من ذريته في آخر الزمان وأنه ﷺ سيطر العدل في الارض بعد فسادها.

واليك شذرات مختارة من هذه الاحاديث المسندة المتواترة وهي كما يلي :

— قال رسول الله ﷺ : إن خلفائي وأوصيائي وحججي على الخلق من بعدي اثنا عشر أولهم علي بن ابي طالب ، وآخرهم ولدي المهدي ، الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، والذي بعثني بالحق بشيراً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج ولدي المهدي .. فرائد السمطين ج ٢ الحديث الاول.





— قال حذيفة بن اليمان قال : خطبنا رسول الله ﷺ فذكر ما هو كائن ثم قال ﷺ : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدي من ذرية ابني الحسين ، اسمه إسمي ، وكنيته كنيتي .. ينابيع المودة / ٤٩٠ .

— قال ابو ايوب الانصاري : قال رسول الله ﷺ لإبنته فاطمة في مرضه : والذي نفسي بيده لا بدّ لهذه الامة من مهدي ، وهو والله من وُلدك .. بحار الانوار ٥١ / ٦٧ .

— ونقل الحموي الشافعي ، عن الرضا ؑ عن آبائه قال : قال رسول الله ﷺ : الحسن والحسين إماما أُمّتي بعد أبيهما وسيدا شباب أهل الجنة ، وأُمّهما سيدة نساء العالمين ، وأبوهما سيد الوصيّين ، ومن ولد الحسين تسعة أئمة تاسعهم القائم من ولدي ..

فرائد السمطين : ج ٢ الحديث ٨



موقف السلطة

مما حدا ظلماً بني العباس
فبحثوا عنه بكل حاره
يُعِينهم جعفر بن المهادي
ففتشوا الصبية والجارى
فمرّة بالوعد والاغراء
كي يعرفوا سرّ الامام حقا
لكنهم لم يفلحوا في سعيهم
ان يُرعبوا فيه خيار الناس
يتابعون خفيّة اخباره
بحقده في موقف معاد
ونشروا الخوف بكل دار
ومرّة بالسجن للنساء
ويوقعوا به ومن تبقى
ظلماً وقد ذاقوا وبال أمرهم^(١)



(١) لقد أشرنا فيما سبق الى خوف السلطة العباسية من تحركات الامام الحسن العسكري ؑ وشدة مراقبته له ولا سيما وأنها عارفة أنه سينجب ولداً سيكون وبالأعلى عليها وعلى شرعيتها المزيفة ، وتُشير المصادر التاريخية الى أن المعتمد العباسي الذي عاصر بداية إمارة الامام المهدي ؑ هو الذي بادر الى مدهمة دار الامام العسكري ؑ والتفحص عن ورثته ومراقبة الحوامل من نساء بيته بحثاً عن ولده المولود المنتظر الموعد ، كما مارست السلطة آنذاك كل وسائل الارهاب والارعاب ضد الائمة وأتباعهم ولا سيما ضد الامام العسكري ؑ.

وقد شرعت السلطة الجائرة بعد وفاة العسكري ؑ الى تطويق بيت الامام وإرهاب أهله عسى أن تعثر على ولده الموعد ، وقد أستعانت السلطة في فعلها هذا بأخ الامام العسكري ؑ والمعروف بـ « جعفر الكذاب » وهو أحد أولاد الامام المهادي ؑ وقد عُرف عنه بالانحراف عن خط والده الامام المهادي ؑ حيث إختار طريق السلطة الظالمة وأصبح فيما بعد خطراً على الامام المهدي ؑ ، لكن الله سبحانه خيّب مسعاه ومسعى السلطة العباسية وحفظ وليّه من شرورهم.



اللفظ الالهي

وَحَافِظُ عِبَادِهِ فِي سِرِّهِ	فَاللَّهُ حَافِظٌ وَلِيٌّ أَمْرِهِ
يُظْهِرُ مَنْ يُظْهِرُ أَوْ مَنْ يُخْفِي	بِحِكْمَةٍ بِالْغَيْبِ وَلَطِيفٍ
وَيَكْشِفُ الْغُيُوبَ وَالْمُسْتُورَا	فَهُوَ الَّذِي يَقْدَرُ الْأُمُورَا
فِيهَا ارْتَوَى بِقَلْبِهِ الْإِسْلَامُ	خَمْسَ سِنِينَ عَاشَهَا الْأَمَامُ
بَطِيبٍ مُحْتَدٍ وَطِيبٍ مَعْشَرٍ ^(١)	كَانَ قَضَاهَا فِي حَنَانِ الْعُسْكَرِي



(١) عاش الامام المهدي عليه السلام في كنف ابيه العسكري عليه السلام خمس سنوات ، وكان ابوه عليه السلام يحنو عليه ، ويبلغ في الاهتمام به ، ويمدّه بأسرار الامامة ، ويبلغ في التعريف به بين شيعته المقربين ، ويعلن أنه الامام من بعده ، وتشير المصادر التاريخية أن الامام العسكري عليه السلام قد أمدّ ولده المهدي عليه السلام بكل وسائل العناية ، والرعاية ، والتبجيل ، وقد أشرف في كل لحظة على رفع شأنه ، وأنه كان دائماً يُصَلِّي ويدعو له بالحفظ ، سواء أثناء ولادته أو ما بعدها .

واليك وقفات مع الامام العسكري عليه السلام تجاه ولده المهدي عليه السلام وهو يقوم باعداده اماماً للرسالة المحمدية ، ومنقذاً للمستضعفين في الارض ، وهي كما يلي :

— إثبات وجوده بين رموز وعلماء الشيعة ، واطهاره للثقات من شيعته خوفاً من انطماس ذكره ، وبالتالي نكران وجوده .

— اعداده للمسؤولية ، وزقه للعلوم الاسلامية والاداب النبوية ، التي ورثها من آبائه الطاهرين عليه السلام .

— أمر شيعته بالرجوع إليه في معرفة المسائل والاحكام من بعده ، ليشعرهم بوجود امام يقوم مقامه بعده .

. هياً له من بعده نظام الوكلاء ، والسفراء ، ليعتاد عليه بعد إنتقاله عليه السلام الى جوار ربه .



رحيل الامام العسكري ؑ

حتى إذا قد شاءت الاقدار
يوم رحيل والد الامام
وافتقد المهدي فيه ركننا
وطبّق العزاء سامراء
واقبل الشيعة في جموع
واضطرب الخليفة (الامير المهدي)
وكاد ان يخرج عنه الامر
وانما خفف حزن الشيعة
فهو الذي سيحمل اللواء
وارتجت الاركان والاسـتار
من بعد ان كان له المحامي
يرى به عزيمته وأمننا
بجزئنا وترفع البكاء
بعبرة سخينة الدموع
بيوم فقدان الامام السيد
فمال للترك ومأج القصـر
علمهم بالقائم الوديعه
والعهد والامامة الغراء^(١)



(١) شرحنا ذلك فيما سبق ضمن ترجمة حياة الامام العسكري ؑ وأوضحنا كيف سـمّ الامام العسكري ؑ من قبل الخليفة العباسي ، وما أعقب ذلك من فجيعة العالم الاسلامي به ، وكيف أشرف الامام المهدي ؑ على الصلاة على جثمان والده ، وما أعقب ذلك من تشييع مهيّب للإمام الراحل ، بحضور أركان الدولة آنذاك ، وما حصل يومئذٍ لمدينة سامراء من تعطل الحياة فيها وغلق أسواقها ، وقد عمّ الشيعة ورموزها يومذاك حزن شديد لفقدان إمامهم ، لكنّ وجود الامام المهدي ؑ هوّن الصدمة عليهم ، وأمدهم بالصبر ممّا جعلهم يرجعون إليه في مسائلهم العامة لا سيما وهو الوريث الوحيد للإمام بعد أبيه ؑ وهكذا رحل الامام العسكري ؑ لثمانٍ خلّونَ من شهر ربيع الاول سنة ٢٦٠ هـ وله يومذاك ٢٨ سنة ، ودُفن في داره بسامراء مع ابيه الهادي ؑ.



الصلاة على الامام العسكري ؑ

صلى على ابيه في الحشود
وكان جعفرٌ بها تقديماً
قال : انا الوارثُ للامام
ولم يكن جعفرٌ بالتقبي
فامتنع الشيعة عن صلاته
فاسرع المهدي للصلاة
فهو ابي دون جميع الخلق
ففرح الشيعة بالامام
وراح جعفرٌ يكيّد الغدرا
وشُيعت جنازة ابن طه
ودفن الامام حيث داره
الى جواره الامام الهادي

مراقباً في وسط الجنود
وهو اخ للعسكري علماً
فهو اخي قلدي مقامي
ولا بذاك السيد المرضي
إذ لم يكن يُعرف في سماته
وقال يا عمّ انا ذا آت
قد حزت في ذاك سهام سبق
إذ عرفوه دوننا اتمام
فسمّي الكذاب بعد دهر
طوي لمن شيعها وآها
عامرة تؤمها أنصاره
وسيد الزهاد والعباد^(١)

(١) عندما غُسل جثمان الامام العسكري ؑ وأراد « جعفر الكذاب » عمّ الامام المهدي ؑ أن يُصلي على الجثمان المطهر لسلب الامامة ، ظهر الامام المهدي ؑ وله من العمر خمسة سنوات ، وأزاح عمّه عن الجثمان المطهر قائلاً له : تنح يا عم فأننا اولى بالصلاة منك على جثمان والدي. حتى رآه آنذاك الخاص والعام ، وفرح به الشيعة ، وعرفوا أنه الامام الوريث الموعود بالامامة بعد أبيه.

وبعد ذلك قام جعفر الكذاب مؤيداً بالسلطة الجائرة بالقيام بعدة اعمال مُشينة تجاه أسرة الامام العسكري ؑ وورثته من سجن وتعذيب ، بحثاً عن الامام المهدي ؑ الذي اختفى. لقد مرّ ذكر مراسيم دفن الامام العسكري ؑ في قسمه الخاص ضمن هذه الملحمة ، راجع القسم الثالث عشر ، تحت عنوان شهادة الامام العسكري ؑ.



عصر الغيبة الصغرى

وإبتدأ المهدي عصر الغيبة
متصلاً (بإبن سعيد العمري)
وهو تقى من كبار الشيعة
وبعده ابنه الفتى (محمد)
ثم (حسين بن روح) بعده
ثم (علي بن محمد) ومن
أولاء كانوا السفراء الاربعه
فهم له الابواب والى الدعاء
على يديهم تخرجوا الرسائل
سبعون عاماً مدة السفاره
لأمة إمامها مستتور
هم فقهاء قادة أبرار
تحملوا أمانة الامامه
ونظّموا بالسري أمر الشيعة
بالوكلاء الامناء البرره
كانوا بسامرا وفي بغدادا

بكل حكمة ودون ريبه
سفيره الثبت بتلك العُصر
وهي له سامعة مطيعه
من بالتقى والزهد كان يُمد
من لم يخن مع الامام عهد
قد عرفوه (السمرى) ذا المن
ومن بهم سرّ اللقاء أودعه
ومن لهم قد وضح اثبات
وعن لسانهم يُجاب السائل
كانوا بها الملاذ والمناره
وعن عيونها توارى النور
مصدقون سادة اخيار
وجاهدوا الطغاة باستقامه
بحقبه مظلمه مريبه
يُدار شأن الامه المنتظره
يوصلون المهتم والجهاداً^(١)

(١) إعتبر بعض المؤرخين ان مدة غيبة الامام المهدي عليه السلام قد دامت ٧٤ سنة ،
حيث ذكر محمد كاظم القزويني : لعل من الصحيح أن نقول أن الاستتار والاختفاء كان



مُلازماً لحياة الامام المهدي عليه السلام منذ أوائل عمره وعلى هذا يمكن القول أن الغيبة الصغرى ابتدأت مع ولادته ويمكن اعتبار السنوات الخمس التي قضاها مع والده العسكري عليه السلام من ضمن مدة الغيبة الصغرى.

ويبدو أن هذا خطأ كون هذه السنوات الخمس قد رآه الناس والخلق من شيعته وغير شيعته في مرات كثيرة ، وهذا يعني أن غيبته الصغرى في الواقع ابتدأت بعد وفاة والده العسكري عليه السلام وليس في أيام ولادته.

إن الغيبة الصغرى وما ترتب عليها من جعل السفراء والنواب قد أشار إليها الرسول الأكرم وأهل البيت عليه السلام من قبل ، كما ذكرت ذلك العشرات من النصوص الواردة بهذا الشأن ، إضافة إلى ذلك إلى أن الامامين العسكريين عليه السلام كانا قد مهذا لهذا الأمر بوضعهما نظام السفارة والوكالة من قبل تمهيداً لوقوعها فيما بعد.

واليك هنا عدة إشارات وتعليقات :

— إن الله سبحانه إنما أخفى مولده عليه السلام ومن ثم غيبه الغيبة الصغرى ، وما تلاها حتى لا تكون في عنقه عليه السلام بيعاً لأحدٍ من الطغاة أو الظلمين.

— هذه الغيبة وما تلاها غير خاضعة لتفسير العقل البشري المحدود ، بل هناك حكمة من ورائها بعد ذلك ، وما علينا إلا التسليم والانقياد لأمر الله وحكمته عز وجل.

— إن الغيبة الصغرى وما تلاها لا تعني إبتعاد الامام المهدي عليه السلام عن المجتمع بصورة كلية كما يعتقد البعض ، بل تشير الوقائع إلى أنه عليه السلام كان حاضراً بصورة دائمة في وسط المجتمع ، ويعيش معه همومه وقضاياه ، بل ويتجاوب معه في أحيان كثيرة بالفكر ، والعمل ، والسلوك ، والنجدة حسب مقتضيات الظروف والمصلحة في ذلك ، وهذا أمر مؤكد حتى في أيام غيبته الكبرى.

— توجد لغيبته الصغرى والكبرى نظائر سواء على صعيد القرآن الكريم ، أو التاريخ الإنساني المدون مما جعلها مقبولة عقلاً ، ومن ذلك غياب نبي الله يوسف عليه السلام في بطن الحوت مدة طويلة ثم رجوعه ثانية لممارسة دوره القيادي للأمة ، وهذا منصوص عليه في القرآن والكتب السماوية الأخرى ، وكذلك عودة أهل الكهف بنص القرآن الكريم بعد الاختفاء فيه سنين متطاولة ، وكذلك عزيز عليه السلام ذاك الذي مرّ على القرية فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، كما ذكر في القرآن الكريم ، وغير ذلك من هذه الامثلة والمشاهد.





إن الغيبة الصغرى وقعت لعدة أسباب تكمن ورائها حكمة آلهية ، ومن هذه الاسباب :
— شدة المؤامرات التي تحوكمها السلطات الظالمة ضد الامام عليه السلام من قتل ، أو سجن ، أو مطارده.

— إن الغيبة الصغرى تمهيد مسبق لوقوع الغيبة الكبرى حتى لا تكون الغيبة الكبرى في وقوعها غريبة عن المجتمع ، فهي مقدّمة تمهيدية حكيمة لغيبة طويلة يتعد فيها الامام عليه السلام عن أنظار الامة وجماهيرها.

ومن هذا كّلّه بدأت غيبة الامام الصغرى بالاختفاء عن الانظار مُتَّخِذاً له جماعة من الثقات ، الفقهاء ، الابرار كنوّاب ، وسفراء ليحفظهم وسيلةً للاتصال بالامة الاسلامية عامة ، وتُشير المصادر التاريخية أنه عليه السلام قد اتخذ له أربعة من النّوّاب أو الوكلاء وهم :

١ . الشيخ عثمان بن سعيد العمري المعروف بـ « الزّيّات أو السّمّان » لأنه كان يتاجر بالزيت تقيّةً على عمله الرسالي ، وقد وثقه الامام مرّات عديدة وأثنى عليه ، وبه بدأت الوكالة ، وقد استمرت قرابة ٢٠ عاماً ، وكنيته ابو عمرو ، وأنه قد وافاه توقيع من الامام عليه السلام بأن يجعل ولده محمد نائباً بعد وفاته ، وقد توفي في ٢٨٠ هـ وقبره الآن ببغداد يُزار قرب سوق السراي شرق الجسر العتيق.

٢ . محمد بن عثمان بن سعيد العمري ، وكنيته ابو جعفر وقد عينه كما ذكرنا سابقاً بأمر الامام المهدي عليه السلام وقد بقي وكيلاً وسفيراً للإمام قرابة ٥٠ عاماً ، وقد توفي عام ٣٠٥ هـ وقبره ببغداد في محلة الخَلّاني عند مقام الشيخ عبد القادر الكيلاني.

٣ . الحسين بن روح النوبختي ، وكنيته ابو القاسم ، وكان معروفاً بالفضل والوثاقة بين عاقبة الناس ، وقد ابتدأت نيابته عام ٣٠٥ هـ وبقي حتى توفي عام ٣٢٦ هـ وقبره الآن ببغداد ومشهور بزار كثيراً قرب محلة « الشورجة » ببغداد حوله بيوت وقصور عامرة.

٤ . علي بن محمد السمرى ، وكنيته ابو الحسن ، وكان وكيلاً وسفيراً للإمام المهدي عليه السلام وبوفاته وقعت الغيبة الكبرى بناءً على رسالة أخرجها الامام عليه السلام يديه للناس قبل ستة ايام من وفاته بأنه لا وكيل بعده ، وقد توفي بعد هذه الايام الست لتقع الغيبة الكبرى ، وكانت وفاته سنة ٣٢٨ هـ وقبره الآن ببغداد شرق الجسر العتيق في سوق البزّازين قرب قبر الكليني صاحب الكافي.





ومن الجدير ذكره أن النائب عن الامام يتخذ مجموعة من السفراء أو الوكلاء عنه في
الامصار الاسلامية كبغداد ، وسامراء ، والبصرة ، لكي ينقلوا عنه الحكم الشرعي أو جواب
المسألة من النائب أولاً أو يتصلوا مباشرة بالامام ، ومن الوكلاء أو الفقهاء المعروفين :
حاجز بن يزيد الوشاء ، ابراهيم بن مهزيار ، محمد بن ابراهيم بن مهزيار ، أحمد بن اسحاق
الاشعري ، محمد بن جعفر الاسدي ، القاسم بن العلاء ، محمد بن شاذان.



المدعون للسفارة

لكن بعضاً ادعى (السفاره)	وكان أمراً بين النكاره
يدفعهم لذلك الشيطان	كي يهدم الاساس والبيان
أول مدع هو (الشريعي)	جاء بأمر منكر فضيع
اذ ادعى بانـه للمهدي	باب وللحق القويم يهدي
فخرج (التوقيع) بالبراءه	منه ومن اعماله المساءه
ولعنته شيعه الامام	ونبذته امـه الاسـلام
و (الشلمغاني) كذلك ادعى	وكاله المهدي بالزور سعي
ومثله (محمد النميري)	من لا يُرجى منه أي خير
ومثله المنحرف (الهلالي)	ومدعي السفارة (الـبلالي)
أولائي بعض من تجرا وادعى	زوراً وتكذيباً مقاماً ارفعاً
حتى اذا مضت (السبعونا)	تاركه من بعدها الظنونا
وانقطعت بذلك السفاره	لفقههاء الامـه المختاره ^(١)

(١) أن تاريخ تزوير السفارة في حياة الامام المهدي ﷺ إنما ظهر في فترة متأخرة من بدايه الغيبة الصغرى وأن الامام المهدي ﷺ بعيد كل البعد عن سبب ظهور هذا الانحراف لأنه إمام معصوم ، ولا يمكن أن يتطرق أي خطأ في إختياره لهذا الرجل المدعي الفاسد وإنما نشأ هذا الامر إما من تلقاء نفس هذا الشخص المنحرف منافسةً للسفير الاصلي أو بسبب سوء إختيار السفير الاصلي ممن ينوب عنه مما أدى الى سوء هذا الاختيار.

وقد شكّل هؤلاء المنحرفون المدعون للسفارة خطراً على السفارة كمهمة رسالية مثل التأثير على مهمة النواب الاصلاء ، وتشويه خط الامام في إنجاز مهمته المقدسة ، وخلق عدة





مشاكل عقائدية واجتماعية في المجتمع الاسلامي آنذاك ، وتشويه الدين كرسالة إلهية
لقيادة البشر نحو الله سبحانه ، كل هذا دعا الامام عليه السلام الى إصدار البيانات بلعنهم أو التبرؤ
منهم ولعل من ابرز هؤلاء المدّعين المنحرفين :

— ابو محمد الحسن الشريعي : وكان من أصحاب الامامين العسكريين عليه السلام ثم ادّعى
السفارة زوراً ، ونسب الى الائمة ما لا يليق بهم ، ثم ظهر منه الكفر والالحاد ، حتى لعنه
الامام عليه السلام ومن فعل ذلك نوابه وشيعته وتبرأوا منه.

— محمد بن نصير النميري : كان من أصحاب الامام العسكري عليه السلام ثم ادّعى السفارة ،
وظهر منه الالحاد ، والافعال الفاسدة ، وإشاعة المخزّات بين الناس ، حتى صدر الامر من
الامام عليه السلام بلعنه والبراءة منه.

— أحمد بن ابراهيم العبرتي : كان من أصحاب الامامين العسكريين عليه السلام ثم عُرف عنه
الغلو والشعوذة ، حتى إنقلب أمره فصار ناصبياً ، فلعنه الامام والشيعه في ذلك الزمان.

— محمد بن علي بن بلال : ادّعى الوكالة عن الامام وسرق الكثير من الاموال حتى صدر
الامر من الامام عليه السلام بلعنه والبراءة منه.

— محمد بن علي السلمغاني : ويُعرف بـ « ابن العزافر » له عدة مؤلفات دسّ فيها الكثير من
الاحاديث المزورة ، وعُرف عنه عقائد فاسدة.

وهناك جماعة أخرى فعلت نفس الافاعيل من الشعوذة والادعاء والقول بالعقائد الفاسدة
ومنهم : الحسين بن منصور الحلاج المتصوّف ، وابو دلف الكاتب ، ومحمد بن أحمد
البغدادى ، وكل هؤلاء لعنهم الامام وأصدر الامر بفساد عقائدهم.



الغيبة الكبرى ودور الفقهاء

وأذن الوقت بعصر الغيبة	بحذر وظنّةٍ وريبه
وقال للامة من بعدي ارجعوا	الى رواة قولنا لكى تعموا
فأنهم حجة ربّ الباري	وفيهم اربث من المختار
هم حجة الله غدوا عليكم	وحجة الله اننا عليهم
يستنبطون الفقه والاحكاما	ويعرفون الحل والحراما
مهمة لهم مدى الازمان	ليحفظوا معالم الايمان
واستترت بذلك الامامه	وخلفت أكثر من علامه
على ظهور المصلح الموعود	بعد تقادم من العهد
فقد روى الرواة عن نبينا	وأثبت الهداة عن صفينا
بأنه في آخر الزمان	يخرج من عيىد للايمان
قوته ومجده الأثيالا	وروحه ونهجه الاصيل ^(١)

(١) إنتهت الغيبة الصغرى بوفاة النائب الرابع للإمام عليه السلام الشيخ علي بن محمد السمري ، وذلك في سنة ٣٢٨ هـ وكان له من العمر ٧٤ سنة ، وبوفاة النائب الرابع بدأت الغيبة الكبرى ، والتي عُبر عنها بأنها سر الله الذي لا يطلع على وقته غيره سبحانه ، حيث غاب الامام وأختفى مُبتدأً من دار أبيه في سامراء ليخرج الى بلاد الله العريضة ، ويرى تحركات الناس ، ويراقب همها وهمومها ، وهو بذلك إتمها يطبق مشروع الله العظيم وتخطيطه الحكيم تاركاً الامر كله من بعده بيد الفقهاء العاملين نيابةً عنه في غيبته الطويلة ، وبذلك انقطعت





طرق الاتصال بالامام مباشرة . الا ما ندر . وكان الامام عليه السلام قبل ذلك قد كتب الى أحد وجهاء الشيعة ، وهو إسحاق بن يعقوب ، عن طريق أحد نوابه ما يلي :
وأما الحوادث الواقعة فأرجعوا فيها الى رواة حديثنا ، فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجة الله عليهم .

وكان الامام عليه السلام قد كتب الى نائبه الرابع الشيخ السمرى قبل وفاته بستة أيام ما يلي :
بسم الله الرحمن الرحيم ي اعلني بن محمد السمرى عظم الله أجر إخوانك فيك ، فأنتك ميت بعد ستة أيام ، فأجمع أمرك ولا توصي لأحد أن يقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى .

وهكذا وقعت الغيبة الكبرى وفيها أحال الامام المهدي عليه السلام أمر الامة في حل قضايها الى الفقهاء بإعتبارهم حكماً بين المسلمين ، ومرجعاً في شؤونهم الحياتية ، وهؤلاء الفقهاء ممّن ترجع الامة اليهم لهم شروط ومواصفات حدّدها الامام عليه السلام في بيانه الاخير لغرض تولّي النيابة عنه .



الحديث الصحيح

وَجَاءَ فِي وَصِيَّةِ الرَّسُولِ	بكَثْرَةِ الرِّوَاةِ فِي الْمُنْقُولِ
أَنَّ أئِمَّةَ الْهَدْيِ اثْنَا عَشَرَ	أُولَٰهُمُ شَمْسٌ وَتَالِيَهُمْ قَمَرٌ
يُولَدُ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ الْقَائِمِ	فِي آخِرِ الدَّهْرِ لَهُ عِلَائِمُ
حَيْثُ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ مِثْلُ اسْمِي	وَأَنْ عَزَمَهُ شَيْبُهُ عَزَمَنِي
يَمْلَأُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا مِثْلَمَا	قَدْ مَلَأْتَ ظِلْمًا لِأَعْنَانِ السَّمَاءِ
وَالْمُسْلِمُونَ اجْمَعُوا عَلَيْهِ	مَنْتَظَرِينَ بَيْعَةً لَدَيْهِ
فِي (الرَّكْنِ وَالْمَقَامِ) حِينَ يَظْهَرُ	يَحْمِلُ سَيْفَ جَدِّهِ يَكْبُرُ
وَصَحْبُهُ تَأْوِي إِلَيْهِ قَزَعًا	مُسْتَبْشِرِينَ نَوْرَهُ إِذَا طَلَعَا
بِيعَتُهُ كَبَيْعَةِ الْغَدِيرِ	فِي مَوْقِفٍ كَمَوْقِفِ الْأَمِيرِ ^(١)

(١) إن أحاديث ظهور الإمام المهدي عليه السلام الصادرة من رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام التي تشير أنه من ذرية علي وفاطمة عليه السلام كثيرة ومتواترة ، وقد أقرّ بصحتها وتواترها جمهور المسلمين كما أشرنا من قبل ، وقد بلغت هذه الأحاديث من الكثرة بحيث يصعب استقصاؤها إلا على ذوي الاختصاص وسوف نورد بعضها كما أثبتتها كتب السير والتاريخ :

— جاء بسند متواتر إلى ابن عباس « رض » قال : قال رسول الله ﷺ : إِنَّ عَلِيًّا إِمَامٌ أُمِّي مِنْ بَعْدِي وَمَنْ وُلِدَ الْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا بَعْدَ مَا مُلِئَتْ ظِلْمًا وَجُورًا. ينابيع المودة للقندوزي / ٤٩٤ .

. جاء بسند إلى أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : المهدي من عترتي من ولد فاطمة .

كنز العمال ٢ / ١٨٦ .





— جاء بسندٍ الى ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين ومطهرون معصومون تاسعهم المهدي المنتظر. ينابيع المودة ٣ / ٣٥٨.

— جاء بسندٍ الى أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : لا تذهب الدنيا حتى يقوم على أمّتي رجل من ولد الحسين يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً. ينابيع المودة ٣ / ٣٥٨.

— جاء بسندٍ الى أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : المهدي من ذريتي يظهر بين الركن والمقام .. الشيعة والرجعة ١ / ١٥٠.

— جاء بسندٍ الى ابي طفيل قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يخرج في آخر الزمان رجل من ذريتي الله له قوماً قزعاً كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم عندئذ على عدد أهل بدر .. كنز العمال ٤ / ٥٥٧.



علامات الظهور

وقبل ذاك يظهر (السفياي)	و (الحسني) الطهر و (اليماني)
وراية شرقية سوداء	وبعد ذاك تخسف البيداء
وهذه بعض العلامات التي	جاء بها النص باجلى صورة
وفي (الصحاح) جاءت الاخبار	صادقة ينقلها الاخيار
بانه لو ظل يوم واحد	لطال حتى يخرجن القائد
قضيه وان بدت نقليه	لكنها قضيه عقليه
فقصة الخلاص للانسان	مطبوعة في الفكر والوجدان
دانت بها الاجيال عبر الزمن	حتى غدت سلاحها في المحن
والانتظار افضل العباد	ما فاقه شيء سوى الشهاد
ففكرة (المهدي) من نور السما	ولا يراها من اصيب بالعمى ^(١)

(١) تواترت الاخبار عن النبي ﷺ والائمة الهداة من ذريته بخروج الامام المهدي ﷺ آخر الزمان ، وذكرت هذه الاخبار جملة من العلامات والحوادث التي تسبق ظهوره ، أو تكون دالة على قرب ظهوره ، كما أفادت بذلك كتب الجمهور من الفريقين ، وقد جمع هذه العلامات بصورة إجمالية الشيخ المفيد في الارشاد منها : خروج السفياي ، وقتل الامام الحسين ﷺ وخسف بالبيداء ، وإقبال رايات سود من خراسان .

وعلى الاجمال يمكن القول أن علامات الظهور تُقسم الى قسمين :
— اما علامات حتمية : وهي التي لا بد من وقوعها ، والتي نصّت الاخبار المسندة المتواترة على وجوب وقوعها ، وهي الدليل الوحيد الذي نعرف من خلاله إقتراب الظهور .





— واما علامات غير حتمية : وهي حوادث يُمكن أن تقع أو لا تقع ، بل تتغير تبعاً لطبيعة حركة المجتمع البشري ، فالانحراف والافساد له أثر في وقوعها ، وعلى العكس الاصلاح وعمل الخير له دور في عدم وقوعها ، ومن هذه العلامات الفساد في المياه والغذاء ووقوع بعض الحوادث الكونية ، وتدهور الوضع الاقتصادي واشتعال الحروب في الارض وغيرها.

إن فكرة ظهور مصلح عظيم تسعد به الانسانية بعد هذه المحن البلياء فكرة قديمة آمنت بها الاجيال على اختلاف ادیانها ومذاهبها وعقائدها ، بل صارت حلمياً يراود البشرية على إمتداد التاريخ ، ويعتقد الجميع سواء اصحاب رسالات سماوية أو اصحاب مبادئ وضعية أن وراء هذه الحقب المظلمة التي تعم الارض أمل مشرق تسطع به الشمس من جديد ، وهم بذلك ينتظرون مصلحاً عظيماً يغيّر بثورته وجه العالم الحالك لصالح الحق والعدالة.

ويمكن القول أن هذا المصلح لن يكون غير الامام المهدي عليه السلام رغم تعدد الاسماء والمصطلحات في جميع أفكار الآخرين ، فلو أخذنا المسلمين على كافة مذاهبهم فهم يعتقدون بذلك وأن الله سبحانه قد أشار الى إمام مصلح مُنتظر في كتابه العزيز عدة مرات ومن هذه الآيات قوله تعالى :

. (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) الانبياء / ١٠٥ .

— وقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) التوبة / ٣٣ .

— وقوله تعالى : (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً .. وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) القصص / ٥ . وغيرها.

وأن الرسول الاكرم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى قد بشر المسلمين بظهور رجل من عترته ، يظهر آخر الزمان يُصلح الارض بعد إفسادها ، وقد أقر المسلمون بأحاديث الرسول ﷺ هذه ونقلوها في صحاحهم ومساندهم ، وأعتبروها متواترة صحيحة لا غبار عليها ، وأن قضية الامام المهدي أمرٌ مُسلم به عند الجميع.

إتفا في الديانات الاخرى والعقائد الوضعية فقد وردت الاشارة له في كتبهم المقدسة ، وهنا نذكر بعض ما ورد حول هذه الفكرة عند غير المسلمين وكما يلي :





— جاء من « رؤيا القديس يوحنا » : وظهرت آية عجيبية في السماء امرأة تلبس الشمس والقمر تحت قدميها ، وعلى رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً حُبلى تصرخ من وجع الولادة ، وقد أحاط بها تثنى عظيم له سبعة رؤوس وعشر قرون ، ووقف التثنى امام المرأة ليبلع ولدها حين تلده ، وقد ولدت ولداً ذكراً ، وهو الذي سيحكم الامم كلها بعضاً من حديد. انجيل يوحنا صفحة ٤٠٤ .

— وجاء ايضاً في انجيل متى : كالبقر يخرج رجل من الشرق ويكون ظاهراً إنه ابن الانسان . انجيل متى الفصل / ٢٤ .

— وإما عند اليهود ففي كتابهم المقدس التوراة « العهد القديم » فقد جاء في « مزامير داود » : به يقطع الله دابر الاشرار وإما الصديقون معه فيرثون الارض.

— وفي كتاب الزرادشتيين المقدس « جاماسب نامه » فقد جاء هناك : يخرج رجل من أرض التازيين « العرب » على دين جده في جيش كبير يملأ الارض عدلاً.

— وفي كتاب الصينيين المقدس « وشن جوك » فقد جاء هناك : وأخيراً ترجع الدنيا الى رجل يحب الله وهو من عباده المخلصين.

— وفي كتاب الهنود المقدس « باسك » فقد جاء هناك : دور العالم ينتهي الى ملك عادل في آخر الزمان ، يكون منصوراً بالملائكة والجن وبني آدم ، ويكون الحق معه ويديده كل كنوز البحار والارضين ، ولا ترى الارض رجلاً اعظم منه.

وهكذا باتت قضية الامام المهدي ﷺ وخروجه آخر الزمان قضية فطرية وتاريخية ، وضرورة الاديان ، والمذاهب ، والمعتقدات على إحتلاف أطروحاتها وتنتظره الاجيال وهي تعاني الحزن آمله أن ينقذها بعد ضياع ودمار.

قال الرسول ﷺ : المهدي من ولدي الذي يفتح الله به مشارق الارض ومغاربها ذاك الذي يغيب عن أوليائه غيباً لا يثبت على القول بإمامته إلا من إمتحن الله قلبه للإيمان.



الكوفة عاصمة المهدي ﷺ

وجاء في اخبارنا المؤكدة	بعد انتهاء الغيبة المسددة
سيظهر القائم بالكتاب	مع الجنود الكثر والاصحاب
من (مكة) يظهر حيث الكعبة	وجنده منصورة بالرهبة
يسير في جيوشه الموصوفة	نحو العراق حيث ارض (الكوفة)
ويقتل (الدجال) و (السفاني)	وزمرة الفساد والطغيان
وينصب الراية عند (المسجد)	فيا له من قائد مؤيد
من بعد ان يخوضها معاركاً	يترك راس الظلم فيها هالكا
وبعدها الى (دمشق) ينوي	يضم (لليهود) امراً مطوي
يحرر (الاقصى) و (بيت المقدس)	بتضحيات من خيار الانفس ^(١)

(١) تصرح بعض الاحاديث الشريفة أن اصحاب الامام المهدي ﷺ الخاصين يجمعون في مكة ، وبصورة إعجازية أو سريعة بوسائل النقل المتطورة ليدركوا ظهور الإمام ويأبىوه.

ويخرج ﷺ بجيشه متوجهاً الى الكوفة التي يتخذها منطلقاً لتحركه العسكري بعد إنهاء فتنة السفاني والخسف الذي يقع بجيشه في البيداء.

وينشر راية رسول الله ﷺ المذخورة عنده في نجف الكوفة ، وتنصره الملائكة التي نصرت جده رسول الله ﷺ في معركة بدر ، وتذكر الاحاديث الشريفة أنه يواجه واصحابه وجيشه صعوبات شديدة وتعباً في بداية تحركه العسكري ، وحروبه التي تستمر ثمانية اشهر لتصفية الجبهة الداخلية فيما تستمر ملاحمه عشرين عاماً.

ويلاحظ هنا ان المسير الذي يختاره ﷺ هو المسير الذي اختاره جده الامام الحسين ﷺ في





نخضته الاستشهادية في مكة الى الكوفة ، التي منع جده سيد الشهداء عن الوصول اليها
فيصل سليله المهدي عليه السلام اليها ويحقق الأهداف الإصلاحية في الامة المحمدية التي سعى لها
جده سيد الشهداء عليه السلام وعندما يدخل الكوفة يجد فيها ثلاث رايات تضطرب فيوحدها
وينتهي اضطرابها بنشره للراية المحمدية المذخورة ، وينتهي جيوب النفاق المتبقية فيها في
معركته مع الفرقة التي تصفها الاحاديث الشريفة بالبترية.

— ويظهر ان دخول الامام المهدي عليه السلام فلسطين يكون بعد تحرير بيت المقدس من الإفساد
اليهودي وإنهاء حاكميتهم عليها .

لذا قد يكون من الممكن القول بأن دخول الامام بيت المقدس يكون بعد تصفية الجبهة
الداخلية ومقدمة لمواجهة الأعداء خارج العالم الإسلامي ، أو الروم حسب تعبير الروايات
وفتح كل الأرض . اعلام الهداية ١٤ / ٢١٦ . ٢١٨ .



دولة العدل الالهي

وبعددها تتسع الفتوح
حتى تدين الارض للمهدي
ويسبب العدل والأمان
اساسها حكم النبي الهادي
وتطهر الارض من الارجاس
وراية لابن النبي تخفق
وحيث عيسى خلفه يصلي
ثم يقيم الحق فيها (تسعا)
وقيل سبعة من الاعوام
تسمعه شيعته وتبصره
يغنى فيحثو المال فيها حثوا
يحيى بذلك سنة النبي
تسعد فيه الناس والبلاد
يرتفع الاذان في الجوامع
وتخضع الاحبار والرهبان
ويسطر العدل بكل الارض
ويأخذ الثار لعاشوراء
يدعو لانهج آل المصطفى

بكل ارض راية تلوح
وتحنني لحكمه القوي
في اممة ميزانها الايمان
والخير في قسط وفي رشاد
ويعمر الهدى بكل الناس
تضيء فيها طلعة وتشرق
يسير أثر خطوه كالظل
يمشي بقرآن الهدى ويسعى
تurf فيها راية الاسلام
تأخذ منه رأيه وتنصره
دليلاً الى العطاء التقوى
وهو يميّت بدعة الشقي
وتستقر الارض والعباد
ويخفت الناقوس في الصوامع
لحكمه وتحمّد النيران
وفعله لهدى الجميع مرضي
من زمرة النفاق والشقاء
الطيبين الطاهرين الشرفا



ويرجع المغصوب من حقوقهم
يُعْلَمُ الناس المهدي والذكرى
حتى يقال قد عرفنا الديننا
يزيل اعلام الطغاة الفجرة
يدعو أنا (بقیة الله) لكم
(نريد أن نمَنّ) بي قد نزلت
وفي الزبور والاناجيل وفي
بأن آخر الزمان يأتي
في ليلة او ليلتين يستوي
هذا الذي جاءت به الاخبار
وبعده الله أمر صائر
يفعل ما شاء بلا منازع
وخلقه مُلك له عبيد

ويخذل السادر في عقوقهم
وينصر الحق صُراحاً جهراً
منه نقياً واضحاً مبيناً
ويرفع المستضعفين البرره
انا الذي بشّر بي نبيكم
تلك عهد في الكتاب فصّلت
توراة موسى والكتاب الاشرف
من يصلح الامر وفيه يُفتي
أمر بكف الهاشمي العلوي
ونقلته في الألى الاخيار
فهو العظيم والاله القادر
بحكمه يعمل دون مانع
وهو الرحيم الحق والودود^(١)

(١) إن قضية ظهور الامام المهدي ﷺ سرٌّ لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه ، وأن أمر خروجه منوط بأذن الله سبحانه وحكمته وعلمه وتقديره.

وعلى هذا الاساس لا يمكن الاعتماد على أي خبر ورد في هذا الشأن إلا من جهة المعصوم ﷺ بحيث يكون هذا الحديث أو الخبر محكوم بصحة السند ووفق قوانين الجرح والتعديل ، وعلى ضوء هذا لا يمكن إبداء أي رأي حول أمر هو من أنباء الغيب كقضية المهدي ﷺ وظهوره إلا من جهة المعصوم ﷺ وسوف نقوم بذكر جملة من هذه الاحاديث المتواترة والتي تلتزم بالشرط والضوابط التي اعتمدها المؤرخون في تقييم الرواية ، وعلى الاجمال يمكن ذكر جملة نقاط وتعليقات تخص ظهور الامام المهدي ﷺ وكما يلي :

— إن عملية ظهوره ﷺ منوطة بتوفر أسبابها ومنها القيادة الحكيمة الكامنة فيه ﷺ والدستور السامي الذي يسير وفق نهجه ، ولا شك هو القرآن الكريم إضافة الى الشعار





الوجداني العاطفي الذي يستنهض به الامّة ، ووجود قاعدة جماهيرية صالحة لاستقباله والنهوض معه.

— لو ظهر ﷺ فإنه يبدأ عملية التغيير بالطرق الطبيعية المتوفرة في زمن ظهوره ، ولا يستخدم المعجزات والخواصق إلّا في حالات نادرة ، ليكون أمر ظهوره وتغيير للعالم خاضعاً لنطاق العقل ، ومُسايراً لصنيع جده رسول الله ﷺ في بداية الدعوة الاسلامية.

— سيكون منطلق ظهوره من مكة المكرمة حيث يُباعه هناك المخلصون وعددهم كعدد اصحاب بدر كما جاء في الروايات ، ثم يتّجه بعد ذلك الى الكوفة في العراق ليتخذها عاصمةً له ، ويحرّر هذا البلد من الطغاة والمفسدين ليتجه منها بعد ذلك الى تحرير العالم من الفساد ، وبذلك تكون الكوفة عاصمةً في بداية الاسلام للعالم في مستقبله الزاهر.

بعد هذه نقول فيما يلي جملة من أحاديث النبي ﷺ وأهل بيته الاطهار ﷺ بخصوص ما يحدث ايام الظهور ، وأثناءها ، وما بعدها ، كما روّتها كتب الجمهور من الفريقين :

— جاء بسندٍ متواتر الى أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : يُباع رجل من عترتي بين الركن ، والمقام جماعة عدّتهم كعدد أهل بدر .. كنز العمال ٢ / ١٨٨.

— جاء في بسندٍ متواتر الى قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج المهدي من المدينة الى مكة فيستخرجه الناس من بينهم فيبايعونه بين الركن والمقام وهو كاره .. أخبار المهدي ٢ / ٧٦.

— جاء بسندٍ متواتر الى الصادق ﷺ في وصف اصحاب المهدي ﷺ قال : كأن قلوبهم زبر الحديد لا يشوبها شك في ذات الله ، شعارهم يا لثارات الحسين ، يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر يمشون الى المولى إرسالاً ، بهم ينصر الله إمام الحق. بحار الانوار ٥٢ / ٣٠٨.

— جاء بسندٍ الى أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج رجل يُقال له السفياي في عمق دمشق ، وعامة من يتبعه من عشيرة كلب ، ويخرج رجل من أهل بيّتي في مكة ، فيبلغ الى السفياي خروجه فيبعث إليه جنداً من جنده فيهمزهم المهدي ، فيسير إليه السفياي بمَن معه حتى إذا جاء بيداء من الارض خُسف فلا ينجو منهم إلّا المخبر. عقد الدرر الحديث ١٢٣

— جاء بسندٍ الى أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج رجل من أهل بيّتي .. يملأ الارض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ويحكم على هذه الامّة سبع سنين ، وينزل بيت المقدس. غاية المرام ، للسيد البحراني / ٧٠٠.

— جاء بسندٍ الى محمد بن الحنفية قال : ينزل خليفة من أهل البيت بيت المقدس آخر الزمان





يملاً الأرض عدلاً ، يبني بيت المقدس بناءً لم يُبن مثله ، يملك أربعين سنة .. ويخرج الدجال وينزل عيسى بن مريم فيصلي خلفه . اي خلف الامام ؑ .. الملاحم والفتن ١ / ٥٣ .

— جاء بسندٍ الى ابي جعفر الباقر ؑ قال : يظهر المهدي بمكة عند العشاء ومعه راية رسول الله ﷺ ويفتح الله له أرض الحجاز ثم تنزل راياته سواد الكوفة ، ثم يبعث جنوده الى الآفاق ويُميت الجور وأهله ، وتستقيم له البلدان ويفتح الله على يديه القسطنطينية ...

العرف الوردي ٢ / ٧١ .

لا بد هنا من الإشارة أن مدن أمثال : المدينة ، ومكة ، والكوفة ، ودمشق ، وبيت المقدس ، ورومية الغربية ، سيكون لها شأن كبير في أيام الظهور ، كما أن هناك أسماء ورموز أمثال : الدجال ، والسفياي ، واليماني ، سيكون لها شأن بارز عند ظهور الامام ؑ .

— جاء قال : يظهر من الروايات المتواترة أن ظهور الامام المهدي ؑ في وتر من السنين وأنه بعد أن تُعقد له الراية بمكة ، يسير منها الى الكوفة ، ثم يفرّق جنوده من هناك الى الامصار ، وأن سلطانه يبلغ المشرق والمغرب ، وتظهر له الكنوز ولا يبقى خراب في الارض إلا عمره . إسعاف الراغبين ، لابن صبان الشافعي / ١٢٩ .

— وجاء بسندٍ الى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر ، أولهم علي بن ابي طالب ، وآخرهم ولدي المهدي ... بنايع المودة / ٤٤٧ .



الخاتمة

الى هنا ينقطع الكلام
وآخر القول مقال الحمد
فكن اله الكون انت الغافرا
في كل ساعة من الساعات
مكّن له في الارض حتى لا يُرى
بذاك تمت (قافلات النور)
قدمتها أنا ليوم حشري
أسأل من يقرأها الدعاء
تمت بمشهد الامام الكاظم
والحمد لله الكريم عندما
به على مهدينا السلام
على هدى طريقنا والرشد
والحافظ الدليل والمناصرا
تحرسه من سطوة الطغاة
عاص الى أمرك من بين الورى
ملحمة تبقى مدى الدهور
ذخراً لميزاني بيوم نشري
لي ولولدي منهم وفاء
سابع أهل البيت والاعاظم
ختمتها مصلياً مسلماً^(١)

(١) في نهاية هذه الملحمة المباركة لا يسعني الا ان اتوجه بالحمد والشكر والثناء لله سبحانه وتعالى ، على ما وفقني لاتمامها رغم زحمة الاعمال والاشغال في العراق ، الذي يمر بمحنة رهيبة الفصول ، طويلة المعاناة.

ثم التحية والسلام على خير الخلق محمد رسول الله ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين ، وعلى بضعته فاطمة الزهراء ﷺ وعلى الائمة المكرمين الاطهار ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وأخص منهم مهدي هذه الأمة الامام الحجة المنتظر ﷺ الذي يطلع اليه ملايين المستضعفين في الارض ، من أجل ان يبعث الامل في نفوسهم ، ويرسي قواعد الحق والعدل والكرامة ، ويهزم فلول الظلم والفساد والظلام ، وما ذلك على الله بعزيز.

اللهم إنا نرغب اليك في دولة كريمة ، تعز بها الاسلام وأهله ، وتذل بها النفاق وأهله ، وتجعلنا فيها عن الدعاة الى طاعتك ، والقادة الى سبيلك ، وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة.

والحمد لله رب العالمين





نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة



rafednetwork



rafedculturalnetwork



ar.rafednetwork



rafednetwork



rafednetwork



books.rafed.net

الفهرس

٥	اهل البيت ؑ في القران
٦	اهل البيت ؑ في السنة المطهرة
٧	المقدمة
١٣	رسالة تقريض
١٥	قوافل النور .. دراسة دلالية

الجزء الأول / النبي المصطفى ؑ

٤٣	الاهداء
٤٥	اضاءة
٤٧	في البدء
٤٩	العرب قبل الاسلام
٥١	المولد المبارك
٥٣	بدء الدعوة
٥٧	المجرة الى الحبشة
٦٠	المجرة الى يثرب
٦٣	معركة بدر
٦٥	معركة احد
٦٧	معركة الخندق
٧٠	صلح الحديبية
٧٢	معركة خيبر
٧٣	معركة مؤتة
٧٤	رسائل النبي ؑ الى الملوك
٧٥	فتح مكة
٧٧	معركة حنين
٨٠	غزوة تبوك
٨٢	مسجد ضرار
٨٣	الثلاثة الذين خلفوا
٨٥	البراءة من المشركين
٨٦	حجة الوداع وبيعة الغدير
٨٨	مرض النبي ؑ ووفاته



الجزء الثاني / الامام علي بن ابي طالب .. امير المؤمنين ❁

٩٣	الاهداء
٩٥	اضاءة
٩٧	أهل البيت في القرآن والسنة
١٠١	المولد الشريف
١٠٣	أول القوم اسلاماً
١٠٤	مببته في فراش النبي
١٠٥	فضائله ومواقفه
١٠٦	إمامته
١٠٨	خلافته
١٠٩	معركة الجمل
١١٣	الكوفة العاصمة الجديدة
١١٥	معركة صفين
١١٧	مصرع عمار بن ياسر
١١٩	خدعة رفع المصاحف
١٢١	فتنة التحكيم
١٢٣	معركة النهروان
١٢٦	عهده لمالك الاشر
١٢٩	مؤامرة الخوارج
١٣٠	جرح الامام
١٣٢	شهادته

الجزء الثالث / فاطمة الزهراء .. سيدة نساء العالمين ❁

١٣٥	الاهداء
١٣٧	اضاءة
١٣٩	اصحاب الكساء
١٤٠	الولادة المباركة
١٤٣	خطبتها واحتجاجها
١٤٦	وفاتها

الجزء الرابع / الامام الحسن بن علي .. المجتبى ❁

١٥١	الاهداء
١٥٣	اضاءة
١٥٥	المولد المباركة



١٥٩	دوره التاريخي
١٦٠	في معركة الجمل
١٦٢	في معركة صفين
١٦٥	في الكوفة
١٦٧	خلافة الامام الحسن ؑ
١٦٩	محنته ؑ
١٧٠	خيانة قائد الجيش
١٧١	الهدنة وشروط الصلح
١٧٣	تداعيات الصلح
١٧٥	العودة الى المدينة
١٧٦	إغتياله بالسم
١٧٧	شهادته

الجزء الخامس / الامام الحسين بن علي .. سيد الشهداء ؑ

١٨١	الاهداء
١٨٣	اضاءة
١٨٥	ادب المقاتل
١٨٩	المولد المبارك
١٩١	شمائل الحسين ؑ
١٩٣	الحسين ؑ ومشروع الثورة
١٩٤	ضحايا العقيدة من اصحاب الامام علي ؑ
١٩٦	هلاك معاوية وخلافة يزيد
١٩٨	الحسين يقرر مشروع الثورة
٢٠٠	رسول الحسين ؑ الى اهل البصرة
٢٠١	رسائل اهل الكوفة الى الحسين ؑ
٢٠٢	سفير الحسين ؑ
٢٠٣	سفر مسلم بن عقيل
٢٠٥	وصول ابن زياد الى الكوفة
٢٠٧	إشتعال الثورة قبل موعدها
٢٠٩	مسلم يقاتل وحده
٢١١	البيان الاول لثورة الحسين ؑ
٢١٣	الحسين ؑ يلتقي جيش الحر في الصحراء
٢١٤	الحسين ؑ يصل الى كربلاء
٢١٦	موقف الانصار عشية المعركة

٢١٨	يوم عاشوراء
٢١٩	دعاء الحسين ؑ
٢٢٠	خطبة الحسين ؑ قبل المعركة
٢٢٤	زهير بن القين يخطب بين الصفيين
٢٢٥	برير بن خضير يخطب بالناس
٢٢٦	الحسين ؑ امتداد لرسول الله
٢٢٨	موقف الحر
٢٣٠	الانصار يستبشرون بالشهادة
٢٣٢	اول امرأة تقتل مع الحسين ؑ
٢٣٤	ابو الشعثاء
٢٣٥	الحسين يصلي وسط المعركة
٢٣٦	شهادة حبيب بن مظاهر الاسدي
٢٣٧	شهادة زهير بن القين
٢٣٩	شهادة برير بن خضير
٢٤٠	شجاعة عابس
٢٤١	جون يدافع عن الحسين ؑ
٢٤٤	استغاثة الحسين ؑ
٢٤٥	شهادة علي الاكبر
٢٤٧	بطولة عبد الله بن مسلم
٢٤٨	قتال آل ابي طالب
٢٥٠	شهادة القاسم
٢٥١	بطولة العباس
٢٥٤	وداع الحسين ؑ الاخير
٢٥٥	الطفل الرضيع
٢٥٦	دعاء الحسين ؑ قبل مقتله
٢٥٧	الحسين ؑ يهزم الجموع
٢٥٩	الوداع الثاني
٢٦٢	السهم تصيب قلب الحسين ؑ
٢٦٣	صريعاً يجيئ شجعانها
٢٦٤	رأس الحسين ؑ
٢٦٥	فرس الحسين
٢٦٦	اللهم تقبل منا هذا القريان
٢٦٧	حرق الخيام ومحنة السجاد ؑ



الجزء السادس / الامام علي بن الحسين .. السجادة

٢٧١		الاهداء
٢٧٣		اضاءة
٢٧٧		في محنة الاسر
٢٧٩		من كربلاء الى الكوفة
٢٨٠		خطبة زينب
٢٨٢		موقف زيد بن ارقم
٢٨٣		الحوار الساخن
٢٨٦		موقف عبد الله بن عفيف الازدي
٢٨٨		المسير نحو الشام
٢٨٩		فضائل أهل البيت
٢٩١		يزيد يعلن كفره وفجوره
٢٩٣		الخطاب التاريخي
٢٩٧		راس الحسين بين يدي يزيد
٢٩٨		موقف يحيى بن الحكم
٢٩٩		موقف أبي برزة الاسلمي
٣٠٠		موقف رسول قيصر
٣٠١		موقف هند بنت عمرو زوج يزيد
٣٠٢		فضول شيخ من الشام
٣٠٣		الخطاب الشجاع
٣٠٦		أسرة النبي في الخربة
٣٠٧		لقاء الامام مع المنهال
٣٠٩		المسير نحو المدينة
٣١٠		العودة الى كربلاء
٣١٣		العودة الى المدينة
٣١٧		احداث عاشوراء لا تغيب عن الذاكرة
٣١٨		المولد المبارك
٣٢٠		الصحيفة السجادية
٣٢٢		فضائل الإمام السجادة
٣٢٣		الإمام السجادة في لسان الرواة والفقهاء
٣٢٥		والبيت يعرفه والحل والحرم
٣٢٧		ثورة المدينة
٣٣١		ثورة التوابين

٣٣٤	ثورة المختار الثقفي ..
٣٣٧	رسالة الحقوق ..
٣٣٩	السجاد في ذمة الخلود ..
٣٤١	ملحق .. رسالة الحقوق ..

الجزء السابع / الامام محمد بن علي .. الباقر ؑ

٣٦٩	الاهداء ..
٣٧١	اضاءة ..
٣٧٣	المولد المبارك ..
٣٧٥	مشاهد كربلاء ..
٣٧٦	حديث جابر بن عبد الله الانصاري ..
٣٧٨	اسمائه وصفاته ..
٣٧٩	حديث قتادة ..
٣٨٠	النص على امامته ..
٣٨١	الدور العلمي للامام الباقر ؑ ..
٣٨٣	رعايته للفقراء والمساكين ..
٣٨٤	احياء مجالس الحسين ؑ ..
٣٨٦	ازمة النقد في الدولة الاسلامية ..
٣٩٠	حلمه وسعة صدره ؑ ..
٣٩١	صبره ورأفته ؑ ..
٣٩٣	وصيته الخالدة ؑ ..
٣٩٦	وصيته الاخيرة ..
٣٩٧	شهادته ؑ ..

الجزء الثامن / الامام جعفر بن محمد .. الصادق ؑ

٤٠١	الاهداء ..
٤٠٣	اضاءة ..
٤٠٥	المولد المبارك ..
٤٠٦	اسمائه والقباه ؑ ..
٤٠٧	خصاله وصفاته ؑ ..
٤٠٩	اقوال العلماء فيه ؑ ..
٤١٢	رواته وتلامذته ؑ ..
٤١٦	جامعة الامام الصادق ؑ ..
٤١٧	كرمه وسخاؤه ؑ ..



٤١٨	 قصة الطفل والجارية
٤١٩	 قصة ظريفة
٤٢٠	 رواية مالك
٤٢١	 الحوار مع الزنادقة
٤٢٣	 المعتزلة والاشاعرة
٤٢٤	 عصر الامام الصادق ؑ
٤٢٦	 شعر السيد الحميري
٤٢٨	 تدوين العلوم
٤٢٩	 ثورة زيد بن علي
٤٣٢	 ثورة يحيى بن زيد
٤٣٤	 صبر الامام الصادق ؑ
٤٣٥	 رواية حميدة
٤٣٦	 وصية الامام الصادق ؑ
٤٣٨	 شهادته ؑ

الجزء التاسع / موسى بن جعفر .. الكاظم ؑ

٤٤٣	 الاهداء
٤٤٥	 اضاءة
٤٤٧	 المولد المبارك
٤٥٣	 حكاية ابي حنيفة
٤٥٦	 امامته وفضله
٤٥٨	 كرمه وعطاؤه ؑ
٤٥٩	 حكاية بشر الحافي
٤٦١	 كلماته ومواعظه ؑ
٤٦٢	 رواته وتلامذته ؑ
٤٦٤	 انحراف الواقفة
٤٦٦	 جرائم المنصور
٤٦٩	 عهد المهدي
٤٧٢	 اعتقال الامام ؑ
٤٧٤	 عهد موسى الهادي
٤٧٦	 ثورة فخ
٤٧٧	 موقف النبي في فخ
٤٧٨	 سبب الثورة
٤٧٩	 بيعة صاحب فخ

٤٨١	معركة فح
٤٨٥	تنبؤ الامام بمقتل موسى الهادي
٤٨٦	عهد الرشيد
٤٨٨	بغداد في عصر الرشيد
٤٨٩	محنة أهل البيت
٤٩١	دور البرامكة
٤٩٣	موقف الامام وحديث صفوان الجمال
٤٩٥	الاعلام المزيف
٤٩٦	حكاية حميد بن قحطبة
٤٩٨	هدم قبر الامام الحسين عليه السلام
٤٩٩	رسالة الرشيد
٥٠١	حكاية المأمون
٥٠٣	الرشيد يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم
٥٠٤	حدود فذك
٥٠٥	اعتقال الامام عليه السلام
٥٠٦	سجن البصرة
٥٠٧	من السجن ينشر علومه
٥٠٨	موقف عيسى
٥٠٩	سجن الفضل في بغداد
٥١٠	رواية القزويني
٥١١	دعاء الامام بالفرج
٥١٢	الاعتقال مرة اخرى
٥١٣	سجن السندي بن شاهك
٥١٤	رسالة الامام عليه السلام
٥١٥	اغتيال الامام عليه السلام
٥١٦	على الجسر ببغداد
٥١٧	موقف سليمان
٥١٨	في ذمة الخلود

الجزء العاشر / الامام علي بن موسى .. الرضا عليه السلام

٥٢١	الاهداء
٥٢٣	اضاءة
٥٢٥	المولد المبارك
٥٢٦	الولادة الطاهرة

٥٢٨	كنيته والقابه ﷺ
٥٢٩	امامته
٥٣١	اخلاقه وعبادته وعلومه ﷺ
٥٣٣	الواقفة
٥٣٥	موقف المؤمن
٥٣٦	صفاته وسجاياه
٥٣٧	احتجاجاته
٥٣٨	كرمه وسخاؤه
٥٤٠	زهده الواعي
٥٤١	مناظراته العلمية
٥٤٣	صلاة الاستسقاء
٥٤٥	دعاؤه في عرفات
٥٤٦	حكام عصره
٥٤٨	نبوءة الرضا ﷺ
٥٤٩	ثورة محمد بن جعفر الصادق
٥٥١	نهاية هارون وصراع الاخوة
٥٥٣	بيعة المؤمن
٥٥٤	انتفاضات الاقاليم
٥٥٦	بيعة الرضا ﷺ
٥٥٨	الرحيل الى خراسان
٥٦٠	حديث السلسلة
٥٦٢	الوصول الى طوس
٥٦٣	لقاء المؤمن
٥٦٤	شروط البيعة
٥٦٥	الشعراء والقصيدة التاريخية
٥٦٧	صلاة العيد
٥٦٩	النزاج السياسي
٥٧٠	الغلاة والزنادقة
٥٧٢	علومه
٥٧٤	الاضطرابات السياسية
٥٧٦	رواته وتلامذته
٥٧٩	شهادة الرضا ﷺ



الجزء الحادي عشر / الامام محمد بن علي .. الجواد ؑ

٥٨٥		الاهداء
٥٨٧		اضاءة
٥٨٩		المولد المبارك
٥٩٠		صفاته والقباه
٥٩٣		حياته مع ابيه ؑ
٥٩٥		شهادة الامام الرضا ؑ
٥٩٦		امامة الامام الجواد ؑ
٥٩٧		العلاقة مع المؤمن
٥٩٩		المنافرة المشهورة
٦٠٢		علمه وعطاؤه
٦٠٣		اصحاب الامام الجواد ؑ
٦٠٨		خلافة المعتصم
٦١٠		الثورات على المعتصم
٦١٢		دور الاترك
٦١٤		محنة الجواد ؑ
٦١٥		شهادته ؑ
٦١٧		مرقده ومشهده

الجزء الثاني عشر / الامام علي بن محمد .. الهادي ؑ

٦٢٣		الاهداء
٦٢٥		اضاءة
٦٢٧		المولد المبارك
٦٢٩		القباه وصفاته ؑ
٦٣١		مع ابيه
٦٣٢		عودة الامام الجواد ؑ
٦٣٣		دور الامام الهادي ؑ
٦٣٤		امامة الهادي ؑ
٦٣٥		اصحابه ورواته
٦٣٩		الوضع السياسي والاجتماعي
٦٤٠		فتنة خلق القرآن
٦٤٢		الغلاة
٦٤٤		حقن المتوكل



٦٤٧	 الهادي في سامراء
٦٤٩	 هلاك المتوكل
٦٥١	 سيطرة الاتراك
٦٥٤	 الخطة المشؤومة

الجزء الثالث عشر / الامام الحسن بن علي .. العسكري ؑ

٦٥٩	 الاهداء
٦٦١	 اضاءة
٦٦٣	 المولد المبارك
٦٦٥	 القابه وصفاته ؑ
٦٦٦	 معاناة العسكري ؑ
٦٦٨	 علمه وعصره
٦٧٠	 ثورة الزنج
٦٧١	 ثورة العلوي الصوفي
٦٧٢	 ثورة علي بن زيد
٦٧٣	 ثورة الحسين بن زيد
٦٧٤	 مساوئ الخارجي
٦٧٦	 موقفه من الكندي
٦٧٨	 في مواجهة البدع
٣٨١	 وكلاء الامام واصحابه ؑ
٦٨٤	 الاعداد للغيبة
٦٨٧	 شهادة العسكري ؑ
٦٨٩	 فاجعة سامراء

الجزء الرابع عشر / الامام محمد بن الحسن .. المهدي المنتظر ؑ

٦٩٣	 الاهداء
٦٩٥	 اضاءة
٦٩٧	 تاريخ الامام المهدي ؑ
٧٠٠	 الولادة المباركة
٧٠٣	 القابه وصفاته
٧٠٥	 كتمان الامر
٧٠٦	 شهادة الثقة الاربعين
٧٠٨	 حديث النبي ﷺ
٧١٠	 موقف السلطة



٧١١	 اللطف الالهي
٧١٢	 رحيل الامام العسكري ؑ
٧١٣	 الصلاة على الامام العسكري
٧١٤	 عصر الغيبة الصغرى
٧١٨	 المدعون للسفارة
٧٢٠	 الغيبة الكبرى ودور الفقهاء
٧٢٢	 الحديث الصحيح
٧٢٤	 علامات الظهور
٧٢٧	 الكوفة عاصمة المهدي ؑ
٧٢٩	 دولة العدل الالهي
٧٣٣	 الخاتمة
٧٣٥	 الفهرس

